

TIGHT BINDING BOOK

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190334

UNIVERSAL
LIBRARY

دار الكتب المصرية

أحياء الآداب العربية

ملك الأمية

في

ملك الأمية

لابن فضل الله العمري

بمحقق

الأستاذ أحمد زكي باشا

الجزء الأول

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م

كلمة صغيرة

عن

موسوعات كبيرة

كلمة صغيرة

عن

موسوعات كبيرة

هذا كتاب "مسالك الأبصار" لابن فضل الله العمري !
وهو قد لا يحتاج الى التعريف به ولا بمؤلفه . فقد آستفاد منه في القرون الوسطى
كل أكابر العلماء في الشرق : من عرب وفُرس وترك .

حتى إذا ما رحل العلم عن بلادنا وآستقر بأرض أوروبا ، تنبه المستشرقون اليه
فاستقوا من بحره الطامى ، مثل "كاترمير" الفرنسى ، و "أمارى" الطليانى . فكان
لها القدح المملئ والزاية البيضاء في استخراج كنوز المعارف من هذا المعدن الغنى
السخى الكريم . وأما غيرهم من المستشرقين الذين حذوا حذوهم فهم كثيرون .

مع كل ذلك ، بقى المصريون — الى هذا اليوم — محرومين وحدهم من بضاعة
أجدادهم ، الى أن وفقني الله لردّها اليهم بعد أن بذلتُ ما بذلتُ في هذا السبيل من
التعب والعناء فيما لا يقلّ عن ربع قرن من الزمان .

اهتديت الى مكانه في دور الكتب بأمّهات العواصم في ديار أوروبا وفي خزائن
المخطوطات بالقسطنطينية العظمى .

لكن الجزء الأول منه بقى في حكم المفقود . فان نسخته التى بخزانة آيا صوفيا
ليست بذاك .

ولقد تداركنى العناية ، فعثرت بطريق الصدفة على كتاب مدشوت في الأضابير
المبعثرة بين الأوراق المنتثرة في أسافل الخزانات بسرّاي طوب قيو بالقسطنطينية .
وكان هذا الكتاب بعنوان "مرآة الكائنات" .

تصفحته قليلا ، وإذا به هو الضالة المنشودة !

ومما جعلنى أعتبط كل الاعتباط بهذه اللقية أن رجلا من أهل العلم قرأ هذا
الجزء على المؤلف ، وأن المؤلف كتب بخطه عليه بعض التصحيحات وأضاف اليه
زيادات كتبها بيده في ورقات "طيارات" .

نهت رشاد بك أمين تلك الخزانة في سنة ١٩١٠ الى هذه الدرة اليتيمة ،
وطلبت اليه إعادة العنوان الى أصله ، وإضافة الولد المفقود الى أهله . ففعل .
وحينئذ أسرع فأخذت بالفتوغرافية صورة الكتاب بأكله (مع النسخة الأخرى
من الجزء الأول التي بأيا صوفيا) وأحضرت الكل الى القاهرة . وهو محفوظ بدار
الكتب المصرية . وليس يوجد في أى قطر آخر بالمشرق والمغرب نسخة كاملة
مثل التي أعدها لمصر . وقد كان عند أجدادنا من هذا الكتاب ما لا يقل عن العشرين
نسخة كاملة ، طوحت بها أيدي الزمان الى هنا والى هنا . وبقي وادى النيل محروما
من هذه الثمرة المصرية التي كانت تتناولها الأيدي وتؤقأ أكلها في كل حين .
وقد عُنت كل العناية ، وبذلت غاية الجهد في تحقيق هذا الجزء الأول ، وسافرت
الى فلسطين في صيف العام الماضي لتطبيق ما أورده المؤلف عن "المسجد الأقصى"
من البيانات الفنية المعمارية والاصطلاحات الهندسية البنائية التي لم يحجرها قلم كاتب
قط ، لا من العرب ولا من العجم ، لا قديما ولا حديثا .

أبرزته على هذا المثال الذي أرجو أن ينال قبولا عند العارفين من أهل العلم .
وأمل في الله كبير أن يمدني بالتيسير لإكمال على هذا النحو من الخدمة التي أخذتها
على عاتقي ، للقيام بالعمل الجليل الذي أبتهل اليه تعالى في تكليله بالنجاح ، وهو :

” إحياء الآداب العربية “

وسأتولى في أحد الأجزاء التالية التعريف بهذه الموسوعات الاسلامية المصرية
الكبرى ، بعد أن أنتهى من استخبار المؤلف نفسه عن نفسه ، ومن استكمال المواد
التي ما زلت أجمعها من بطون الدفاتر ومختلف المصادر .

وسأضيف اليه روافد فتوغرافية يمثل فيها خط المؤلف ، وخطوط النسخين
لكتابه الذي كان أكبر ينبوع للقلقشندي في ”صبح الأعشى“ .

وأتم ذلك كله بمعجم لغوي للألفاظ الاصطلاحية ونحوها مما أصبح في حيز المجهول
عندنا . وأضحينا في أشد الحاجة لتجديده للتعبير عما لا نجد له مقابلا فيما تدعو اليه
أسباب الحضارة الحاضرة وما ظهر فيها من مبتكرات القرائح والعقول ما

أحمد زكي باشا

فهرست

الجزء الأول ، من كتاب مسالك الأبصار

في ممالك الأمصار

فهرست المضامين

صفحة

فاتحة المؤلف :	١
خطته — تدقيقه في النقل — فذلكة عامة عن محتويات الكتاب — اقتصاره على ممالك الاسلام — شدة احتراسه في نقل العجائب — سبب ابتدائه بالمشرق — تعبه في خدمة الكتاب — التنويه بسلطان عصره الناصر قلاوون...	٥-٢
مناهج الكتاب والاشارة الى محتوياته بالتفصيل الوافي	٦
ابتهاج المؤلف الى الله — ورجاؤه للقراء	١٤

الباب الأول

في مقدار الأرض وحالها ، وفيه [ستة] فصول

الفصل الأول — في كيفية الأرض ومقدارها :

كريتها والبرهان عليه — استقرارها في جوف الماء	١٧
العرش والكرسي ، في رأى فلاسفة الاسلام	١٨
حركات الأفلاك وتقسيم الأقاليم — الفلك الأطلس وحركته ، وعنده ينتهى الإدراك البشرى	١٨
نظرية في الكواكب الثابتة والمتحركة والبرهنة عليها — تشكك ابن سينا في محل وجود الثوابت	١٨
تشبيه العالم لتقريبه الى الأنفهام — اعتراض المؤلف على هذا التشبيه	١٩
نظرية الادريسي في استقرار الأرض في جوف الفلك	١٩
تقديره أبعاد الأرض : على رأى الهنود — على رأى هرمس — مناقشة المؤلف لهذين التقديرين	٢٠

صفحة

تقدير الحكيم إرتستين الذى يسميه المؤلف إردساس (تحريفا عن	
إردستيناس (Erastostène)	٢٠
تقدير بطليموس — تصحيح اس الشاطر الدمشق لهذا التدبر	٢١ . ..
تقدير صاحب الكائن	٢١
ماصنعه المأمون العباسى لتحقيق أبعاد الأرض بطريفة عملية	٢١ ...
استنتاج المؤلف — استدلال اس الشاطر ..	٢٢
مقدار الدرجة بحساب المأمون وعبره — ترجيح المؤلف لنتيجة المأمون واعتماده عليها	٢٢
الفرسخ والذراع على حساب المأمون — طول المرحى القديم ، وضول الـ د	٢٣
اختلاف الآراء فى تقدير العمران — تحرير فتاب الدين الشيرازى لمقداره — مد اس	
الشاطر لطرية الشيرازى	٢٣
رأى الادريسي فى أسباب العمارة فيما بين القطبين — فقد المؤلف لهذا الرأى —	
الشمال أكثر عمارة من الجنوب — العمارة فى الجنوب قسم المشرق — (جزائر البحر	
الهندى وبلاد الصين) — عدم العمارة فى الجنوب من جهة العرب — العمارة وراء الاقليم	
السابع — (بلاد الروسية والمغرب) — (بيل السودان المعروف عند العرب ببحر الدمام والآن	
عند الفرس ببحر البخر) — السب فى عمارة ما وراء حط الاستواء من القسم الشرقى وعدمها	
فى القسم الغربى — سب العمارة فيما وراء الاقليم السابع — لماذا كان الشمال أكثر عمرا	
من الجنوب — رأى الادريسي ثم الكرى الأندلسى — حمله المعمور على رأى بطليموس	
والشيرازى وتوفيق المؤلف بينهما — احتراز المؤلف	٢٤-٣٠
تشبيه الأرض بجسد آدمى — عدم رضا المؤلف عنه	٣٠
الأرض غير صادقة الاستدارة	٣٠

تخيل علماء الاسلام لوجود أمريكا قبل اكتشافها بقرن ونصف قرن ٣١

الفصل الثانى الى الخامس — أسماء الأرض وصفاتها من حيث اللغة :

الأرض وصفاتها	٣٢
التراب وصفاته	٣٧
الغبار وصفاته	٣٩
الرمال وصفاتها	٤٠

الفصل السادس — فى أحوال الأرض :

الارتباط بين الكائنات الحيه وبين الأرض — تمام ارتباط الانسان بالأرض — (السمندر والدار) — الأرض أم البشر — قلة السارى الحيوان، ولماذا كانت العداة الموعوده — الانسان أرمى ترأى وأساس معاشه من الأرض — الانسان مقطوع على طلب النقاء وسنتقى فى طلب المعاش	٤٥-٤٣
كلمة عن الجبال — نظرية فى اتصالها طاهرا أو ماطا	٤٦
جبل قاف عد جغرافى المسلمين هو أم الجبال — ما هو الجبل المحيط وكيف سيده	٤٧
جبل القمر — الجبلان المكتنعا نهر النيل عد مسعه	٤٩-٤٨
كمال الكلام على تسلسل الجبال	٥١-٤٩
جبال الربع الأول : جبل قدم آدم — جبل الديلم	٥٣-٥٢
جبال الربع الثانى : الحل الساع	٥٥-٥٤
جبال الربع الثالث : جبال الأندلس	٥٧-٥٦
جبال الربع الرابع : « الهند والصين وشمال آسيا	٥٩-٥٨
[تحقيق على اسم نهرايتل (العولخا) — فى الحاشية]	٥٩
جبال الشام واتصالاتها	٦٠

جبال مكة : عرفات — أنوقيس — الحدمة — الحل الأبيض — الأحاسن	
والحاجب — قُبَيْعَان — أجياد — اس عمران — حل البُكاء — (سقايات مكة) —	
جلا شامة وطُفيل — حل شير — جبل جرّاء — حل ثور — عارحوا ٦١	
جبال المدينة المنورة : حل أحد — جل سَلْع — جل نور — جبل عير ٦١-٦٤	
أنهار الربع الأول ٦٦	
أنهار الربع الثاني :	

النيل : وضعه — كبتان للقاضى العاصل عنه ٦٧	
أصوله ومنابعه ٦٨	

اكتشاف المسلمين لمنابعه قبل الافرنج : وصول آخر سلاطين بني عبد المؤمن

الى مسعه ٦٨	
وصف البحيرة التي يخرج منها النيل — دراعا النيل عند منبهه — مروره في بلاد السودان —	
بمجر يوسف مصر — مشاهدة المؤلف في بحر يوسف — عمود النيل في الصعيد ... ٦٨-٦٩	
رجع الى اكتشاف العرب لمنبع النيل قبل الافرنج : عالم معرى أقام بالسودان	
٣٥ سنة وأحضر المؤلف عن أصل النيل — توغل هذا العالم في الأسفار لمعرفة مسع النيل ... ٧٠	
اختلاف الأقوال في أصل النيل — روايات عن بحث ملوك مصر الأقدمين عن أصل النيل —	
رأى المؤلف في أن هذه الأقوال مبنية على الطرقات العلمية لا على المشاهدة ٧١-٧٢	
محاولة الصالح نجم الدين الأيوبي معرفه منابع النيل [في الحاشية] ... ٧٢	
بقية أنهار الربع الثاني ٧٣	
أنهار الربع الثالث :	

نهر إشبيلية (أى الوادى الكبير المعروف عند الافرنج باسم Guadalquivir عن اسمه

الغرى) وما قيل فيه من طرائف الشعر والوصف لاس وهوون وعلام الكرى وان صار

واس حفاة ٧٤-٧٦	

صفحة

- نهر سرقسطة (Saragosse) وهو المسمى فعد العرب أيضا باسم إرّة عن اسمه
الافرىجى (Elbro) وما كان للملك الطوائف به من نزهة أئمة وما ارتحل به الوزير
اليهودى ابن حصدادى من الشعر الفائق أثناء رفة المستعصم هود ... ٧٦-٧٧
[تحقيق على اسم بحر سطش - فى الحاشية] ... ٧٧ ... ٧٧
- بقية أنهار الأندلس - أنهار فى أوروبا وآسيا ... ٧٨-٧٩
- نهر دجلة (Le Tigre) ... ٧٩ ... ٧٩
- نهر الفرات (L'Euphrate) ... ٨٠ ... ٨٠
- « الساجور بآسيا الصغرى ... ٨٠ ... ٨٠
- « قويق (نهر حلب) ... ٨٠ ... ٨٠
- النهر العاصى (ويسميه العرب أيضا أربطى عن الأعمية (Oronte) ... ٨١ ... ٨١
- نهر بردى (نهر دمشق) ... ٨١ ... ٨١
- « الأردن (Le Jourdain) ، ويسمى أيضا « الشريعة » ... ٨٢ ... ٨٢
- حمة حدن والاستشعاء بمياهها ... ٨٢ ... ٨٢
- أنهار الربع الرابع : مها ميرايتل (Le Volga) - نهر الطيب - جيحون -
سيحون - نهر السعد (Sogdiane) - نهر مكران (Indus) - نهر عماس سلاط
الترك - نهر حداد الأعظم بالصين (وهو النهر الأصفر Le Fleuve Jaune) - نهر الكر
(Cyrus) - نهر الرس المذكور فى القرآن (Araxe) - نهر فره صو - نهر أرس ... ٨٣-٨٥
- البحيرات المشهورة : بحيرة كياما - بحيرة أطراعا - بحيرة مراك - بحيرة السوكران -
بحيرة بخارا - بحيرة خوارزم - بحيرة تهامة (بلاد الترك) - بحيرة زرة - ... ٨٧ ... ٨٧
- بحيرات النيل الثلاثة : يخرج النيل من اثنتين منها وأما الثالثة فيسميها المؤلف بحيرة اليوم حلف
بلاد غانة (Guinée) لأنها من نيل السودان (Niger) ... ٨٧-٨٨

صفحة

- بحيرة النجوم مصر — بحيرة راقون — بحيرة تاربرت تونس (أحدهما عدنة والأخرى ملحنة
ونجيب شأهما) — بحيرتان بأقصى المغرب — بحيرات أرو — بحيرة الاسكندرية —
بحيرة تنس — بحيرة حارث — بحيرة طرية (وحمام طرية ووصمه) — بحيرة رعر
وهي المنة (Fétide) — بحيرة أفامية (Apamée) — بطائح العراق (اثنتان بالصرة
واحدة بالكوفة) — بحيرة حلاط — بحيرة أيوداد ٨٩-٨٨
- رمل المهبير (ووصمه بالتفصيل) ٩٠

الاثار البينة في أقطار الأرض

- المساحد الثلاثة : ٩١
- الكعبة : كلمة عامة عليها ٩٤-٩٢
- سائر ابراهيم — هذه وتحدد هذا أيام عبد الله من الرب — .. الحاح لها — وارث سائها .
على يد الملائكة — ثم ابراهيم — ثم قرش — ثم اس الرب — ثم الحاح — ساء العالفة
ثم حرم لها — ترعيها ٩٧-٩٤
- أعلامها وتاريخها ماذهب في الحاحها ثم في الاسلام ٩٨
- تحديد ماها في أيام الناصر محمد بن قلاوون ٩٩
- ترجيها في أيام التوليد بن سعد الملك الأموي — ترجيم المظهر يوسف بن رسول
صاحب امين ٩٩
- كسوة الكعبة في الحاحها الاسلام : كسوة المأمون — كسوتها من مصر ومن اليمن
في أيام التوليد — ما رآه المؤلف على سطح الكعبة وما نشرته لكسوتها بيده —
اهداء سلطان مصر كسوة الكعبة القديمة لسلطان المغرب الأقصى — غسل الكعبة
وتولى المؤلف ذلك بيده — الثالثة وكسوة الكعبة — كسوة النبي والخلفاء
الراشدين لها — قول تع عند كسوة الكعبة ١٠٢-٩٩

- صفة الكعبة ودورها (مساحتها) — الحجر الاسود — باب الكعبة — الملتزم — موضع
 الخلق وقام ابراهيم — الحطيم — المستحار ١٠٢-١٠٤
- المسجد الحرام المحيط بالكعبة : وصفه — عمر بن الخطاب يبرع الملكية لتوسيعه ،
 ثم عثمان بن عفان يقتدى به ، ثم ابن الزبير — تعمير عبد الملك بن مروان له — توسع
 الوليد الأموي له — زياده المصور والمهدي العباسيين له — رواه — سقاه —
 أساطينه — شراء النخيل لاسطوانة له يورثها دها — حيايه — مساحته — ارتفاعه —
 شرفاته ١٠٥-١٠٩
- المسجد الحرام يراد به الكعبة كلها — يراد به المسجد المحيط بها فقط — يراد به
 مكة أو الحرم بأكمله ١٠٨-١٠٩
- بئر زمزم : أصل التسمية — طم الحرتين مصاصفا — تحديد عدد المطلب حفرها
 ١٠٩-١١١
- الصفاء والمرورة : وصفها -- المبنى — موضع المرورة ١١٢
- مبدأ ظهور قرين بمكة — دار الندوة — دخول الدار في الحرم وهو موضعها منه . ١١٣-١١٤
- منى : مسجد الحيف — مسجد الكمش — جمع (أى انردله) — وهو جددها —
 الشعر الحرام ١١٥-١١٦
- أنصاب الحرم : أول من — لها -- تحديد التي ثم الصحابة لها — نقاءها لمن
 المؤلف — حد الحرم ١١٧
- تعظيم مكة وتحريمها : حفر شجرها — قطع شجرها ودية كل شجرة بكرة .. ١١٨-١١٩
- عرفات — قبة آدم — تسميتها ١٢٠
- مسجد نمرة (المعروف خطأ بمسجد ابراهيم) ١٢٠
- مسجد عائشة أم المؤمنين ١٢١
- مسجد ميمونة أم المؤمنين ١٢١

صفحة

- المواقيت (أى مواضع الإجماع): ذو الحليفة (مقات أهل الشام) — آبار هذا الطريق —
 الخليفة واسمها القديم (مهيمة) — رابع (عمر الزك المصرى فى عهد المؤلف) — تغليط
 المؤلف للجوهرى — بللم (ألملم) — ذات عرق ١٢٢-١٢١
- المسجد النبوى : الحرم النبوى والروضة الشريفة — قدوم النبى المدينة ومصلاه فيها —
 بناؤه مسجده بها — زيادة عمر وعثمان فيه — مسافة الحرم فى عهد النبى — الزيادات
 المتوالية فيه — زيادات العباسيين — المسافة بين المنبر والمصلى والقبر الشريف ... ١٢٦-١٢٣
- بيوت النبى : اضافتها الى المسجد أيام عبد الملك بن مروان ١٢٦
- مسجد قباء (وهو أول مسجد بنى فى الاسلام) — كيفية تأسيسه ١٢٧
- مسجد الضرار ١٢٩
- مساجد المدينة ١٣١
- بقيع الغرقد : قبة العباس ومن فيها من أهل البيت — قبة عثمان بن عفان — قبة ابراهيم
 (ابن النبى) — قبة فاطمة وأمهات المؤمنين والصحابه والتابعين — قبة مالك ابن أنس —
 أول مدفون بالبقيع — سبب تسميته بالغرقد — معنى الغرقد ١٣٢-١٣١
- المسجد الأقصى : كلة عامة على الحرم المقدسى — بناء سليمان له — فضله — فتحه
 فى أيام عمر ثم صلاح الدين — تسليمه للفرنج ثم استنقاذه ١٤٠-١٣٣

(وصف الحرم المقدسى ومزاراته الى سنة ٧٤٣ هـ — تصنيف

خاص به لأحمد بن أمين الملك)

وصف فنيّ عربيّ للبناء على الطراز العربيّ :

الصخرة الشريفة : البناء المئدس المحيط بها وطاقاته وشايكه — وصف السقف —
ارتفاعات القبة — صفة الشباك وأنواعها — أثر قدم النبي (صلم) فيما يقال — درفة حمرة
(وهي مرآة من السعة معادن) — المحراب — المعارة وباطنها — مقام الخضر —
مقام الخليل — الباب الشرقي للصخرة — بابها الشمالي (باب الجنة) — الباب العربي —
الصحى ومساحته — قبة الميران — قبة الجوى — المدرسة المعظمية — قبة الملك المعظم —
الامام والطلبة أحاف بهذه المدرسة — القرية الموقوفة عليها (بيت لقيان) — مزولة
المدرسة — قبة للتصديسين بالحرم — حلوتان للفقراء — درج الراق — أعمدة القبة
ووصفها — السلسلة المعلقة بين السماء والأرض — المشاة الموصلة للحرم — قبة المعراج —

الآثار والصهاريج بصرى الحرم وفي سفله ١٤٠-١٥٢

السور القبليّ : مساطبه ومحاريسه — خزائن القناديل والحوائح — جامع المعارة

وجامع النساء ١٥٢-١٥٣

السور الشرقيّ (وفيه مهد عيسى) : مسعد باب الرحمة — باب الرحمة — المقبرة خارج
هذا السور — وادى هنهم وما فيه من عجائب المباني والآثار والقوش والمعابد القديمة —

وصف الفصول الأربعة بالحرم المقدسى ١٥٤-١٥٥

السور الشمالى : باب أسباط — المدرسة الكريمة — باب شرف الأنبياء — مدرسة

آل ملك وخافاه الإسعدى — مدرسة الجاولى ١٥٧-١٥٩

السور الغربىّ : أبوابه — آثار علاء الدين الأعمى ناظر الحرم (أظهرت رحمة حياته
في كتاب نكت الحميان) — باب الرباط المنصورى — مساكن ومحاسن وخلوات
في ثخانة الحائط — باب الحديد — الباب الحديد — الخلاوى والطهارات والمساكن —

باب الطهارة — باب السلسلة (وهو باب السحرة) — باب حارة المعارة ١٦٠-١٦٣

صفحة

الخلاوى والحواصل تحت الصخرة	١٦٤
قبة سليمان : صفها — صخرة سليمان	١٦٥
المجلس الذى بناه سليمان (ويسمى فى عهد المؤلف اصطبل سليمان) : وصفه — مريبط	
الوراق فى إحدى أسطواناته — زيارة المؤلف له	١٦٥—١٦٧
قبر الخليل وما جاوره من قبور بنيه والأزواج : قبر الخليل ابراهيم، وزوجته	
سارة، وابنه إسحق	١٦٨
زيارة المؤلف للرداب الذى به قبور الأنبياء	١٦٩
اكتشاف قبور الأنبياء فى أيام احتلال الصليبيين لبلد الخليل	١٧٠
قبر آدم ونوح وسام — قبر يوسف وسبب وجوده خارج الحرم	١٧٠
رحله الحرم الخليل وصياfاته	١٧٠
زيارة المؤلف له سنة ١٧٤٥ هـ	١٧٠
فتح الصياfة وأهرأؤه	١٧١
استمرار السباط فى أيام الصليبيين ورياداتهم فيه — ريادة مانوك الاسلام فيه	١٧١
قصائد نقولف فى مدح الخليل — تفصيل المؤلف فى ريادته له	١٧٢
إقطاع تميم الدارى — استحصار المؤلف للكتاب النبوى الشريف وهله صورته	
وصفه له — نقله هذه النسخ عن حص الخليفه المستضى (فى الحاشية كلام عن هذا الكتاب شريف بنلاس الصندى عن أبى بكر العرنى ونقله عن العلقمى) — رؤية المؤلف له	١٧٢—١٧٦
قبر يوسف بن متى — وزيارة المؤلف له مرات آخرها سنة ١٧٤٥ هـ	١٧٦
قبر موسى الكليم — رواية فى تحقيق موضعه، ومنام عجيب	١٧٧
مسجد دمشق : وصفه وأزلياته — حيطانه — لوح مكتوب بخط عادى وجدوده أيام	
الوليد وزعم وهب بن مبه أنه قرأه — صورة ما فى هذا اللوح	١٧٨

- دخول العرب دمشق فاتحين — الكنيسة نصفها للنصارى ونصفها للسليين الى أيام
الوليد — حيلة لطيفة للوليد مع امبراطور الروم — المصالحة على اختصاص المسلمين
به في نظير استنثار النصارى بكنيسة مريم كلها — شروع الوليد في تحصيله — رواية
أخرى في اصرار المسلمين به — أخذ النصارى أربع كائس في نظير بصعهم فيه ١٧٩-١٨٠
- محاولة القساوسة مع هدم كنيسة لتوسعته ، ومباشرة الوليد الهدم بنفسه — رواية
أخرى — رواية أخرى — وضع الأساس — تحوير النصارى الوليد
- ومباشرة الهدم بنفسه ١٨٠-١٨١
- التعويض على النصارى بكنيسة أخرى ١٨٢
- مساومة الوليد النصارى وتخويفهم اياه بالجنون اذا هدمها ومباشرة الهدم بنفسه
- لتكديهم — إتمام اليهود هدمها ١٨٢-١٨٣
- طلب الوليد صاعا وعملة من ملك الروم — مكتوبة ملك الروم بشأن الهدم ... ١٨٣
- سقوط القبة بعد بنائها — حيلة هندسية في تشييدها ١٨٤
- محاولة الوليد عقد رأس القبة بالذهب وتقرع أحد أصحابه له ١٨٤
- تعشية سطوحه بالرصاص — شراؤه رصاصا من امرأة يهودية بوزنه ذهبا ثم تبرعها
- بالتن للسعد لما رأته من عدل الخليفة ١٨٤
- سليمان بن عبد الملك يتولى أمر الصاع بنفسه — أداء الأمانة ١٨٥
- ما كان فيه من الرحام والمرمر — مناقشة المؤلف عن الرحام والمرمر والحجارة وتفصيل
أنواع الرحام الملون — رحام بيبرس ومن بعده — عدد المرجح ١٢٠٠ —
- ترويقه ونهقاته الباهظة واحتجاج الأمة على الوليد ، وردّه المقنع .. ١٨٥-١٨٦
- قصة كثر — العقدة على المسعد ٦٠٠ و ٥٠٠ دينار ١٨٦-١٨٨
- مفاز دمشق أربعة ، وبه صارت نخسة ١٨٨
- ثمان عمودين ١٥٠٠ دينار ١٨٨
- رأس يحيى بن زكريا في كنيسة تحته ١٨٨
- تمثال قديم وحدوه في حفر الأساس ١٨٨

صفحة	
١٨٩	الأقباء المعقودة تحت المسجد
١٨٩	الوراق الذى كان محيطا به وأقصاه وماذا يحى بها
١٩٠	تمويع عمر بن عبد العزيز على النصارى بكيسة أخرى — عمر بن عبد العزيز أراد إراحاه للنصارى ، وكيف أرساهم القوم وأرسوا عمر
١٩٠	شروع عمر بن عبد العزيز ريع زحاره لوصع ثمها فى بيت المال ، وكيف ردوه عن ذلك
١٩١	وعود الروم وإعجابهم به — رواية فى عزم عمر بن عبد العزيز على تحريد القلعة مما فيها من الذهب
١٩١	إقرار المهدي العباسى فصل بنى أمية فى أربعة أشياء — إعجاب المأمون ببائه على غير مثال تقدم
١٩٢	عجائب الدنيا حى عند الشافعى : منها المسجد الأموى
١٩٣	صناعة الصيغساء وأنواعها — الصيغساء التى احترقت سنة ٧٤٠ هـ — المرق بين القديمة والحديثة فى أيام المؤلف
١٩٣	هذا المسجد يشوق الى الجلة
١٩٣	الدرّة المسماة (قُلَيْلَة) — الأمين يستنزعها والمأمون يردّها للتشيع عليه — ضياعها وانكسار البرنية الزحاح التى وصعت محلها
١٩٤	أستار المسجد
١٩٤	وصف المؤلف لبائه الوثيق الأتيق
١٩٤	أبوابه القديمة والمستجدة
١٩٥	حصص المسجد وصيغسائه — رواق الصحن — أروقة القبلة وقبة السر
١٩٥	المصحف الثمانى الذى كان فيه
١٩٥	محراب الصحابة — محراب الحفصية — محراب الحنابلة
١٩٦	وصف الأروقة — وصف قبة السر

صفحة

مشاهد الخلفاء الراشدين — مجلس الحاكم الشرعى والحكام الأربعة	١٩٦
مجن زين العابدين	١٩٦
المعارات والمدارس التى أضيفت اليه	١٩٧
فرشه بالمرمر، وزخرفة عمده وعضائمه بالرحام المذهب	١٩٧
فساق الماء	١٩٧
عود الى وصف القبة	١٩٧
طول هلال القبة	١٩٨
وصف ساعة المسجد	١٩٨
طلسمات الجامع قبل حريقه	١٩٨
حريق الجامع سنة ٤٦٩ هـ وسببه — وصف العباد الكاتب لهذا الحريق — أبيات	
في ذلك الحريق	١٩٨
الفوارات التى به وتوارىخ انشائها وسقوط عمدها وما فوقها	١٩٩
عمل الشذروان بعد سنة ٦١٠ هـ — وصف الدهى لقصة المقارة الكبرى وما بنى	
عوضاً عنها بعد حريق سنة ٦٨١ هـ	٢٠٠
حريق سنة ٧٤٠ هـ وتجديد المارة على أحل مثال — مقامة الصفدى في وصف هذا	
الحريق — وصف ابن عاتم له أيضاً	٢٠٢-٢٠٠
وصف المؤلف لعار هذا المسجد بالناس دائماً	٢٠٢
أوقافه ومرتباته	٢٠٣
مقام إبراهيم يبرزة (بالنقطة)	٢٠٣
مقارة الدم — فضلها خصوصاً في صلاة الاستسقاء	٢٠٥
الريوة : مقام عيسى (عم) بها — معجزتان لعيسى (عم) — اختلاف المصرين في مواقع	
الريوة — انتقاد المؤلف هذه الأقوال	٢٠٨-٢٠٦

صفحة

- الكهف بقاسيون : بناؤه سنة ٨٣٧٠، ورؤيا غربية في ذلك ... ٢٠٩
- مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط بمصر : وصفه وفصله — وصف الهلال
والشمس فوق الليل في وقت العروب لأن طاهر، ولأبن قلاقس وابن المحم، وهما في مارتة ٢٠٩-٢١١
- مسجد قرطبة : طوله وعرضه — تسميته وصحته — قسبه وسواريه — ثرياته — سماواته
وجوائز سقمه ... ٢١٢
- صنعة الفص وصناعة الدوائر — للاحه — أعمدته — صناعة الفص بالمرة ... ٢١٢-٢١٣
- وصف قلعة العجبية وما فيها من صنعة القوط — أعمدة المحراب لا تقوم بمال —
الممر الذي ليس بمعمور الأرض مثله — ستة صناعات قصوا سبع سنين في عمله ... ٢١٣
- آلات الوقيد في ٢٧ رمضان (لبلة القدر) ... ٢١٤
- مصحف يرفعه وحلان، فيه أربع ورقات من مصحف عثمان ... ٢١٤
- أبوابه ٢٠، مصححة بالحاس وكواكب الحاس ... ٢١٤
- صومعة العريفة — درجان متحالفان للصعود إلى أعلاها — فيها ثلثمائة عمود — فوقها ثلاث
تفاحات من ذهب وفضة ... ٢١٤
- ٦٠ رجلا يتخذون الجامع ... ٢١٤

بقية المزارات الأخرى : (وكلمها بالشام) :

قبر مالك بن الأشتر — قبر حفصة — دير إلياس (عم) — مشهد إبراهيم ببلبك — قبر
أسباط ببلبك — قبر نوح الكرك — قبر شيث (عم) بقرية شرعيل — قبر حرقيل
(ع) بالبقاع — قبر بنيامين بقرية طهر حمار — قبر شيان الراعي بالبقاع — قبر أيوب
(عم) بقرية دير أيوب — مشهد حماة من الصحابة بقرية محجة — حجر يرمعون
كدنا أن إلى (صلم) جلس عليه بقرية محجة — قبر اليسع بقرية بسر — الأحودود
الذي تحران بالشام (والحقيقة خلاف ذلك وأنه باليمن) — عبد الرحمن بن عوف بقرية
الدور — المبيس في ذيل اللخاة — سام بن نوح على ندى — محي الدين النوى بقرية
نوى — على الحريري بقرية نوى — مبرك الباقية ببحري — مصحف عثمان عليه أثر

الدم في مبرك الساقية ببصرى — دير الساعق الذى كان به الراهب ببحرا — قدم
الرسول (صلم) بقرية دثين — قبر وهب بن مبه بقرية عصب — قدم هرون (عم)
بصرحد — مشهد موسى وهرون (عم) بصرحد — قبر هرون بالسبق ببلاد الشوك —
قبر أنى عبيدة ابن الجراح بقرية عمتا — قبر معاذ بن حبل بالقصر المعينى — قبر
أبى هريرة بقرية تنى — الكهف والزقيم (باللقا أو أفسس أو بتالطة) — قبر
جعفر الطيار، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحه، والحارث بن العمان، وعبد الله
أن سهل، وسعد بن عامر القيسى، وأبو دحانة الأنصارى (كلها بقرية مؤتة) —
وقبور أم موسى بن عمران، ودان، وأبى ساحور، وزبولون، وكاد، وأولاد يعقوب
(بإربل طرية) — قصر يعقوب (عم)، وبیت الأحران، وحب يوسف (في الطريق)
الى نائياس والى القدس) — قبور شعيب في حطين، ويهودا بن يعقوب في رومة
طبرية، وصغورا رومة موسى في كهر منده — الحب الذى سقى منه موسى أنثام
شعيب والصحرة التى رعبها في كهر منده — ق. اشير ونشالى، ولدى يعقوب في كهر
منده — وقبر سليمان (عم) بشرق طبرية أو بيت لحم — قبر إسماعيل وابنه — الطور الذى
رأى موسى الباروقه بالشام، في قول — قبر راحيل أم يوسف بين القدس والحليل —
قبر لوط بكفر تريك — مقام لوط بقرية تامين — الحجر الذى صر به موسى (عم)

يها — قبر عبادة بن الصامت بالرملة ٢١٥-٢١٩

مشهد الحسين بن على بن أبى طالب بعسقلان (المؤلف يسكن وحوده بالقاهرة وقبول
ان الأعلام انه لم يتجاوز دمشق وأن العباسيين حملوا أسلمه فيما بعد ودفعوها بالمدينة

المقورة) ٢١٩-٢٢٠

مشهد رأس الكامل صاحب ميفارقين بعسقلان (وتعبر المهتار الكات فيه) ٢٢٠

قبر يحيى بن زكريا ببسطة — سعد بن عادية بالمنجة بدمشق (ولا يصح) — قبر خالد
بن يزيد الأموى خارج حصص (والعلمة تحمله قبر خالد بن الوليد وهو خطأ) — قبر

صرار بن الازور خارج باب شرق دمشق — مدفن الصحابة في تلك الجهة ٢٢٠-٢٢١

البيوت المعظمة عند الأهم :

عبادة الكواكب وهياكلها ٢٢٢

البيوت المحجوجة ٢٢٢

صفحة

٢٢٢	 البيت الحرام بمكة ...
٢٢٢	 بيت النار Pyrée بأصفهان ...
٢٢٢	 بيت مندرسان بالهند ...
٢٢٣	 بيت كأوسان فرغانة ...
٢٢٣	 بيت عمداث باليمن ...
٢٢٣	 بيت الكواكب بأعلى الصين ...
٢٢٣	 بيت النوبهار في بلخ ...
٢٢٤	 هياكل اليونان : (بيت اطاكية — هرم الجزيرة — بيت المقدس — صنم لبنان) ...
٢٢٥	 هياكل الصقالبه ...
٢٢٥	 هياكل الصابئة ...
٢٢٦	 هيكل بالصين ...
٢٢٧-٢٢٨	 بيوت النيران (بطوس ، بخارى ، دارابجرد ، اسطخر ، جور) ...
الآثار المشهورة :	
بالصين وتركستان وفارس :	
٢٢٩	 صنم الخطا المصبوج اليه (بشمال الصين) — قصر الدهاك — حائط القلاص ...
بالعراق :	
٢٢٩	 قصر سنداد ، وشعر الأسود بن يعفر فيه ...
٢٣٢	 جب بابل ...
بالحيرة :	
٢٣٠	 الخورنق والدير ، وما قيل من الشعر فيها وفي مجازاة سينمار بانيهما ...
٢٣٠	 قصر سناقاد ...

بالشام :

الرصيف الممتد في البرية ٢٣٠

مدينة تدمر — ملعب بعلبك — مدينة جرش — جب يوسف — جسر يعقوب ٢٣١

بين الحجاز والشام :

مازل نمود (وثر الحجر والنافه) ٢٣١

باليمن :

الأخدود — البئر المعطلة والقصر المشيد — سد مأرب — قصر القشيب — قصر

عمدان ، وشمر ابن أبي الصلت فيه — بئر رهوت — قصر زيدان ... ٢٣٣-٢٣٢

بقارس :

مدينة اصطر ٢٢٩

قصر الشاذباح (والشعر الذي ارتجله ابن الجهم حينما صلبوه عليه) ... ٢٢٩

بمصر :

دار الأتمطاط — وشمر ابن قلاص في مليحة مرت بها ... ٢٣٤

الأهرام — فتح المأمون للهزم الكبير ، وتدقيق المؤلف في ذلك — وصف

المؤلف للأهرام ، وزيارته لها — شعر المتنبي وأنى الصلت الأندلسي فيها ... ٢٣٨-٢٣٤

أبو الهول ووصفه — وشمر طاهر الحداد فيه ... ٢٣٨

سجن يوسف ٢٣٨

حائط العجوز — ووصف المؤلف وزيارته له ... ٢٣٩

شامة وطامه (تمتلا عمود أو رمسيس الكبير) ... ٢٣٩

بربارة لإنعيم — مارآه المؤلف فيها — تحقيق الحكيم شمس الدين محمد القاش بشأها ٢٤٠-٢٣٩

صفحة

عمود الصوارى بالاسكندرية — مناورة الاسكندرية وأشعار ابن الدروى

وأن قلافس فيها ... ٢٤٠-٢٤١

الملعب ، ومكانه قصر بن حليف (كان) وشعر ابن قلافس فى وصف هذا القصر ٢٤١-٢٤٢

ببلاد المغرب :

مدينة لبدة (Lepitis) وأطلالها [وهى فى بين برقة وطرابلس العرب] ... ٢٤٣

مدينة المعلقة بتونس (وهى قرطاجنة) ... ٢٤٤

مدينة شرشال بالجزائر ... ٢٤٤

صخرة سبتة بمراكش ... ٢٤٥

بالأندلس :

هيكल الزهرة بالأندلس ... ٢٤٥

باب الصفر بحمال البراس (بين اسبانيا وفرنسا) ... ٢٢٩-٢٥٣

[شجرة واحدة فى الدنيا لا ثانى لها] ... ٣٠٤

القصور المشهورة :

قصر العباس بن عمرو البتوى — الشعر الذى كتبه عليه سرف الدولة سنة ٣٣١هـ ،

ثم أخوه ناصر الدولة سنة ٣٦٢ هـ ثم المقلد بن المديب سنة ٣٨٨ هـ ، ثم ابنه

قرواش سنة ٤٠١ هـ ... ٢٤٥-٢٤٧

[أمير حيش يسلم وحده ، وأمير حيش يؤسر وحده] ... ٢٤٨

قصر البصرة — احدث فيه من المفاتحة بين حرير والورق فى حصرة الجناح الثمقى ٢٤٨

قصر الكوفة وما حدث فيه من إحضار رأس الحسين الى ابن زياد ، ورأس هذا

الى المختار بن أبى عبيد ، ورأس هذا الى مصعب بن الزبير ، ورأس هذا الى عبد الملك

ابن مروان الذى تظلم من مجلسه وأمر بهدمه ... ٢٤٨-٢٤٩

- قصر هرقل (بدمشق) — وعُرف في زمان المؤلف بقصر شمس الملوك — وصف
 القيسراني لبركته ارتجالاً ... ٢٤٩-٢٥٠
- قصر أنى الخصب، مولى أبي حفضر المنصور ... ٢٨٥
- قصور مدينة الصالحية بالعراق — وما قيل فيها من الشعر ... ٢٦٥-٢٦٦
- [الدار التي بناها المؤلف لنفسه بدمشق] ... ٣٥٠
- قصر ليني أمية بدمشق — وما كتب عليه من الشعر استهماها وجوانا على سبيل العرة ... ٢٥٠
- قصر عبد العزيز من مروان مخلوان مصر — وما كتب عليه من الشعر، استهماها
 وجوانا على سبيل العرة ... ٢٥٠-٢٥١
- مسجد فنية السلاار من اليرموك بالشام رأى المؤلف على بعض جدرانه شعراً في رثاء
 بن سيار أصحاب هذه الجهة الأتولين يتلوه شعر في رثاء بن السلاار، وما كتبه هو
 تحت ذلك من الشعر في رثاء العريقيين على سبيل الموعظة والاعتبار ... ٢٥١-٢٥٢
- بيت من الشعر رآه المؤلف على معهد كان يألفه، فارتجل أربعة أبيات في شكايته
 الرمان وأمر بكتابتها تحت ذلك البيت واصرف بايها ... ٢٥٢-٢٥٣

الديارات والحانات المشهورة :

ديارات العراف :

- دير الكلك (وهو من عتبات الدنيا) ... ٢٥٤
- دير أبوان (وهو قبر بوح، يرعمون) ... ٢٥٥
- دير الزعران (وشعر الخالدي) ... ٢٥٥
- دير قنق ٢٥٥
- دير العاقول (وشعر اس مقله والبحري وان كاتب طولون، وحكاية محطة والبحري به) ٢٥٦
- دير العداري (وشعر ابن المعروض بحقه والصنوري واس فيروز واللصوص) ... ٢٥٨

صفحة

- دير الباعوث (وشعر المنبجي) ... ٢٦١ ...
- دير السومى (وشعر أحمد بن أبي طاهر وابن المعتز) ... ٢٦٢ ...
- دير عبدون (وشعر البحترى وابن المعتز) ... ٢٦٣ ...
- دير زكى (وشعر الصوبرى وأبي بكر الموح والرهراوى — وشعر دارون الرشيد بسببه أو فمين فيه) ... ٢٦٥-٢٦٩ ...
- دير القائم الأقصى (وماحدث لاسحاق الموصلى فيه ، وما قاله من الشعر ، وما عمله الخليفة هارون من رفع الخراج عن هذا الدير سوى عشرة دراهم) ... ٢٦٩ ...
- دير حزقيال ... ٢٧٠ ...
- شعر عقلاء المجانين ... ٢٧٠ ...
- دير ماسرجس (زيارة المعتصم له مع أفى النصر البصرى وشعر هذا فيه) ... ٢٧١ ...
- دير الروم ... ٢٧٢ ...
- شعر عقلاء المجانين ... ٢٧٢ ...
- دير الزندورد (وشعر أبي نواس وحجة البرمكى) ... ٢٧٤ ...
- دير دومايس (وشعر أن حمدون النديم) ... ٢٧٥ ...
- دير سمالو (وشعر محمد بن عبد الملك الهاشمى ، وأشعار خالد بن يزيد الكاتب حينما استدعاه ابراهيم بن المهدي) ... ٢٧٥ ...
- دير الثعالب (وشعر ابن دهقان) ... ٢٧٧ ...
- دير مديان (وشعر الحسين بن الضحاك) ... ٢٧٧ ...
- دير أشتوى (وشعر حطه ورقص أبي العناهيبة فى سمر يته حين سمع العباء به) ... ٢٧٨ ...
- دير سار (وأشعار ابن الضحاك) ... ٢٧٨ ...
- دير قوطا (وأشعار عبد الله بن العباس الربيعى) ... ٢٨٠ ...
- دير جرجس (وأشعار أبي جفنه القرشى — واستدعاه أن النميرى لاس المعتز لأجل الشرب فيه ليلة الشك) ... ٢٨١ ...

صفحة

- دير الخوات — ليلة المشوش به ، والشعر فيها لمخطة ... ٢٨٢
- دير باشرا (وشعر أبي العيلاء) ... ٢٨٢
- دير مرمار (وشعر الفضل بن العباس بن المأمون — وما حدث به لامتز أيام خلافته حينما خرج الصيد مع الفضل المذكور ويونس بن بُمَا) ... ٢٨٢
- دير مريحيس (ويسميه الناس معصرة أبي نواس — شعر أبي نواس وابن الصحاك) ٢٨٤
- ديارات الأساقف (وشعر علي بن محمد بن جعفر العلوي) ... ٢٨٥
- دير زراراة (خروج يحيى بن زياد ومطيع بن اياس للحج ووقوفهما به للشرب ليلة واحدة وتماديها حتى عاد الجميع فرجعا معه الى بغداد بعد أن حلقا رؤوسهما كأهما أديا الفريضة وشعر مطيع في ذلك) ... ٢٨٦
- عُمر مرثومان (وأشعار كشاجم فيه وفي عود الملاحى) ... ٢٨٦
- دير الألق (وشعر المدايني حينما سكر به) ... ٢٨٧
- عُمر إتراعيل (وشعر محمد بن حمد الأصم) ... ٢٨٧
- دير ماقوقا (وشعر أبي الحسين محمد بن ميون الكاتب) ... ٢٨٩
- دير سميد (وأشعار الخالدي والسري الرقي — حكاية من ثقيل مع جماعة من الطرءاء وما قاله عمر بن محمد بن الشحنة من الشعر في ذلك الثقيل) ... ٢٨٩
- الدير الأعلى (وشعر الخالدي) ... ٢٩٣
- دير مارمخايل (حكاية الشهيد الذي وحد رأسه — وشعر الخالدي وعمر بن الشحنة) ٢٩٤
- دير متى (وما قيل فيه من الشعر — البيتان المكتوبان على باب دهليزه) ... ٢٩٩
- دير الحماص (شعر لأحمد بن عروة الشيباني يرثي أحماء — وبه يوح نساظم على موتاهم — وإذا رلت أحيائهم هذا الدير نَحروا على قبر ميتهم وأقاموا مأتما) ٣٠٠
- دير باعمرنا (زيارة سيف الدولة له وشربه فيه والشعر الذي صمعه له أبو اسحاق اليسرى وغناه به سفارة العقواد) ... ٣٠٠
- دير القيارة (واستشفاء المرضى من الطلل المستنصية بالاستحمام في الحمة التي به) ... ٣٠١

صفحة

- دير باقانا (وسكر الخياز البلدى وشعره) ... ٣٠٢
- دير أبى يوسف (وشعر الخالدى) ... ٣٠٢
- دير الشياطين (وشعر السرى الرها) ... ٣٠٣
- دير ممرجس (وشعر رحل من آل القرات) ... ٣٠٤
- دير صباغى (وشعر بعض لصوص بنى شيان) ... ٣٠٥
- عمر الزعمراء (وشعر الخالدى والبيعاء ومصعب الكاتب) ... ٣٠٥
- دير باريتا ... ٣٠٧
- دير حظلة (وشعر ورر فيه) ... ٣٠٧
- دير الحاطيق (ورثاء ابن رقيس الرقيات لمصعب بن الزبير المقتول بجانه — وأشعار
بكر بن خارعة ومحمد بن أبى أمية بسببه وفيه) ... ٣٠٨
- دير مريحا (وشعر عمرو بن عبد الملك الوراق وبعض أشعاره المحبويه) ... ٣٠٩
- عمر أخويشا (والشعر فيه) ... ٣١٠
- عمر عسكر (وأشعار محمد بن حارم الاهلى) ... ٣١٠

ديارات الحيرة :

- دير الأسكون (وصف العيد فيه) ... ٣١١
- ديرحة (شعر رحل مستتر بالسكرفيه وقتله به — شعر الثروانى وبكر بن حارحة
الكوفى وأبى نواس) ... ٣١٢
- دير عبد المسيح (والأشعار المكتوبة على حائطه — وعلى لوح وحدوه فى قبر به) ... ٣١٤
- دير الحريق (وشعر الثروانى . وصف مجلس الشراب به فى يوم الشعانين) ... ٣١٥
- دير اس مزعوق (وشعر الثروانى) ... ٣١٦
- دير فاثيون (وشعر الثروانى) ... ٧١٧
- دير مارت مريم (وشعر الثروانى — شعر بكر بن خارحة فيه على قراءة النصارى
وضرب الواقيس) ... ٣١٧

من مسالك الأبصار (ث)

صفحة

٣١٨ قلالية القس (وقد صار فاتكا) — شعر قيل فيه

دير حنة الكبير (شعر الثرواني — زيارة ابراهيم بن المدير مع جحظة له ، ومجلس
شربها فيه ، وما صنعه جحظة من الشعر والتلحين لهذا السبب — زيارة الوليد
ابن يزيد الخليفة الأموي لهذا الدير متذكرا ، وشربه فيه ثلاثة أرطال — وتلطف

الخنار حتى عرفه) ٣١٩

دير هند (ذهاب النعمان بن المنذر ملك العرب إليه ، وتحيله في أحذه امرأة حكم بن
عمرو الحمصي ، وقول الشاعر في ذلك — مقابلة خالد بن الوليد مع هند بنت
النعمان — مقابلة الجراح لها — عيرة العرب وشهاتهم في الدفع عن الحرير —

مقابلتها لسعد ابن أبي وقاص حين فتح العراق) ٣٢٢

دير ألح (الشعر فيه — ذهاب النعمان إليه بموكبه وحشمه وخدمه) ٣٢٦

دير بني علقمة (وشعر عدى بن زيد — وهو ما يتننى به) ٣٢٧

دير هند الأقدم (زيارة هارون الرشيد له — وبكاؤه لشعر مكتوب على حائطه

في رثاء بني المنذر) ٣٢٧

قبة السبق (ووصف حفلة النصارى به في عيد الشعانين) ٣٢٨

دير اسحاق (وأشعار أبي عبد الرحمن الهاشمي السلمي) ٣٢٨

دير ميماس (وأشعار دبك الجن وأبي نواس بسببه وفيه) ٣٣٠

ديارات الشام وفلسطين :

دير محلى (وشعر أبي زرعة) ٣٣١

دير مارمروتا (واحسان سيف الدولة الى أهله وشعر الصوري) ٣٣٢

دير الرصافة (شعر أبي نواس وغيره — زيارة المتوكل العاصمي له — رقعة الشعر التي

علقها فيه رجل من ولد روح بن زباع سرا ، يرثى المروانية . تغليظ المتوكل) ... ٣٣٢-٣٣٤

دير حطورا ٣٣٤

دير البنات (وشعر الطيبي) ٣٣٤

دير كفتون (شعر الطيبي) ٣٣٥

صفحة

- دير القاروس (شعر حسن بن على القرى) ... ٣٣٦
- دير فيق (وهو أول دير للنصارى — شعر أبى نواس) ... ٣٣٦
- دير الطور (بالشام ويعرف بدير التجلى — أشعار المهلهل بن يموت بن المروع) ... ٣٣٧
- دير المصلبة — (زيارة المؤلف له — صار مسجدا ثم عاد ديرا — نذر المؤلف اعادته مسجدا — أوقاف الدير — شعر حسن القرى) ... ٣٣٩
- دير السقي — (قصيدة المؤلف فيه) ... ٣٤٠
- دير الدواكيس (كثرة مرور المؤلف به — أشعاره فيه) ... ٣٤١
- دير رمانين — ماحداث لعمر بن الخطاط فيه — مجيئه اليه بعد فتح بيت المقدس — ومقاتلته لصاحبه الراهب الذى كان أكرمته — مصالحته له على الجزية — وتخاب عمر بريد الرهبان ... ٣٤٢
- دير هرقل (وهو حاص بالمجانين) — شعر دعبل فيه — حكاية المبرد مع أحد عقلاء المجانين ... ٣٤٤
- دير يونس (شعر الفضل بن اسماعيل بن يونس بن عبد الله بن العباس، وشعر أبى شاش) ... ٣٤٦
- دير بصرى (ويسميه المؤلف أيضا دير الناقع وهو الذى كان فيه الراهب بحيرا) — وصف المارنى له ولصفاحه أهله — شعر دراية من أهله ... ٣٤٧ و ٣٤٧
- دير اخنان — زيارة المؤلف له — أشعاره فيه ... ٣٤٨
- دير صليبا (الوليد بن يزيد الأموى كان يكثر الإقامة فيه، محرمه ويشرب فيه — وصف محاسن شربه ومشاركته للقيين فى اللعب بآلات الطرب، ونخوجه بهذه الهيئة على وجوه العرب، وتلطف الحاجب فى صرف الناس) ... ٣٤٩
- دير بونا (سكر الوليد بن يزيد ومخونه فيه وشعره) ... ٣٥١
- دير سمعان — تلطيف للؤلؤ لمالدى وأبى الفرج الأصهبانى الذين جعلاه بدمشق، وليس له بها أثر ولا عين — تحقيقه عنه وأنه قرية تعرف بالبقرة بالقرب من معرة النعمان — وهو الذى دفن بجنازه عمر بن عبد العزيز — وصف جبرير للنساء والصبيان وهم يقبلون الصلبان ويسجدون لها بذلك الدير — مقالة الوليد بن يزيد فى السكر به حيث نزل على أكبر عدير فيه، وأقسم لا يبرح حتى يشرب مائه مزاجا

صفحة

لأسمه — والحيلة التي فعلها ندماؤه للتخلص من هذا القسم — وصفه شعرا
 لأحمد بن هلال — مقابلة الديراني لعمر بن عبد العزيز بالقهاكة في مرضه ،
 وشراء الخليفة موضع قبره في الدير لمدة سنة ٣٥١-٣٥٣

دير مران (حكاية المبردمع أحد عقلاء المجانين) — شعر الصنوبري فيه — زيارة هارون
 الرشيد وما صنعه الضحك فيه من الشعر الذي غناه له عمرو بن باقة بلعن حنين —
 وصف إبراهيم الموصلي لمجلس الخليفة هارون فيه وطعامه به ومحدثه مع صاحب
 الدبر وذكره له نزول الوليد بن يزيد به وشعره في نفس المجلس وقيام الوليد وشربه
 الجرن مملواً نحرًا ثم ملؤه لجرن دراهم على سبيل الصلة لصاحب الدير —
 موضعه في أيام المؤلف

دير صيدنايا — هاديران أحدهما يعرف بدير السيدة ، يقصده الفرنج في أيام المؤلف
 ولم فيه اعتقاد خاص — الماء الذي يقطر من صدع فيه — تبركهم به وشدة
 اعتقادهم فيه — ذكر ماروته نصرانية معروفة بالعلم المؤلف عن هذا المعنى —
 وصف المؤلف لهذا الماء وتحقيقه بشأنه — شعره في الدير ٣٥٦

دير شرق معلولا — والماء الذي ينقط فيه واعتقاد الصاري له ٣٥٨
 دير بلودان (مرور المؤلف عليه — شعره فيه)

ديارات اليمن :

دير نجران (يسميه العرب كعبة نجران) . شعره يتقنى به — ثلاثة بيوت من نصارى
 اليمن تبارى في بناء الكنائس وزخرفتها — شعر الأحمسي فيه ، ولطه لمخضه عن بنان ٣٥٨

ديارات مصر :

بيعة أبي هور (والاستشفاء بها من داء الخنازير) ٣٦٠
 دير يحسن بناحية سنهور — (وحفلة الخاصة بأصبع الشيد — تحقيق المؤلف فيه) ... ٣٦٠
 دير مر يحنا بجانب بساتين الوزير (شعراين عاصم) ٣٦١
 دير نها بالجيزة (وشعراين البصري) ٣٦٢

- صفحة
دير القصر — وعرة خماريه به — شعر محمد بن عاصم المصري — مطاوعة ابن ظافر
٣٦٣
دير شعرا — مجالس السراج الوراق وحده — ومع الجزار الشاعر — حكاية السراج
الوراق والأدباء مع صديقه الراهب به واستدعاء السراج للحمر بالشعر ... ٣٦٦
دير البقل — السبب في تسميته — شعر السراج في مدح أبي المفضل ابن العسال وقد نرحا
الى هذا الدير وتادما فيه ، فأنتم عليه ابن العسال بغير سؤال ... ٣٧٠-٣٧١
دير طمويه (طموه) — شعرا عاصم فيه ... ٣٧١
كنيسة الطور (دير طورسبا) — نازها — عمرانها — وصف ابن عاصم لها شعرا ... ٣٧٢
دير طرا — شعر المؤلف فيه ... ٣٧٣
الديارات السبع بالوجه البحري — مرو والمؤلف على بعضها في محبة السلطان
الناصر محمد بن قلاؤن ... ٣٧٤
الدير الأبيض بالصعيد — (وصف المؤلف له — أريجوزة طويلة المؤلف فيه أتى فيها
على وصفه بأبداع بيان ووصف السمرة وترتيبها والمآكل عليها وما أشبه ذلك من آلات
العلماء وألوانه الخ . وهي من عرر الشعر الوصفى — أشعار أخرى له فيه) ... ٣٧٤
دير ريفة (وحكاية الشاعر المغربي ابن الحداد الذي أتى من بلاده للصح فأناح المطايا به ،
وأشاره في ديرانية) ... ٣٨٤

الحانات :

حانات المجاز :

- حانة الطائف (وشعر أنى ذؤيب الهذلي في نمارها ابن بجرة) ... ٣٨٦
حانة بنى قريظة (والنجاه أبي سفيان بن حرب بعد عزوة السويق الى سلام بن مشكم
اليهودى وما قاله من الشعر في مدحه على لإرل كرامه له بكل النمر الذي فيها) ... ٣٨٧
حانة هجم (وتعرف بحانة ريمان باسم صاحبها) وشعر الراعى النيمري فيها ... ٣٨٨

صفحة

حانات الحيرة :

- حانة عون (وشعر أبي الهدي فيها في ليلة الشك من رمضان) ... ٣٨٩
- » دومة (وشعر الأقيشر في صاحبها التي سميت بها الحانة) ... ٣٨٩
- » جابر (وموافاة أبي نواس لما عند أبي الصلصال ، واغراء هذا له على الشرب بشعر لطيف ، ومحالته لأمر أمير المؤمنين ، وما فعله الأمين معه حينما علم ببعثته) ٣٨٩
- حانة شهلاء (امرأة يهودية) — وتحصن الأقيشر الشاعر بها حينما دهمه الشرطي ، ومحاولة الشرطي الشرب ، وحيلة الأقيشر في مساوئته الخمر دون أن يخرج له ، وشعره في ذلك ... ٣٩١

حانات العراق :

- حانة طيراباذ (ووقوف سليمان بن نوبخت بها مع أبي نواس حينما خرجا للحج فأقاما بها الى أن عاد الجميع فرافقاه على أنهما حجاج . وشعر أبي نواس في ذلك) ... ٣٩٢
- حانة قطربل (ورحلة أبي نواس اليها مع أبي الشبل البرجي ، وشعره في ذلك) ... ٣٩٢
- » الشط (والجلس الذي بناه الخليفة الواثق به ووصفه ووصف آلائه — ذهاب الخليفة المذكور اليها مع الحسين بن الصحاك واستنشاده اياه شعره فيها) ... ٣٩٣
- حانة خويث (وكانت معانة من الصراشب والحراج) — وشعر عبد الله بن محمد بن عبد الملك الزيات فيها ... ٣٩٥
- حانة سيجستان (وشعر أبي الهدي فيها) ... ٣٩٦

حانات الشام :

- حانة عزار (ذهاب اسحاق الموصلي اليها وهو في ركاب الرشيد ، وما قاله من الشعر ، وما فعله الخليفة) ... ٣٩٦
- حانة هشيمة باسم صاحبها — (شعر الخليفة الوليد بن يزيد فيها) ... ٣٩٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

❦

الحمد لله خالق الأرض ومن عليها ، ومُبدئ الخلق منها ومُعيدهم إليها .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تحفظ مالهديا .

وأشهد أن محمدا سيدنا عبده ورسوله الذي فُتِحَ به لأمته من خلفها وبين يديها .

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، صلاة تفيض على المشارق والمغارب من جانيها .

وسلم تسليما كثيرا !

أما بعد ، فلما كانت النفوس لا يُصلحها إلا التنقل من حال إلى حال ، والتوقُّل

على شُرُفات الشدِّ والارتحال ، لا تَطْلُع على الغرائب ، ولا تَسْتَطْلِع للعجائب ،

وقد قال تعالى : ” أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ “ ، وقال : ” هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ

ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا “ ، وقال تعالى : ” أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ

وإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ “ ،

وقال تعالى : ” الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ قِنَّا عَذَابَ النَّارِ “ .

ولقد ذكر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، خطبة قُس بن ساعدة بعكاظ ، وفيها قوله :

” إِنْ فِي السَّمَاءِ لَخَبِيرًا ، وَإِنْ فِي الْأَرْضِ لِعَبِيرًا “ .

ولقد طالعت الكتب الموضوعة في أحوال الأقاليم وما فيها ، فلم أجد من قن
أحوالها ، ومثل في الأفهام صورها ، لأن غالب تلك الكتب لا تتضمن سوى الأخبار
القديمة ، وأحوال الملوك السالفة ، والأهم البائدة ، وبعض مصطلحات ذهبت بذهاب
أهلها ، ولم يبق في مجرّد ذكرها عظيم فائدة ، ولا كبير أمر . وخير القول أصدقه ، والناس
بزمانهم أشبه منهم بآبائهم .



فاستحرت الله تعالى في إثبات نبذة دالة على المقصود في ذكر الأرض وما فيها
ومن فيها : الأظهر فالأظهر ، والأشهر فالأشهر ، وما لم أجد بُدًا من ذكره في ذلك
ومثله ، وحالة كل مملكة ، وما هي عليه ، هي وأهلها في وقتنا هذا ، مما صمّه نطاق
تلك المملكة ، واجتمع عليه طرفا تلك الدائرة . لأقرب إلى الأفهام البعيدة غالب ما هي
عليه أم كل مملكة من المصطلح والمعاملات ، وما يوجد فيها غالبًا : ليُبصر أهل كل
قطر القطر الآخر . ويتيسر بالتصوير : يُعرف كيف هو ، كأنه قدام عيونهم بالمشاهدة
والعيان . مما اعتمدت في ذلك على تحقيق معرقى له ، فيما رأيته بالمشاهدة ، وفيما لم
أره بالقل يُمّن يعرف أحوال المملكة المنقول عنه أخبارها ، مما رآه عينه أو سمعه
من الثقات بأذنه .

حطة المؤلف

ولم أقل إلا عن أعيان الثقات ، من ذوى التدقيق في النظر ، والتحقيق للرواية .
وأستكثر ما أمكني من السؤال عن كل مملكة ، لآمن من تغفل الغفلاء ، وتحيل
الجهالات الضالّة ، ونحرف الأفهام الفاسدة .

تدقيق المؤلف
في القل

فإن قلت عن بعض الكتب المصنّفة في هذا الشأن ، فهو من الموثوق به فيما لا بد
منه : كتقسيم الأقاليم ، وما فيها من أقوال القدماء ، واختلاف آراء الحكماء ، إلى غير

الإشارة إلى
مضمون الكتاب

ذلك من غرائب وعجائب، وأخبار ملل ودول، وذكر مشاهير أعلام، وتاريخ سنين وشهور وأيام، مما هو مَسْرَح أمل، ومَطْمَح دى عمل، لأَجْمَل به كلامي، وأَكْمَل به نقصي، وأَتَمُّ به بهجة النظر، ورووق الصفحات: كالطراز في الثوب، والخال في الخلد. لا لأَكْثَر به سواد السطور، وأَكْبَر به حجم الكتاب. ولم أقصر بذكر الأقاليم، عند ذكرى الممالك، مقصد الجغرافيا، كالأَوَّل والثاني والثالث، ولا بما تطلق عليه المسميات، كالعراق وخراسان وأذربيجان^(١).

بل أذكر ما أشتمل عليه مملكة كلِّ سلطان، جملة لا تفصيلا، على ما هي عليه المدينة التي هي قاعدة الملك: كقرشي والسراي من فسمي نوران وبوريز من إيران؛ أو ما لا بد من ذكره معها، والغالب في تلك المملكة من أوضاعها، والأكثر من مصطلح أهلها.

ولأعني ذوى الممالك الصغار، إذا كانوا في مملكة سلطان قاهر عليهم، أمي فيهم: إذ هم جزء من كل. بل الذكور لكل سلطان يسحق أسم السلطنة: لا تساع ممالك وأعمال، وكثرة جنود وأموال؛ ويتغنى بذيله من لعله يكون في مملكته من ذوى الممالك الصغار: كصاحب حماة مع صاحب مصر، وصاحب ماردين مع صاحب إيران. اللهم إلا أن تكون تلك المملكة مُفَرَّدة لملك أو ملوك، وليس عليهم سلطان يجمعهم حكمه، ويمضي فيهم أمره: كملوك الحيل، وملوك جبال البربر، وما يجري هذا الجبري، ويمرى كوكبه هذا المشرى.

(١) هكذا ضبطه البكري في "معجم ما استعجم". والنسبة إليها أذرى.

(٢) هي المدينة المشاة في الأشهر باسم تبريز. (فتح الثاء وبكسرهما) وهي قاعدة أذربيجان. (قاموس).

ولم آلْ جُهْدًا في تصحيح ما كتبته بحسب الطاقة، من غير استيعاب ولا تطويل .
 ولم أُعْرِجْ إلى ملوك الكفار ركابي، ولا أرسيتُ بحزائر البحر سفني، ولا أسهرتُ
 في الطلمات عيني، ولا أعبتُ في المحفورة يدي. إلا ما ألمتُ منه إلمامة الطيف
 المُقَمَّر، ونفتُ منه نُفْبة الطائر الحَذَر. لأنَّ غالب ما يقال (والله أعلم) أساءة لا يُعرف
 لها حقيقة، وبجاهل لا تُوصَل إليها طريق.

ولم أقصد في المعمورة سوى الممالك العظيمة، ولا خرجتُ في جهاتها عن الطرق
 المستقيمة: إكْتفاءً بالحق الواضح، والصدق الظاهر، مما اتَّصلت بنا حقيقة أخباره،
 وصَحَّ عندنا جلبة أحواله.

اقتصاره عن
 لك الإسلام .

وقعت بما بلغه ملك هذه الأمة، وتمت بكلمة الإسلام على أهله النعمة. ولم
 أتجاوز حدّها، ولا مشيتُ خطوه بعدها، إلا ما حرّه سياق الكلام، أو طارح به شجون
 الحديث: بما أندر ح في أثناء ذلك، أو اضطرت إليه عبر بجاؤ السالك، أو أفضاه
 سبب، أو دخل مع عبره في ذمّه حسب.

١٠

وإن كان في العمر فسحة، وفي الجسم صحّة، وللهمّة نشاط، وللمس أنشاط،
 (وما ذلك على الله بعزيز، ولا من عوائد أطافه الخمية بعجيب)، لا تُدْبَلَنَّ بممالك
 الكفار هذا التصنيف، وأجىء هارسه المُعَلَّم وخلقه من سيئهم رديف.

١٥

لكنّي لم آت في هذا الكتاب بذكر ممالكهم (على اتساع بلادها) إلا عرّضا، ولا
 سطرّ من تفصيلها إلا جُملا: توفيراً لما دّه، وتيسيراً لمجاذه، ولا تمتع بروق الأنوار،
 ولا أشوب بسواد الليل بياض النهار.

على أنني ربما ذكرت في مكان ما قاربه من بلاد الكفار، ودكرته للجاورة رجاء أن يؤخذ بشعة الحوار.

شدة أحزانه
في قل المعائب

ولم أذكر عجيبة حتى غصت عنها، ولا غريبة حتى ذكرت الناقل، لتكون عهديتها عليه، وتبرأت منها. وقد يقع الإنكار لأكثر الحقائق من الناس: لنقصان العقول. لأن الذي يعرف الجائز والمستحيل، يعلم أن كل مفذور بالإضافة إلى قدرة الله تعالى قليل. وقد وصف الله تعالى الجهال بعدم العقل، فقال: "أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ". وقد أودع الله من عجائب المصنوعات، في الأرض والسموات، كما قال تعالى: "وَكَايِّنَ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ". وقد أرانا من عظيم قدرته، وبدائع صنعه، ما جلا الشك، وأوضح الحق. فما ذا بعد الحق إلا الصلال.

١٠

سبب آتدائه
بالمشرق



وأول ما أبدأ بالمشرق، لأن منه يصبغ نوار الأتوار، ونجى أنهار النهار. إلى أن أختمه بنهاية المغرب، إلى البحر المحبط. لأنه الغايه، وإليه النهايه. إلا فيما لم أجد بدا من الابتداء به من المغرب إلى المشرق: كنتخرج الأقاليم، لأبتداء الأطوال من الجزائر الخالدات بالبحر العربي، أو ما هذا حكمه، أو وقع عليه قسمه.

نعمه في حدة
الكاف

وقطعت فيه عمر الأيام والليالي، وأثبتت فيه بالأفلام أجبار العوالي. وشعبت به الحين بعد الحين، وأشتغلت ولم أسمع قول الأاجين. وحرصت عليه حرص الصين، وحلصت إليه بعد أن أحرقت ورائي السين.

١٥

السوية سلطان
الدم

وشرعت فيه في أيام من مآسا بإحسانه، وأتمنا في سلطانه: سيدنا ومولانا، ومالك رفاينا، السلطان آبن السلطان، السيد الكبير الملك الناصر، العالم العادل المجاهد المرباط المشاعر، المؤيد المظفر المصور، ناصر الدين والدين. سلطان الإسلام

٢٠

والمسلمين ، سيد الملوك والسلاطين ، وارث الملك ، ملك العرب والعجم والترك ، نائب الله في أرضه ، القائم بسنته وفرضه ، ملك البحرين ، خادم الحرمين ، حامى القبلتين ، مباع الخليفتين ، بهلوان جهان ، إسكندر الزمان ، ناشر علم العدل والإحسان ، مُمَلِّك أصحاب المنابر والأسرة والتخوت والتيجان ، جامع ذيول الأقطار ، مُبِيد البُغَاة والطُّغَاة والكُفَّار ، هازم الروم والبرنج والكرج والأرمن والتتار ، سلطان البسيطة ، مَثَبَت أركان المحيطه ، إمام المتقين ، ولي أمور المؤمنين ، متعهد حج بيت الله الحرام وزيارة سيد المرسلين ، أبى المعالى محمد بن مولانا السلطان الكبير الشهيد أبى المظفر قلاوون ، سيد ملوك الأرض على الإجماع ، المخصوص بملك أشرف البقاع .

سل عنه وأطبق به وأنظر إليه تحمداً ملء المسامع والأفواه والمقل!

١٠

فأدام الله أيامه ، وأدار على مقارن النجوم أعلامه !

وستتمته :

مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار



وعلى الله أعتد ، ومعه أستمد . وإياه أسأل التوفيق والإعانة ، وأبرأ من الحول والقوة

إلا به . وهو حسبي ونعم الوكيل !

١٥

وفهرست . اتضمنه وجملته قسمان :

القسم الأول - فى الأرض .

القسم الثانى - فى سكان الأرض .

(١) نقل العرب إلى لغتهم اسم الحبل المعروف بـ France هو لم الإفرنجية زيادة ألف فى أوله لتسهيل

النطق بالناسك وفتح الراء والحيم . وبه صاحب القاموس على أنه معرب لإفرنج . وبه على أن القياس كسر

٢٠

الراء . ثم حذف الحجاب حرف الألف من الأثر وقالوا : فرنج بكسر الفاء والراء . وأصله للدلالة على أهل

فرسا التى يسميها العرب فرجة وبفرجة . ثم شاع استعماله للدلالة على أهل أورنة قاطبة ، ماعدا الروم .

(٢) هم أهل البلاد المعروفة عند الإفرنج باسم Giorgio .

القسم الأول من الكتاب

في ذكر الأرض وما أشتملت عليه برأ وبجراً .

وهو نوعان :

النوع الأول — في ذكر المسالك .

النوع الثاني — في ذكر الممالك .

٥

أما النوع الأول المشتمل على المسالك ففيه أبواب :

الباب الأول — في مقدار الأرض وحالها .

وفيه فصول :

الفصل الأول — في كيفية الأرض ومقدارها .

الفصل الثاني — في أسمائها وصفاتها .

١٠

الفصل الثالث — في أسماء التراب وصفاته .

الفصل الرابع — في الغبار وصفاته .

الفصل الخامس — في أسماء الرمال وصفاتها .

الفصل السادس — في أحوال الأرض .

(ويستطرد في ذلك ذكر الجبال ، والأنهار ، والبحيرات ، والمساحد الثلاثة ، وما يدرج معها ، وذكر جبل

١٥

من الآثار القديمة) .

الباب الثاني — في ذكر الأقاليم السبعة.

وفيه فصول:

الفصل الأول — في تقسيم الأقاليم.

الفصل الثاني — فيما وقع في الأقاليم من المدن، والجزائر العامرة،

٥ برأ وبحراً، ونصويرها بأشكالها.

(ويتصل بذلك كلام مختل في أمر مشاهير ممالك عتاد

الصليب، وفي الردود البحر.)

الفصل الثالث — في ذكر أطوال النهار في كل إقليم.

الباب الثالث — في البحار وما يتعلق بها.

وفيه فصول:

١٠

الفصل الأول — في ذكر البحار.



(١) الفصل الثاني — في ذكر الرياح، وصوره القنباص.

الفصل الثالث — في ذكر نبذه من العجائب، برأ وبحراً.

الباب الرابع — في القبلة والأدلة عليها.

وفيه فصول:

١٥

الفصل الأول — في أقوال الفقهاء.

الفصل الثاني — في الاستدلال عليها بالنجوم.

الفصل الثالث — في الاستدلال عليها بالرياح.

الفصل الرابع — في الاستدلال عليها بالجلال.

٢٠

الفصل الخامس — في الاستدلال عليها بالأنهار.

الفصل السادس — في قبلة كل أرض.

(١) هذه الكلمة مأخوذة عن لفظة (компас) الإبريقية. وشرح المؤلف لها واف وامر في أول

الجزء الثاني. ومراجعة هناك.

وخاتمة الباب فصل جامع يشمل على ذكر نداخل الشهور،
والكواكب الثابتة، والسيارة، وصورة الأفلاك، والقول
في الخسوف والكسوف، وما يستطرد في ذلك،
ويندرج معه: لاستخراج القبلة، وما أندرج في ذلك.
ونسميته أستطراداً لتعلق بعضه ببعض.

الباب الخامس — في ذكر الطرق.

وفيه فصلان:

الفصل الأول — في عاريح الطريق.

الفصل الثاني — في سواء الطريق.

النوع الثاني — في ذكر الممالك.

وهو خمسة عشر باباً:

الباب الأول — في مملكة الهند والسند.

الباب الثاني — في ممالك بيت جكرخان.

وفيه فصول:

الفصل الأول — في الكلام عليها جُملياً.

الفصل الثاني — في مملكة القان الكبير، صاحب التخت. وهو

صاحب الصين والخطا^(١).

الفصل الثالث — في التُّورانيين. وهم فرفتان:

الفرقة الأولى — فيما وراء الهر،

الفرقة الثانية — في خوارزم والقَبْجَاق.

الفصل الرابع — في الإيرانيين.

(١) الخطا (منع الحاء) هي بلاد الصين الشمالية.

الباب الثالث — في مملكة الجليل.

وفيه فصول:

- الفصل الأول — في يوسين .
- الفصل الثاني — في تُولِيم^(١) .
- الفصل الثالث — في كَسَكِر .
- الفصل الرابع — في رَشَقَت .



الباب الرابع — في مملكة الجبال.

وفيه فصول:

- الفصل الأول — في الأكراد .
- الفصل الثاني — في اللُز^(٢) .
- الفصل الثالث — في السُّول .
- الفصل الرابع — في شِكَاكَة .

الباب الخامس — في مملكة الأتراك بالروم.

وفيه ستة عشر فصلا:

- الفصل الأول — في مملكة كرميان .
- الفصل الثاني — في مملكة طغفلو .
- الفصل الثالث — في مملكة توازا .
- الفصل الرابع — في مملكة عَيْدَلِي .
- الفصل الخامس — في مملكة كصطمونيّة .

(١) الذي في أتي العدا^أ بها هتج اللام وبعير ياء .(٢) أورد^أ العدا هذا الأسم في تحويمه بالأشباع هكذا: اللور .

الفصل السادس - في مملكة قايو يا .

الفصل السابع - في مملكة بَرْسا .

الفصل الثامن - في مملكة اكيرا .

الفصل التاسع - في مملكة مَرَمَرَا .

الفصل العاشر - في مملكة مغنيسيا .

٥

الفصل الحادي عشر - في مملكة نيف .

الفصل الثاني عشر - في مملكة بركي .

الفصل الثالث عشر - في مملكة فولة .

الفصل الرابع عشر - في مملكة أطلاليا .

الفصل الخامس عشر - في مملكة قراضار .

١٠

الفصل السادس عشر - في مملكة أرمناك .

الباب السادس - في مملكة مصر والشام والحجاز .

الباب السابع - في مملكة ايمن .

وفيه فصلاّت :

الفصل الأوّل - فيما هو بيد أولاد رسول .

١٥

الفصل الثاني - فيما هو بيد الأشراف .

الباب الثامن - في ممالك المسلمين بالحبشة .

وفيه سبعة فصول :

الفصل الأوّل - في مملكة أوفات .

الفصل الثاني - في مملكة دَوَارُو .

٢٠

الفصل الثالث - في مملكة أرابنى .

الفصل الرابع - في مملكة هديّة .

الفصل الخامس - في مملكة شرخا .

الفصل السادس - في مملكة بالى .

الفصل السابع - في مملكة داره .

٥

الباب التاسع - في ممالك مسلمى السودان على ضفة النيل الممتدة إلى مصر .

وفيه فصولان :

الفصل الاول - في مملكة الكانم .

الفصل الثانى - في التوبة .

١٠

الباب العاشر - في مملكة مالى .

الباب الحادى عشر - في مملكة جبال البربر .

الباب الثانى عشر - في مملكة إفريقيّة .

الباب الثالث عشر - في مملكة برّ العُدوة .

الباب الرابع عشر - في مملكة الأندلس .

الباب الخامس عشر - في ذكر العرب الموجودين في زماننا وأما كنهم ،

١٥

ومضارب أخبيتهم ومساكنهم .

القسم الثاني من الكتاب

في سكان الأرض من طوائف الأمم .

وهو أنواع :

النوع الأول — في الإنصاف بين المشرق والمغرب .

وهذا النوع له شَبَهَان : شَبَهُ بالقسم الأول بحسب موضوعه ، وما آندرج معه ، وتعلق بذيل المفارقة بين الجانبين من النبات والمعدن ؛ وله شَبَهُ بهذا القسم بحسب ما آندرج فيه من ذكر طوائف العلماء ، الذين هم أعيان الناس ، وذكر سائر الحيوان .
إلا أن هذا الشَبَهُ أقوى ، لأن المقصود من المكان ساكنه . فألحقناه بهذا القسم .

النوع الثاني — في الكلام على الديانات : وهي ست نحل ، وأربع ملل .

النوع الثالث — في الكلام على طوائف المتدينين .

النوع الرابع — في ذكر التاريخ .

وفيه بابان :

الباب الأول — في ذكر الدُول التي كانت قبل الإسلام .

الباب الثاني — في ذكر الدُول الكائنة في الإسلام .

ومن حيث عينا التبويب، وبيننا الترتيب، نشرع في ذكرها باباً باباً إلى انتهائها
الأبواب، ونوعاً نوعاً إلى آقضاء الكتاب.

والله المؤمل في عمر يوقى بهتامة، ويوفر المواد على مدد أقسامه، مع ما هو أبقى
من الالتئال إلى الله فيما هو أهم: من التفويض إليه، والالتجاء بما لديه، مما يوقى
المهجات، ويرقى الدرجات، في الدنيا والآخرة. إنه ولي ذلك والقادر عليه، والمقدر
له والهادي إليه!

إنتهال المؤلف
إلى الله

والرغبة إلى من وقف على هذا الكتاب، ووقع منه نظره على خطأ أو صواب،
أن يصفح عما جرح فيه القلم إلى الزلل، وتخطئ إليه الفكر من الخطأ، ويسقط العذر
لمن لم يحب البلاد، ولم يحل في الآفاق، ولم ينهم في تهامة ولا أعرق في عراق،
ولا خطب الدماء، ولا خبط الظلمات، ولا اقتحم لجج البر والبحر، ولا تعدى مصر
والشام والحجاز، ولا فارق ممالك كان هو وأسلافه فيها تحت قيد العلق والشواغل،
لما كان يتقلده منهم ابن عن أبيه، وأخ عن أخيه، من أعباء الدول وأمور الممالك،
وأثقال الفكر والمهمات، وشغل الأسماع والأبصار، مما يستغرق بعضه الأوقات،
ويقطع عن الأسباب، حتى عن لفظة سؤال، ولحظة كتاب، إلى أن وهبني الله فراغاً
ألقت فيه هذا الكتاب.

١٢

١٥

وهذا أو أن سرد ما أشتمل عليه كل قسم من الأبواب .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وأستغفر الله إن الله غفور رحيم!

الفِئْمَلْأَوَّلُ مِنَ الْكِتَابِ

فِي ذِكْرِ الْأَرْضِ وَمَا أَشْمَلَتْ عَلَيْهِ بَرًّا وَبَحْرًا

وَهُوَ نَوَاعِلُ

النوع الأول في ذكر المسالك وفيه أبواب

الباب الأول في مقدار الأرض وحالها وفيه [ستة] فصول

الفصل الأول في كيفية الأرض ومقدارها

الذى نبدأ به، بعون الله وقدرته، في القول في هذا الفصل، ما فام عليه البرهان،
وهو أن العالم كرويٌّ. ويدلُّ عليه المشاهد بالعبان، لمن رعى الشمس من مطلعها إلى
معيها؛ وكذلك النجوم من مشارقها إلى مغاربها: لأنها تطلع حتى تستوسط السماء
هويئسًا، ثم تنحط حتى تغيب عن العين كذلك. فتقطع نصف دائرة. فعلم بالضرورة
أنها تقطع في الغيوبة عن العين نصف دائرة، نظير ما قطعت في الظهور، ليكمل
تمام الدائرة.

والذى تلخص من أقوال أهل العلم والنظر في الهيئته: أن العالم كرويٌّ، والأرض
مركزها، والماء محيطٌ بها لا يفارقها، إلا ما اكتشف.

فالأرض في جوف الماء، والماء في جوف الهواء، والهواء في جوف القلک: ١٥
كالمحمة في جوف البيضة في القشر.

استقرار الأرض

ووضعها وضع متوسّط . والهواء إما جاذبٌ لها إلى جهة الملك أو دافعٌ عنه .
 وذهب بعضهم إلى أنها مستغرّة بالوضع : فالأرض في فلك الماء ، وفلك الماء
 في فلك الهواء ، وفلك الهواء في فلك النار (وهو الأثير) ، وفلك النار في فلك القمر ،
 وفلك القمر في فلك عطارد ، وفلك عطارد في فلك الزهرة ، وفلك الزهرة في فلك
 الشمس ، وفلك الشمس في فلك الميزنج ، وفلك الميزنج في فلك المشتري ، وفلك
 المشتري في فلك زحل ، وفلك زحل في فلك البروج (وهو المَكْوَب) ، وفلك البروج
 في الملك الأطلس .

والمكوكب في رأى فلاسفة الإسلام أنه المعبر عنه عند أهل الشريعة السريعة
 بالكروسي . وأن الأطلس هو المعبر عنه عندهم بالعرش .

ما هو العرش
 والكروسي في رأى
 فلاسفة الإسلام

١٠ وحركات الأفلاك الثمانية من فلك القمر إلى الملك المكوكب ، من الغرب إلى
 الشرق . ويرى هذا بالمشاهدة في طلوع القمر .

حركات الأفلاك
 وتقسيم الأقاليم

ولهذا كان تخريج الأقاليم من الغرب إلى الشرق بالمتابعة .

فاما التاسع ، الأطلس ، فحركته من الشرق إلى الغرب . وبحركته يتحرك . كما يتحرك
 راكب السفينة بحركة السفينة .

اعني الأطلس
 وحركته . وعنده
 ينتهي الإبداء
 الشرقي

١٥ وقد تكلمت الفلاسفة على مُقَعَّر الأطلس ، ولم ينكلموا على محدبه . وغاية ما قالوا :
 إن بعد التاسع . لا خلا ولا ملا . وإلى ها انتهى علمهم وأقطع نظرهم . والله أعلم بغيبه !

قلت : وزعموا أن في الثامن كلّ الكواكب إلا السبعة .

ههنا في الكواكب
 الثمانية والمتحركة
 والبرهة عليها

قالوا : والبرهان على أنها في الثامن ، أن حركات هذه الكواكب الستة أسرع
 من حركات سائر الكواكب . والكوكب لا يتحرك إلا بحركة فلكه . ولا يمكن أن

يكون في التاسع لأنه سريع الحركة، يدور في كل يوم وليلة بالتقريب دورة واحدة.
فإذ لم يكن في أحد السبعة ولا في التاسع، لم يبق إلا أن يكون في الثامن.

تشكك آس سينا
في محل وجود
النوات

على أن ابن سينا قد قال في الشفاء: "لم يبق لنا بيان واضح أن الكواكب الثابتة
في كُرَّة واحدة أو كُرَّات منطوية بعضها على بعض، إلا باقتناعا، وعسى أن يكون ذلك
واضحاً لغيري".

تشبيه العالم،
لتقريبه إلى الأقدام

وقد شبه بعضهم العالم، فقال: "بطليخة في بركة ماء، فالبرزخ المدد، وبيوت البرزخ
العرمان، والسماء مجموع الأرض، والماء البحر المحيط، ومقعر البركة الهواء، ودائرهما
الخارج الفلك".

إحصاء المؤلف
على هذا التشبيه

قلت : وهذا التشبيه ليس بشئ .

طريقة التبريد
الإدريسي في
استقرار الأرض
في جوف الفلك

وقال الشريف الإدريسي في كتاب رُجَّار^(١) (وَأَسْمَ هَذَا الْكَلْبَ : "نَزْهَةُ الْمَشْتَقِ
فِي آخِرَاتِ الْآفَاقِ" صَنَّفَهُ لِلْمَلِكِ رُجَّارٍ صَاحِبِ صَقْلِيَّةٍ ، وَكَانَ فَرَنْجِيًّا مُحِبًّا لِلْعِلْمِ وَأَهْلِهِ
مِنْ كُلِّ مِلَّةٍ) ، وَالَّذِي قَالَ : "الْأَرْضُ مُسْتَقَرَّةٌ فِي جَوْفِ الْفَلَكَ ، وَذَلِكَ لِسُرْعَةِ
حَرَكَةِ الْفَلَكَ . وَجَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ عَلَى ظَهَرِهَا . وَالنَّسِيمُ جَازِبٌ لَهَا فِي أَبْدَانِهِمْ مِنَ الْخَلْقَةِ ،
وَالْأَرْضُ جَازِبَةٌ لَهَا فِي أَبْدَانِهِمْ مِنَ الثَّقَلِ ، بِمَنْزِلَةِ الْمَغْنِطِيسِ الَّذِي يَجْذِبُ الْحَدِيدَ
إِلَيْهِ . فَالْأَرْضُ مَقْسُومَةٌ بِقَسَمَيْنِ ، بَيْنَهُمَا خَطُّ الْاِسْتَوَاءِ . وَهُوَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ .
وَهَذَا هُوَ طَوْلُ الْأَرْضِ . وَهُوَ أَكْبَرُ خَطِّ فِي الْأَرْضِ ، كَمَا أَنَّ مِطْقَةَ فَلَكَ الْبُرُوجِ
أَكْبَرُ خَطِّ فِي الْفَلَكَ".



قال: "وأستدارة الملك في موضع خطّ الأستواء ثلثمائة وستون درجة. والدرجة
خمسة وعشرون فرسخًا. والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع. والذراع أربعة وعشرون
إصبعًا. والإصبع ست حبات شعير، مصفوفة، ملصقة بطون بعضها لظهور بعض".
تكون بهذه النسبة إحاطة الأرض مائة ألف ذراع وأثنى وثلاثين ألف ذراع
ذراع. وهي من الفرائخ أحد عشر ألف فرسخ. قال الشريف: "وهذا بحساب أهل
الهند. وأما هرمس فإنه قدر إحاطة الأرض، وجعل لكل جزء مائة ميل. فتكون
ستة وثلاثين ألف ميل. وتكون من الفرائخ اثني عشر ألف فرسخ".

تقديره لأبعاد
الأرض على رأى
الهند، وعلى
رأى هرمس

قلت: فالتفاوت بين الحساين ألف فرسخ، زائده في حساب هرمس على حساب
أهل الهند. وذلك بصف السُّدس.

مدققة المؤلف
هدين التقديرين

وقد زعم مَرَحانُ الفيلسوف أن إردِسْتَنَاسَ الحكيم قال إنها مائتا ألف ونمسون
إردِسْتَنَاسَ

تقدير الحكيم
إردِسْتَنَاسَ

(١) الطاهر أن هدين الأسمين محرّمان.

والعالم أن الأول هو مرقيان (Marcianus). وربما يكون بعض المترجمين الاقارب كتبوه "مرحيان"
تبعاً لقاعدة التعريب التي تقضى بقل حرف Q أو C أو K إلى (ق، ك، ح) كما قالوا الخلدروس
في Alexandru (وأظهر همارس الطبرى)، ثم حرف السباحون "مرحيان" إلى "مرحان".

أما الأسم الثاني فكان الخطب فيه أسهل، لأنه محرف عن "إرِسْتَنَاسَ" [Bratosthiène] ثم "إردِسْتَنَاسَ"
ثم "إردِسْتَنَاسَ"، ولا عرابية في ذلك، فإن العرب كثيراً ما يقبلون التاء دالاً كما قالوا "ذ" عند تعريبهم
لفظة "بَت" بمعنى الصم (وأظهر تاج العروس). وكما قالوا "ردق" و "زدك" في تعريب لفظة فارسية
هي "رذك" ومعناها عصير العصور. (أظهر آس البطار، وأظهر تكة المعجات العربية للعلامة دورى)
هذا و"مرقيان" هو من جغرافيتي الروم في القرن الرابع بعد الميلاد. وقد كثرت سياحة بحرية حول الأرض
(Périples du monde).

٢٠

وأما الثاني وهو إِرِسْتَنَاسَ أو إِرِسْتَنَاسَ فقد وُلد سنة ٢٧٦ وتوفي سنة ١٩٦ قبل الميلاد. أصله من
المستعمرة اليونانية التي كانت سلا درقة [Cyrénaque] ثم اشتهر في بلاط الملك بطليموس الثالث المعروف =

ألفا أشتياديوات، وأشتياديو هو ثمن ميل، عنه أربعائة ذراع عندهم . فذلك احد وثلاثون ألف ميل ومائتا ميل وخمسون ميلا .^(١)

وفد ذكر صاحب المجسطى أن دور كرة الأرض أربعة وعشرون ألف ميل وثلاثون ميلا، وأن قطرها وعمقها سبعة آلاف ميل وستائة ميل وثلاثون ميلا .

٥ قال فريد زمانه، علاء الدين أبو الحسن على بن إبراهيم بن محمد الأنصارى، عرف بابن الشاطر : "الأولى أن يُقسم دور كرة الأرض على ثلاثة وسبع لأنه نسبة قطر كل دائرة إلى محيطها . وهو أصح . وعلى هذا فيكون الدور أربعة وعشرين ألف ميل ، ويكون القطر سبعة آلاف وستمائة وستا وثلاثين ميلا وثلاث خمس مجبورا .

١٠ قلت : وذكر صاحب كتاب الكائن أن طول الأرض طاهرا و باطنا ، وبرأ وبجرا ، معمورا وغير معمور ، أربعة وعشرون ألف ميل . قال : "وهي التي تقطعها الشمس بين نهارها وليلها" .

وذكر أبو عبيد البكري في كتاب المسالك والممالك أن حبيشا المنجم ذكر عن خالد بن عبد الله أنه أخذ ارتفاع القطب لعبد الله المأمون بيرة ديار ربيعة وهي

ما صعه المأمون
الصاوي لتحقيق
أبعاد الأرض

١٥ = أسم إفرجيت [Ptolomée Evergette] عمدة الإسكندرية ، لأن هذا الملك دعاه مدسة ٢٢٦ ق م لتولى إدارة المكتبة العيسية التي كانت بالإسكندرية . وبين الرجل في هذه الوظيفة إلى أن كُفّت بصره في آخر عمره ، فاقطع عن الطعام حتى رافاه الجمام . كان عالما بالملك والهندسة ، يعلم القريص ويتعاطى الفلسفة . وهو الذي قاس عمدة أسوان محيط الأرض ، برصده للشمس في نرهاك . وقد قال إنه ٢٥٢٠٠٠ استدة [Stade] . يكون أن حصل الله قد حبر الكسور .

٢٠ (١) في الأصل : "أشتياديو" . ورواها محررة عن "أشتياديو" تعريبا لكلمة Stadion البيودية التي قلها الفرنسيون إلى Stade . ونحن في هذه الايام قلنا عنهم اللفظ اليوناني فنقول "إستاده" . "والإشتياديو" يساوي ثمن ميل ، والميل يساوي ٤٠٠ ذراع ، قاله أن حصل الله . (٢) في الأصل : " وثلاثون " . | وقد صححت الرقم على ما يقتضيه الحساب | .

برية شيجان المقاربة لستجار . فوجد مقدار درجة من الفلك ستة وخمسين ميلا من الأرض . ف ضرب العدد في ثلثمائة وستين ، التي هي جملة درج الفلك مجموعه ، ف انتهى ذلك إلى أربعة وعشرين ألف ميل ومائة ميل وستين ميلا . قال : ” فهو دور كرة الأرض المحيطة بالبر والبحر “.

استنتاج المؤلف
فقطرها على هذا ستة آلاف ميل وأربعمائة ميل وأربعة وعشرون ميلا ونصف .
ميل ونصف عشر ميل ، بالتقريب .

قال : ” والمعمور نصف هذا المحيط ، من خط الاستواء إلى الشمال . ومنها العمران في الشمال يؤول في برطانية . فيكون ذلك تقدير الرابع “.

استدلال ابن
الشاطر الدهش
قال ابن الشاطر : ” إن واجب الحساب ، على ما ذكر ، عشرون ألف ميل ومائة وستون ميلا ، وإن القطر يكون ستة آلاف وأربعمائة ميل وأربعة عشر ميلا ونصف .
ميل مجبورا “.

مقدار الدرجة
حد المأمون
وعيه
قلت : والذي حرر في زمن المأمون ، لكل درجة ، ستة وخمسون ميلا وثلاثا ميل .
وبعض الذين حرروا ذلك رأوا أنه ستة وخمسون ميلا ، لا غير .

ترجيح المؤلف
لنتيجة المأمون
وأخذها عليها
في هذا الكتاب
ولعل الأول أقرب : لأنه قد يكون هذا الكسر أهمل في القياس . وعلى الأول الأكثر . وعليه عملنا في هذا الكتاب . وسيأتي في ذكر سواء الطريق إيضاحه ، إن شاء الله ! في مكانه . ولم نعمل على ما حرر للمأمون دون ما حرره القدماء ، إلا لأنه أقرب إليها وأشبه بها .

(١) أي بريطانيا العظمى La Grande Bretagne .

(٢) في الاصل : الذي .

الصرح والميل
والذراع على
حساب المأمون
وهو المعتمد عليه
في هذا الكتاب

طول المربع القديم
وطول البريد

وكل فرسخ ثلاثة أميال ، والميل أربعة آلاف ذراع مأموني . فالدرجة تسعة عشر فرسخا إلا تسع فرسخ . وهو الذي عليه عمل هذا الكتاب .

وأما على رأى القدماء ، فتكون كل درجة اثنين وعشرين فرسخا وتسعى فرسخ .
وأما البريد ، فكل أربعة فراسخ بريد .

إختلاف الآراء
في تقدير العمران

وأما العمران من الأرض ، فقال البكري : تقدير الربع . وقد ذكرنا ما قاله آتفا . وقال آخرون : الربع . وقال آخرون : الثلث . وقال بعضهم : إن العمران من الأرض ما بين الثلث إلى الربع ، أقل من الثلث وأكثر من الربع .

محرر قطب الدين
الشراري لمقدار
العمران

وقال شيخنا ، فريد الدهر ، ووارث العلم والحكمة ، شمس الدين ، أبو الشاء محمود ابن أبي القاسم الأصبهاني ، أطال الله مدته ! إن العلامة قطب الدين الشيرازي قال له إنه حرر دور المعمورة من الأرض . فكان اثني عشر ألف ميل مجبورة ، قطرها أربعة آلاف ميل مجبورة ، فتكون ألف فرسخ وثلثمائة فرسخ مجبورة .

مقد آسن الشاطر
لطرية الشيراري

قال ابن الشاطر : " روى الذي ذكره الشيرازي ما لم بهم معاه . فإن كان أراد به ما بين أول المعمور وآخره ، فهو غير موافق ولا يطلق عليه محيط ، وإن كان أراد المظهر ما بين خط الاستواء ونهاية المعمور في جهة الشمال ، فهذا لا يقال له قطر ولا يفي المعمور بمقدار ما ذكره . ولا نسبة لما ذكر أنه دُرْعُ القطر إلى ما ذكر أنه دور المعمورة نسبة قطر الدائرة إلى محيطها " . وقال : " وإذا فرضا مبدأ الهارة خط الاستواء بخمسة عشر جزءا إلى حدود خمسين جزءا وثلاث في الجهة الشمالية كان نسبه المعمور

(١)
إلى باقى بسط كرة الأرض تقارب الثمن ونصف السدس . وإذا نسب إلى
حدود ستة وستين جزءا كان نسبة المعمور إلى باقى يقارب الربع . لأن
ماوراء من الخراب يقارب ما قبل من المعمور . ولا يكون أكثر^(١)
^(١)

وقال الشريف : إن بين خط الاستواء وبين كل واحد من القطبين ، الجنوبيّ
والشماليّ ، تسعين درجة ، وأستدارتها عرضا مثل ذلك ، إلّا أنّ العمارّة في الأرض
بعد خط الاستواء أربع وستون درجة ، والباقي من الأرض خلاء ، لاعمارّة فيه ،
لسنّه البرد والجهد . والخلق بجملته على الرّبع الشماليّ من الأرض . والرّبع الجنوبيّ
الذى هو فوق خط الاستواء غير مسكون ولا معمور ، لشدّة الحرّ به ، وممرّ الشمس
(وهى أسفل فللكها) على سمنه ، جفّت مياهه وعُدم حيوانه ونباته ، لعدم الرطوبة .

رأى الإدريسيّ
في أساس العمارّة
بما بين القطبين

قلت : وفيما ذكره الشريف في الانتهاء إلى أربع وستين درجة فقط ، وإن كان
الصحيح ، نظراً . فإنها في صورة لوح الرسم تنهاى إلى أكثر من ذلك ، وتستكمل من
خط الاستواء إلى نهاية الشمال سبعين درجة ، سوى ما هو خارج عن خط الأقاليم ،
حوبا وشمالا ، على ما نذكره في مكانه . وإنما غالب الجنوب والشمال لاعمارّة فيه :
إذ لا يمكن سكّنه .

عد المؤلف هذه
الطريقة ورجه

(١٧)

ومن تأمل وضع العالم في لوح الرسم ، رأى ذلك بالبيان : خلّو ما تحت
القطبين . الجنوبيّ والشماليّ . والخالى تحت الجنوبيّ أكثر بما لا يقاس . وهكذا
في الجغرافيا وّضعه .

(١) إتححت الكتابة في هذا الموضع من الأصل ، سطو المحلّه على الهامش .

(٢) هو المعروف الآن بالخريطة الجغرافية .

وقد ذكر أبو عبيد مبلّغ طول النهار في الأقاليم السبعة . حتّى انتهى إلى الإقليم السابع . ثم قال : ”وأما ما وراء هذا إلى آخر المعمور ، فإنه يتبدى من المشرق من بلاد البُغَر وأرض الترك إلى اللان ، ثم يمرّ على البُرْجان والصَّقالبة ، وبتنهي إلى بحر المغرب ، وهو خارج عن الأقاليم السبعة“ . انتهى كلام البكري . وسيأتي (إن شاء الله تعالى) مبسوطة في موضعه .

وإنما ذكرناه هنا للاستدلال على أن الشمال أكثر عمارة من الجنوب . لأننا وجدنا وراء الإقليم السابع عمارةً متمتعة . وليس كذلك فيما وراء الإقليم الأول . اللهم إلا ما هو في قسم المشرق ، وراء خط الاستواء ، من الجزائر المتمتعة في البحر ، أحدها إلى المحيط ، أو ما هو في حكمها بالصين .

الشمال أكثر عمارة
من الجنوب

فأما قسم المغرب ، فإنما لم نجد وراء الأول فيما يحد إلى جهة الجنوب عرضاً ، وإلى البحر المحيط في نهاية المغرب طولاً ، عمارةً ، بل ولا على خطه المستقيم ، بل ولا وحدنا العمارة به إلا ما هو داخل خط الإقليم الأول إلى الإقليم الثاني . وسند ذكر ما وجدناه من العمارة في كلّ منهما على ما نيتيه .

فأما ما وقع من العمارة في قسم المشرق ، من وراء خط الاستواء الذي هو أول الإقليم الأول ، فنقول : إن صاحب الجغرافيا صور ، فيما هو خارج عن خط الاستواء من مركز دائرة الأرض المسماة عد أهل هذا الشأن قبة آرين ، جرّاً عامرة مسكونة في البحر الهندي ، من وراء سرّنديب في الجنوب ، وهي متصلة بها . وتقدير هذه الجزر في العرض ، عرض إقليم واحد ونصف إقليم تقريباً ، خلف الإقليم الأول ، زائداً على الأقاليم السبعة في جنوب القسم الشرقي . وعرض هذا المقدّر بإقليم واحد

العمارة في الجنوب
قسم المشرق
(حراز البحر الهندي
وبلاد الصين)

ونصف إقليم من حيث يأخذ من قبة أرين على خط الاستواء العرضى جنوبا محضا، ثلاثة أقسام: كل قسم مقدّر بنصف إقليم.

عرض أولها، وهو المار مع خط الاستواء فى خارجه ممثدا على جانب الإقليم الأول فى غالب النصف الشرقى من قبة أرين إلى جزيرة الجوهر فى البحر المحيط، خمس درجات. وقد علم عليه فى لوح الرسم هـ .

وعرض ثانيها، وهو الذى يليه، عشر درجات، لارتفاع رأس الجبل والميزات. وقد علم عليه فى لوح الرسم كى .

وعرض ثالثها، وهو الذى يليه، خمس عشرة درجة. وقد علم عليه فى لوح الرسم يه . وذكر بها من الجزر العامرة: فلاى؛ وحريرة القمر، وذكر أن طولها أربعة أشهر؛ ومنها سرنديب، داخل خط الاستواء فى الإقليم الأول مماسة له حيث هو من الطول من قبة أرين مائة وخمس وستون درجة. وقد علم عليه فى لوح الرسم قسه . كل ذلك بحساب الجمل.

وذكر فى هذه الجزيرة، مما هو وراء خط الاستواء، مدنا. منها: حمران؛ ودهمى؛ ودافور؛ وديمى؛ وعمسا؛ ونحزلاتى؛ وتمكاد؛ ومرابانا؛ وتياو؛ وموضع قدم آدم، عليه السلام (جنوبى سرنديب، من وراء خط الاستواء)؛ وفردزا؛ وسونيه؛ وكباما؛ وعيمى؛ ومحلاى؛ وملابى؛ وسمردى، يليهما جبل الذهب والحديد، قال إنهما به كبر؛ وأنونا، ومعلا؛ وقصورا؛ واسفيل. ثم جزيرة تعرف بالموجة، أم جزائر الصين. ثم جزيرة الشمير. ثم جزائر الواى واى؛ وجزيرة الدجال إلى جزيرة الجوهر، فى البحر المحيط.

وصور، في البر المتصل من جهة الصين، برزخا بين البحرين الهندي، حيث
أنعطف شرقاً جزيرة الموجة أم جزائر الصين إلى الشمال، وبين البحر المحيط . وذلك
البرزخ من ثلاثة أبحر: في الشرق، المحيط؛ وفي الجوف البحر الهندي حيث خرج؛
وفي الغرب، حيث أنعطف. وبقي الشمال مكشوفاً، متصلٌ به هذا البرزخ بالصين.
وذكر فيه عدة من المدن.

وأول ما نبداً بما تغلغل إلى الجيوب، بعيداً عن خط الاستواء، حيث هو من
الطول في الجغرافيا مائة وخمس وستون درجة وقد علم عليه في لوح الرسم قسمه
ومائة وسبعون درجة وقد علم عليه في لوح الرسم قطع .

وأولها مدينة حميسه، ومدينة قيطفون، ومدينة شرما، ومدينة سرسه، ومدينة قلا،
ومدينة خائفو (وهي الخنسا على فرضة من البحر الهندي خرجت هناك في الصين
ولم تمتد) مسامتة لجزيرة الياقوت في المحيط. وقد سمّاها الشريف بجزيرة بسياره.
وليست في لوح الرسم بجزيرة، ولكن كالجزيرة.
كل هذا خارج عن خط الاستواء.

وما وراء خط الاستواء (في القسم الغربي من قبة أرين إلى البحر المحيط الغربي،
مسامتة لجزائر الخالدات، في جميع العرض إلى منتهى الجنوب) لا حظ له
في العارة.

٢٢٠
عدم العارة
في الجنوب من
جهة العرب

وأما ما وقع من العارة وراء الإقليم السابع (تأما ليس في حساب السعة الأقاليم، وهو
الذي أشار إليه أبو عبيد، حين ذكر مبلغ طول النهار في الأقاليم السبعة، وقد نها
عليه، وسيأتي إن شاء الله تعالى مبسوطاً في موضعه، وتقديره في العرض نصف

العاره، ر.ا.
الإقليم السابع

إقليم، ممتداً على جانب الإقليم السابع من أول المشرق إلى نهاية المغرب، وسكانه على ما نبينه) فأوله من جهة الشرق قطعة معمورة بأجوج وماجوج، فيها هو داخل السد، وبلاد سيسبان (وهي آخذة عرضاً من هذا الجزء المقدّر بنصف إقليم وراء الإقليم السابع حتى تقطعه، ثم تقطع الإقليم السابع جميعه، ثم بعض السادس)؛ وبلاد الروسية الثانية (وكلها خارجة عن الإقليم السابع في الجزء الذي يليه)؛ وبلاد أنكرية في هذا الجزء، داخلة إلى الإقليم السابع.

وعرض هذا الجزء خمس وسبعون درجة. وقد علم عليه في لوح الرسم عه .
وفي بلوغ العماره هذا الحد وتجاوز اربع وستين درجة، نظراً.

قالوا : فأما الروسية، فعامرة آهلة. وكذلك الأنكرية. وأما بلاد سيسبان، فقد كانت عامرة آهلة مسكونة، ثم خربت من قديم، لإغارات أجوج وماجوج عليهم.

ومن تأمل لوح الرسم، رأى ذلك ممثلاً لبلده في الإقليم السابع، ورأى خط الإقليم الأول خالياً في القسم الغربي، والمعمور من داخله على فرقتي النيل : الفرقة الآخذه على بلاد السودان من الشرق إلى الغرب حتى يصب في البحر المحيط، والفرقة الآخذه على عربي الحبيشة إلى شرق النوبة إلى مصر حتى يصب في البحر الشامي.

بيل السودان
المعروف الآن بهر
البحر

بيل مصر



فعلينا أن سبب عماره ما وراء حط الاستواء من الجزر في القسم الشرقي، وما هو في حكمها، لاكتشاف البحر الهندي لها، فرطب هواها، وأنبط ماءها، وأزال جفاف أرضها. فببت بها النبات، وسكن الحيوان. ولم يقع في قسم القسم الغربي، وراء حط الاستواء، بحر يؤثر فيه هذا التأثير. فبقى على كيفية طبعه من اليأس والجفاف، لا يمكن به نبات نبات ولا حاة حيوان.

السبب في عماره
ما وراء حط
الاستواء من القسم
الشرقي، وعدمها
في القسم الغربي

سب العارة فيها
وراء الإقليم السّاح

ووجدنا ما هو وراء خط الإقليم السابع ، قد أمكنت عمارته بالنبات والحيوان
بكيفية طبعه ، لا بسبب آخر من خارج .

لماذا كان الشمال
أعمس من الجنوب

فظهر حينئذ أنّ الشمال أوفق لِمزاج الحيوان . فكان أعمر من الجنوب ، لشدة حر
الجنوب على ما بيناه . وهو موافق لرأى الشريف .

رأى الإدريسي
في ذلك

قال الشريف : " لا يكون الحيوان والنبات أبدا ، إلّا حيث تكون المياه
والرطوبات " .

رأى البركي
الأندلسي

وقال البركي : " وركب الله على الأرض حرم الشمس . لعلمه بالحكمة التي يبني
أن يكون عليها تركبُ العالم في فلك أخرجه مركزه عن مركز الأرض بدرجتين ونصف
من درج فلك البروج . فذلك اختلفت حركة الشمس . فمعا مزاج جوهر الهواء
المحيط بالناحية الجنوبيّة ، فكان الجزء المعمور في الناحية الشماليّة . إذ كان كلّ
حيوان ، بطبعه ، أحمل للبرد منه للحر . ألا ترى أنه يتولد في الماء من الحيوان
ما لا يمحى كثرة ، وكذلك من النبات ؛ ولا يكون في النار منه شيء ، إلّا الشاذ النادر .
إن صح ذلك فيه . كما زعموا أنه يتكوّن في أفوان الزجاجين صرْبٌ من سام أرض ،
وقد سماه أرسطو بالسُّرْفُوت وهي حُرّ الألوان ، إذا خرجت عن النار ، هلكَتْ .

١٠

فوجب لهذه العلة أن يكون أسم الأقاليم السبعة وتحديدها في الجزء الشمالي من
الأرض ، كما ترى في لوح الدائرة (١) .

جملة المعمور على
رأى بطليموس
والشيرازي ،
وتوفيق المؤلف
بهما

وقد ذكر صاحب جغرافيا أنّ جملة المعمورة أربعة آلاف ميل وحمسائة ميل
وثلاثون ميلا . وهذا أزيد مما حرره الشيرازي بنجمائة ميل وثلاثين ميلا . ولعلّ

(١) لوح الدائرة هو الخريطة الجامعة التي نسميها الآن مابود تعريفا للقطعة فرنسية « Mappemonde » .

هذه الزيادة هي بمعمور ما هو وراء خط الاستواء في القسم الشرقي ؛ وما هو خارج الإقليم السابع ما معه . فإن الشيرازي ، والله أعلم ، لم يحرر إلا معمور الأقاليم السبعة خاصة ، وصاحب جغرافيا ذكر المعمور كله . فكان هذا التفاوت كله .

قلت : ولا أذعي أن ما هو خارج عن الإقليم السابع متوغل في الشمال ، خارج إحتراز المؤلف .
خروجاً مبيناً كلياً . ولكنه خروجٌ مماسٌ مجاورٌ ، حكمه حكم ما هو على الخط .
إذ لو كان خروجاً مبيناً ، لكان إقليماً ثامناً ، وليس كذلك . إذ لا يمكن وجود نبات ولا حيوان لإفراط البرد والجهد ، كما لا يمكن لإفراط الحز واليبس .

والحكاه تشبه الأرض بمجسد آدمي : التراب لحمه ، والمياه دمه ، والمجارة عظمه ، والرياح أنفاسه ، والبحارات فضلاته ، رأسه الصين ، ووجهه الهند ، وجيده ما وراء النهر ، وصدره خراسان وما يليها ، وقلبه العراق ، ويده الجنوب والشمال ، وبطنه الشام ، وسرته جبره العرب . وعجزاه مصر والقسطنطينية ، ونخلاه إفريقية ورومية ، ورجلاه برعدوة والأندلس .
١٠

عدم رص المؤلف
هذا التشبيه

قال الشريف : ” ومع كون الأرض كرة ، هي غير صادقة الاستدارة ، منها منخفض ومربع . ولهذا قيل فيما أنكشف إنه تضاريس . والبحر محيط بنصف الأرض إحاطة متصلة ، دائرها كالمثطرة . لا يظهر منها إلا نصفها ، وهو ما دارت عليه الشمس في فوس النهار . مثل بيضة مفرقة في ماء ، أنكشف منها ما أنكشف ، وأنغمر ما أنغمر . “
١٥ وقد تقدم هذا التمثيل .

وقال شيخنا، فريد الدهر، أبو التناء محمود بن أبي القاسم الأصفهاني، أمتع الله به! "لا أُمْنَعُ أن يكون ما أُنْكَشِف عنه الماء من الأرض من جهتنا، منكشفاً من الجهة الأخرى . وإذا لم أُمْنَع أن يكون منكشفاً من تلك الجهة، لا أُمْنَع أن يكون به من الحيوان والنبات والمعادن مثل ما عندنا، أو من أنواع وأجناس أخر^(١)ى".

تخيل علماء الاسلام
لوجود أمريكا
قبل اكتشافها
بقرن ونصف

والذي ظهر لنا من ذلك عقلاً وقللاً، ذكرناه . وبالله التوفيق!

(١) للاصفهاني (وهو بمصر) فضل السبق على كريستوف كولومب (وهو بالأندلس) لأنه قال بهذه النظرية قبله بقرن ونصف قرن . وللاصفهاني فضل أكبر على مكتشف أمريكا : لأنه تخيل وجودها بقوة الفطنة والاستدلال ، وأما كولومب فتخيل فقط وجود طريق جديد يوصل للهند من جهة الغرب . توفي أبو التناء في سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م) . وأما كولومب فقد أجتهد في إقناع فرديناند وإيزابلا صاحبي الأندلس بصدق نظريته في سنة ١٤٩٢ ميلادية (الموافقة لسنة ٨٩٨ هـ) .

الفصل الثاني

في أسماء الأرض وصفاتها

أسماء الأرض
وصفاتها من حيث
الأمّة

قال تعالى، في قفه اللغة:

”إذا آتست الأرض، ولم يتخللها شجرٌ أو نحر، فهي الفضاء، والبرّاز، والبراح،

ثم الصحراء، والعراء، ثم الرّهاء والجّهراء.

فإذا كانت مستوية مع الاتّساع، فهي: انّجبت، والجّدّد، ثم الصّحصح،
والصّردح، ثم الفاع، والقرقر، ثم الفرق، والصّفصف.

فإذا كانت مع الاستواء والاتّساع، بعدّة الأكتاف والأطراف، فهي، السّهب
وانّخرق، ثم السّهب والسّلق.

فإذا كانت مع الاتّساع والاستواء، والبعد، لا ماء فيها، فهي: العلاء والمهمّة،
ثم التّؤفة والعباء، ثم النّفف والصّرما.

فإذا كانت مع هذه الصفات، لأبتهدي فيها لطريفي، فهي: النّهماء.

فإذا كانت تُصلّ سالكها، فهي: المصّلة والمّتيبة.

(١) أورد اليسوعيون بهذا اللفظ بالغاء في آخره في طبعهم هذا الكتاب (ص ٢٩١) وعارة القاموس

(٢) في مادة قري) تؤيد رواية أن فضل الله . وهو فتح الراء وكسرها .

(٣) أورد أن فصل الله هذه اللفظة بالحاء المهملة . وصوابها بالحاء المعجمة كما في طبعة اليسوعيين و
يشهد به القاموس .

(٤) في طبعة اليسوعيين: والمّلق بعد السّلق .

(٥) المثبتة كسبية وتضم الميم مع كسر الراء . وتفتح الميم مع فتح الراء . وقد اختار المؤلف القول الاول واختار

”يسوعيون القول الثاني .

فإذا لم يكن بها أعلامٌ ولا معالمٌ، فهي : المَجْهَلُ، والهَوَجَلُ .

فإذا لم يكن بها أثرٌ، فهي : الغُفْلُ .

فإذا كانت قَفْرًا، فهي : القِيَّ ،

فإذا كانت تُبِيدُ سالِكها، فهي : اليبْدَاءُ . (والمفاضة كناية عنها) .

فإذا لم يكن بها شئٌ من البُتِّ ، فهي : المَرْتُ والمَلِيعُ .

فإذا لم يكن فيها شئٌ، فهي : المَرَاتُ والسُّبُرُوتُ والسَّلَقُ .

فإذا كانت الأرضُ علبظة صُلْبَةً ، فهي : الجُبُوبُ باثم الجَلْدُ ، ثم العَزَازِيْثُ الصِّيدَاءُ ، ثم الجُدُجْدُ .^(١)

فإذا كانت صُلْبَةً مَبْسُةً من غير حصيٍّ ، فهي : الكَلْدُ ، ثم الجَمْعَاعُ .

فإذا كانت عليظة ذات حجاره ورملٍ ، فهي : البُرْفَةُ ، والأَبْرَقُ . ١٠

فإذا كانت ذات حصيٍّ . فهي : المَحْصَاةُ^(٥) والمَحْصِيَّةُ^(٦) .

(١) في طعة اليسوعيين لها أعلام ومعالم .

(٢) هكذا في الأصل . والذي في طعة اليسوعيين : " المَرَوْرَاة " . وهي الصحيحة وقد أوردتها في القاموس : في مادة (م ر و) .

(٣) في الأصل : الحدّحد (مهملتين) . ولعل الإهمال إهمال من السامع . ١٥

(٤) في طعة اليسوعيين مفتح الصاد . وهو غلط مطبعي .

(٥) في طعة اليسوعيين : " المَحْصَاة " والقاموس يؤيد الضبط الذي آختره أن فصل الله .

(٦) في طعة اليسوعيين : " المَحْصَبَةُ " . والأحره أن تكون الكلمة بالياء لأن الاشتقاق من المحصى . وإذا آخترنا الياء بدل الياء وجب أن قول المَحْصَبَةُ كما في القاموس .

فإذا كانت كثيرة الحصى، فهي : الأَمْعَز والمَعْزَاء.

وإذا أشتملت عليها كلها حجارة سُودٌ، فهي : الْحَرَّةُ وَاللَّابَةِ.

فإذا كانت ذات حجارة كأنها السكاكين، فهي : الْجَزِيزُ^(١).

فإذا كانت الأرض مطمئنة، فهي : الْجَوْفُ، والغائط، ثم الهَجَلُ، والهَضْمُ^(٢).

فإذا كانت مرتفعة، فهي : النَّجْدُ والنَّشْرُ.

فإذا جمعت الأرض الارتفاع والصلابة والغِلَظَ، فهي : المَتْنُ، والصَّنْدُ، ثم القَفُّ، والفَقْدَفُ، والقرقر^(٣).

فإذا كان ارتفاعها مع اتساع، فهي : اليَقَاعُ^(٤).

فإذا كان طولها في السماء مثل البيت وعرضُ ظهرها نحو عشرة أذرع، فهي :

التل، وأطول وأعرض منها : الرِّبْوَةُ، والرايبة، والأَكْمَةُ، ثم الرِّبْيَةُ وهي التي

(١) لم أجد في القاموس معنى للحرير ولعل اشتقاقه من الحرأى القطع . بدلالة وجود المحارة الى كالسكاكين . وقد وردت هذه اللفظة في طبعة اليسوعيين بالحاء المهملة . ومعنى الجزير كما في القاموس . المكان العليط المقاد . وهو لا يدل على المراد هنا . فليحرر .

(٢) في الأصل بالصاد المهملة . وصوابه بالصاد المعجمة كما في القاموس . وقد ورد على صحته في طبعة اليسوعيين .

(٣) في طبعة اليسوعيين : القَرْدَد . وكلا اللطين لا يدل على طريق الحصر على المعنى الذي أراده الثعالبي . قال في القاموس : " القرد ما ارتفع من الأرض " . وقال : " القرد الأرض المطمشة البتة " والقاع الأملس .

(٤) في الاصل من .

لا يعلوها الماء . (١) وبها صرب المثل ، في قولهم : بلغ السيل الزبى) ، ثم النجوة (وهي المكان الذي تظن أنه نجى بك) ، ثم الصّاد ، (وهي الأرض الغليظة دون الجبل) .
 فإذا أرتفعت عن موضع السيل وأنحدرت عن غلظ الجبل ، فهي : الخيف .
 فإذا كانت الأرض ليّنة ، سهلة ، من غير رمل ، فهي : الرقاق (والبرث) ، ثم الميتاء والدّمثة . (٤)

فإذا كانت طيبة الثربة ، كريمة المنبت ، بعيدة الأحشاء والزوز ، فهي : العذاة . (٥)
 فإذا كانت تحملة النبت والخير ، فهي : الأريضة . (٦)
 فإذا كانت طاهرة ، لا شجر فيها ولا شئ يحلط بها ، فهي : القراح ، والعرواح .
 فإذا كانت مهيأة للزراعة ، فهي : الحفل ، والمسنارة ، والدبرة .
 [فإذا لم تُهيأ للزراعة ، فهي : بور] . (٧)

(١) حلة وبها صرب المثل وردت ها . ولم ترد في طبة اليسوعيين .

(٢) في طبة اليسوعيين : محاؤك . ونجا مقصور لاهموز . رواية أن فصل الله أوجه .

(٣) وردت في طبة اليسوعيين بالناء المثانة . ورواية أن فصل الله أصل ويؤيدها القاموس . وإذا كان اللفظ بالناء ، فإلى ورد منه هو البرت على ورد سكبت بمعنى المستوى من الأرض . ولم يرد لقطع البرت في القاموس . وعلى كل حال فإعادة رت لاتعلق لها المعنى الذي قصده التعليل .

(٤) في طبة اليسوعيين : الدمة .

(٥) » » : بعيدة عن الإحشاء .

(٦) » » : مخيلة للنت .

(٧) الزيادة من طبة اليسوعيين .

فإذا لم يكن يصيبها المطر فهي : ^(١) الْقِلَّ والجُرْزُ . ^(٢)

فإذا كانت غير ممطورة، وهي بين أرضين ممطورتين، فهي : انْخِطِيطَةٌ .

فإذا كانت ذات ندى ووَخامة، فهي : النَّمِيقَةُ .

فإذا كانت ذات سباح، فهي : ^(٣) السَّبَخَةُ .

فإذا كانت ذات وباء، فهي : الْوَيْدَةُ والْوَيْسَةُ [على مثال فَعِيلَةٍ وَفَعِلَةٍ] . ^(٤)

فإذا كانت كثيرة الشَّجَر، فهي : الشَّجَرَاءُ والشَّجِرَةُ .

فإذا كانت ذات حَيَات، فهي : ^(٥) الْمُحَوَاتُ .

فإذا كانت ذات سباع أو ذئاب، فهي : ^(٦) الْمُسَبِّعَةُ والمَذْبَبَةُ .

(١) في طبعة اليسوعيين : فإذا لم يصيبها المطر .

(٢) في الأصل : الجراز . ولم يرد في القاموس سوى : جُرْز وجُرْز وجُرْز ومجروزة للأرض لم يصيبها مطر والجمع أجاز . ولو قال أين فضل الله أجاز لصح .

(٣) في الأصل : السلخة .

(٤) الزيادة في طبعة اليسوعيين .

(٥) هكذا ضبطه في طبعة اليسوعيين .

(٦) وضبطه في طبعة اليسوعيين : الْمَسْبَعَةُ والمَذْبَبَةُ . والذي ضبطه أين فضل الله أوجه .

الفصل الثالث

في أسماء التراب وصفاته

أسماء التراب
وصفاته من حيث
الصفة

تراب وجه الأرض يقال له البَوَّغَاءُ.

والدَّقْعَاءُ، التراب الرِّخْو الرقيق الذي كأنه ذَرِيرَةٌ.

الترى، التراب اللِّدِيّ [وهو كل تراب لا يصير طينا لازما إذا بُلَّ] ^(١).

المور، التراب الذي تمور به الريح.

الهبَاءُ، النزاع الذي تُطَيِّرُهُ الريح، فتراه على وجوه الناس وجلودهم وشياهم.

[يلزق لزوقا] (عن ابن شميل) ^(١).

[الهابي، الذي دق وأرتفع] (عن الكسائي) ^(١).

السايبَاءُ، التراب الذي يذهب في الأرض مع الريح.

النَّبِيئَةُ، التراب الذي يخرج من البئر عند حصرها.

الراهِطَاءُ والدُّأْمَاءُ، التراب الذي يُخْرِجُهُ اليربوع من محره ويجمعه.

الجُرْثُومَةُ، التراب الذي تجمعهُ النمل عند قريتها.

العَمَاءُ، التراب الذي يُعْقَى الآثَارُ. وكذلك العفر.

الرَّعَامُ، التراب المخلوط بالرمل. ^(٢)

(١) الزيادة من طبعة البسويين.

(٢) من أول الفصل إلى هامس قول عن الفصل الرابع من الباب ٦ من هذه اللغة.

السَّاد، التراب الذي يُسَمَّد به النبات . فإذا كان مع السَّرْقِين، فهو الدَّمَال.

وإذا كان الطين حُرًّا يابسًا، فهو : الصِّلْصَال.

فإذا كان مطبوخًا، فهو : الفَخَّار.



فإذا كان عَلِكا لاصفًا، فهو : اللَّازِبُ.

فإذا عيَّرَ الماء وأفسده، فهو : الحَمَاء.

(وقد نطق القرآن بهذه الأسماء الأربعة.)

^(١) فإذا كان رَطْبًا، فهو : النَّاطِطَة وَالتُّرْمُطَة [وَالطُّتْرَة].

فإذا كان رقيقًا، فهو : الرَّدَاع.

^(٢) فإذا كان تَرْتِطِم فيه الدواب، فهو : الْوَحْل . وَأُسْدَمِه، الرَّدْعَة وَالرَّزْغَة وَأُسْدَت

^(٣) مِنْهُمَا الْوَرُطَة : تَقَع فِيهَا الْغَنَمُ فَلَا تَقْدِرُ عَلَى التَّحَاصُّسِ مِنْهَا . (ثم صار مثلاً لكل شَيْءٍ يَفْعُ فِيهَا الْإِنْسَانُ).

^(٤) فإذا كان حُرًّا طَبَّابًا عَلِكا، وفيه خُصْرَة، فهو : النَّصْرَاء.

فإذا كان مخلوطًا بالطين، فهو : السَّاع.

^(٥) فإذا جعل بين اللَّيْسِ، فهو : الْمِلَاط.

١٥ (١) الزيادة من طبعة اليسوعيين .

(٢) أورد اليسوعيون هاتين الكلمتين مسكون الدال في الأولى (وهو حائر) ومسكون الراء في الثانية ولم يقل به القاموس فإنه نص فقط على الفتحين في (زرع).

(٣) في الأصل : مباء . وقد آخرا رواية اليسوعيين لأنها أصوب .

(٤) في طبعة اليسوعيين : "وهي" . ولعلها سق فلم .

٢٠ (٥) من أول هذه الصفحة إلى ها مقول عن الفصل السادس من الباب ٢٦ من فقه اللغة .

الفصل الرابع^(١)

في اسماء الغبار وصفاته

اسماء الغبار وصفاته
من حيث اللغة

النَّفْعَ والعُكُوبَ، الغبار الذي يشور من حوافر الخيل وأخفاف الإبل.

العُجَاجَةُ، الغُبار الذي تثيره الريح.^(٢)

الرَّحْمُ والقَسَطَلُ، غُبار الحرب.

الْخَيْضَمَةُ، غبار المعركة.

العِثِيرُ، غبار الأقدام.

المَيِّينُ، ما تقطع منه.

(١) هذا الفصل منقول عن الفصل الخامس من الباب ٢٦ من فقه اللغة .

(٢) في طبعة اليسوعيين العجاج .

الفصل الخامس

في أسماء الرمال وصفاتها

(١) ما أَسْتَرْقَّ من الرمل ، يقال له : العَدَابُ^(٢).الْجَبَل ، ما أَسْتَطَالَ^(٣) منه .

الْلَبِّب ، ما آنَحَدَر منه .

الْحِفِيف ، ما أَعَوَّجَ منه .

الدَّعْص ، ما أَسْتَدَار منه .

العَقَدَه ، ما تَعَقَّدَ منه .

العَقِيقِل ، ما تَرَاكَمَ [وتراكب] منه^(٤).

السَّفْط ، ما جَعَلَ يَنْقَطِعُ وَيَنْصِلُ منه .

الْمُهْرُورَة ، ما أَشْرَفَ منه .

السَّيْهُور ، ما أَطْمَأَن منه^(٥).

السَّقِيقِفَه ، ما أَتَقَطَعَ وَغَلَطَ منه .

(١) في الأصل : ما أَسْتَطَالَ . والذي قلناه عن فقه اللغة يؤيده القاموس .

(٢) في الأصل : العَدَاب . وهو عَط .

(٣) في طبعة اليسوعيين : أَسْتَدَق . والقاموس يؤيد رواية آس فصل الله .

(٤) الريادة من طبعة اليسوعيين .

(٥) حاربا طبعة اليسوعيين وإن كان التيهور معناه ما أهدأ من الرمل وما أطمأن من الأرض والذي

في الأصل التيهورة .

الكَثِيبُ^(١) وَالنَّقا، مَا أَحْدَوْدَبَ وَاِنْهَالَ مِنْهُ .

الْعَاقِرُ، مَا لَا يُنْبِتُ شَيْئًا مِنْهُ .

الْهَدْمَلَةُ^(٢)، مَا كَثُرَ شَجَرُهُ مِنْهُ .

الْأَوْعَسُ، مَا سَهْلٌ وَلَآنَ مِنْهُ .

الرَّعَامُ، مَا لَانَ مِنْهُ، وَلَيْسَ بِالَّذِي يُسْبَلُ مِنَ الْيَدِ .

الْهَامُّ، مَا لَا يُيَمَّاكَ أَنْ يُمَسِكَ مِنْهُ بِالْيدِ، لِلْبَنَةِ^(٣) .

الدَّكَادِكُ^(٤)، مَا آتَبَدَ بِالْأَرْضِ مِنْهُ .

الْعَانِكُ، مَا يَعْقِدُ مِنْهُ، حَتَّى لَا يَفْدِرَ الْعَيْرُ عَلَى الْمُسْبِرِ مِنْهُ^(٥) .

وَالكَثِيرُ مِنَ الرَّمْلِ، يُقَالُ لَهُ : الْعَقَنْقَلُ .

فَإِذَا قَصَّ، فَهُوَ : كَثِيبٌ .

وَإِذَا نَفَصَ مِنْهُ، فَهُوَ : عَوَّكَلٌ^(٦) .

وَإِذَا نَفَصَ مِنْهُ، فَهُوَ : سَقَطٌ^(٦) .



(١) في الاصل . الكثيف . وهي سق قلم .

(٢) في طبعة اليسوعيين : الهَرْمَلَةُ . وهو غلط .

(٣) في طبعة اليسوعيين أى يسبل من اليد لليبه . وهو تحريف طاهر ، و رواه آين فصل الله متماسكة مع كل ما قبلها ، ولذلك كانت أحسن سكا .

(٤) إحتمارأس فضل الله صيغة الجمع . والذي في طبعة اليسوعيين . الدكداك بصيغة المفرد (أطرافاموس) .

(٥) إلى هنا مقول عن الفصل التاسع من الباب ٢٦ من فقه اللغة .

(٦) في طبعة اليسوعيين : سه .

(١) فإذا نقص منه ، فهو : عَدَاب ؛
(٢)

(١) فإذا نقص منه ، فهو : لَبَب .
(٣)

وقال صاحب الغريب : ”إذا كانت الرملة مجتمعة ، فهي : العَوَكَّة ؛ فإذا أنبسطت وطالت ، فهي : الكَثِيب ؛ فإذا أنتقل الكثيب من موضع إلى آخر بالرياح ، وبقي منه شيء رقيق ، فهو : اللَّبَب ؛ فإن نقص ، فهو : العَدَاب .“
(٢)

والله أعلم .

(١) في طبعة اليسوعيين : عنه .

(٢) في الأصل بالذال المعجمة وهو خطأ .

(٣) إلى هنا منقول عن الفصل العاشر من الباب المذكور .

الفصل السادس

في أحوال الأرض

هذا فصل قصصنا أفراده، انزيده وضوحا، وسد كره جملة، ونصيلا، وستطرد في ذلك ذكر الجبال، والأنهار، والبحيرات، والمساجد الثلاثة، وما يسد درج معها، وذكركم من الآثار القديمة.

فقول، والله التوفيق :

الآرباط بين
الكائنات الحية
وبين الأرض

إنه لما كانت الأرض وما عليها من المركبات من الطائعات الأربع، وهي: التراب، والماء، والنار، والهواء، بطرنا إلى تلك المركبات، فوجدنا ما غلب عليه عصر الهواء (كالطير) فكان في الماء مفره، وما غلب عليه عصر الماء (كالمسك) فكان في الماء مفره. ووجدنا الطير، وإن طلب مركبه المركب منه أكثر أجرائه وهو الهواء، والمسك وإن طلب مركبه المركب منه أكثر أجرائه وهو الماء، لم نجد واحدا منهما ولا شيئا من الحيوان مطلقا يطلب الدار ويمسكها، إلا السمندر وهو نادر. ووجدناه يطلب الأرض ويمسكها كالطير إذا حط إلى الأرض، والحيوان إذا أوى إليه. فعلمنا حينئذ أنهما من لوازم الأرض.

تمام آرباط
الإنسان بالأرض



فبالأولى أن يكون من لوازمها، ما غلب على عنصره التراب، كالإنسان. ويدل على هذا قوله تعالى: "مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ نَارَهُ أُخْرَى".

فغلب حكمها على بقية العاصر، في خلق الإنسان، فقال: "مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ" إشارة إلى التراب، وجعلها البداية والنهاية، قال: "مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ". ثم أكد لها التغليب على بقية العاصر الثلاثة التي لا تقوم المركبات إلا بها، بقوله: "وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى". فجعل منها النشأة الأولى في أول الخلق، والثانية في المعاد، وما بينهما، وهو: الموت.

اسمندر والنادر فإن أعرض معترض بالسمندر وأنه بأوى النار، قلنا: هذا شاذ نادر. والشاذ النادر لا حكم له.

وإذ قد نتق أن البراء في تركيب الإنسان أكثر، علمنا أنها مركره: منها الميلاد، وإليها المعاد.

١٠ علمنا ضرورة أن الأرض أم البشر. أخرجهم من بطونها، فكأوا كالولدان لها. وقوت المولود. ندى الأم، وهو: ما أخرجت لنا من نباتها.

فعلم حينئذ أن نوع الإنسان من لوازمها، يطلب مركره منها: لما فيه من نقل المركب بها. ألا يرى أن السار ولو عكست. أتت إلا طلب العلو: يطلب مركرها، والعربة المنوحة التي قُسرَت بياسر إذا أُطلفت، طلب الهواء المملوء به العلو: طلب مركره. والماء لا يجري إلا من العالي إلى المحفض من الأرض. يطلب مركره. وكذلك التراب، حيث رمت به الحق، ينحط إلى الأرض: يطلب مركره.

١٥ فهكذا الإنسان: لا يطلب إلا مركره، وهو التراب: إذ كان أكثر أجزائه من التراب: وإلى هذا أشار الشرف بقوله: "والنسيم جاذب لِمَا فِي أبدانهم من الخفة". والارض حادبة لِمَا فِي أبدانهم من الثقل. وقد ذكرناه آنفا.



ولهذا لم يُقدِّروا في المركبات وجود الاعتدال الكامل المتساوي في أجزاء التركيب :
إذ لو كانت كذلك ، لجذبتا العاصم الأربعة ، جذبا متساويا . فلم يكن له مركز خاص .
وذلك محال .

قوله السار
في الحيوان ، ولماذا
كاتب العذاب
الموعود به

وأقل أجزاء العناصر في الحيوان غالبا ، النار . ثم ينفات الحيوان في ذلك . ولهذا
لا تقوى [الحيوانات] على النار فوقتها على الماء والقراب والهواء . ثم ينفات الحيوان
في ذلك ، مأل كل إلى ما غلب على تركيبه . ولا بهاب الحيوان شيئا يفتححه ، كما يهات
أفتحاح النار . ولهذا كانت النار العذاب الموعود به : لمافرة ما بينهما . وبين الحيوان ، لقلة
موجودها به في جزء التركيب ، كما أشرنا إليه . والله فعل ما يشاء لا راذا لأمره ،
ولا مُعقب لحكمه .

الإسان أوصى
رائى . وأساس
معاشه من الأرض

فلما كان الإنسان ، بما علب على تركيبه ، أوصبا ترايبا ، من الأرض مبدؤه ، وإليه
معاده ، ثم منها عوده ، كما قال تعالى : ” مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نَعِدُّكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ مَرَّةً
أُخْرَى “ . أصطر إلى مركزه ، وأحتاج إلى الاضطراب في ارجاء الأرض ، للكسب :
إما للصبد ، وهو أول رتب المعاش ، أو الرراعة ، وهى ثانى رتب المعاش ، أو البجاره ،
وهى ثالث رتب المعاش ، على ما يأتى بيانه . فلم يكن له غنى عن معرفه جهات
الأرض ، ليمتد فيها لأسباب معاشه ، فيما ذكرناه أو غير ذلك ، مما يتفرع منه أو ينب
عليه .

الإسان مملوك
على طلب المعاش

زعموا أنه لو وقع إنسان إلى برية يهماء ^(١) ، لاساكن بها ، لم يكن له دأب إلا طلب
سبب البقاء ، بما يصيد منه لياكل ، فإذا أكل ، طلب ما هو أزيد سبدا ، فزرع ،

فإذا زرع، طلب ما هو أزيد سببا، فتاجر. ثم يزرع معاشه، ونشعبت أسبابه، فاحساج حينئذ إلى معرفة أجزاء الأرض وعواملها. ليعرف أين كسبه، ومن أين معاشه. ولا يمكنه أن يقصد أرضا في بر ولا بحر، إلا بأعلام دالة عليها، كالتجوم اللاتحة، والجمال المائلة، والأشجار الجارية، والأهوية الحاسبة. وليس هذا موضع ذكرها. لكان ذكرها، إن شاء الله تعالى، عند ذكر معرفة القبلة في كل أرض.



وإنما نذكر ههنا ما هو لائق به، وهو ما هو جُئِي من أحوال في الأرض لازمة لها. من بعضياتها المشهورة في جميع الأقطار: كالجمال العظيمة، والأشجار المنحجرة، لأت بمواقع تلك الجبال التبهرة. والأشجار المعروفة، تعرف موقع كل جهة من الأرض. فاما البحار، فإنما قد أفردناها بديانها. وسأتى ذكرها في موضعه. ولم نذكرها هنا مع الأرض. كما نذكر الجبال والأشجار. لأن الجبال والأشجار من عالم الأرض، وأما البحار، فإنها عالم آخر، أكبر من عالم الأرض، بما لا نسبة بينهما، فوجب إفرادها بديانها، إذ كانت كشيء آخر.

أحوال الارض
على الإجمال

البحار واسم
في إيراد الكلام
عليها

ونحن نُسَمِّ الجبال على الأشجار، لأنها أعلى أعلاما، وأثبت في مواضعها مقامها، وأكثرها على حالها، لا تتغير دواما.

كلمة من الجبال

والذي نقول الآن: إن الجبال كلها منتسبة من الجبل المستدير بغال معمر الأرض. وهو المسمى بجبل قاف، وهو أم الجبال. كلها منشعب منه. فتتصل في موضع. وتنقطع في آخر. وهو كاللدائرة. لا يعرف له أول على التحقيق. إذ كانت الحلقة المستديرة، لا تعرف طرفاها. وإن لم تكن استدارته استدارة كُرَيَّة، ولكنها استدارته إحاطة، أو كالإحاطة.

ظنية في تصورها
طاهرا أو دسسا

فلما لم تنف له على أولي على التحقيق، قدرنا له أولاً، وهو: كَيْفَ السَّدَّ الجبوني .
وَيُدِيرُهُ بالمعمور . يتصل في موضع اتصاله، وينقطع في موضع انقطاعه، إلى كَيْفَ
السَّدَّ الشمالي: حيث الفُرْجة التي ساوى الإسكندر ذو الفريين فيها ، كما قال تعالى
”بين الصَّدَفَيْنِ“ وأقام السَّدَّ وعمل الباب، على ما هو مرسوم في لوح الرسم .



ما هو جبل
قاف، وندحر ابي
المسلمين، هو أم
الحال

و مجموع هذا الجبل - منصله ومقطعه في كل مكان، شرقاً وغرباً وجنوباً
وشمالاً - هو جبل قاف . وهذا هو المستفيض على الألسنة، الطائرين العالم، بما
يعبر به عند كل منهم، على ما تقتضيه اختلاف الألسنة واللغات .

وفد زعم بعضهم أن أمتهات الجبال جبلان: نَخْرَجَ أحدهما من لَدُنِ البحر المحيط
في المغرب، وأخذ جنوباً، وخرج الآخر من لَدُنِ البحر الرومي، وأخذ شمالاً، حتى
ملاقيا عند السَّدَّ . وسمَّوا الجبوني قاف . وسمَّوا الشماليَّ جبل قافوناً . والأظهر - والله
أعلم - أنه جبل واحد محيط بغالب بسط المعمور، لا كما هو البحر . محيط بجميع كرة
الأرض، وأنه هو الذي تصدق عليه التسمية بجبل قاف في كل قطر ومكان؛ ولا
يُعرف في الجنوب إلا هذه التسمية، ويُعرف في الشمال بجبل قافوناً . وبهذا نزول
شبهة من ظنَّ أن كلاَّ منهما عبر الآخر . والله أعلم .

ما هو الجبل المحيط
وكيف سببه

والذي نقول، وبالله التوفيق! إن هذا الجبل المحيط بغالب المعمور مدوَّه من كنف
السَّدَّ آخذاً من وراء صنم الخطأ المحجوج إليه، إلى شُعْبَتِهِ الخارجة منه المعمول بها
باب الصين، آخذاً على غربيّ صين الصين، ثمَّ ينعطف على جوبيته مستقيماً في نهاية
الشرق، على جانب البحر المحيط، مع الفُرْجة المنفرجة بينه وبين البحر الهندي الداخلة،
ثم ينقطع عند مُخْرَجِ البحر الهندي المحيط مع خطِّ الأستواء، حيث الطولُ مائة

٣٢

وسبعون درجة) علم عليها في لوح الرسم **قع** بحساب الجمل، ثم يتصل من شعبة البحر الهندي الملا في لشعبة المحيط الخارجة على بحر الظلمات من المشرق، يجنوب كثير من وراء مُحَرَج البحر الهندي في الجنوب؛ وتبقى الظلمات بين هاتين الشعبتين: شعبة المحيط الجانية على جنوب الظلمات شرقا بغرب، وشعبة البحر الهندي الجانية على الظلمات شرقا بغرب، حتى تتلاقى الشعبتان عند مُحَرَج هذا الجبل، كتصصيل السراويل. ثم يفرج رأس البحرين المتلاقيين شعبتين على مبدأ الجبل، ويبقى الجبل بينهما كأنه خارج من نفس الماء. ومبدأ هذا الجبل **قه** هنا وراء قبة أرين، عن شرقها. وبعده منها خمس عشرة درجة. وقد علم صاحب جغرافيا قبالة مبدأ هذا الجبل في القسم الشرقي طولا. وذلك بعد أن آتته درجات القسم الغربي عند قبة أرين إلى سبعين درجة، علم عليها في لوح الرسم **ح** فكان هذا المقدار **ده**. وهو هاوت ما بين العدين.

ونال لهذا الجبل في أوله: **الحجرد**. ثم يمتد حتى ينتهي في القسم الغربي إلى طول خمس وستين درجة من أول المغرب. وقد علم عليها في لوح الرسم **سه**. وهناك يتشعب من الجبل المذكور جبل القمر، وينصب منه الليل. ويقال إن به أحجارا براقعة كالفضة البيضاء، تلالأ، تسمى صعبة الباهت: كل من نظرها، صحت وآلصق بها، حتى يموت. وتسمى مغناطيس الناس. قال صاحب جغرافيا، وقد ذكره أرسطو في كتاب الأحجار.

جبل القمر.

(١) في الأصل. ومحرَج.

(٢) صطه بعض أهل الجغرافيا هتج القاف والميم. والثقات مهم على أنه بضم القاف وسكون الميم (أنظر تقويم البلدان طبع باريس صفحة ٦٤).

وتتشعب منه شُعب تسمى آسيفي . يقال إنه مسكون ، وإن اهله كالوحش .
والله أعلم بصفة ذلك .

ثم ينفرج منه فُرجة ، ويمرُّ منه شُعب إلى نهاية المغرب في البحر المحيط ، تسمى
جبل وحشية : به سباع لها قرون طوال ، لا تُطاق .

وينعطف دون تلك الفُرحة من جبل قاف شُعب منها شُعبان إلى حط
الأسواء مكتنفان مجرى الليل ، من الشرق والغرب .

فالشرقي ، يُعرف بجبل قاقولي ، ويمقطع عد خط الأسواء .

والغربي ، يُعرف بأدممه . نحري عليه نبل السودان . المسنى في جعرافنا بحر
الدامم . ويقطع تلفاء محاللات الحبشه ، ما بين مدينتي سمغرة وجيمي .

وراء هذه الشُعبة ، تمتد شُعبة منه ، هي الأُم من الموضع المعروف به الجبل آسيفي
المفدّم المذكور إلى خط الأسواء ، حيث هو الطول هناك عشرون درجة . وقد علّم
عليها في لوح الرسم ك .

ويُعرف هناك بجبل كرسفانة . وبه هناك وحوش صارية . ثم ينهي إلى البحر
المحيط وينقطع دونه بفُرحة معروجه . وذلك وراء التكرور ، عند مدينة قلتبو . ووراء
هذا الجبل هناك سودان ، يقال لهم تمّ ، أكلون الناس . وستأتي جملة من أخبارهم
في موضعها ، إن شاء الله !

ثم تتصل الأُم من شاطئ البحر التامّي في شماله ، شرقي رومة الكبرى ، مسامتا
للشُعبة المسماة أدممة المنقطعة بين سمغرة وجيمي لا تكاد تحيطها ، حيث الطول خمس

(١) هكذا في الأصل . ولعلها مم . (وأعتبر لفظة Niam Niam الأفريقية) .

وثلاثون درجة علامتها في لوح الرسم له . ويضع منشأ اتصال هذه الأتم في رسم خط العروض على نى . رَسَمَهَا في لوح الرسم . وكذلك تقع شُعْبَتُهَا أَخْذاً في الجنوب إلى الخط المَعْلَم عليه الأطوال في لوح الرسم ، عند أخذها ما بين سردانية وبلنسية على نى .

- ٥ ونسألهي وصلة هذه الأتم إلى البحر المحيط في نهاية الشمال ، قبالة حرية برطانية .
 وتبقى سوسنة داخل الجبل . ثم تمتد هذه الأتم بعد آقطاع لطيف وتنعطف مع انعطاف خرجة البحر المحيط في الغرب بشمال على الصقلب المسماة بحر الأقليشين^(١) ممتداً إلى غاية المشرق . ويسمى هناك بجبل قاقونا . وتبقى وراء البحرة الحامدة اشدة البرد . ثم ينعطف من الشمال المشرق جنواً بتعريب إلى كَيْف السد الشالى . فتلاوى هناك الطرفان . وبنهما في الفرجة المنفرجة ، ساوى الإسكندر بين الصّدفين .

١٠

ومحى بكرها ما في لوح الرسم من الجبال ، وتقسمه على أربعة أقسام ، نتخزأ بها المعمورة طولاً وعرضاً .

١٥

فهي العرض مماً وراء خط الاستواء من المعمور المقدر عرصه بإقليم ووصف إقليم مماً أخذ له عرض لأرتفاع الحمل والميزان وهو جزء مقدر بنصف إقليم فيكون ذلك تتمّة لمدر إقليمين من وراء خط الاستواء حيث انتهى أخذ العرض هالك مماً ابتدئ من قبة أرين جنوباً عشرين درجة ، وقد علم عليها في لوح الرسم ك إلى حيث نهاية المعمور وراء الروسية الثانية ، خارج الإقليم السابع في الجزء المنقدر بصف إقليم مازا مع الإقليم السابع من أول المشرق إلى آخر المغرب حيث انتهى

- أخذ العرض هناك إلى خمس وسبعين درجة على ما قدمنا ذكره، وقد علم عليه في لوح
 الرسم ٥٤ قاطعا في الطول على خط مستقيم من المشرق إلى المغرب يقع وسطه
 على خط العروض في جزء أخذ عرضه على خمس وثلاثين درجة وهو ما بين خوز
 وعبادان. وقد علم عليه في لوح الرسم ٥٥. ووقع هذا الخط في المشرق أخذا على
 جنوب السد^(١)، ما زلنا على جنوب كرمان إلى أن ينتهي إلى البحر الشامي حيث مخرج
 الخليج القسطنطيني منه ما بين قبرس ورودس إلى آخر المغرب. وموقع هذا الخط
 على وسط الأقاليم السبعة المقسمة. فيكون على خط نصف الإقليم الرابع مقسومة
 عليه الأقاليم السبعة نصفين على جانبيين. وموقع هذا الخط الوسط منها.
 (وأما جبال مكة والمدينة. فإننا نذكرها بعد الأرباع، مفردة بذاتها، لتتوفر عليها
 المادة بإفرادها.) ١٠

(١) في الأصل السد.

فاربِع الأول

من هذه الأرباع المفسومة الآن، هو الربع الشرقي الآخذ إلى الجنوب،
 وبه من الحال في جزيرة القمر العظيم من المعمور الخارج عن خط الاستواء:
 جبل يعرف بجبل قدم آدم. فال إن آدم (عليه السلام) أهبط عليه . وهو
 جوبي جريه سرنديب.

حال الربع
الأول

حريرة القمر

حل قدم آدم

ووراءه جبل كأنه باء محذوفة الذيل (ب) . ذكر صاحب جغرافيا في لوح
 الرسم أن أهله سود يأكلون الباس . تقع حدفة ذيله على خط الأسواء، على جزء
 بلع طوله مائة درجة ونحس درجات . وقد علم عليه في لوح الرسم ^(١) من
 حساب الحمل .

ووراءه ثلاثة جبالٍ مقطعة، صفارا، يتلو بعضها بعضا، أولها جبل شرقي
 هذا الجبل عند قائمته الأولى المشبهة برأس ماء متلو كتنلوي الأرفم [ز | .
 في صفحه مديه علم، وويليه من شرقه الثاني وهو جبل آخذ على مدينتي ملاي
 وسمردى . ذكر صاحب جغرافيا أن الذهب والحديد به كثيران، وويليه من شرقه،
 الثالث، وهو: جبل هو أصغر الثلاثة، غربي مدينة معلًا.

ثم ما هو داخل تحت خط الاستواء جبل كثير الشهرة، وهو المشهور في أواخره
 بجبل الديلم . ومنشؤه من البحر الهندى غربى المنيار . يأخذ ممتداً إلى الشمال

حل الديلم



(١) العدد يدل على أنها : قه

(٢) في الأصل : ما.

على ورايب. في ذيله الغربي كابل. ثم يخرج إلى قسم هذا الربع الآخذ إلى الشمال، ويقع هناك على أصفهان، وتنتهي شعبته على منبع نهر مكران، المآذ إلى السند. وعليه من ذلك الميل في شرفيه، المَحْمَدِيَّة. ذكرناها هنا علامة لهذا الجبل. وإذا قد ذكرنا هذا الجبل يجموعه هنا، لم يبق حاجة إلى ذكره في قسم هذا الربع.

ومن ذلك جبل آخذ على مستقيم هذا الخط الواقع وسط الأقاليم السبعة المخرجة هذه الأربع عليه. ويمتد هذا الجبل مُشْرِقًا على تَلَوٍّ في أوله، مَارًا، إلى مسامطة باب الصين على جنوبيه. وهناك يتصل بالأثم. وتمتد منه شعبة آخذة في الجنوب إلى البحر الهندي ممّا وراء المعبر، مدينة ازهونة. وذلك جميعه خارج عن الأثم، منقولاً من لوح الرسم.

والربع الثاني

حال الربع
الثاني

من هذه الأرباع المقسومة الآن هو الربع الغربي الآخذ إلى الجنوب .

به من الجبال تحت الأُم الخارجة من شعبتي البحر المشبهة بتفصيل السراويل
المقدمة المذكور، ثلاثة جبال :

٥ (الأول) منها وهو الشرقي جبيلٌ آخذ عن الأُم على جانب فرجة بينهما ،
ممتدا إلى خط الاستواء حتى وقع عليه ويقطع عنده . وتقع مدينة لفرمانه في ذيله
على شرفيه ، وبوشة في ذيله على غربيه .

وبليه (الثاني) على غربيه وهو جبيلٌ آخذ إلى مدينة تسويه . وينقطع هناك .

وبليه (الثالث) على غربيه وهو جبيلٌ يعرف بجبل حافولي . ذكر صاحب

١٠ جغرافيا في لوح الرسم أنه معروف عند المسافرين . يأخذ على شرفي النيل حتى
ينتهي إلى مدينه فرفوة حيث آخر خرجة البحر الهندي . وقد بها على ذكر هذا
الجبل . عند وصفا للأُم لمدكورة ، وأشارا إلى أن مخرج الأُم يقع قبالة من نمالي
البحر الشامي ، على ما تقدم ذكره .

٢٧١

وعن يسره جبيلٌ آخذ على شرفي النوبة .

١٥ ومن ذلك جبيلٌ يقع منه جنوبا مع غريب كثير كأنه "لا" معالقة بالخط
المعربي [لا] .

ومن ذلك جبيلٌ آخر مقطوع ما بين حاخة وجيمي .

ومن ذلك دوسهما جبلان آخران أحدهما يأخذ على الواحات والآخر يأخذ
وراءه غربي بحيرة ناهون ، وشرقي بحيرة كوكورة .

ومن ذلك وراءه في غريبه جبلٌ كأنه رأس صاَد بالخط المغربي [ح]
وسطه بطحاء سهلة، لا وصول إليها من كل جهة، إلا بعد صعود الجبل والتزول إليها
جانبه الداخل . يجرى منه النهر الواصل إلى القيروان المنتهى إلى البحر الشامي .

ويليه جبلٌ يعرف بالفتح كأنه فردة صولجان . عليه حصن الملح وجرولة .
وتنصبُّ منه أنهارٌ إلى المحيط .

ومن ذلك جبلٌ يأخذ بين فاس ومجلماسة وينصبُّ منه نهرين أسفني
والمزقة حتى يصب في البحر المحيط، شرق طنجة .

ومن ذلك جبلٌ منقطع ينشأ في أواخر خط الاستواء غربا، حيث الطول
من الغرب خمس عشرة درجة، عَلم عليها في لوح الرسم يد من حساب الجُمَّل .
ويأخذ جنوبا إلى البحر المحيط .

ومن ذلك جبالان يعرفان بجبل كرسقانة وجبل وحشية . وقد تقدم ذكرهما .
وذلك كله خارج عن الأتم، منقول من لوح الرسم .

والربع الثالث

الغربي الآخذ إلى الشمال



حال الرابع
الثالث ، وهي
حال الأندلس

به من الجبال جبلٌ آخرى جربه الأندلس ، في جنوبها من البحر الشامي
من إسبيلة إلى بَلْبُوس ، وأصبَّ منه هران : أحد أحدهما على إسبيلة ماراً بينها
وبين مالفه حتى صبَّ في البحر الشامي ، والثاني منها أخذ على البيرة وصبَّ
في البحر المحط .

وفي شرفه جبلٌ أخذ من فوزه إلى وادي آش ، عليه هكل الرّهرة ، وأصبَّ
منه هر مرة على وادي آش وأحد شرقي عرّاطه إلى قُرْطُبه ، وصبَّ في البحر
الشامي .

وفي سرقه جبلٌ نرح من البحر المحط ، من شمالٍ معرباً وأخذ ماراً
في الأندلس إلى بَلْسَبَة وآسهي إلى البحر الشامي .

وهذه الحال كلها وراء وصلة الأم الخارجة على شرقي رومه الكبرى .

ولولا نخرح الأم ها ، لما أمتع سبيل الأندلس في البر إلى ملاد القسطنطينية
الكبرى والآل والأص والصقلب . ولوصل منه إلى جميع الأرض ، شرفاً وغرباً
وحواً وسملاً ، من عبر بحر حائل ولاليج مانع . فلما لم يبق للأندلس سبيل إلا
من البحر ، بقيت كأنها داخلة هذا الحبل المحيط بالمعمور ، وإن كان موقعه وراءه
من غربيته .

ذكرنا هذا هنا لمقتضيه ، إذ لم يمكن السكوت عنه .

ثم نعود إلى تمة الجبال الواقعة في هذا الربع الثالث .

فمن ذلك جبل يأخذ على بحر بنطس^(١) المتصل بالبحر الشامى ، من شرق هرقلة ويمتد إلى أنطاكية وحلب ويمتد في الشام على شمالى بعلبك ودمشق . ويحصر هذا الجبل البحر الشامى أخذاً معه إلى الجنوب ، على فرجة بينهما تلك الفرجة هي موقع مدائن الروم وهي المسماة الآن ببلاد الروم ، مثل قونية وقصرية وأنطاكية .



ومن ذلك جبل يمتد على ماردين وشهرزور وأخلاط . ينقطع ويتصل بجبل أذربيجان . وتتصب منه أنهار كثيرة : منها ما يصب في البحر الشامى ، ومنها ما يصب في بحر بنطس^(١) ، ومنها ما يصب في البحر الهندى ، ومنها ما يصب في البحيرة البلاءة المقاربة للسد . ويتصل هذا عن فرجات بجبل طبرستان المازين أذربيجان وغزنة . وكذلك يتصل به جبل طوس الآخذ بينها وبين جرجان ، حيث يخرج خط أخذ العروض .

ومن ذلك جبالان منقطعان ، وراء بحر بنطس^(١) ، من شماله بشرق . آخذان على بحيرة الجارس عن شرقها وغربها .

وذلك كله خارج عن الأثم ، منقولا من لوح الرسم .

(١) في الأصل "بنطس" وكذا هو في تفويم البلدان لأبي الفداء . ولكننا اعتمادنا ضبط ياقوت .

والربع الرابع

حال الربع
الرابع

من هذه الأرباع المسمومة، وهو الربع الآخذ إلى الشمال، وبه تمامها .

١) به من الجبال، جبلٌ منقطع ما بين بلاد السد وبين نوار . وسمي القموج

يحرى نهر مكران حيث يقطع مدى الصحراء على ذله ويخرج هناك .

٢) ومن ذلك جبلٌ ينزل به غرغر البار . به باب الصين .

٣) ومن ذلك جبالٌ انحطت المحبطة بها على باش بالقي ، وآل بالقي ، وحاد بالقي .

ومن ذلك جبلٌ منقطع ، كأنه صليب ذهب أحد شعبه . ومدينة طقار في ذله

المعرب . وشعنته الخارجة تقع بلاد اليأس في ذيلها .

ومن ذلك جبلٌ منقطع متلؤ كالأرقم ، من غربي بلاد أسحور إلى نهاية العمارة

١٠ في الشمال . ومنه يصب فرع نهر جيحون .

ومن ذلك جبلٌ في صحراء الفجاء . أحد على معطف النهر المتصل بالمجبرة

الجامدة من شدة البرد .

(١) أطل كثيرا أن الميم وقعت في هذا الاسم بدلا من النون طريق السهو . بهذا المكان مشهور باسم قنوج

ويسمى عند الفرنسيين 'Indou' .

(٢) سماه أبو الفداء بـهـرأب وكذلك المؤلف مما أتى . هذا الجزء وهو المشهور بـهـرأب

وعند الفرنسيين 'Indu' .

(٣) لعلها . التار .

(٤) لعلها : شش .



ومن ذلك جبلٌ منقطع ينصبُّ منه فرعٌ إلى نهرٍ إيتيل^(١) في شرقٍ صحارى
القبجاق أخذًا بشرق مدينة أوتنا . ووراءها عبدة الشياطين ، على مارسم صاحب
جغرافيا في لوح الرسم .

ومن ذلك شعبة آخذة من الأثم إلى جنوبٍ مغربٍ ، ينصبُّ منه ماءٌ إلى النهر
المنتهى إلى البحيرة الحامدة .

ثم إنا نذكر هنا ما رأينا إفراده في هذا المكان ، ليكون أوضح لبيانهِ ، وأدَل على مكانهِ .
وهو الجبل المتمد على الشام ، وجبالٌ شهيرة بجزيرة العرب .

(١) هو المعروف الآن في الجغرافيا الحديثة بنهر فولجا Volga . ومعنى إيتيل بفتح الالف أوبكسرِها
النهر في لغة الأتراك . وهو ببلاد روسيا ، وأكبر أنهار أوربة .

جبال الشام
وأصلاتها

فأما الجبل الممتد على الشام

- فإن أوله بالشرق من الصين من البحر المحيط . فيقطع بلاد التتر على معادنها إلى أن يأتي فرغانة إلى جبال البتم الممتد بها نهر السغد إلى أن يصل الجبل إلى جيحون فينقطع، ويمضي في وسطه بين شعبتين منه، وكأنه قُطِعَ ثُمَّ [وَصَلَ] في وسطه . ويستمر الجبل إلى الخوزجان ويأخذ على الطالقان إلى أعمال مرو الروذ إلى طوس . فتكون جميع مدن طوس فيه . ويتصل به جبال أصبهان وشيراز إلى أن يصل إلى البحر الهندي . وينعطف هذا الجبل ويمتد إلى شهرزور إلى سهرود . فيمر على جباله بسائر دجلة . ثم يتصل بجبل الجودي، مَوْقِفِ سفينة نوح (عليه السلام) . ولا يزال هذا الجبل مستمراً من أعمال آمد وميا فارقين حتى يمر بغير حلب . ويسمى هناك جبل اللكّام . ويستمر جبل اللكّام إلى أن يُعَدَى الثغور فيسمى بهذا حتى يجاوز حصص فيسمى لبنان . ثم يمتد على الشام حتى ينتهي إلى بحر القلزم من جهة ، ويتصل من الجهة الأخرى ويسمى المَقَطَّم . ثم يتشعب وتتصل أواخر شعبه بنهاية المغرب . ونحن وإن كنا قد ذكرنا هذا الجبل ، كليّه وجزئيّه ، مما تقدم على ما اقتضاه الإيضاح في موضعه على ما صور في لوح الرسم في أما كنه ولكنا أردنا هنا اتصال لحته ليعرف كيف هو بأسمائه فيما يمر عليه في الأرض من شرقها إلى مغربها .

فأما جبال مكة

فاعظمها وأحدها بالقديم وإن بُعد عن مكة مكانا جبل عرفات ، موقف الحج الأعظم ، وركن الحج الأكبر .

ومنها جبل أبي قبيس ولونه أذكى إلى البياض قليلا وإنما قيل له أبو قبيس لأن الحجر الأسود اقتبس منه وقيل هو اسم رجل من مدح كان يُخَنَّى أما فليس عرف به لأنه أول من بنى فيه . كذا قال الزمخشري : وقال أبو القاسم السهيلي : عرف برجل من جرهم كان قد وسى بين عمرو بن مضا ، وبين أبنه عمه مية فمدرت أن لا تكلمه ، وكان شديد الكف : يا - تخاف ليقتل قبيسا ، فهرب منه في الجبل المعروف به ، وأنه قطع حبره . فإما ماب . وإنما تزدى ، فسمى الجبل أما قبيس . وقال ابن عباس : هو أول جبل وضع على الأرض . رواه أبو عمرو به وأبو بكر بن أبي شيبة . وقال الزمخشري : كان يسمى في الجاهلية الأملب ، لأن الركن كان مستودعا فيه ، عام الطوفان . وفي أعلاه مار إبراهيم عليه السلام . وقد جاء في بعض الآثار أن ذلك المار على الموضع الذي نادى منه إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام بحج بيت الله الحرام . والأكثر أنه نادى من أعلى المقام . وفي أصله الصفا . ومنه يصعد إليه من ناحية المسجد . ويصعد إليه أيضا من شُعب أجياد الصغير . وأبو قبيس أحد الأخشين . وهو أقرب الجبال إلى المسجد الحرام . وهو بإزاء الركن الأسود من الكعبة .

وجبل الخندمة^(١) وهو على أبي قبيس من ناحية المشرق . وهو جبل أحمر محجر . فيه صخرة كبيرة شديدة البياض كأنها معلقة ، تشبه الإنسان إذا نظرت إليها

(١) في الأصل "الحندة" بالمهمله ، ولكن ياقوت والقاموس ذكرها في باب الحاء المعجمة .

من بعيد. نبدو من المسجد من باب السهميين الصغير. وفي هذا الجبل تحصن أهل مكة، إذ أحاط بهم القرامطة وقلعوا الحجر الأسود وأخذوا الشمس وجميع ما كان في الكعبة، إلى أن رده الله إلى موضعه، على يد ولد الذي قلعه. وتحت هذا الجبل شِعْب علي بن أبي طالب (رعى الله عنه).

والجبل الأبيض. الذي على الأطح إلى باب الملى يسمى عاضرة. ٥

والجبل الآخر. على المحون ووجهه إلى قُفَيْعَانَ، على قبر عبد الله بن الزبير. ٥

والأخاشب والجبابج. جبال مكة. وفيه الثنية، وهي العقبة. وعند أصله بقيع مكة. ومن هذا الجبل إلى الجبل الأبيض بجى المقتدر السور، وجعل له بابا من حديد وهو المعروف بباب مَنى، وشِعْب الحُصَّص. ٥

وجبل قُفَيْعَانَ. وهو يقابل أبا قُفَيْس من ناحية الشمال. وهو جبل أخضر. ١٠

بقال من الكعبة ما بين الركن العراق والميزاب. وهو حد أخشي مكة.

وجبل أجباد. إنما سمي بأجباد لأن الله تعالى لما أذن لإبراهيم وإسماعيل برفع

القواعد من البيت، أعطى كل واحد منهما كثرًا من كنوزه. فأوحى الله إلى إسماعيل:

”إني معطيك كثرًا من كنوزي، لم أعطه لأحد قبلك. فأتخرج فنناد بالكثرة، يأتك“.

قال فخرج إسماعيل - وما يدرى ذلك الكثرة ولا يدرى كيف الدعاء به - حتى أتى أجباد. ١٥

فألمهم الله إسماعيل الدعاء بالخيل: ”باخيل الله، أجيبي!“ فلم يبق في بلاد العرب

كلها فرس إلا أنه وذللّه الله له، وأمكنه من نواصيها. قال ابن عباس: فلذلك سمي

ذلك الموضع بأجباد. وكانت الخيل قبل ذلك كسائر الوحوش. فقال شاعر قصير

يرتجز بذلك: ^(١)

أوناً الذي لم تُركب الخيل قبله * ولم يذّر خلق قله كيف تُركب!

وجبل ابن عمران، وهو الجبل الأسود الذي بين أبي قُبَيْس وأجباد . وهو خلفها . يظهر على بعد كأنه بينهما . يقابل من الكعبة الشق الباقى . فهذه الجبال المحيطة بالمسجد الحرام .

ثم في العطف في آخر ذى طوى في طريق التعميم جبل البكاء . وقربه على يسار حل البكاء . الماز إلى التعميم ، الحجر الذي قعد عنده رسول الله ، (صلى الله عليه وسلم) مستريحاً عند إقباله من العمرة . فلآن فيه موضع رأسه ، حتى استند إليه . وهو مشهور بقعد الناس عنده ، عند أنصرفهم من العمرة ، وعند جبل البكاء تحته مما يلي الغرب .

قال الفاكهي : وبمكة في بفاجها وشعابها من باب المسجد إلى مار مسجد سقايات مكة . التعميم وجميعه نحو من مائة سقاية . وفي أصله مما يلي الشمال مياه ، وكانت قد بنا بساكنين . والوادي أسفل منها في المحجة . كل ذلك على يمين الماز إلى التعميم . وشامة وطفيل . تحت الثنية السفلى غربى ذى طوى .

ومن ناحية الشرق في طريق منى جبل ثبير . وهو حل عظيم مرتفع أسود كثير المحارة في عطف وادى إبراهيم (عليه السلام) من يسار الماز إلى منى . قال السهيلي : "عرف رجل من هذيل . مات مدعى به يعرف به الجبل" . وقال الزمخشري : "سيران جبلان مفترقان تصب بينهما أفاعة ، وهى واد يصب من منى ، قال لأحدهما ثبير غيتا وللآخر ثبير الأعرج ."

ثم جبل حراء . وهو على يسار الماز إلى منى أيضا . وهو الجبل الذى كان

(١) لعله حين

(٢) هكذا فى الأصل . ٢٠

حُبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَلُوءُ فِيهِ، حَتَّى أَتَاهُ الْوَحْيُ. وَلَيْسَ فِيهِ غَارٌ.
إِنَّمَا كَانَ فِيهِ مَوْضِعٌ مِنْهُلٍ شَبِيهِ بِالْحَوْضِ فِي أَصْلِ صَخْرَةٍ عَظِيمَةٍ فِي أَعْلَى الْجَبَلِ.

- حل ثور وجبل ثور ليس في جبال مكة أعلى منه ولا أوعر . وهو خلف مكة على
طريق مكة . يسمى ثور أطلح . والفار في جانب منه ، في أعلاه دون التنبية
فليلا . وفيه نزل جبريل على النبي ، صلى الله عليه وسلم . والفار الذي آخفى فيه ه
عليه السلام مع أبي بكر صحرة واحدة مصيبة ، ومدخلها ضيق طوله خمسة أشبار إلا ثلثا
وعرضه في أوسع مكان فيه ، شبر وأربع أصابع . وصفة الغار أنه مستطيل من
ناحية الغرب إلى الشرق ، وليس نفائض إلى أسفل . طوله ثلاثة وعشرون شبرا ،
وعرضه تسعة أشبار إلا ثلثا . وله باب ثان في آخره ، من ناحية الشرق . وهو
الذي وصفه جبريل عليه السلام حين ضربه محتاحه إلى الصخرة ، فأنفج هالك باب ١٠
طوله سنة أشبار وعرضه أربعة . وفيه خرج عليه السلام ، يوم خرج إلى المدينة .

- حال المدينة المنورة وأما جبال المدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، فأشهرها
حل أحد حل أحد وهو حل أحمر أعلاه دَكْدَكٌ . بينه وبين المدينة ميل وأفسح فليلا .
في تسمى المدينة . وفيه قال النبي صلى الله عليه وسلم : " أَحَدُ جَبَلٍ يُحِبُّا وَحِجَّةُ " .
وفي الحديث أنه يكون يوم القيامة أحد ركعتي باب الجنة . ويعضده قوله صلى الله
عليه وسلم . " المرء مع من أحب " . كذا قال السهيلي . وجبل سلع . وهما
حل ثور وحل ثور أشهر الجبال هناك . وحل ثور وغلط فيه بعضهم . وجبل عير والحرم ما بينه
وبين أحد .

فهذه هي جميع الجبال الشهيرة، والأعلام الظاهرة في جميع المعمورة وما قاربها .
لم نخل منها إلا بما لعل صاحب جغرافيا لم يُصوِّره في لوح الرسم؛ وإن كان، فهو
القليل . وفيما ذكرناه كفاية .



° وأما الأنهار المعروفة فحسب نذكرها ما في لوح الرسم من الأنهار ونقسمه على
اربعة أقسام نتخّذ بها المعمورة طولا وعرضا، كما ذكرناه فيما تقدم قبل ذكر الجبال .
وبالله التوفيق !

فالقربع الأول

أنهار الربع الأول من هذه الأرباع المقسومة الآن هو الربع الشرقي الآخذ إلى الجنوب . وبه من الأنهار ما يُذكر .

من ذلك في جربة القمر العظمى ثلاثة أنهار :

٥ شرقها آخذ من قفطورا ومعلا .

وبليه ثانيا في غربيته ينصب من جبل قدم آدم على مدينة سسابا ، ويأخذ مازا إلى مدينة قفدرا . ويمجر هناك بحره في جنوبيها مدينة كيما حيث محل السودان الذين يأكلون الناس .

١٠ ولبها ثالثا في غربيته ، ويخرج من الجبل المشبه بياء محذوفة الذيل [٥] . يُطَوَّقُ بمدينه دَهْمَى ، فتبقى مدينة دهمى بيله وبين البحر الهندي في جزيرة بينهما . تكون هو محيطا شرقا وجنوبا وغربا . فتكون لذلك كالجزيرة ويتصل شمالها بالبحر الهندي . وتقع مدينه هورانه في عربيه حين يصب في البحر الهندي .^(١)

ومن ذلك نهر ينصب من جبل فاف عند وصلة الأُم في شعبي البحر المشبه بتفصل السراويل . وينصب في الشعبة الجنوبية من تلك الشعبتين على مدى غير بعيد . وذلك جميعه غير منقول من لوح الرسم .

١٥

(١) لعله : "حب" . [والكلمة الآ في الاصل ربما يصح التعبير بها .]

والربع الثاني

من هذه الأرباع المقسومة، وهو الغربي الآخذ إلى الجنوب.

أنهار الربع الثاني

وبه نهر ينصب من جبل قاف، مازا في الشمال إلى خط الاستواء حتى ينصب في البحر الهندي شرقاً قبة آرین .

ومن ذلك نهر ينصب من الجبل الماز على غربي مدينة لقمرانية حتى ينصب عند خط الاستواء في البحر الهندي .

ومن ذلك نهر النيل . وهو المهر الأعظم الذي لا يعدله في عظم نفعه شيء : لعظم ما عليه من البلاد وطوله في الأمم . وهو ينصب من جبل القمر . وقد قدما عند ذكر الجبال طرفا فيه ، وإن كان لا مقال بوقبه ، لأنه إحدى الكبر . وأولى العرب آية من آيات الله في أرضه ، وعجيبه لمن تأمل من خلقه . ساقه الله تعالى إلى مصر وأجبا به بلدة منا وسفاه أمة عظمى^(١) . وإن لم تكن هي المعتردة ببعه ، فإنها كالمعتردة به : لعظيم منفعها منه وعميم مصلحتها به . يحيى إليها أحوج ما كانت إلى عيشه ، ويصرف أحوج ما كانت إلى أنصرافه . وذلك تقدير العزيز العلم . (وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) .

وفيه يقول القاضي الفاضل : " النيل المصري الذي بكسو القضاء نوبا فضيًّا ، ويذكر في الأرض ماؤه سراجا من النور مضيًّا ، ويتدافع تياره دانعا في صدر الجلب يد الخصب ، وتوضع أمهات خلجانه المزارع ، فتأتي أبنائها بالعصف والاب . وفيه

كبتان للقاضي
الفاضل

(١) لعل الالوجه : أحيا به لدا ميتا وسق به أمة عطشى .

يقول أيضا: "وأما النيل فقد أمتدت أصابعه، وتكسرت بالموج أضالعه، ولا يعرف الآن بمصر قاطبة نهر سواه، ولا من يرجى ويخاف إلا إياه".

أصول النيل وحس نذكر كيف هو، فنقول والله أعلم: إن النيل ينصبُّ عشرة أنهار من جبل القمر المتقدم الذكر. كل خمسة أنهار من شعبة. ثم تبتجر تلك العشرة الأنهار في بحيرتين: كل خمسة أنهار تبحر بحيرة بذاتها. ثم يخرج من البحيرة الشرقية منها بحر لطيف يأخذ شرقا على جبل قافولى، ويمتد إلى مدف هناك، ثم يصب في البحر الهندي. ثم يخرج من تينك البحيرتين ستة أنهار. من كل بحيرة ثلاثة أنهار. ثم تجتمع تلك الستة الأنهار في بحيرة متشعبة.

وصول آخر سلاطين حذثنى أفضى القضاء شرف الدين أبو الروح عيسى الزواوى، أن الأمير أبا دبوس ابن أبي العلى أبو دبوس ووالده آخر سلاطين بر العدو من بنى عبد المؤمن حدثه أنه وصل إلى هذه البحيرة، في أيام هربه من بنى عبد الحق، ملوك بنى مرين القائمين الآن.

رجعنا إلى ذكر مجتمع تلك الأنهار الستة في تلك البحيرة وبعضهم يسميها: البطيحة. فنقول.

وفي تلك البطيحة تضريسة جبل: يفرق بها الماء نصفين.

يخرج الصف الواحد من غربي البحيرة. وهذا الصف هو المعروف بنيل السودان. ويستقل نهرها يسمى بحر الدمام. يأخذ مُقَرَّبًا ما بين سمفرة وغانة، على جنوبي سمفرة وشمالي غانة. ثم ينمطف هناك منه فرقة ترجع جنوبا إلى غانة، ثم تمر على مدينة برنسة، ويأخذ تحت جبل في جنوبيها خارج عن خط الاستواء إلى رُقيلة.

ثم يتبحر في بحيرة هناك . وتستمر الفرقة الثانية مغربة إلى بلاد مالى والتكرور حتى تنصب في البحر المحيط ، شمالاً مدينة قلَّبُو .

ويخرج النصف الآخر متشاملاً آخذاً على الله إلى شرقى مدينة جيمى . ثم يتشعب منه هناك شعبة تأخذ شرقاً إلى مدينة سَحْرَة . ثم ترجع جنوباً . ثم تعطف شرقاً بجنوب إلى مدينة سَحْرَة . ثم إلى مدينة مركة ، متبهاً في العود هناك إلى خط الاستواء حيث الطول خمس وستون درجة علم عليها في لوح الرسم سله . ويبحر بحيرة هناك .



مرور النيل
في بلاد السودان

ويستمر عمود النيل من قبالة تلك الشعبة شرقاً مدينة شيمى متشاملاً آخذاً على أطراف بلاد الحبش . ثم ينشامل على بلاد السودان إلى دُنْقَلَة ، حتى يرى على الجنادل إلى أسوان إلى قُوص ، متحدراً يسبق بلاد الصعيد شقاً ، حتى يقابل قرية تعرف بَدْرَة سَربام . وقد تعرف الآن بدروة الشريف : نسبة إلى الشريف ابن ثعلب ، التاثرى الأيام الفاهرية الركبة بالصعيد ، لمقامه بها .

ويتشعب منه في غريبه شعبة تسمى المُنهى ، تستقل نهراً يصل إلى القيوم . يقال إن يوسف (عليه السلام) أحتمره أيام توليه لأُمور ملك مصر . وهو يعرف إلى الآن ببحر يوسف . وهو نهر لا ينقطع جريانه في وقت من أوقات السنة ، بمحلا فبة ما يتشعب بالديار المصرية من خُلْجان النيل . فيسقى اليوم عانة ، سقياً دائماً لا ينقطع . ثم يُبحر فاضل مائه في بحيرة هناك .

مشاهدة للزمام
في بحر يوسف

ومن العجب - وهو مما رأيته بعينى - أنه ينقطع ماؤه من قُوّهته أو أنْ أنقطاع المياه من خُلْجان الديار المصرية ، ويندبى دون قُوّهته ، ثم يكون له بلل دون المكان

(١) هو هذا الصط في معجم البلدان لياقوت وتسمى الآن دروة الشريف (أو بيا. قل الزاء) . وهو تصحيف جرى على ألسنة العامة واستعاص .

المسكى، ثم يجرى جرياً ضعيفاً دون مكان الليل، ثم يستقل نهراً جارياً لا ينقطع إلا بالسفن . ويتشعب منه أنهار، وتنقسم قسماً ثم الفيوم لسقى قُراه ومزارعه وبساتينه وعانة أما كنه .

عمود السيل
في الصعيد

ثم نعود إلى ذكر عمود الليل الممتد : فقول .

- ٥ لأنه من درّود سريام حيث ينشعب المنهى يستمر في بقية الصعيد، يشقه شقاً إلى مدينة السطاط (وهي التي يسميها الآن عامة أهل مصر بمصر) حتى يتعدها .
(١١)
ثم يتفرق فرقي : تأخذ إحداها على دمياط، والأخرى على رشيد. وعندهما انتهاء الليل، ويصب في البحر الشامي .



- ومن مسدٍ هبوطه من أسوان ما زل في الصعيد إلى أن نصب فوقناه في البحر الشامي، نقسم منه الحار والأنهار، ونشعب منه الخللج والمساى . تجري في زيادته،
١٠ وتقطع في قصه .

- وحدثني الشيخ الثبت سعيد الدكالي (وهو من أقام بمالي خمساً وثلاثين سنة، مضطراً في بلادها، مجنماً بأهلها) قال : ” المستفيض ببلاد السودان أن السيل في أصله يحدر من جبال سود تبارك على بعد كأن عليها الغمام . ثم يتفرق نهري . يصب أحدهما في البحر المحط إلى جهة بحر الظلمة الجنوبي، والآخر يصل
١٥ إلى مصر حتى يصب في البحر الشامي “ .

م معرى أقام
بالسودان ٣٥ سنة
وأحر المؤلف عن
أصل النيل

قال الشيخ سعيد الدكالي . ” ولقد توغلّ في أسفار في الجيوب مع الليل . فوائته متفرقا على سبعة أنهر، تدحل في صحراء مقطعة، ثم تجتمع تلك الأنهر السبعة،

تدحل هذا العام
في الأسفار، لا يعرف
مع النيل

(١) وأسمها الآن مصر القديمة، ومصر النيقية .

(٢) هو بحر البحر الذي سقى الكلام يليه في صفحة ٦٨ وحاشيتها .

وتخرج من تلك الصحراء نهرا واحدا مجتمعاً . كلا الرؤيتين في بلاد السودان . ولم
أره لما اجتمع بالصحراء لأننا لم ندخلها ، إذ لم يكن بنا حاجة إلى الدخول إليها .
قلتُ : والأقوال في أول بحرئ النيل كثيرة . ذكر فيها المسعودي وغيره مالا فائدة فيه .
والشائع على ألسنه الناس أن أحداً ما وقف على أوله بالمشاهدة . وجعل كل واحد
منهم سبباً لعدم الوقوف على حفة أوله .

احتراف الأقوال
في أصل النيل

فقال بعضهم : إنه انتهى أناس وصعدوا الجبل فرأوا وراء بحراً عجاباً ، ماؤه
أسود كالليل ، يشفه نهر أبيص كالنهار ، يدخل الجبل من جنوبه ويخرج من شماله ،
ويتشعب على قبة هرمس المبنية هناك . وزعموا أنه هرمس الهرامسة ، وهو المسمى
بالمثلث بالحكمة .^(١) ويزعم بعضهم أنه إدريس عليه السلام . بلغ ذلك الموضع وبني به
قبة . قالوا : وسى بالمثلث ، لا اجتماع الثلاثة له : النبوة ، والحكمة ، والملك .

٤٩

وقال بعضهم : إن أناساً صعدوا الجبل ، وبقي كلما تقدم منهم واحد ، صحك
وصفق بيديه وألقى روحه إلى ما وراء الجبل . تخاف البقية أن يصيبهم مثل ذلك ،
فرجعوا .

وزعم بعضهم : أن أولئك إنما رأوا حجر الباه . فبق كل من رآه منهم ، صحك
وتقدم إليه وألتصق به ، حتى مات .

روايات عن بحرئ
ملوك مصر
الأقدمين عن
أصل النيل

وسبأني إن شاء الله ما ذكره صاحب الجغرافيا عن أرسطو في خاصبة هذا الحجر .
وقال بعضهم : إن ملكاً من ملوك مصر الأول جهز أناساً للوقوف على أوله .

(١) في الأصل : أن .

Triomegiste (٢)

فاتَّهَوْا إلى جبال من نحاس، لما طلعت عليها الشمس وأنعكست عليهم أشعتها،
أحرقت غالبهم فرجع البقية .

وقال بعضهم : إنهم اتَّهَوْا إلى جبال بَرَاقة لماعة كالبُور . فلما أنعكست عليهم
أشعة الشمس الواقعة عليها، أحرقتهم .

وقال بعضهم - وهو الصحيح - والله أعلم : إنه لثوعلٌ منبعه في الخراب المنقطع
من وراء خط الاستواء، فعذر السلوك إليه : لبعده المسافة وشدة الحر .

فإن قال قائل : فما مع قدماء الملوك ، مع ولعهم بمعرفة أحوال البلاد وحقائق
ماهي عليه ، أن يجهبوا من يقف على حقيقة أوله ؟ قلنا له : رأى فائدة نفى بركوب
هذا المهلك في أرض لا ينبت بها نبات ولا يعيش حيوان^{١٠} ، ولا يعرف مقدار
ما يستعد له المسافر ، ولا ما يستطهر به الطهر^(١) .

وإنما غالب ما يغال في هذا (والله أعلم) مما أظهره نظر العلم لانظر العيان .
والله من ورائهم محيط .

وإدفعنا من الكلام في الليل ، فلندكر نفيه الأثوار الشهيرة الواقعة في هذا الربع
الثاني . فنقول :

رأى المؤلف في أن
هذه الأقوال مبدية
على لطريات
العلية لأعلى
المشاهدة



قبة شهر الربيع
الثاني

- (١) مما يجب ذكره في هذا المقام أن سلطان مصر الملك الصالح نجم الدين الأيوبي كان يشتهي أن يعرف
سائر الليل . فسمي شواء عسدي ربح وما شاكلهم ، حل لم يستعروا . وسلبهم لصياد السمك
والبحارة ليعلمهم صحة البحر وميد السمك وأن يكون قوتهم من السمك لا غير . فاذا مهرؤا في ذلك تصعب
لهم مراك صغار ليركوا فيها ويأتوه بحر الليل . (أطرو مطالع البدور في منازل السرور، ج ٢ ص ٧٤ و ٧٥)
[والظاهر أن هذا المشروع لم يتم طرا للاضطرابات التي كانت حاصلة في مصر في ذلك الوقت أولا بهجوم
الصليبيين وثانيا فافراض السلاطة الأيوبية . وهذا المشروع قد تم بهصل اسماعيل خديو مصر الكبير في هذا
العهد الجديدي .]

ومن ذلك نهران ينصبان من الجبل المشبه برأس صااد بالخط المغربي [٢٠].

ياخذ أحدهما مشرقا ويستدير في بحيرة بين كوكورة المذكورة وبين محالان جاى ،
شمالى كوكورة وجنوبى محالان جاى . ثم يخرج مشرقا إلى بحيرة أخرى يتجر بها
غربى مدينة زافون . ثم يخرج متشاملا شمالا بغرب ، على غربى أرض الملح السواخة .
ثم تتشعب منه شعبة تأخذ جنوبا إلى مدينة أودغست^(١) ونستمر سائرة نهرا ماذا إلى
مدينة فاس ، فيصب في البحر الشامى .

وثانيهما ينصب آخذا إلى الشمال على مدينة القيروان إلى أن ينصب في البحر
الشامى .

ومن ذلك نهر يخرج من الجبل الفاصل بين فاس وسجلماسة مازا بين أسى
والمزما حتى يصب في البحر الشامى ، شرق طنجة . ١٠

ومن ذلك أنهار ثلاثة تنصب من الجبل المشبه بفردة صولجان : تجرى من
جنوب سجلماسة ، واحدا بعد واحد ، ونصب الثلاثة مفرقة في البحر المحيط .^(٢)

ومن ذلك نهر ينصب من الجبل المشبه بتعيق لا معلقة بالخط المغربي [٢١]
وراء خط الأسنواء . يصب في المحيط . وقد تقدم ذكر بعض هذه الأنهار ، في صمن
ذكر الجبال . وذلك جميعه منقول من خط الرسم .

(١) كذا في باقوت أودغست مصبوطة بالعارة ، وكذا في تقويم البلدان إلا أنه نص على إهمال الدال .

وفي الأصل اودعش ولعله تصحيف من الداع .

(٢) في الأصل . "وتصير" .

والربع الثالث

أهار الربع الثالث من هذه الأرباع المقسومة وهو الغربي الآخذ إلى الشمال، به ما يذكر من الأنهار:

نهر إشبيلية
أو الوادي الكبير
من ذلك، مما هو بجزيرة الأندلس نهر إشبيلية، ينصب من الجبل الفاصل بينها وبين قُرطُبة، وينصب في البحر الشامي. وهو من أحسن الأنهار وأجلها، محموف بالبساتين والدور والقصور، ومصت فيه - أيام ملك المسلمين لها - أوقات مسرة وهوى. وحكى الفتح بن خاقان، قال: "ركب عبد الجليل بن وهبون، وأبو الحسن علام البكري من إشبيلية في ليلة أنظّم من قلب الكافر، وأشد سوادا من طرف الظبي البافر؛ ومعهما علام وضىء قد أطلع وجهه البدر ليلة تمامه، على عصن بان من قوامه؛ ويس أيديهم شمعان قد أزرّتا بنجوم السماء، ومزقنا رداء الظلماء، وموهتا بذهب نورهما لجُنين الماء، فقال عبد الجليل أرجعنا: ١٠

كأتما الشمعتان إذ سمتا * خذاً علام محسن الفيد.

وفي حشا النهر من شعاعهما * طريق نار الهوى إلى كبدى.

وقال غلام البكري: (٢١)

أحبب بمظّر ليلة ليلاء * تُنجى بها اللذات فوق الماء.

في زورق يزهى بقرّة اغيد * يختال مثل البانة الفيناء ١٥

(١) هذه السحبات يظهر أنها من صفة آس، فصل الله .و إلا فالدى في "قلائد العقبان" (ص ٢٤٣ و ٢٤٢)

وفي "مع الطيب" (ج ١ ص ٣٥؛ من طعة أورنة) يخالفها، وهما متعلقان أيضا في بعض الألفاظ.

(٢) ها سمحات أعلها مؤلعا.

(٣) في المع: نَحَى.

قَرَنْتُ يَدَاهُ الشَّمْعَتَيْنِ بِوَجْهِهِ * كَالْبَدْرِ بَيْنَ النَّسْرِ وَالْجَوْزَاءِ .

وَأَلْتَأَحَ ^(١) فَوْقَ الْمَاءِ ضَوْءُ مَنِمَا * كَالْبَرْقِ يَخْفِقُ فِي غَمَامِ سَمَاءِ .

قُلْتُ : وَمِنْ هَذَا النَّهْرِ أَخَذْتُ إِشْبِيلِيَّةً ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ "لَسَبُ إِشْبِيلِيَّةَ عَقْرُهَا ،
وَسَاوَرَهَا أَرْقَمُهَا" . يَرِيدُ بِالْعَقْرِ شَرْفَهَا الْمُطَّلَّ ، وَهُوَ غَفْرِي الشَّكْلُ ، وَالْأَرْقَمُ
نَهْرُهَا . قَالُوا : وَهُوَ مِنَ الْعَجَائِبِ .

وَحَكِي أَبُو ظَافِرٍ ، قَالَ : "رَكِبَ [الْأُسْتَاذُ] ^(٥) أَبُو مُحَمَّدٍ بَنَ صَارَةَ [مَعَ أَصْحَابٍ لَهُ] ^(٦)
فِي نَهْرِ إِشْبِيلِيَّةَ فِي عَتَمَتِهِ سَالَ أَصِيلُهَا عَلَى الْخَيْنِ الْمَاءِ عَقْبَانَا ، وَطَارَتْ زَوَارِقُهَا
فِي سَمَاءِ اللّٰهُوَ عِفْنَانَا ، وَأَبْدَى نَسِيمُهَا مِنْ الْأَمْوَاجِ [وَالدَّارَاتِ سُرَرًا وَأَعْكَانَا ،
فِي زُورِفٍ يَجُولُ جَوْلَانِ الطَّرْفِ] ، وَيَسُودُ آسُودَادَ الطَّرْفِ [. فَقَالَ بَدِيهًا : ^(١١)

تَأْمَلْ حَالَنَا وَالْجَوْ طُلُقْ * مَحْيَاهُ ، وَقَدْ طَلَعَ الْمَسَاءُ .

وَقَدْ جَالَتْ بَنَاتُ عَذْرَاءٍ حُلِيٍّ * تَجَادَبَ مِرْطَاهَا رِيحُ رُحَاهُ .

بَنَهْرٍ كَالسَّجْنَجِلِ كَوْثَرِيٍّ * تُعَبِّسُ وَجْهَهَا فِيهِ السَّمَاءُ .

(١) في الفلاندروى الملح : تحت .

(٢) لسب : بمعنى لدع .

(٣) هو المعروف الآن عند أهل اسبانيا باسم Aljarafe .

(٤) أوردناها صاحب ملح الطيب عن البدائع رواية قرية حدّا من رواية آ ن فصل الله (ح ٢ ص ٢١٥)

(٥) (٦) الريادة من "بدائع البدائع" .

(٧) في البدائع : سأل أصلها . وهو علط مطبوع . [ووردت بالصحيح في ملح الطيب] .

(٨) في آبن فضل الله : جواربها [وقد استحسنت رواية فتح الطيب] .

(٩) في الفصح : النهر . [وقد استحسنت هنا رواية البدائع وآ ن فضل الله] .

(١٠) في البدائع : وطارت زوارقها في سماء الماء عقباناً . ورواية آ ن فصل الله أصل .

(١١) الزيادة عن البدائع والملح .

٥

١٠

١٥

٢٠

ولما وقف عليها ابن خفاجة، أستحسنها وأستظرفها وأستطابها. فقال يعارضها،
على وزنها ورويتها وطريقها:

أَلَا يَاجِبُّ ذَا صَحِّكَ الْحُمَيَّا * بِحَاتِبَا، وَقَدْ عَبَسَ الْمَسَاءُ!

وَأَدْهُمُ مِنْ جِيَادِ الْمَاءِ نَهْدٌ * تَنَازَعَ جَبَلُهُ رِيحَ رُخَاءٍ! ^(١)

إِذَا بَدَتِ الْكَوَاكِبُ فِيهِ غَرَقُ * رَأَيْتَ الْأَرْضَ تَجْدِبُهَا السَّمَاءُ. ^(٢)

ونهر مرقسطة. وهو نهر جليل كبير منسج الجوانب.

نهر مرقسطة

وذكر ابن حاقان أن المستعين بن هود ركب هذا النهر يوما لتفقد بعض معاقله،

المنتظمة بجسد ساحله. وهو نهر غزر مائه وراى، وأزرى على نيل مصر ودجلة ^(٣)

العراق. قد آكسفته البساتين من جانبته، وألقت طلاها عليه، فما تكاد عين الشمس ^(٤)

تنظر إليه. هذا على أنساع عرصه، وبعد سطح مائه وأرضه. وقد توسط زورقه ^(٥)

(١) في البدائع وآل: فصل الله: الليل. [وقد استحسن رواية مع الطيب].

(٢) في المعجم: تحدها.

(٣) يشير إلى قلاند العقيان (ص ١٨٥، ١٨٦). والحكاية صبا وهصبا في بدائع الدلائل (ص ٢١٤).

وأفطر مع الطيب طبع بولاق (ح ١ ص ٤٢٥، ح ٢ ص ١٨١). ولكن السجلات التي في القلائد هي ^(٦)

مخالفة للكافة التي أوردناها. فصل الله عن البدائع، والتي قلها أيضا صاحب مع الطيب. وأظهر مع ^(٧)

الطبيب طبع أوروة (ح ١ ص ٣٠٥، ج ٢ ص ٨١٨).

(٤) في البدائع وفي المعجم: رو. [وهي أرق].

(٥) في المعجم: وزرى.

(٦) في الأصل: على نهر نيل مصر.

(٧) في البدائع: ودجلة والعراق. [والرواية الثانية رائدة الطبع في أثناء الطبع]. ^(٨)

(٨) في البدائع: أن تظر. [ورواية أبر فصل الله أصل، وبمثلها في المعجم].

(٩) في البدائع: وبعد سطح الماء من أرضه. [وهذه الرواية أحسن وأتمن. وفي المعجم: وبعد سطح

مائه من أرضه].

زوارق حاشيته توسط البدر للاله، وأحاطت به إحاطة الطماوة بالغزاله . وقد أعدوا
من مكاييد الصيد ما أستخرج ذخائر الماء، وأخاف [حتى] حوت السماء . وأهله
المالات طالعة من الموج في سحاب، وقانصة من بنات الماء كل طائفة كالشهاب .
فلا ترى إلا صيودا كصيد الصوارم، وقدود اللهازم، ومعاصم الأبقار النواعم . فقال
الوزير أبو الفضل بن حسداى، والطرب قد أستهواه، وبديع ذلك المرأى قد أسترق
هواه، وأرتجل :

لله يوم أنيق واضح الغرر * مفضض مذهب الأصال والبكر!
كأنما الدهر لمأ ساء، أعتبنا * فيه بعثي وأبدى صفح معتذر.
نسير في زورق حف السفين به * من جانبه بمظوم ومتشر.
مد الشراع به نشرأ على ملك * بذ الأوائل في أبامه الأخير.
هو الإمام الهمام المستعين حوى * علباء مؤمن في هدى مقتدر.
تحوى السفينة منه آية عجا * بحر تجمع حتى صار في نهير.
تثار من قعره النينان مضعدة * صيدا كما ظفر الغواص بالدرر.
وللندامى به عب ومبرئسف * كالراح بعذب في ورد وفى صدر.
والشرب فى ود مولى خلقه زهر * يذكو، وغرته أبهى من القمر.

١٠

١٥

(١) فى آين فصل الله وفى المعج : المرج .

(٢) فى المعج : كقصد .

(٣) فى الدائع . حداى . وهو غلط مطبوع .

(٤) فى معج الطيب شرح لطيف واف على هذا الجمع (ح ٢ ص ١٨١، ١٨٢) .

(٥) فى الأصل : كالريق، وكذلك فى الفصح، وفى القلائد . [وأعتمدت رواية البدائع] .

(٦) فى الدائع وفى آين فصل الله : وبهجهته . [وأعتمدت رواية القلائد والمعج] .

٢٠

بقية أهارا الأندلس ومن ذلك نهر ثان ينصب من ذلك الجبل أيضا . ينزل على مدينة إلبيرة ، وينصب إلى المحيط .

ومن ذلك نهران يصبان من الجبل العاقل بين طليطلة ووادي آش ، المينى (٥١) بسفحه الجنوبي قمة الزهرة . يأخذ الأول منهما جنوبا إلى قرطبة ، وينصب في البحر الرومي . ويأخذ الثاني شمالا بين بطليوس وقورة ، ويصب في البحر المحيط .

ومن ذلك نهر ينصب وراء خليج البنادقة ، من وصلة الأثم الخارجة من البحر الشامي ، شرقي رومية الكبرى . يأخذ من هذا النهر غربا بشمال على مدينة لبطيرة شمالي قرنسية . ويصب في البحر المحيط .

ومن ذلك نهر يصب من الجبل المحيط ، حيث يسمى بجبل قافونا أخذا شرقي مدينة سوسية إلى مدينة قسططنبة العظمى . ويصب في البحر الرومي عندها .

ومن ذلك نهر يصب من الجبل المحيط المذكور ، شرقي هذا المصب ، أخذا على بلاد الصقل ، ما زا شرقي بلاد الحوكس والمجار إلى أن ينتهي إلى مدينة ورم ويصب في بحر بنطس ^(١)

ومن ذلك نهر يصب من جبال همسدان وخلاط من شمالي ماردين ، أخذا على شمالي ماطة ، حتى يسق بن مدنتي نهر وقمرى . ويصب في البحر الشامي .

ومن ذلك نهر جيحان . يخرج من بلاد الروم تحت حصن المنقب . يأخذ ما بين عين ررما وكفريتاً ثم يمتد إلى المصيصة ويصب في البحر الشامي .

(١) في إقوت صطه بسم الطاء ، العبارة وص على إهمال السين . وفي الأصل : نطش . وهو تحريف من الساح شاع في كثير من كتب العرب . وقد سبق التيه على ذلك في حاشية صفحة ٥٧ . وسحرى على التسمية المتعمدة في بقية الكتاب . لأن هذا الأسم مأخوذ عن اللغات الافرنجية وهو المعروف عندهم باسم Pontus واسمه الحقيقي عند العربيين Pont-Eusein .

ومن ذلك نهر سَيْحَان . يخرج من شماله ويمر على أَذْنَه^(١) . ثم يصب في البحر الشامي .

ومن ذلك في نهاية الشمال عشرة أنهار : منها اثنتان بصبان من الجبل الأثم المذكورة ، وثمانية تنصب من الجبلين المكتنمين شرقا وغربا لبحيرة جَارْس ، ينزل من كل واحد منهما أربعة أنهار . تنصب هذه العشرة الأنهار في هذه البحيرة المذكورة .

ومن ذلك أربعة أنهار تنصب من جبال الديلم : ينزل الأول غربي أَرْجَان ، ويليه الثاني ينزل من شرقيه ، ويليه الثالث ينزل من شرقي المسن ، ويليه الرابع ينزل من سابور . وتنصب الأربعة في البحر الهندي .

١٠ ومن ذلك نهر دَجَلَة . يصب من حال شهرزور وآمد . ويمتد بين آمد وميافارقين إلى الموصل . ثم يمتد الزابان : الزاب الأكبر والزاب الأصغر . وهما نهران كبيران . ثم يأخذ إلى تكريت غربي ديار بني شَيْبَان (تَأْشُرَى وَعُكْبَرَا والدادان) إلى بغداد . ثم يتشعب ما بين بغداد والمدائن ، جنوبي بغداد وشمال المدائن شعبه منه ، يأخذ منه شرقا محضا . هو المسمى بالهروان . ثم يمتد عمود دجلة مستقيما على الجنوب ، ثم يتشعب منه بين النعمانية وجبل جَرَّجَا جنوب النعمانية ، وشرقي جبل جرجايا شعبة أخرى ، يأخذ شرقا محضا ، تمر بين حلوان وعقوبا . ثم يمتد عمود دجلة إلى واسط . فإذا عداها إلى سوادها ، لاقاه الفرات هناك .^(٢) ويجتمع الكل إليه نهرا واحدا ، يمتد إلى المفتح . ويتشعب منه نهر معقل ، وهو النهر المشهور . وينصب بعضه إلى بطائح البصرة .^(٣)

(١) هي المدينة التي سميها الترك الآن : أطنة ، معنا للاحتلاط في الكتابة بها وبين أدره .

(٢) في الأصل : لاقاه .

(٣) الذي يقال فيه : إذا جاء نهرا لله ، طل نهر معقل .

ويستدير بآقيه بالمربد والأبلّة شرق البصرة. ثم يمدّ عمود دجلة مستقيماً على الجنوب. ثم تتشعب منه شعبة أخرى صغيرة، تسمى على جنب الأبلّة فتشق أرضها عرضاً، وتلاقى الشعبة المستديرة بها. ثم يمدّ عمود دجلة آخدا جنوباً إلى عبادان. ويصب هناك في البحر الهندي.

٥٣

نهر الفرات

- ومن ذلك نهر الفرات. يصب من جبال الروم وأخذ على ملطية، إلى سُمسط، إلى الرقة، إلى قريسيا، إلى الرجة، إلى الدالية، إلى عانة، إلى هيت، إلى الأنبار. ثم تتشعب منه أنهار: منها نهر عيسى، ونهر صرصر، ونهر الملك، ونهر صور، ونهر الصّرة، وهو المشهور، وإياه غنى الشاعر في شعره. بقوله:

أوما وجدتم في الصّرة ملوحة * مما أرقق في الفرات دموعي ؟

- ثم يمتدّ عمود الفرات ويمر ما بين القصر وبين الكوفة على بابل. ويستدير منه شعبٌ بخانقين، وتكون هي جزيرة بوسطه. ويصب ذلك الشعب من تحت حانقين في بطائح الكوفة. ثم يأخذ عمود الفرات فوق حانقين من حيث أستدار ذلك الشعب عليها مائلاً على الجنوب مشرفاً. ثم يتشعب منه شعبٌ آخر إلى بطائح البصرة. وينعطف عمود الفرات آخدا شرقاً بشمال على وراية قليل إلى سواد واسط. ويلاقى هناك دجلة. ويجتمع عمودهما هناك نهر واحد، حتى يصبّ غربيّ عبادان، في البحر الهندي.

- ومن ذلك نهر الساجور. يصب من جبال الروم آخدا شرقاً حتى يحدّى منبج. ثم يصب في الفرات. ويتشعب منه شعبٌ، لولاها لم يُذكر الساجور. وهو نهر يسمى قُوقيق. يمد من مغاربه إلى أن يزل حلب. ويسقي الأرض والمزارع. ويتناهي إلى شرق قنسرين. ويحيط هناك بحيرات لطيفة. وإنما ذكرناه لشهرة نهر قُوقيق. ولهذا علمناه بالأحمر.

نهر الساجور

نهر قُوقيق

ومن ذلك نهر يعرف بالعاصي . يصبُّ من وراء نهر بعلبك ، من منابع شتَّى في وطاء أرض . قلتُ من قرينة تعرف باللوبة ومغارة الراهب . ثم بأخذ شمالاً ما زلتُ حتى بقارب غربيٍّ حصص . فيصبُّ هناك في بحيرة متوسطة في الاتساع . ثم يخرج منها ويمرُّ غربيَّ حصص إلى حماء إلى شيزر إلى ألامية . فيصبُّ في بحيرة بها . ثم يخرج فيشق في جبال تعرف هناك الآن بجبال الغرب ، إلى ديركوش ، إلى بلد يعرف بالإقليم . ثم نزل العمفا إلى أنطاكية إلى السويدية . ويصبُّ في البحر الشامي ، حيث ينطفئ هناك . وقد سمنا بعض هذه الأسماء بما يعرف بها الآن .

(١)
ومن ذلك نهر ينصبُّ من الجبل الممتد على الشام شرق طرابلس المستجدة البناء ، حيث يسمى الجبل هناك بلبنان . يجري من قرينة تعرف الآن برسعين . فيدخل تحت قاطر معفودة جدها الابرنس حين غلبت الفرنج على طرابلس ، تُعرف به . فيشق المدينة المستجدة ويصبُّ في البحر الشامي .

(٢)
ومن ذلك نهر بردا . ويخرج من عين في صحراء الزبداني بين بعلبك وبين دمشق . ثم يمتد نهر يخرج من الجبل الممتد على الشام من مكان يعرف الآن بالصيعة تحت حصن عزنا ويمتد إلى دمشق . وينقسم قبلها وبعدها أنهاراً ، يعمُّ دورها وبساتينها ، ويسقي بعض قراها ومزارعها ، ثم يحرق فاضل مائه شمالي القوطة في بحيرة هناك .

(١) إشارة إلى ما فعله السلطان قلاوون حين أخذها من الفرنج فاه هدها . ثم بنى المدينة الحديدية الناقية إلى الآن بعيدة عن مكان الأولى التي كانت واقعة على البحر مباشرة .

(٢) Le Prince .

(٣) المشهور بكتابه بالياء : بردى . وهو من دمشق المشهور

(٤) وهذا الاسم باقي إلى الآن . ويعرف المكان في عصرنا حين الصيعة . وقد جرّوا منه الماء في أوابيت

إلى مدينة دمشق

ومن ذلك نهر الأردن^(١).

ولا يسمى بهذا الاسم إلا حيث خرج من بحيرة طبرية. ويسمى الآن الشريعة. ويشق وادي كنعان شقاً في الطول حتى ينتهي إلى بحيرة زُغر (وهي سدوم، دار قوم لوط، وتعرف الآن بالْمُنْتَنَة)؛ والوادي بالغور. وله في كل مكان اسمٌ بحسب ما يضاف إليه من مشاهير القرى التي فيه.

وأصل هذا النهر من مرج عيون والهرماس. وكلاهما تحت الشقيف وتل القاضي والملاحه، وهي عين بعيدة العمق جداً، ونهر نانياس.

وتسمى هذه الأمواه كلها: الشريعة الشمالية. وترى تحت جسر بعقوب وتجتمع في بحيرة طبرية. ثم تمتد فتتلاقى هي والشريعة القبيلة بفرية تعرف بالبقارية، ويأتيان جسر الصنيرة إلى الجسر العادلي، وهو تحت عقبه فيق، فرب الدير الأسود، ثم أنى جسر شاهه المقارب لقرية المجامع. وتمتد فيلقها نهر الزرقاء، دون دامة، ثم تمتد ترمي في البحيرة المنتنة.

وسد ذكر أصل الشريعة الشمالية. وهو من دير الحرير والجولان واليرموك ووادي الأشعرى والقوار والمدان، مع ما يضاف إلى ذلك من ينابيع. ويحصل من البلاد المرتفعة. ويجتمع تحت حمة جَدَن. وهي تحت فيق، وعليها قبو معقود ببناء خشن طويل. وبه أحواض. يقال إن كل حوض لعله من العلل يربثها، بإذن الله، إذا استحم منه العليل بها. قالوا: ولم تزل على هذا حتى أتى بعض قدماء الحكماء فهمد القبو والأحواض وجمع الماء كله إلى مجرى واحد، إلا فرعين تركهما: أحدهما لمن به ريح، والثاني لمن به جرب. والماء الغمر لسائر الأسقام. وماء هذه الحمة عذب. وآثار الأبنية باقية.

(١) في الأصل نياص مقدار خمسة سطور. وضع المؤلف بدلها تحريجة مضافة على صحائف الكتاب

وهي عبارة عن الكلام التالي.



الربع الرابع

من هذه الأرباع المقسومة، وهو الشرق - الآخذ إلى الشمال، وبه ما يذكّر من الأنهار: أسفار الربع الرابع

فمن ذلك نهران يصبان من الجبل المشبه بصليب ذهب أحد شعبه .

ينصب أحدهما من جنوبي هذا الجبل واقعا شرقي مدينة طغان الواقعة في شمال هذا الجبل بغرب . يترين طغان وتركستان مغربا، حتى يصب في بحيرة خلّاط .

والنهر الثاني منهما ينصب من شرقي هذا النهر الأول وعلى سمته . يمتد نهر، ثم يتشعب على شعبتين : الشعبة الجنوبية منها تأخذ شمالي مدينة طغورا مشرقا على قصر الدّهال المقارب لبلاد كغند، ثم ينعطف آخذا إلى الجنوب يسق بلاد الهند حتى يصب في البحر الهندي، شرقي كوام . والشعبة الثانية منهما تأتي جنوبي الأرض المحفورة، على ما قيل، حتى نصب في البحيرة البلاءة .

ومن ذلك نهر ^(١) أثيل . وهو المركب عليه مدينة السراي . ومحروجه من عين تنبع في ذيل جبل قاقونا، ثم يقتبل الجنوب آخذا بغرب في صحاري القبجاق على شمالي معادن الفضة، حتى يصب في بحر طبرستان .

ومن ذلك نهران ببلاد الخطأ، نازلان من الجبل الغربي من جبال المحيط بها . تأخذ الشمالى منهما مشرقا ويخرج جنوبي خان بالق . ثم يمتد مشرقا بجنوب حتى ينتهي إلى الملقى والآخر ينتهي إلى باش بالق . وينتهي عندها .

(١) أنظر حاشية ١ ص ٥٩ .

(٢) سق ورود هذا الاسم : المائق، وغير وصل

ومن ذلك نهر ينصب من الجبل الواقع فيه باب الصين ، ينزل على قراقرم
ويأخذ مشرقا على بلاد الهياطلة حتى يصب في بحيرة السودان هناك .^(١)

ومن ذلك نهر ينصب من الجبل الممتد من وراء العوج ، ينزل من شرقيه
على مدينة قلنبر . ويمر في بحيرة هناك .



ومن ذلك نهر يسمى نهر الطيب . يخرج من قشمر السفلى .
نهر الطيب

ومن ذلك نهر ينزل من الجبل ، شمالي السد حتى يصب في بلاد عبدة الشياطين ،
في بحيرة هناك ، تسمى بحيرة الشياطين .

ومن ذلك نهر جيحون . ينزل من جبل قاقونا . وتمده أنهار من جبال تمده فيمتد
حتى يخرج من هذا الربع إلى الربع الغربي القسم له . فصب في بحر طبرستان .
نهر جيحون

ومن ذلك نهر سيحون . الآخذ على بلاد فرغانة ويمده نهر الشاش ويخرج إلى
حائط عبد الله بن حميد حتى يصب في بحر طبرستان .^(٢)
نهر سيحون

ومن ذلك نهر السغد . ينصب من جبال البتم ، وينتهي إلى بخارا ، ويمر في بحيرة
هناك .
نهر السغد

ومن ذلك نهر مكران . يصب من جل الديلم فيمتد آخذا على مدينة الحمديّة .
على كرمان إلى بلاد السند .
نهر مكران

١٥

ومن ذلك نهر عماس . في بلاد الترك .
نهر عماس

١) Les Huns

٢) أو سنان .

ومن ذلك الأنهار العشرة . الآخذة منها خمسة تجري من شعبة منقطعة من الجبل المحيط متصلة بالبحر المحيط ، وتمتد أنهار من جبال النواذر الواقعة شرقي الصين حتى يصب في نهر حمدان ، ثم يمتد الجميع نهرا واحدا حتى يصب في المحيط .

ومن ذلك نهر حمدان الأعظم . وهو ينزل من جبال أروبه ومانوس على مدينة اطراغا ، ويحترق هناك . ثم يمتد مشرقا إلى مدينة لوقر . وينعطف في الصين حتى تلافيه هناك الأنهار العشرة ، أعنى المتقدمة الذكر ، دون خط الاستواء في أوائل الإقليم الأول . يقال إنه يصبّ به نهر كل المنصب من الصين الداخل . ويمتد الجميع نهرا واحدا موعلا في الفرجة الداخلة في الصين من البحر المحيط والبحر الهندي ، إلى وراء خط الاستواء . ثم يصبّ هناك في البحر المحيط .

ومن ذلك نهران : أحدهما نهر السكر والآخر نهر الرّس . يصبان من جبل الديلم يسمى جبل قابولا . ويحییء الكر على تفليس . ويلاق الرّس نهر ينزل من سيلان بين ترزند ووزنان ، ثم يصب الكر جنوبي شروان . ويصب الرّس غربيّه . كلاهما يصبان في بحيرة طبرستان .

ومن ذلك نهر يسمى الآن قراصو . وهو اسم باللغة التركية أي الماء الأسود يأتي من شروان وشماني ويسكب في بحر طبرستان .

ومن ذلك نهر آخر يسمى أرس . يأتي على شرقي المكان المسمى الآف صحراء بيلسوان . ويصب في بحر طبرستان .

(١) في الأصل : أحدهما على نهر .

(٢) في الأصل : فراقوا [وهو تحريف ظاهر] .

ومن ذلك - على ما قيل - نهران ينزلان من الجبل المحيط ويسقيان بلاد يأجوج
ومأجوج. ينزل أحدهما جنوبى السد، والآخر من شماليه. وهكذا صوره صاحب
جغرافيا فى لوح الرسم.

فهذه هى جميع الأنهار المشتهرة فى جميع المعمورة وما قاربها . ولم نُحَلِّ منها
إلا بما لعل صاحب جغرافيا لم يصوره فى لوح الرسم . وإن كان، فهو القليل . وفيما
ذكرناه كفاية .

البحيرات المشهورة

ثم نحن نذكر ما في معمورة الأرض من البحيرات المشهورة . ونحن قسمها على البحيرات المشهورة
نصفين : نصفاً شرقياً ونصفاً غربياً.

فالنصف الأول هو الشرقى فيه ما يذكر من البحيرات :

٥ من ذلك بحيرة كيما . بحيرة القمر الخارجة عن خط الاستواء . وهى عذبة .

ومن ذلك بحيرة اطراغا بالصين . وهى عذبة .

ومن ذلك بحيرة سرنك بالهند . وهى عذبة .

ومن ذلك بحيرة السوكران ببلاد الهياطة ، شرقى قراقوم بشمال . وهى عذبة .

ومن ذلك بحيرة بخارا . وهى عذبة .

ومن ذلك بحيرة خوارزم . وهى ملح .



ومن ذلك بحيرة تهامة . يصب بها نهر انكش في بلاد الترك .

ومن ذلك بحيرة زرّه ببلاد سجستان . وهى ملح .

ودلك على ما نقل في لوح الرسم .

والنصف الثانى وهو الغربى ، به من البحيرات ما يذكر . :

١٥ من ذلك بحيرات النيل الثلاثة .

اعلاها بحيرتان ، حيث تنصب في أوله بهم البحيرة الكبرى التى دونهما ونسبها
البحيرتان اللتان
بحرهما النيل
البطيحة .

ثم بحيرة الفيوم ^(١) ذكرناها هنا لأنها من النيل من الفرع الآخذ من نيل السودان
خلف بلاد غانة. وهي عذبة. بحيرة الفيوم وهي
غير التي في أرض
مصر

ثم بحيرة الفيوم ذكرناها هنا لأنها من النيل أيضا . وهي عذبة . ولم ينبه على أن
هانين البحريين عذبتان مع كونهما من النيل إلا لنعلم أن أرضهما لم تغير ماءهما
ولا أفسدت طعمهما . بحيرة الفيوم بمصر

ومن ذلك بحيرة زاقون . يحير بها النهر المصب من الجبل المشبه بتعيقه ^(٢) لا
بالخط المغربي . حيرة أخرى

ومن ذلك بحيرة بين فصر عيسى وبين كوكورة ، وبحيرة بين كوكورة ومجالات جاي .
ومن ذلك بحيران عدد نزلت من بلاد إفريقية : إحداهما ملح ، والأخرى عذبة .
تحرى العذبة في الشتاء ستة أشهر ، وتسكب في البحيرة الملح فلا يعذب ماؤها ثم
نقطع . وتحرى البحيرة الملح ستة أشهر أخرى نعام السنة ، وتسكب في العذبة
فلا تملح . وبها أنواع من الحلتان يخرج كل شهر من الشهور العربية نوع منها .
فإذا فرغ الشهر ، ذهب ذلك وجاء غيره ، ثم لا يوجد من نوع الحوت الذي كان
في الشهر الماضي شيء أبته إلى مدة ذلك الشهر من السنة الآتية . وحكى لي ذلك
المغاربة . فسبحان من بيده الأمر كله !

ومن ذلك بحيران بأقصى المغرب : إحداهما على مقربة من قصر ابن عبد الكريم
في غانة الانساع . بوسطها حريرة دورها مقدار ثمانية عشر ميلا وتسمى بأبي وَقَيْن

(١) يشير إلى بحيرة في نيل 'سودان' المعروف الآن بـ'النيل' . ويكون الفيوم حينئذ اسمًا لموضع عبر
المنشور بـ'ديار مصر' .

(٢) في الأصل هنا . شريعة لام . وقد أحرثت الاصطلاح الذي ذكره المؤلف فيما سبق .

سُلهام. تمتد أودية لتتحد من جبال غمارة . وفي تلك الجزيرة بأوى عرب ذلك
الموضع بذخائرهم ورغبي بهائمهم.

والآخرى بأزغان شمالى مكاسة . تمتد أنهار تتحد من جبال أزرو جنوبى
مكاسة . وليس لباهاهما منفذ.

ومن ذلك بحيرة ابزو . وهى ملح.

ومن ذلك بحيرة الإسكندرية . وهى ملح.

ومن ذلك بحيرة تنس^(١) . وهى ملح.

ومن ذلك بحيرة جارش . بالشمال وهى عذبة.

ومن ذلك بحيرة طبرية . وهى عذبة.

خربة طبرية
وحاماتها

(وبها الحمة المعروفة بحمام طبرية . واللاس فيها أكاديب . وهى صورة تور مثل سور الكلس تكون سعته نحو
عشرة أذرع تقريبا . يجرح منه ماء يدير جرى رقى . مهما وضع فيه أحترق لإفراط حرارته . قد أستخرج منه
-دول فى عرص الحسل يمتد- وألف دراع تقريبا ، لتقلُّ سعد المدى حرارته . ثم باتى بين مسقوفين
- وسقوفهما ناخر - أحدهما لاستحمام الرجال والآخر لاستحمام النساء والحمة ماؤها ملح مكدت) .

ومن ذلك بحيرة زُعر^٢ . وهى المخسوف بها، وهى المقتنة.

بحيرات أخرى

ومن ذلك بحيرة دمشق . وهى عذبة.

ومن ذلك بحيرة حمص . وهى عذبة.

ومن ذلك بحيرة أفامية . وهى عذبة.

ومن ذلك بحيرة أنطاكية . وهى عذبة ، وتعرف بحيرة يَغْرا ، وهى موسطة المنفاد .

ومن ذلك بطائح العراق : اثنتان بالبصرة ، وواحدة بالكوفة . الجملة ثلاث بحيرات عذبة .

(١) لعله يريد : نيس ، التى كانت بها المدينة المشهورة بالقرب من ديباط .

ومن ذلك بحيرة خَلَاطَ . وهى ملح .

ومن ذلك بحيرة أيودان . وهى ملح .

وذلك منقول من لوح الرسم ، أو تحقق بالسؤال ، وإن حصل فى بعضه إخلال .

وفى أتيننا به غنى عما سواه . وبعض الشئ فى هذا الباب أستدرارك ، إذ المراد بذلك

ما يستدل على الأرض بأعلامها الظاهرة . وفى الدليل الواحد كفاية .

وإذ أتينا إلى هنا نذكر رمل الهبير . لأنه مما هو ممتد فى الأرض . فكان من

رمل الهبير .

أعلامها المشهورة المشهودة فى الآفاق .

قال صاحب كتاب "معرفة أشكال الأرض" : "وأما الرمل الهبير ، فطوله من وراء

جبل طيقي إلى أن يتصل مشرقا بالبحر . ويمضى من وراء جبل طيقي إلى أرض



مصر ، ثم إلى بلد الوبة . ويمتد إلى البحر المحيط مسيرة خمسة أشهر . ومنه عرق

يصر من القادسية إلى البحرين . فيعبر البحرين ، فيمضى على مشارق خوزستان

وفارس إلى أن يرد إلى سجستان . ويمتد مشرقا إلى مرو وأخذا على جيحون فى برية

خوارزم . ويأخذ فى بلاد الخرنج^(١) إلى بلد الصين والبحر المحيط فى جهة المشرق .

وهو على ما وصفته وسقته من المحيط بالمشرق إلى المحيط بالمغرب . وفيه منه جبال

عظام لأثوقل ولا تُزنى . وبعضه فى أرض سهلة ينتقل من مكان إلى مكان . ومنه

أصفر لآلئ اللس . وأحمر قاني ، وأزرق سماوى ، وأسود حالك ، وأكل مشع كالنيل ،^(٢)

وابيض كالثلج . وبعضه يحكى الغبار نعمة ، وبعضه خشن جريش اللس .

ونحن نين كل شئ بحسب ما يمكننا من الطاقة والاجتهاد . وفوق كل ذى علم عليم !

(١) سة الخرنج صف من الترك وقد يتصف هذا الاسم إلى الخرنجية والخرنجية وفيه ذلك والصواب ما هنا .

الآثار البينة في أقطار الأرض

ثم إنا نحن نعقب ذلك بذكر جبل من الآثار البينة في أقطار الأرض ماجرت مجرى الأعلام، وقامت في الاستدلال مقام ماقدنا ذكره من الجبال والأنهار والرمل والبحيرات. وسندكرها مبيته. وبالله التوفيق^(١)!

المساجد الثلاثة

٥ فسندأ بذكر المساجد الثلاثة : المسجد الحرام، ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم، والمسجد الأقصى.

وهي التي تُشد إليها الرحال، ويُجد إليها الركائبُ الترحال، تُسرى إليها سرى السحاب في المحال، وتسمو والكواكب غرقى سمو حباب الماء حالا على حال.

١٠ روى أبو سعيد الخدري عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجد الحرام^(٢)، ومسجدى، ومسجد بيت المقدس . رواه الإمام أحمد.

ويُتبع كل مسجد منها بما يتعلق بذيل أستاره، وتألّق بإشراق بوره وإسفاره، مما صمّه نطق سورته، وأفص عليه رثه سورته، إلى غير ذلك من آثار، ومواطن تُخذ الدموع فيها النثار.

١٥ وأول ما نبداً به :

(١) ترك المؤلف هنا بياناً قدره خمسة سطور.

(٢) هكذا في الأصل على الإضافة لاعتلى الوصفية . كما هي العادة وفيه هو الأشهر .

ذكر الكعبة

البيت الحرام
وصفاً لله ومدلولاته

البيت الحرام. أول بيت وُضع للناس، وُرفع على قديم الأساس. بُني مثلاً للبيت المعمور، ودُعي إليه كل مأمور. وأذن إبراهيم (صلوات الله عليه) إليه بالحج، ودعا إليه الناس فاتوه من كل فج. حَجَّته الملائكة قبل آدم، وجاءته وعهده ما تقدم. ويقال إنه لم يبق نبي حتى حَجَّه. وبعد عدة أنبياء دُفِعوا في الحجر منه. ولم تزل شعائره مكرمه، ومشاعره محزومه. عَظُمَ في الجاهلية والإسلام، وحُرِّمَ من حيث بُنيت الأعلام. ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾. وهو البيت المحجوج المحجوب، والمفصود بالزواره قصدة الوجوب. وبه الحجر الأسود الذي هو يمين الله في أرضه، والشاهد لمن حجَّ وقلبه بأداء فرضه. سماء الدعاء، وحرَّم تحريم الدماء. أَمِنَ به الحِمَامُ ساكناً، وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً.

١٠

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ. فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾.

وعن أبي ذر الغفاري. قال: قلتُ لرسول الله: أيُّ مسجد وضع في الأرض؟ قال: المسجد الحرام. قلت: ثم أيُّ؟ قال: المسجد الأقصى. قلت: كم كان بينهما؟ قال: أربعون سنة. رواه البخاري. وأبو عروبة وزاد: وأينا أدركك الصلاة فهو مسجد.

١٥

قال ابن جرير الطبري: اختلف أهل التأويل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ فقال بعضهم: تأويله "إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ يُعْبَدُ الله فِيهِ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ لَلَّذِي بِبَكَّةَ". قالوا: وليس هو أول بيت وضع في الأرض، لأنه

فقد كان قبله بيوت كثيرة. ثم أسند هذا القول عن علي بن أبي طالب والحسن ومطير وسعيد (وأظنه ابن جبير) ثم قال : وقال آخرون بل هو أول بيت وضع للناس . وأختلف هؤلاء في صفة وضعه أول . فقال بعضهم : خلفه قبل الأرض ، ثم دُحيت الأرض من تحته . وأسند هذا عن عبد الله بن عمرو بن العاص . قال : خلق الله البيت قبل الأرض بالثي سة ، وكان عرشه على الماء على زبدة بيضاء ، فدُحيت الأرض من تحته . وعنه عن مجاهد وقناة والسدي . وقال آخرون : موضع الكعبة موضع أول بيت وضعه الله في الأرض . وأسند عن قناة ، قال : ذكر لنا أن البيت هبط مع آدم . وحين أهبط قال الله : أهبط معك بيتي يطاف به كما يطاف حول عرشي . فطاف حوله آدم ومن كان بعده من المؤمنين . حتى إذا كان زمن الطوفان ، رفعه الله وطهره من أن يصيبه غمو به أهل الأرض . فصار معمورا في السماء . ثم إن إبراهيم نزع منه أثرا بعد ذلك ، فبناه على أساس قديم كان قبله . وقوله تعالى ﴿ الَّذِي بَنَىٰ بَيْتَهُ ﴾ يعني للبيت الذي بئكة . قال الزخشي : وهو علم للبلد الحرام . ومكة وبكة لغتان . وقيل : مكة البلد ، وبكة موضع المسجد . وقيل : بكة موضع البيت ، ومكة ماحوله . وقيل : بكة البيت والمسجد ، ومكة الحرم كله .

وقال عطاء بن أبي رباح : وجه آدم إلى بكة حين استوحش . فشكى ذلك إلى الله (عز وجل) في دعائه . فلما انتهى إلى مكة ، أنزل الله تعالى ناقوته من ياقوت الجنة . فكانت على موضع البيت الآن . فلم يزل يطوف به حتى أنزل الله الطوفان ، فوفعت تلك الياقوتة . حتى بعث الله عز وجل إبراهيم فبناه . فذلك قوله تعالى ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾ رواه أبو عروبة .

وروى أبو الوليد الأزرقي بسنده عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ،

قال : إنا الله (تبارك وتعالى) بعث ملائكة ، فقال أسوا لي بناء في الأرض يمشي
اللهت وقدره . وأمر الله من في الأرض من خلقه أن يطوفوا به ، كما يطوف أهل
السماء بالبيت المعمور . قال : وكان هذا قبل خلق آدم ، عليه السلام . والله أعلم !

وقيل إن آدم أول من بناها . وقيل شيث بن آدم . وكانت قبل بنائه خيمة من
ماقوتة حمراء ، يطوف بها آدم .

وروى سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن قواعد البيت من
حِراء ، وذكر لنا أن البيت من خمسة أجبل : حِراء ولُئنان والجُودي وطور سينا
وطور زَيْتَا .

وقال ابن جُرَيج : بُني أساس البيت من خمسة أجبل . (فذكر مثله) .

وحكى السَّمِئِيُّ أن الملائكة كانت تأتي إبراهيم عليه السلام بالمجاردة . وقيل رُفعت
لكنمه في الطوفان وأودع الحجر الأسود أنا قَيْس . وبقى موضعها ربوة ، سمّوها هود
وصالح . ويقال إن يَعْرُب قال لهود : ألا نبنيه ؟ قال إنما بينه نبي يتخذ الله خليلا .
ولما ساء إبراهيم دلته عليه السكينة . وكانت تنزل عليه كالنخفة .

وقال الأزرقى : لما بُني إبراهيم عليه السلام المكة ، جعل طولَ بناها في السماء
نسعه أذرع . وطولها في الأرض ثلاثين ذراعا ، وعرضها في الأرض اثنين وعشرين
ذراعا . وكانت غير مسقوفة . ثم بنتها قريش في الجاهلية . فزادت في طولها في السماء تسعة
أذرع . فصار ارتفاعها في الهواء ثمانية عشر ذراعا . وتقصوا من طولها في الأرض
سنة أذرع وشبرا . تركوها في الحجر .

ولم تزل كذلك حتى كان زمن عبد الله بن الزبير . فهدمها وبناها على قواعد
إبراهيم . وزاد ارتفاعها في الهواء تسعة أذرع . فصار ارتفاعها سبعة وعشرين ذراعا .

هدمها وخديدها
بهم أم الزبير



سأله الحاج لها

ثم بناها الحاج بن يوسف الثقي، فلم يغير ارتفاعها . ونقص الحجر وأعادها كما كان في الجاهلية .

وأعلم أن الكعبة بُنيت في الدهر خمس مرات :

إحداهن ، بناء الملائكة أو آدم أو شيث ، على ما تقدم .

الثانية بناء إبراهيم .

الثالثة بناء قريش . والسبب في ذلك أن الكعبة استهدمت ، فكانت فوق القامة . فأرادوا تعليتها . وكان بابها لاصفا بالأرض في عهد إبراهيم وعهد جرهم إلى أن بنتها قريش . فقال أبو حديفة بن المنيرة : يا قوم ! أرفعوا باب الكعبة ، حتى لا يدخلها أحد إلا بسلم ! فإنه لا يدخلها حينئذ إلا من أردتم . فإن جاء أحد ممن تكرونه رميته به فسقط وصار نكالا لمن يراه . فرفعت بابها ، وجعلت لها سقفا ، ولم يكن لها سقف . وزادت ارتفاعها ، كما تقدم . وكان عمر النبي (صلى الله عليه وسلم) إذ ذاك خمسا وعشرين سنة ، وقيل خمسا وثلاثين ، فحضر البناء وكان ينقل الحجارة معهم ، كما ثبت في الصحيح . وتنافس قريش فبمن يصع الحجر الأسود موضعه من الركن ، ثم رضوا بأن يضعه النبي ، صلى الله عليه وسلم .

الرابعة بناء عبد الله بن الزبير . والسبب في ذلك ، على ما ذكر السهيلي ، أن امرأة أراذت أن تُحجر الكعبة ، فطارت شررة من الحجرة في أستانها . فأحترقت . وقيل طارت شررة من أبي قبيس ، فوقعت في أستان الكعبة ، فأحترقت . فشاور ابن الزبير من حضره في هدمها . فهابوا ذلك ، وقالوا : نرى أن نصلح ما وهى منها ولا نُهدم . فقال : لو أن

بيت أحدكم أحترق لم يرض له إلا بكل إصلاح، ولا بكل إصلاحها إلا بهدمها. فهدمها حتى أنفضى إلى قواعد إبراهيم، فأمرهم أن يزيدوا في الحفر. فزكروا حجرا منها. فرأوا تحته نارا وهو لا أفرعهم. فبنوا على القواعد.

ووي الخبر أنه سترها وقت حفر القواعد، فطاف اللاس بتلك الستارة، ولم تخل من طائف. حتى لقد ذكر أن يوم قتل ابن الزبير، أشد الحرب وشغل اللاس حينئذ، فلم ير طائف يطوف بها إلا بجل. وتم بناءها وألصق بابها بالأرض. وعمل لها خلفا أى بابا من ورائها وأدخل الحجر فيها. وذلك لأن خاله عائشة (رضى الله عنها) حدثته أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: ألم ترى أن قومك قصرت بهم النفقة حين بنوا الكعبة، فأقتصروا على قواعد إبراهيم. ثم قال: لولا حدثان قومك بالجاهلية، لهدمتها وجعلت لها خلفا وألصقت بابها بالأرض وأدخلت فيها الحجر. فقال ابن الزبير: ١٠ فليس باعجز عن النفقة. فبأها على مقتضى حديث عائشة.

وحكى أبو الوليد الأزرقي أنه لما عزم على هدمها. نرح أهل مكة إلى منى. فأقاموا بها ثلاثا. خوفا أن ينزل عليهم عذاب لهدمها. وأمر ابن الزبير بهدمها. فبأ احترا على ذلك أحد. فعلاها بنفسه وأخذ المعول وجعل يهدمها ويرى أحجارها. فلما رأوا أنه لا يصيبه شيء، صعدوا وهدموا. فلما تم بأؤها، خلقها من داخلها ١٥ وحارجها. من أعلاها إلى أسفلها، وكساها القباطي. وقال: من كانت لى عليه طاعة، فليخرج فليتمن من التمتع، ومن قدر أن ينحر بدنة فليعمل، ومن لم يقدر فليذبح شاه، ومن لم يقدر عليها فليصدق بوسعه. وخرج ابن الزبير ماشيا، وخرج الناس مشاة. فاعتمروا من التمتع، شكرا لله تعالى. فلم يروم أكثر عتيقا وبدنة. ٢٠ محورة وشاة مذبوحة وصدقة من ذلك اليوم. ونحر ابن الزبير مائة بدنة.

قال السهيلي: ولما قام عبد الملك بن مروان في الخلافة، قال: لسانا من تخليط أبي خُبيب بشيء (يعني عبد الله بن الزبير). فهدمها وأعادها على ما كانت عليه في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلا في ارتفاعها، ثم جاء الحارث بن أبي ربيعة المخزومي ومعه رجل آخر، فحدثاه عن عائشة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالحديث المتقدم، فندم وجعل يبكت بمخصرة في يده الأرض، ويقول: "وَدَدْتُ أَنِّي تَرَكْتُ أَبَا خُبَيْبٍ، وَمَا تَحْمِلُ مِنْ ذَلِكَ".



وتوثى البناء - في زمن عبد الملك بن مروان - المحاجُ بن يوسف الثقفي، وهو البناء الخامس الموجود الآن.

والذي هدمه المحاج هو الزيادة وحدها. وأعاد الركن، وسد الباب الذي فتحه ابن الزبير. وسدّه بين إلى الآن. وحعل في المحر من البيت دون سبعة أذرع. وعلامة ذلك في داخل المحر لَوْحَانٍ من مرمرٍ متقوشان متقابلان في الجانبين. وصار عرض وجهها، وهو الذي فيه الباب، أربعة وعشرين ذراعا. وفيل إن الكعبة بنيت مرتين آخرين، غير الحس.

ساء العالقة

إحداها بناء العالقة بعد إبراهيم،

ساء حرم

والثانية بناء حُرْمٍ بعد العالقة.

ترميم الكعبة

قال السهيلي: إما كان ذلك إصلاحا لما وهى منه. لأن السيل كان قد صدع حائطه. وكانت الكعبة بعد إبراهيم (عليه السلام) مع العالقة وجُرم إلى أن انقرضوا. وخلقهم فيها قريش بعد استيلائهم على الحرم: لكثرتهم بعد القلة، وعزمهم بعد اللذلة. وكان أوّل من جدّد بناءها، بعد إبراهيم، قُصِيُّ بن كلاب. وسفّفها بنشب الدّوم وجريد النخل.

وروى الطبراني عن أبي سعيد الخدري - مرفوعا - أن أول من جدد الكعبة بعد
كلاب بن مرة، فضي.

وحكى السهيلي أن أول من آتخذ للكعبة عَلَقًا بُعِثَ، ثم ضرب لها عبد المطلب بابا
من حديد، وهي الأسياف القلعة التي كانت مع الغزاليين الذهب. وهو ما استخرجه
عبد المطلب من بئر زمزم، لما احترقها بعد ما طعمها الحارث بن مضاض، لما أخرج
الله جرمهم من مكة بسبب إحداثهم في الحرم واستحفافهم بالحرم وبقي بعضهم على
بعض. فتغور ماء زمزم. وعمد الحارث إلى ما كان عنده من مال الكعبة وفيه غزالان
من ذهب وأسياف قلعية، كان ساسان أهداها إلى الكعبة، وقيل سابور. وجاء
نحت الليل ودفن ذلك في زمزم، وعفى عليها. ولم تزل دارسة حتى حفرها
عبد المطلب واستخرج ذلك كما هو مذكور في موضعه.

١٠

وآتخذ عبد المطلب من الغزاليين المذكورين حليه للكعبة. فهو أول ذهب
جلبت به الكعبة.

١٥

فلما جاء الإسلام وآلت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك، بعث إلى واليه على
مكة خالد بن عبد الله القسري بسنة وثلاثين ألف دينار. فصر منها على باب
الكعبة صفائح الذهب، وعلى الميزاب، وعلى الأساطيم التي في جوفها، وعلى الأركان.
وهو أول من ذهب البيت في الإسلام.

نخله كعبه
وذهب في الإسلام



ودكر السهيلي أن الذي عمله الوليد هو ما كان من مائدة سليمان بن داود (عليهما
السلام) من ذهب وفضة، حمل إليه من طليطلة، من جزيرة الأندلس. وكانت لها
أطواق من زبرجد وياقوت، وكانت قد احتملت على بقل قوي، فتفسخ تحتها.

ثم لما آلت الخلافة إلى الأمين، رفع إليه أن الذهب الذي عمله الوليد قد رُقّ.
فارسل إلى عامله على ضواحي مكة، سالم بن الحترّاح، بثمانية عشر ألف دينار
ليضربها صفائح على باب الكعبة. فقلع ما كان على الباب من الصفائح وزيد عليها
ثمانية عشر ألف دينار. وضرب الصفائح والمسامير وحلقت الباب والعنتة. فالذي
كان عليه من الذهب ثلاثة وثلاثون ألف مثقال.

فلت: ثم جُدد الباب الشريف في الأيام الزاهرة الملكية الناصرية سقى الله
عهدها. عُمل بمصر مصفّحاً بالفضة. وأنا كتبت نسخة ما كتب عليه. وجّه به
رِسْ بَعَا الناصري.

فال الأزرقى: وعمل الوليد بن عبد الملك الرخام الأبيض والأخضر والأحمر
في جوفها. فوزر به جذرانها، وفرشها بالرخام. فجميع ما في الكعبة من الرخام هو من
عمل الوليد. وهو أول من فرشها بالرخام وأزر به جذرانها.

فلت: ثم هُلّع غالب ذلك. وعاب ترخيمها وما فيها الآن من آثار المظفر
يوسف بن عمر بن رسول، صاحب اليمن. وأسمه في الرخام داخل الكعبة، حيث
بُصِّلَ المصلى، بين العمودين نُجَاه وجهه في الجدار المتصل بالركن الباقى.

وآختلف أهل السيرة أول من كسا الكعبة الديباج.

فقال ابن إسحق: هو الحاج بن يوسف. وقال ابن بكّار: هو عبد الله بن الربيع.
وقال السامري: أول من كساها الديباج خالد بن جعفر بن كلاب. أخذ لطيمة
تعمل البر وأخذ فيها أنماطا، فعلقها على الكعبة. وذكر جماعة - منهم الدارقطني - أن
نُتَيْلَة بنت جناب أمّ العباس بن عبد المطلب كانت قد أضلت العباس صغيرا.

فندرت إن وجدته أن تكسو الكعبة الديباج.

كسوة الكعبة في
الحاخلة والإسلام



وحكى الأزدى أن معاوية كسا الكعبة الديباج. قال: وكانت تكسّى يوم عاشوراء.
ثم إن معاوية كساها مرتين.

ثم كساها المأمون ثلاث مرات. فكانت نكسوها الديباج الأحمر يوم التروية،
والقنطاريّ يوم هلال رجب، والديباج الأبيض يوم سبع وعشرين من رمضان.

وهذا الأبيض ابتدأه المأمون سنة ست ومائتين حين قالوا له: الديباج الأحمر
يقتزق قبل الكسوة الثانية. فسأل عن أحسن ما تكون فيه الكعبة. فقالوا: الديباج
الأبيض. ففعله.

قلت: وهي الآن تكسّى في العام مرة واحدة في وقت الموسم. وتحمل إليها الكسوة
من الخزانة السلطانية بالديار المصرية، صحمة الرك. فتتولى ذلك أمراء الرك.
ويحصرّون بأنفسهم فكسّى، وأخذ الأسراف وبو شبهة الكسوة العتيقة وهتسمونها.
وأخذون في كل قطعة منها أوفر الأعواض. وتحمل إلى سائر البلاد للبركة.

وعهدى بصاحب اليمن يبعث إليها كسوة، فتلبس تح الكسوة المصرية. وهما
سوداوان من الحرير الأسود، بكتابة بيضاء، فيها آيات حات في القرآن في ذكر
الكعبة.

ولما حججت سنة ثمان وثلاثين وسعمائة. صعدت أنا وأمراء الرك المصريّة
لتلبس الكعبة الشريفة، حتى تكّا على سطحها. فرأيتُه مبلّطاً بالمرمر والرخام
الأبيض. ومن جوانبه حدر قصار فيها حلق لمرباط الستور، تُجتر فيها الكسوة بحبال،
ثم تُربط في تلك الحلق.

وأنا أحدُ الله، إذ يبدى توليتُ خلع الكسوة العتيقة عنها وتلبسها الكسوة
الجديده.

٦٩
هدية سلطان مصر
لملك العرب

وَحُمِلَتِ الْكِسْوَةُ الْعَتِيقَةُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ إِلَى السُّلْطَانِ بِمِصْرَ، لَتُجَهَّزَ إِلَى السُّلْطَانِ
أَبِي الْحَسَنِ الْمَرْيُومِيِّ مَعَ مَا يُجَهَّزُ عَوَضَ هَدِيَّةٍ بَعَثَهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ، صَاحِبَةُ مَرْيَمَ زَوْجَةُ
أَبِيهِ وَعَرِيفُ السُّوَيْدِيِّ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَكْبَرِ دَوْلَتِهِ. وَعَوَّضَ بَنُو شَيْبَةَ وَالْأَشْرَافُ
عَنْهَا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ بِمِصْرَ.

٥ والعادة جارية أن تنسل الكعبة المعظمة بماء زمزم في السابع والعشرين من
ذي القعدة، وتُسَمَّرُ ستورها، وتُلْبَسُ يَوْمَ الْاِخْتِى، وتغسل بماء الورد عدد عود
الركب من مَنَى، أو أَوَانٍ مُنْصَرَفِهِمْ.

عسل المؤاب
للكعبة
وكلُّ ذَلِكَ حَضْرَتُهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَبَوَلِيَّتُهُ بِيَدِي. وَلِلَّهِ الْحَمْدُ!

وَأَمَّا أَوَّلُ مَنْ كَسَا الْكَعْبَةَ مَطْلَقًا

١٠ شَكَى الْأَزْرَقِيُّ عَنْ أَبِي جُرَيْجٍ أَنَّ تَبَعًا أَوَّلَ مَنْ كَسَا الْكَعْبَةَ كِسْوَةً كَامِلَةً. أَرَى
فِي الْمَنَامِ أَنَّ يَكْسُوهَا. فَكَسَاهَا الْأَطَاعَ. ثُمَّ أَرَى أَنَّ يَكْسُوهَا الْوَصَائِلَ، فَكَسَاهَا.
وَهِيَ ثِيَابُ حَبْرَةٍ مِنْ عَصَبٍ.
ثُمَّ كَسَاهَا الْمَاسَ بَعْدَهُ فِي الْحَاحِلِيَّةِ.

١٥ قَالَ السَّهْلِيُّ: وَيُرَوَّى أَنَّ شُعْأَ مَا كَسَاهَا الْمُسُوحُ وَالْأَطَاعَ، أَتَمَّصَ الْبَيْتَ. فَرَأَى
ذَلِكَ عَنْهُ حِينَ كَسَاهَا انْخَصَفَ، وَهِيَ ثِيَابُ عِلَازٍ. فَلَمَّا كَسَاهَا الْمَلَأَاءُ وَالْوَصَائِلَ
(وَهِيَ ثِيَابُ مَوْصِلَةٍ مِنْ ثِيَابِ الْإِيْنِ وَاحِدَتُهَا وَصِيلَةٌ)، قَبْلَتَهُ. ذَكَرَهُ قَاسِمٌ فِي "الدَّلَائِلِ".

كسوة النبي
والراشدين
وَرَوَى الْأَزْرَقِيُّ بِأَسَانِيدٍ مُتَّفَقَةٍ، أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَسَا الْكَعْبَةَ.
ثُمَّ كَسَاهَا أَبُو بَكْرٍ، وَكَسَاهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَكَسَاهَا عُثْمَانُ، وَمَعَاوِيَةُ،
وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ.

وفال تبع لما كسا البيت.

بول تبع عند
كسوة الكعبة

وكسونا البيت الذي حرم الله ملأه معصدا وبرودا.

فأقمتا به من الشهر عشرا * وجعلنا لبابه إقليدا .

ونحزنا بالشعب ستة ألف . فترى الناس نحوه ورودا .

ثم سرنا عنه ثم سهلا . فرفعنا لواءنا معقودا .

وأما صفة الكعبة



وصف الكعبة
ودرعها

فأعلم أن الكعبة، البيت الحرام، مربعة النيان في وسط المسجد. ارتفاعها من

الأرض سبعة وعشرون ذراعا، وعرض الجدار، وجنبتها الآن، أربعة وعشرون

ذراعا، وهو الذي فيه بابها، وعرض مؤخرها مثل ذلك، وعرض جدارها الذي

بلى اليمن - وهو فيما بين الركن اليماني والركن العراقي -، وهو الذي فيه الحجر الأسود -

عشرون ذراعا . وإلى وسط هذا الجدار كان يصلي النبي (صلى الله عليه وسلم) قبل

هجرته إلى المدينة . وعرض جدارها الذي إلى الشام، وهو الذي فيما بين الركن

الشامي والركن الغربي، أحد وعشرون ذراعا، وبميراب الكعبة على وسطه يسكب

في الحجر . ومن أصل هذا الجدار إلى أقصى الجدار سنة عشر ذراعا .

(١١)
وعرض باب الحجر الشامي خمسة أذرع إلا شئ يسير، وعرض بابه الغربي سنة

أذرع إلا شئ يسير، وحدار الحجر مدهور من بابه الشامي إلى بابه الغربي، كالتيلسان .

وعرضه ذراع، وارتفاعه من الأرض أربعة أشبار .

والحجر الأسود، في الركن العراقي المقابل لرمزم . وهو [على] سبعة أشبار من الأرض.

وباب الكعبة على أربعة أذرع من الأرض، وعلوه سنة أذرع، وعرضه أربعة أذرع .

وما بين الباب والحجر الأسود أربعة أذرع . ويسمى ذلك الموضع الملتزم: لأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين فرغ من طوافه ألزمه ودعا فيه، ثم ألتفت فرأى عمر، فقال: "هاهما تسكب العبرات".

ومن الباب إلى مصلى آدم (عليه السلام) حين فرغ من طوافه وأنزل الله عليه التوبة، وهو موضع الخلق، ومن أزار الكعبة، أخرج من سعة أذرع، وكان هناك موضع مقام إبراهيم (صلى الله عليه وسلم) .

وصلى النبي (صلى الله عليه وسلم) عنده حين فرغ من طوافه ركعتين، وأنزل الله تعالى عليه: "وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى". ثم نقله (صلى الله عليه وسلم) إلى الموضع الذي هو به الآن . وذلك على عشرين ذراعاً من الكعبة: لتلايقطع الطواف بالمصلين خلفه، أو ترك الناس الصلاة حله لأجل الطواف حين كبر الناس، وليدور الصف حول الكعبة، ويرى الإمام من وجهه. ثم حمله السبل في أيام عمر وأخرجه من المسجد . فأمر عمر برده إلى موضعه الذي وضعه فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

وبين موضع الخلق - وهو مصلى آدم عليه السلام - وبين الركن الشامي ثمانية أذرع.

موضع الخلق
ومقام إبراهيم

(٧١)

ومن الركن الشامي إلى اللوح المرمم المنقوش في الحجر الذي بنى هناك ابن الزبير
ركن البيت (وهو على قواعد إبراهيم عليه السلام) تسعة أذرع .

وفيما بين الحجر إلى مقام إبراهيم خمسة وعشرون ذراعا ويسمى ذلك الحطيم .
لأنه يحطم الذنوب أى يسقطها ؛ وقيل لأنه حطم من البيت ؛ وقيل لأن من حلف
هناك كاذبا أنحطم دينه ودنياه .

وما بين الركن العراقى (وهو الذى فيه الحجر الأسود) إلى مصلى النبى (صلى الله
عليه وسلم) قبل هجرته إلى المدينة ، عشرة أذرع . وكان يستقبل بيت المقدس ،
ويجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس . ولهذا لم يبين توجهه إلى بيت المقدس إلا
لما هاجر إلى المدينة .

وبين الركن الباقى وبين الباب المسدود فى ظهر الكعبة أربعة أذرع . ويسمى
ذلك الموضع المستجار من الذنوب ، وعرض الباب خمسة أذرع ، وأرتفاعه سبعة
أذرع . وبينه وبين الركن الغربى ثلاثة عشر ذراعا .

وبين الركن الغربى وآخر قواعد إبراهيم - وهناك اللوح المرمم المنقوش - أزيد من
سبعة أذرع . وإلى هناك بنى ابن الزبير .

وقد قدما أن أرتفاع الكعبة فى الهواء سبعة وعشرون ذراعا .



وأما صفة المسجد الحرام المحيطة بالكعبة

فنقول : قد ذكر الأزرقى والماوردى والسهيلي وغيرهم ، وفي كلام بعضهم زيادة على بعض :

كان المسجد الحرام ، أعنى المحيط بالكعبة فناء لها وفضاء للطائمين . ولم يكن له على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأبي بكر جدارٌ يحيط به . فضيق الناس على الكعبة وألصقوا دورهم بها . وكانت الدور مُحْدَقَةٌ بالكعبة . وبين الدور أبواب يدخل الناس من كل ناحية .

فلما استُخلف عمر ، وكثر الناس ، قال : " لا بدَّ لبيت الله من فناء ! وإنكم تدخلتم عليه ولم يدخل عليكم " . فوسع المسجد واشترى تلك الدور وهدمها وزادها في المسجد . وأخذ للمسجد جداراً قصيراً ، دون القائمة . وكانت القناديل توضع عليه . وكان عمر أول من اتخذ الجدار للمسجد الحرام .

ثم لما استُخلف عثمان ، آتباع منازل ووسعه بها . وبني الأروقة للمسجد ، فيما ذكر الأزرقى والماوردى وغيرهما .

ثم إن ابن الزبير زاد في المسجد زيادة كثيرة . واشترى دوراً ، من جملتها بعض دار الأزرقى ، اشترى ذلك البعض ببضعة عشر ألف دينار . وجعل فيها عمداً من الرخام .

ثم عمره عبد الملك بن مروان ، ولم يزد فيه ، لكن رفع جداره ، وجلب إليه السواري في البحر إلى جُدَّة ، وسقفه بالساج . وعمره عمارة حسنة .

ثم وسع ابنه الوليد وحمل إليه أعمدة الحجارة والرخام .

وصف المسجد
الحرام

من الحفاب
مع الملك
لتوسيع المسجد

عثمان بن عفان
يبنى به

ابن الزبير يشتري
بها

عمر عبد الملك
ابن مروان له

توسيع الوليد له

زيادة المصور
العباسي، وأعمدة
الرخام
ديانة المهدي

ثم زاد فيه المنصور، وجعل فيه أعمدة الرخام.

وزاد فيه المهدي مرتين : إحداهما سنة ستين ومائة، والثانية سنة سبع وستين ومائة وفيها توفى المهدي .

وأستقر بناؤه إلى الآن.

رواق المسجد
الحرام وسفاده

وأما الرواق فتقول : إن له سقفي، أحدهما فوق الآخر ، وبينهما فرجة قدر الدراعين ، أو نحوهما .

فأما الأعلى^(١) منه ، مسطوحه فرش مسقف بالدوم اليابس .

وأما الأسفل منهما ، فهو مستوف بالساج ، مزخرف بالذهب .



أستيب

وعدد أساطينه (ذلك من الرخام والحجر الأبيض ، سوى ما جدد في دار الندوة وسوف الحطة) أربعمائة وأربع وثمانون أسطوانة ، بين كل أسطوانتين ستة أذرع : منها في الجانب الشرق الذي يلي المسمى مائة أسطوانة وثلاث أساطين ، وفي الجانب الشامي مما يلي الصفا مائة أسطوانة وإحدى وأربعون أسطوانة ، وفي الجانب الغربي مائة أسطوانة وخمس أساطين ، وفي الجانب الشامي الذي فيه دار الندوة مائة وخمس وثلاثون أسطوانة .

وفي وسط هذا الشق أو نحوه الذي يلي المسجد سارية خمس أساطين : ذكر أنها كانت يهودية فسامها النبي (صلى الله عليه وسلم) فيها ، فأبث بيعها إلا بوزنها ذهباً ، ففعل النبي (صلى الله عليه وسلم) ذلك ، فوُضع في ميزان ، ووضع مثقال واحد مريح المثقال ببركة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

شراء النبي
لأسطوانة بوزنها
ذهباً

ومنها على باب المسجد اثنتان وعشرون؛ ومن ناحية المسجد ست؛ ومن ناحية الوادي والصفاء عشر؛ ومن ناحية بني جُمح أربع؛ ومن ناحية دار الندوة اثنتان.

وفي دار الندوة سوى ما ذكرناه سبع وستون أسطوانة بالحجارة مبيضة، وطول كل أسطوانة منها عشرة أذرع، وتدويرها ثلاثة أذرع، وذراع ما بين كل أسطوانتين ستة أذرع ونصف.

وعدد طاقاته وهي الحنايا المعفودة على الأساطين أربعمائة طاق وثمان وتسعون طاقا، سوى ما في دار الندوة.

وذراع المسجد الحرام من باب بني جُمح إلى باب العباس، الذي عند العلم الأخضر، و يعرف بباب بني هاشم، أربعمائة ذراع وأربعة أذرع، وعرضه ما بين دار الندوة إلى باب الصفاء ثلثمائة ذراع وأربعة أذرع.

وذراع ما بين وسط جدار الكعبة الشرقى^(١) الذى إلى المسعى مائتا ذراع وثلاثة عشر ذراعا؛ ومن وسط جدار الكعبة الغربى إلى جدار المسجد الغربى الذى إلى بني جُمح مائة ذراع وتسعة وتسعون ذراعا؛ ومن وسط جدار الكعبة الحبوبى إلى جدار المسجد الذى إلى الوادي مائة ذراع وأحد وأربعون ذراعا؛ ومن وسط جدار الكعبة الشمالى الذى إلى الحجر إلى حدار المسجد الذى إلى دار الندوة مائة ذراع وتسعة وثلاثون ذراعا؛ ومن ركن الكعبة الغربى ويقال له الشامى إلى المنارة التى تلى المروة مائتا ذراع وأربعة وستون ذراعا؛ ومن ركن الكعبة الشامى ويقال له الغربى إلى المنارة التى تلى باب بني سهم (وهو باب العمرة) مائتا ذراع وثمانية عشر ذراعا؛ ومن الركن

(١) يظهر أن هاسقطا. وأصل الكلام "وذراع ما بين وسط حدار الكعبة الشرقى إلى حدار المسجد الشرقى" الخ كما تصح ذلك من طائره معد.

حنايا المسجد
الحرام

ساحته



اليانتي إلى المنارة التي تلي أجياد الكبرى وبين الحزورة مائتا ذراع وثمانية أذرع؛
ومن الركن الأسود إلى المنارة مستمرة تلي المسعى والوادي من ناحية الصفا مائتا
ذراع وثمانية وعشرون ذراعا .

ارتفاعه و السماء ارتفاع جداره في السماء مما يلي المسعى ثمانية عشر ذراعا؛ ومما يلي الوادي والصفا
أثنان وعشرون ذراعا؛ ومما يلي بني سُحَمَّحَ اثْنان وعشرون ذراعا؛ ومما يلي دار الندوة
سبعة عشر ذراعا ونصف .

شرفته وعدد شرفاته من داحله وحارجه ، أربعائة وخمس وتسعون شُرَافَة . هذا
من خارجه .

وعندها من داخله اربعائة وثمان وتسعون شُرَافَة .

١٠ بجميعها ألف شُرَافَة إلا سبع شُرَافَات :

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ يُطَاقُ وَيُرَادُّ بِهِ عَيْنُ الْكَعْبَةِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ” قَوْلٌ
وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ “ ، إِذْ لَمْ يَفْلُ أَحَدٌ مِنَ الْمَسَامِينِ بِالْإِكْتِفَاءِ بِالتَّوْجِهَةِ إِلَى
اسْتِفْهَالِ الْمَسْجِدِ الْمُحِيطِ بِالْكَعْبَةِ . وَهَذَا هُوَ أَصْلُ حَقِيقَةِ اللَّفْظِ ، وَهُوَ الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ
تَعَالَى : ” إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِكَعْبَةٍ “ وَقَوْلِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لَمَّا
سَأَلَهُ أَبُو ذَرٍّ عَنْ أَوَّلِ مَسْجِدٍ وُضِعَ أَوَّلَ ، قَالَ : الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ .

المسجد تدبراد به
الكعبة كلها

٧٥

وقد يُطَاقُ الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ وَيُرَادُّ بِهِ الْمَسْجِدُ الْمُحِيطُ بِالْكَعْبَةِ ، وَهُوَ الْغَالِبُ فِي الْأَسْتِعْمَالِ
عَلَى وَجْهِ التَّغْلِيْبِ الْمَجَازِيِّ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : ” صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي
هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيهَا سِوَاهُ ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ “ ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ” سُبْحَانَ
الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ “ . عَلَى قَوْلٍ مَنْ رَوَى أَنَّهُ كَانَ نَائِمًا
فِي الْمَسْجِدِ الْمُحِيطِ بِالْكَعْبَةِ .

المسجد الحرام
قد يراد به المسجد
المحيط بالكعبة
فقط

المسجد الحرام
قد يراد به مكة
أو الحرم بأكمله

وقد يطلق المسجد الحرام ويراد به مكة أو الحرم بأكمله، على قول من يقول إن المراد بالمسجد الحرام مكة. لأنه (صلى الله عليه وسلم) كان نائما في بيت أم هانئ لما أسرى به، وكما في قوله تعالى "ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاصِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ". على قول من يقول إن المراد الحرم الخارج عن مكة بأكمله.

وهذا كله على وجه التغليب المجازي. ولا ريب فيه. وإلا يلزم الاشتراك في موضوع المسجد الحرام. والمجاز أولى منه. والله أعلم.

ومما يشتمل عليه المسجد الحرام بئر زمزم وهي سُقْيَا إِسْمَاعِيلَ، وَهَزْمَةُ رُوحِ الْقُدُسِ حَبْرِيْلَ، طَعَامُ طُعْمٍ، وَشِفَاءُ سَقَمٍ، لَا تَزِفُ وَلَا تَذَمُّ، وَلَا يَتَوَجَّهُ إِلَيْهَا ذَمٌّ بِلَقِيَةِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، وَدَلِيلُ سُودَّدِهِ وَلَا كَذِبٍ. وفي الحديث: "مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شَرِبَ لَهُ". قال السَّهْلِيُّ: كانت زمزم سُقْيَا إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ. جَرَّاهُ لَهُ رُوحُ الْقُدُسِ بَعْقِبِهِ. وفي ذلك إشارة إلى أنها لعقب إِسْمَاعِيلَ وَزَائِهِ وَهُوَ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ (صلى الله عليه وسلم)، والقصة في ذلك معروفة.

وتلخصها أن إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) لما أحتمل إِسْمَاعِيلَ وَأُمَّهُ هَاجَرَ إِلَى مَكَّةَ، أَحْتَمَلَ مَعَهُ لَهَا قُرْبَةً مَاءٍ وَمِزْرُودَ تَمْرٍ. وَتَرَكَهُمَا بِمَكَّةَ وَعَادَ. فَلَمَّا فَرَغَ التَّمْرَ وَالْمَاءَ عَطَشَ إِسْمَاعِيلُ، وَهُوَ صَغِيرٌ، وَجَعَلَ يَبْشَعُ لِلْوَتِ، وَجَعَلَ هَاجِرًا تَسْعَى مِنَ الصَّهَاءِ إِلَى الْمَرْوَةِ، وَمِنَ الْمَرْوَةِ إِلَى الصَّهَاءِ، لَتَرَى أَحَدًا، حَتَّى سَمِعَتْ صَوْتًا عِنْدَ الصَّيِّ. فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتُ، إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوْثٌ. ثُمَّ جَاءَتْ الصَّيِّ. فَلَإِذَا الْمَاءُ يَنْبَعُ مِنْ تَحْتِ خَدِّهِ. فَجَعَلَتْ تَغْرِيفُ بِيَدَيْهَا، وَتَجْعَلُ فِي الْقُرْبَةِ. وَسَيَّاتَى بَعْدَ ذَلِكَ لَهُ حَبْرٌ. قَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) لَوْ تَرَكْتَهُ لَكَانَ عَيْنًا (أَوْ قَالَ: نَهْرًا مَعِينًا).

٦٧

صل نسبة
م

قال الحرقي: سميت زمزم بزمزمة الماء، وهي صوته. وقال المسعودي: سميت زمزم لأن الفرس كانت تنحج إليها في الزم الأول، فترمزم عندها. والزمزمة صوت يخرج الفرس من خياشيمها، عند شرب الماء، وأنشد المسعودي:

زمزمت الفرس على زمزم، وذلك في سالفها الأقدم.

وذكر البرقي عن ابن عباس: أنها سميت زمزم، لأنها زمت بالقراب، لتلا يسبح الماء يمينا وسمالا، ولو نكت لساحب على الأرض، حتى تملأ كل شيء.

وقد ذكرنا طم الحارث بن مضاض إناها. ولم تزل دارسة، حتى أرى عبد المطلب أن أحمر طيه. فسميت طيبة، لأنها للطيبين والطيبات، من ولد إبراهيم وإسماعيل وقبل له: أحمر برة. وقبل: أحمر المضونة، صنت بها على الناس إلا عليك. ودل عليها علامات ثلاث: بكرة الغراب الأعصم، وأنها من الثرى والدم، وعند

فربة النمل.

ممة حوت
معدة وخدي
معدة المطلب حفرة

وروى أنه لما قام لبحرها، رأى ما رسم له من فرية النمل وبكرة الغراب، ولم ير الثرى والدم. وبينما هو كذلك، نذت بكرة لجازرها، فلم يدركها حتى دخلت المسجد الحرام، فحمرها في الموضع الذي رسم له. فسأل هناك الثرى والدم، فحمر عبد المطلب حيث رسم له.

١٥

وقبل عبد المطلب في صننها: إنها لا تزف أبدا، وهذا برهان عظيم، لأنها لم تزف من ذلك الحين إلى اليوم قط، وقد وقع فيها حبشي فترحت من أجله. فوجدوا ماءها يشور من ثلاث أعين: أقواها وأكثرها ماء عين من ناحية الحجر الأسود. رواه الدارقطني. وروى الدارقطني أيضا مسندا عن النبي (صلى الله عليه وسلم): "من



شرب من ماء زمزم، فليس بصلع، فإنه فرق ما بيننا وبين المنافقين. لا يستطيعون أن يتصلعوا

٢٠

منها". أو كما قال. ورؤى عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "ماء زمزم لما شرب له". ورؤى أن أبا ذر تقوت من مائها ثلاثين، بين يوم وليلة. فسمن حتى تكسرت عُكْنُهُ.

وذكر الزهري في سيرة أن عبد المطلب أخذ حوضا لزمزم يستقي منه. وكان يُحَرَّبُ بالليل، حسدا له. فلما عمته ذلك، قيل له في اليوم: "قل: لا أحلها لغتسل، وهي لشارب حلّ وبِلّ". وقد كَفَيْتَهُمْ. فلما أصبح، قال: نعم. وكان بعدُ من أرادها مَكْرُوه، رُمِيَ بداء في جسده، حتى انتهوا عنه. (١)

الصفاء والمروة



قال الله تعالى: "إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا".

لصفه والمروة

فَرَقَدَا الْأَرْضَ، وَجَارَا الْبَيْتَ الْحَرَامَ، وَطَوَّأَ لِمَنْ وَقَفَ عَلَيْهِمَا، وَسَمِيَ بَيْنَهُمَا أَوْ إِلَهُمَا . وسذكر ما هما، ففقول:

أما الصفا فحجرٌ أزرقٌ عظيمٌ في أصل جبل أبي قُبَيْسٍ، قد كُسِرَ دَرَجٌ إِلَى آخِرِ مَوْضِعِ الْوُقُوفِ. وأكثر ما ينهى الناس منها إلى اثنتي عشرة درجة أو نحوها.

وصف الصفا

وأما المروة فحجر عظيم إلى أصل جبل متصل بجبل قُبَيْعَانَ . كأنه قد انفسم على حَرَايْنِ، وبقت بينهما فرجة، بين منها دَرَجٌ عليها إلى آ ر الوقوف.

وصف المروة

"وَذَرْعٌ مَا بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَهُوَ الْمَسْعَى . سبعة أذراع وثمانون ذراعا".

المسعى

من الصفا إلى الميل الأخضر المائل في ركن المسجد على الوادي مائة وثمانون ذراعا.

"وَذَرْعٌ مَا بَيْنَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ وَالصَّفَا مِائَتَا ذِرَاعٍ وَأَثْنَانِ وَسِتُونَ ذِرَاعًا".

ومن الميل الأصغر إلى الميل الأخضر الذي بإزاء دار جعفر بن العباس ، وهو

مَوْضِعُ الْهَرُولَةِ . مائة وخمسة وعشرون ذراعا.

موضع الهرولة

ومن الميل الثاني إلى المروة أربعمائة وخمسة وسبعون ذراعا.

١٥

بجميع ما بين الصفا والمروة سبعة أذراع^(١) وثمانون ذراعا .

(١) في هذا الحساب اضطراب . ولذلك وضعنا بين شولتين مزدوحتين " المسافة الكائنة بين

الحجر الأسود والصفا، لتكون النتيجة مواءمة للقدمة وليصح الحساب .

دار الندوة

قال الماوردي : لم تكن مكة ذات مازل . وكانت قريش ، بعد جُرْهُم ، والمعاقبة ، ينتجعون جبالها وأوديتها . ولا يخرجون من حرّما أنسابا إلى الكعبة لاستيلائهم عليها ، وتخصيصها بالحرم لخلوهم فيه . وبرون أن ذلك يكون لهم بسببه شأن . وكان كلما كثر فيهم العدد ونسأت فيهم الرئاسة ، قوى أمهلهم وعلموا أنهم سيقدمون على العرب . وكان فضلائهم يخيلون أن ذلك لرئاسة في الدين وتأسيسا لنبوّة ستكون . فأول من أُلِّم ذلك منهم كعب بن لؤي بن غالب . وكانت قريش تحتجع إليه في كل جمعة . وكان بخطبهم فيه ، ويذكر لهم أمر نبينا (صلى الله عليه وسلم) .

ثم انتقلت الرئاسة إلى قُصَي بن كلاب ، فبنى مكة دار الندوة ليحكم بها بين قريش ، ثم صارت لتشاؤمهم وعقد الألوية في حروبهم . وكانت هذه الدار ، لا ينكح رجل من قريش ولا امرأة إلا فيها ، ولا يُعقد لواء الحرب لهم ولا لعيرهم إلا فيها ، ولا يُعدّر غلام إلا فيها ، ولا تُدرّع جارية من قريش إلا فيها : يُسقى عليها درعها ثم تُدرّع ويُطلق بها إلى أهلها ، ولا تخرج عبر من قريش ويرحلون إلا منها . ولا يهدمون إلا نزلوا فيها .

قال الكلبي : " وكانت أول دار بُنيت بمكة ، ثم نتاج الناس فَنُتوا الدور . كلما قربوا من الإسلام ازدادوا قوة وكثرة عدد ، حتى دانت لهم العرب " .

قال الماوردي : صارت بعد قُصَي لابنه عبدالدار . فابتاعها معاوية في الإسلام من عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار بن قُصَي ، وجعلها دار الإمارة .

وروى الأزرقي أن معاوية اشتراها لما حجّ، وهو خليفة، بمائة ألف درهم،
 وذكر السهيلي أن هذه الدار صارت إلى حكيم بن حزام بن أسد بن عبد العزى
 ابن قصى فباعها في الإسلام بمائة ألف. وذلك في زمن معاوية. فلامه معاوية
 في ذلك، وقال: "بعت مكرمة آبائك وشرفهم". فقال حكيم: "ذهبت المكارم إلا
 التقوى. والله لقد اشتريتها في الجاهلية بزق نحر، وقد بعثت بمائة ألف، وأشهدكم أني
 جعلتُ منها في سبيل الله! فأينما المضنون؟"

قال الحارثي: هي اليوم (يعني دار الندوة) في المسجد الحرام.
 قال الأزرقي: وهي جانبه الشمالي. وقد تقدّم ذكرها.^(١)

دجوها في المسجد
 الحرام وموضعها
 —

مِنَى



يسى

حيث تُرْمَى الجَمَرَات، وتُهْمَى العَبَرَات، ذوات اللبالي المُقَمَّرَات، والأَيَّامُ الَّتِي سُلِّخَ
من الكافور ثياب عشاياها المعنبرات، يُحَلَّى بها من كل رَبِّ عَاطِلُهُ، ويلتقي في كل
سِرْب كل ذى دِينٍ ومَاطِلُهُ .

وهى بطحاء بين جبلين، مهدفة الجوانب، فيها مجتمع الجميع . والمُحَصَّب منها
موضع الجمرات . وهى على مدرجة السوق الأعظم، حيث يُنَصَّب كلُّ سنة،
أيامَ الموسم . يجتمع فيه الخليطان من شام ويَمَن، وتزل الركوب به في مازلم:
من شَرَف الوادى إلى حيث تُنَحَّر البدَنَات تحت العقبة الأولى، حيث تُنَصَّب
سقايات الحَاج .

وكانت في قديم الإسلام موسم لقاء الحبايب، ومكان موعد كل مفارق .
وثلاث ليلى منى معروفة موصوفة، قد أكثر فيها الشعراء وزنم بها التيمون .
وبمِنَى بيوتٌ هى كالقرية . منها ماهو مسكون ومنها ماهو برسم بضائع الكارم،
أيامَ الموسم، تُكْرَى بأجرة طائلة .

وبها آثار متخذة لخزن ماء الأسنية، يباع على الجميع . وهو ماء ثقيلٌ وبِئْسَ
يجل من أوساخ الذبائح، وبقايا الأضاحى، ودماء القرابين .

وفيهامسجد الخفيف، وهو على يمين المتوجه من مكة إلى عرفات، والخفيف
هو البستان . وجدد بناؤه في الأيام الزاهرة الناصرية، سقى الله عهدا !

وفيهامسجد إسماعيل، ويسمى بمسجد الكبش . وهو على يسار المتوجه من منى
إلى عرفات . يقال إن الفداء لإسماعيل نزل به . ويتزل المصريون منه إلى منى، ويتزل

مسجد الحبيب

مسجد الكدش

المَكُونُ منه إلى مُعَرَّفٍ، وبقعُ نَجْمٍ مسجد الخَيْف منحرفاً عنه على ذروة من الجبل .
يَحِيلُ بينهما مجرى ماء من ماء الشَّاء . يَزَلُ فيما يليه إلى الطريق العظمى رُجُلَانُ العرب .

جمع (أى المزدلفة) - هي المزدلفة . وكلها مَشْعَرٌ إلا بطن مُحَسَّرٍ . ومنها نُوْخَذُ حَصَى الجمرات .
وبذلك فسر على وابن مسعود قوله تعالى : "نُوسِطُنْ بِهِ جَمْعاً" . قالوا : يعنى المزدلفة .

المزدلفة - ومسجد المَزْدَلِفَةِ عن يسارك إذا مضيت إلى عرفات . وفيه يجمع بين المغرب
والعشاء ، إذا نحر الحاج من عرفات . وهى التى عنى الشريف الرضى بقوله :

عَارِضًا بَى رَكَبٍ الْحَاجَازِ نَسَا نَسَا لِهْ : متى عَهْدُهُ بِأَيَّامِ سَلَمٍ
وَأَسْتَمَلًا حَدِيثَ مَنْ سَكَنَ الْخَيْفَ وَلَا تَكْتَبَاهُ إِلَّا بَدْمَعِي .
فَاتَنَى أَنْ أَرَى الدِّيارَ بِطَرْفِي ، فَلَعَلِّي أَرَى الدِّيارَ بِسَمْعِي !
هَلَفَ نَفْسِي عَلَى اللَّيْلِ تَقَضَّتْ * لِي بَجْع ! وَإِنْ أُمَامُ جَمْعُ

قال الزمخشري في قوله تعالى "فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ" : المشعرُ الحرامُ
قَرْحٌ ، وهو الجبل الذى يَقِفُ عليه الإمام وعليه المِيقَدة .

المشعر الحرام

وقيل : المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة إلى ما زعمى عرفة إلى وادى مُحَسَّرٍ . وليس
المَأَزِمَانُ ولا وادى محسر من المشعر الحرام .

والصحيح أنه الجبل . لما روى حابر أن النبى (صلى الله عليه وسلم) لما صلى
الفجر - يعنى بالمزدلفة - ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام ، فدعا وكبر وهلل . ولم يزل
واقفا حتى أسمر .

وقوله "عند المشعر الحرام" معناه مما يلي المشعر الحرام، قريبا منه، وذلك للفضل،
كالتقرب من جبل الرحمة، وإلا فالنزلة كلها موقف، إلا وادى مُحَسَّر. وجعلت
أعقابُ النزلة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به، عند المشعر.

وقيل سميت "النزلة" و"جمعا" لأن آدم اجتمع فيها مع حواء وأزلف إليها،
أى دنا منها. وقال قتادة: لأنه يجمع فيها بين الصلاتين، ويجوز أن تكون وصفت بعمل
أهلها، لأنهم يزدفون إلى الله تعالى، أى يتفربون بالوقوف فيها. وعن علي: "ما
أصبح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقف على فُرج، فقال: هذا فُرج! وهو
الموقف". وجمع كلها موقف.

أنصاب الحرم

هى العلامات المبينة على حدود الحرم. ١٠

وأقول من بناها إبراهيم (صلوات الله عليه). وأشار له جبريل إلى مواضعها. هكذا
ذكره أبو عمرو وبه والأزرقى وغيرهما.

وروى الأزرقى أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أمر بتجديد العلامات التى على
الحرم، التى عملها إبراهيم، وجبريل يريه مواضعها، ثم عمر بن عثمان، ثم معاوية.

وهذه العلامات بيّنة إلى الآن، بحمد الله تعالى. ١٥

وحُدَّ الحرم، من طريق مدينة النبي (صلى الله عليه وسلم) - دون النعيم عديبوت حد الحرم
ينفار - على ثلاثة أميال من مكة؛

ومن طريق اليمن، طرف أضواء اليمن، ثنية لين، على سبعة أميال؛

ومن طريق العراق، على ثنية جبل بالمقطع، على سبعة أميال؛

ومن طريق الجِعْرَانَةِ في شعب آل عبد الله بن خالد، على تسعة أميال؛

ومن طريق الطائف على عرفات، من بطن تَمْرَةٍ، على سبعة أميال؛

ومن طريق جُدَّة، منقَطَع الأعشاش، على عشرة أميال.

فهذه حد ما جعله الله تعالى حَرَمًا، لما اخْتَصَّ به من التحريم، وبَيَّنَّ بحكمه

سائر البلاد.

٥

تعطيه وتخربه

وصحَّح عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : ” إن هذا البلد (يعني مكة)

حرَّمه الله يومَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ” . وفي رواية : ” قبل أن يخلق السماوات

وَالْأَرْضَ ” . فيكون تحريمها قبل خلق السماوات والأرض كتابةً تحريمها في اللوح

المحفوظ، أو تقديرُ حرمتها. ورُوي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن إبراهيم حَرَّمَ

مَكَّةَ . ومعناه أظهر حرمتها . قال السَّهِيلُ : رُوي في التفسير أن الله تعالى لما قال

للسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ : ” إِنِّي بَاطِنٌ أَوْ كَرَّهَا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ” لم يُجِبْ هذه المقالة من

الأرض إلا أرض الحرم . فلذلك حرَّمها . فصارت حرمتها كحرمة المؤمن : إنما حُرِّمَ دَمُهُ

وعرضه وماله ، بطاعته لربه . وأرض الحرم لما قالت ” أَتَيْنَا طَائِعِينَ ” حُرِّمَ صيدها

وشجرها وحلَّاهَا، إِلَّا الْإِذْحَارَ ، فلا حرمة إلا لذي طاعة . جعلنا الله من أهل طاعته !

١٥ وصحَّح عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : ” إن هذا البلد حرَّمه الله يومَ

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة . لا يُعْصَدُ شجره ولا يُفَرَّقُ

صَيْدُهُ وَلَا يُخْتَلَى خَلَاهُ ” .

وما زال الناس في الجاهلية والإسلام يعظمون هذا الحرم ويحتنبون قطع شجره .

حطت شجره

فالواقدي : لما أن أردت قريش البنيان ، قالت لَقُصِي : ” كيف نصنع في شجر

الحرم؟ فخذرم قطعها وخوفهم العقوبة في ذلك. فكان أحدهم يحرف بالبنان حول الشجرة، حتى تكون في منزله.

٨٣
قطع شجرة ومقدار
دية كل شجرة ببقرة

قال : وأول من ترخص في قطع شجر الحرم، عبد الله بن الزبير .
قال السهيلي : أبتى ابن الزبير دورا بقميعةان وترخص في قطع شجر الحرم، وجعل دية كل شجرة بقرة . وكذلك روى عن عمر أنه قطع دوحة كانت في دار أسد بن عبد المزى، وكانت أطرافها تنال ثياب الطائفين بالكعبة. وذلك قبل أن يوسع المسجد. فقطعها وودأها ببقرة.

عَرَافَات

عَرَفَات مَلْتَقَى الْخَلِيطَيْنِ مِنْ شَامٍ وَيَمَنٍ، وَجَمْعُ الْبَحْرَيْنِ مِنَ الرِّقَّةِ إِلَى عَدْنِ. بِهِ يَتَجَلَّى اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَبِهِمْ الْمَغْتَرَةُ. وَبِهَا الصَّخْرَاتُ، مَوْفَقُ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حَيْثُ تَقِفُ الْحَامِلُ.

قصة آدم وعلى قُتِبَ هَذَا الْجَبَلُ قُبَّةَ آدَمَ. هَكَذَا تُسَمَّى. وَيُقَالُ إِنَّ هُنَاكَ تَعَارَفَ آدَمُ وَحَوَّاءُ، بَعْدَ أَنْ أَهْبَطَا. وَعَرَافَاتُ عِلْمٌ لِلْمَوْقِفِ، سُمِّيَ بِجَمْعٍ، كَأَذْرَعَاتٍ.

وَإِخْتَلَفَ فِي تَسْمِيَّتِهَا بِذَلِكَ. فَقِيلَ: لِأَنَّهَا وُصِفَتْ لِإِبْرَاهِيمَ، فَلَمَّا أَصْرَهَا عَرَفَهَا؛ وَفِيلَ إِنْ جَبُرِيلَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كَانَ يَدُورُ بِهِ فِي الْمَشَاعِرِ، يَرِيهِ إِهَامَهَا، فَقَالَ: قَدْ عَرَفْتُ؛ وَقِيلَ التَّفَنَّى فِيهَا آدَمُ وَحَوَّاءُ فَتَعَارَفَا، كَمَا تَقَدَّمَ. وَقِيلَ لِأَنَّ النَّاسَ يَتَعَارَفُونَ بِهَا. وَهِيَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمُرْتَجَلَةِ. لِأَنَّ عَرَفَةَ لَا تَعْرِفُ فِي أَسْمَاءِ الْأَجْنَاسِ. (١)

مَسْجِدُ نَمْرَةٍ

وَيُسَمَّى مَسْجِدَ إِبْرَاهِيمَ. يُقَالُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بَاءَ. وَلَا يَصِحُّ هَذَا. وَهُوَ عَلَى يَمِينِ السَّالِكِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى عَرَافَاتٍ، فَرِيبِ الطَّرِيقِ، مَدَانِيَا لِعَرَفَةَ.

وَعَادَةُ الْخُطَابَةِ بِهِ فِي وَقْتِنَا لِإِمَامِ الطَّائِفَةِ الْمَالِكِيَّةِ بِمَكَّةَ الْمُعَظَّمَةِ. وَجُدُّهُ قَائِمَةٌ. وَكَذَلِكَ مَبْرَهُ. وَلَا سَقْفَ لَهُ.

مسجد عائشة

رضي الله عنها

هو بالتنعيم في الحِلِّ، عند أول الحرم، ولا يحضرني مَنْ بناه، وكل مسجد هناك يسمى بهذا، وأشهرها المُصَاقِب للطريق على يسار الداخل إلى مكة، وإنما نُسب إلى عائشة لكونها آتَمَرَتْ من التنعيم، ولعلها أحرمت في البقعة التي بُني بها المسجد، وعمرتها معروفة على ما تضمنته الأحاديث.

مسجد ميمونة

رضي الله عنها

وسمى بذلك لمكان قبرها، وهناك مات أبو جعفر المصور، ودُفِنَ مُحَرِّماً، على ما هو مذكور في موضعه.

وميمونة هي بنت الحارث، إحدى أزواج رسول الله (صلى الله عليه وسلم). وكانت أختها أم عبد الله بن العباس.

المواقيت

المواقيت أي مواضع الإجماع

روى ابن عباس أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقت لأهل المدينة ذَا الْحُلَيْفَةِ، ولأهل الشام الْجُحْفَةَ، ولأهل نجد قَرْنَ الْمَنَازِل، ولأهل اليمن يَلْهَم. وقال: "هَنَ لَهَنَ وَلَمَنَ أَتَى عَلَيْهِنَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِنَّ، مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ. وَمَنْ كَانَ دُونَ ذَلِكَ، مِنْ حَيْثُ أَنْشَأَ، حَتَّى أَهْلُ مَكَّةَ مِنْ مَكَّةَ." أخرجاه في الصحيحين.

فهذه المواقيت التي وقتها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا يجوز لأحد رد الحج أو العمرة أن يتجاوزها إلا مُحَرِّماً. وأما مَنْ لم يرد الحج أو العمرة، فكذلك عدا قفها.

الأمصار، وقولان عبد الشافعي. وموضع ذلك كتب الفقه.

٨٥

دوالخليفة،
بقيات أهل الشام
في عصر المؤلف

فأما ذو الخليفة فهو أبعد المواقيت، على عشر مراحل من مكة، أو سبع منها.
(وهو بضم الحاء المهملة وفتح اللام). ومنها يُحرم الآن الركب الشامي.

آ. وهذا الطريق

وبها آبار تسمى آبار على. وبعض الناس يقول بئر المحرم.

الخفة

والخفة موضع على ثلاث مراحل من مكة. (وهي بضم الجيم وسكون الخاء
المهملة بعد الجيم).

(اسمها القديم
مهملة)

وذكر ابن الكلبي أن الهالقي أخرجوا بني عييل (وهم إخوة عاد) من يثرب. فزلوا
الجحمة، وكان اسمها مهيعة، (بفتح الميم وسكون الهاء على وزن مقالة وقيل بكسر
الهاء على وزن قبيلة). فجاءهم سيل فأجتاحهم، فسميت الجحمة.

ولما هاجر النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة أصابهم حمى. فدعا النبي
(صلى الله عليه وسلم) الله تعالى أن ينقل حمأها إلى الجحمة.

١٠

وهي شرق رابع ممر الركب المصري. ومن رابع يُحرم الآن.

رابع موضع إبرام
الركب المصري
في عهد المؤلف
قرن المارل

وقرن المنازل (بفتح القاف وسكون الراء)، موضع على مرحلتين من مكة. وقد
غلط الجوهري في قوله بفتح الراء، وقوله إن أويسا القرنى منسوب إليها. بل هو
منسوب إلى قرن بفتح القاف والراء بطن من مراد.

(تعليل المؤلف
لجوهري)

ويلهم (ويقال ألمم بالهمزة عوضا عن الياء)، موضع معروف على مرحلتين من
مكة. وهو بفتح الياء واللام وسكون الميم بعد اللام.

يلهم

ومن المواقيت ما لم يذكره النبي (صلى الله عليه وسلم) في الحديث. وهو ميقات
العراقيين، وهوذات عرق. وبينه وبين مكة خمس مراحل.

دات مرق



المسجد النبوي

على صاحبه أفضل الصلاة والسلام

الحرم النبوي

موضع منبره، وجوار مقبره، ومقام مصلاه، ودار آخرته وأولاه .

الروضة المباركة

وبجانبه حجرته المعظمة، التي صمت أعظمه، والله القائل :^(١)

ياخير من دُفنت في القاع أعظمه، * قطاب من طيبين القاع والأكرم !

نفسى الفداء لغير أنت ساكنه، * فيه العفاف وفيه الجود والكرم !

قدوم النبي
إلى المدينة ومصلاته
فيها

قال أنس : "قدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فزل في علو المدينة، في حتى

يقال لهم بنو عمرو بن عوف . فأقام فيهم أربع عشرة ليلة . ثم إنه أرسل إلى ملاجى

النجار، فجاءوا متقلدين سيوفهم . فكأنى أنظر إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على

راحته، وأبو بكر ردفه، وملائى النجار حوله، حتى ألقى ببناء أبي أيوب . قال : "وكان

يصلى حيث أدركته الصلاة، ويصلى في مرائب الغنم" .

سأله النبي
أسجد للمدينة

ثم إنه أمر بالمسجد . فأرسل إلى ملاجى النجار، فجاءوا . فقال : يا بنى النجار، نامنوني

بجائكم هذا . فقالوا : لا والله ! ، انطلب ثمنه إلا إلى الله تعالى .

قال أنس : وكان فيه نخل، وقبور المشركين، وحرب . فأمر النبي (صلى الله عليه

وسلم) بالحل فقطع، وبقبور المشركين فنُبشت، وبالنخرب فسُويت . قال : وصهوا

(١) في المواهب اللدنية (ج ٢ ص ١٠ طبع محمد شايف بالقاهرة سنة ١٢٨١) أن محمد بن حرب الهلالى

أنى قرأ النبي (صلى الله عليه وسلم) . فرأه وحلس بمحاده . فجاء أعراى فرأه . ثم قال : يا حبيب الرسل إن الله

أنزل عليك كتابا صادقا قال فيه : "ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول

لوحدوا الله توأما رجيا" . وقد حثك مستغفرا من دى ، مستغفرا لك إلى دى ! وأنشأ هول :

* يا حبيب من ذهب . . . البشير *

وأظن أيضا شرح "المواهب" للزرقانى (ج ٨ ص ٣٦١ من طعة نولاق سنة ١٢٧٨)

الحل قبله، وجعلوا عصادنيه حجارة. قال: فكانوا يرتجزون، ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) معهم، وهم يقولون:

اللهم إله لا حبر إلا خير الآخرة! ، فَأَصِرِ الْأَنْصَارَ والمُهَاجِرَةَ!
(رواه البخاري - مسلم) .

وروى عن السَّفَاء بنت عبد الرحمن الأنصارية، قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين بنى المسجد بؤمته جبريلُ إلى الكعبة ويُقيمُ له القبلة .
قال السَّيِّدِي: بنى مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسُقِفَ بالجريد وجُعِلَتْ قبلته من اللَّيْنِ . وبال: بل من حجارة منصودة بعضها على بعض، وحيطانه باللَّيْنِ، وجُعِلَتْ عمدته من جدوع النخل . فَتَحَرَّبَ في خلافة عمر، فحَدَّدَهَا.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: "كانت هذه القبلة في شمالي المسجد . لأنه (صلى الله عليه وسلم) صلى ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا إلى ياب المقدس . فلما حُوِّلَت القبلة بَنَى حائط القبلة الأولى مكان أهل الضُّعْفَةِ".

قال أبو سعيد الخُدْرِي: كان سقف مسجد النبي (صلى الله عليه وسلم) من جريد الخَلِ . وأمر عمر ببناء المسجد، وقال: أَكُنَّ النَّاسُ مِنَ الْمَطَرِ . وإياك أن تَحْمَرَ أو تَصْفَرَّ . فَتَقَنَّ النَّاسُ!

١٥

وعن عبد الله بن عمر أن المسجد كان على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) منبيا باللَّيْنِ، وسقفه الجريد، وعمده خُشْبُ الحِل . فلم يزد فيه أبو بكر شيئا . وزاد فيه عمر وبناه على بناءه في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) باللَّيْنِ والجريد، وأعاد عمده خَشْشا . ثم عيره عثمان، فزاد فيه زيادة كبيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والفَصَّةَ، وحمل عمدته من حجارة منقوشة، وسقَّفه بالساج . (رواه البخاري في صحيحه) .

٢٠

زيادة حمويه

و بنيه

زيادة عثمان
أس سنان

وعن عكرمة قال: قال لي عبدالله بن عباس ولابنه علي: "انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا من حديثه". فأنطلقنا، فإذا هو في حائط يصلحه، فأخذ رداءه فأحس حتى ثم أنسا بمحدثنا حتى أتى علي ذكر بناء المسجد. فقال: "كنا نحمل لبنة لبنة، وعمارٌ لبنتين لبنتين. فرآه النبي (صلى الله عليه وسلم) فجعل ينفض التراب ويقول: ويح عمار! تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار! قال: يقول عمار! أعوذ بالله من الفتى!" (رواه الحارثي)، وزاد معمر في "جامعه" أن عماراً كان ينقل لبنتين لبنتين: لبنة عنه ولبة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): "للناس أجرٌ ولك أجران، وأحرزادك من الدنيا سريةٌ لئن، وتقتلك الفئة الباغية."

مساحة الحرم
في عهد النبي

وعن خارجة بن زيد، أحد فقهاء المدينة السبعة، قال: بنى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مسجده سبعين ذراعاً في ستين ذراعاً، أو يزيد. فلما كان عثمان، زاد فيه.

الزيادات المتوالية
به

جعل طول المسجد مائة وستين ذراعاً وعرضه مائة وخمسين، وجعل أبوابه ستة، كما كانت في زمن عمر. وأمتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أئمة المؤمنين فيه، ومنها حجرة عائشة (وهي التي دفن فيها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وصاحبه رضي الله عنهما). فبنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله، لئلا يظهر في المسجد فيصلى إليه العوام ويؤدى إلى المحذور الذي نهى عنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من اتخاذ المساجد على القبور. ثم بنوا حدارين من ركني القبر الشالين، حرقوها حتى ألقتبا، كل ذلك حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر. ولهذا قالت عائشة (رضي الله عنها): "ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يُخذ مسجداً."



ثم إن الوليد بن عبد الملك زاد فيه جعل طوله مائتي ذراع وعرضه في مقدمه مائتين، وفي مؤخره مائة وثمانين.

زيادات العباسيين

ثم زاد فيه المهدي سنة ستين ومائة، من جهة الشام فقط دون الجهات الثلاث.

ثم زاد فيه المأمون سنة اثنتين ومائتين، وأثنى ببنائه ونقش فيه: "هذا ما أمر به
 عند الله المأمون" في كلام كثير

قال العلامة أبو زكريا النووي، رحمه الله: فينبغي للصلّي أن يعنى بالمحافظة على
 الصلاة فيما كان في زمنه (صلى الله عليه وسلم). فإن الحديث الصحيح عن رسول الله
 (صلى الله عليه وسلم): "صلاة في مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه،
 إلا المسجد الحرام" إنما يداول ما كان في زمنه، لأنه هو الذى حصلت الإشارة
 إليه. لكن إذا صليت في جماعة، فالتقدم إلى الصف الأول، ثم إلى ما يليه أفضل.
 فليست بذلك.

وذرع ما بين المنبر ومقام النبي (صلى الله عليه وسلم) الذى كان يصلى فيه حتى
 نوى، أربعة عشر ذراعا وشبر.
 وذرع ما بين المنبر والقبر ثلاثة وخمسون ذراعا وشبر.^(١)

المسافة بين المنبر
 ومصلّى النبي وقبره

بيوت النبي

صلى الله عليه وسلم

٨٩

قال السهيلي: كانت بيوت النبي (صلى الله عليه وسلم) تسعة: بعضها من جريد
 مطين بالطين وسقفها جريد، وبعضها من حجارة مرضومة بعضها على بعض مسقفة
 بالجريد أيضا.

بيوت النبي

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: "لم يبق لنا أنه (صلى الله عليه وسلم) بنى له تسعة
 أبيات، حين بنى المسجد، ولا أحسنه فعل ذلك، إنما كان يريد بيتا حينئذ لسودة،
 أم المؤمنين، ثم لم ينجح إلى بيت آخر، حتى بنى لعائشة في شوال سنة اثنتين، وكأنه
 (صلى الله عليه وسلم) بناها في أوقات مختلفة. والله أعلم."

٢٠

(١) يباصر ما قبل الصيغة في الأصل مقدار سبعة أسطر.

وقال الحسن بن أبي الحسن : كنتُ أدخل بيوت النبي (صلى الله عليه وسلم) وأنا غلام مرافق فأناال السقف بيدي . وكان لكل بيتِ حُجْرَةٌ . وكانت حُجْرُهُ (عليه السلام) أكسبَةً من شَعِيرٍ مَرُوطَةٍ في حَشَبِ عَرَبِيٍّ .

وفي تاريخ البخاري أن بابه (صلى الله عليه وسلم) كان يُقَرَع بالأظافر . أي لاحتق له .

تداخل بيوته
في المسجد . أيام
عبد الملك بن
مروان

ولما تولى أزواجه (صلى الله عليه وسلم) حُلطت البيوت والحُجَر بالمسجد . وذلك في خلافة عبد الملك بن مروان . فلما ورد كتابه بذلك ، ضَمَّ أهل المدينة بالبكاء ، كيوم وفاته .

قال السُّهَيْلِي : وهذا يدلُّ على أن بيوته (صلى الله عليه وسلم) إذا أُضيفت إليه ، فهي إضافة ملك : كقوله تعالى : ”لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ“ . وإذا أُضيفت إلى أزواجه كقوله : ”وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ“ فليست إضافة ملك . وذلك أن ما كان ملكاً له ، فليس بموروث عنه .

مسجد قباء



مسجد قباء
وهو أول مسجد
بنى في الإسلام

ذكر ابن إسحاق أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أسَّسه لبي عمرو بن عوف . ثم انتقل إلى المدينة .

وذكر ابن أبي خيثمة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين أسَّسه ، كان هو أول من وضع حجراً في قبلته ، ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه ، ثم جاء عمر بحجر فوضعه إلى جنب حجر أبي بكر . ثم أخذ الناس في البنين .

وذکر الخطابی عن السَّمُوسِ بنت النعمان، قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين بنى مسجد قباء يأتي بالمجر قد صهره إلى بطنه، فيضعه، فيأتي الرجل يريد أن يقبله، فلا يستطيع حتى يأمره أن يدعه ويأخذ غيره.

قال السبكي: وهذا أول مسجد بُني في الإسلام، وفي أهله نزلت: "فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا"، فهو على هذا المسجد الذي "أسس على التقوى"، وإن كان قد روى أبو سعيد الخدري أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سئل عن المسجد الذي "أسس على التقوى" فقال: هو مسجدى هذا. وفي رواية أخرى قال: وفي الأرض حير كبير. وقد قال لبي عمرو بن عوف حين نزل "لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا"، ما الطهور الذي أنشأ الله به عليكم" فذكروا له الأسجداء بالماء بعد الاستجار بالحجارة. فقال: هو ذاكم، فقبلكموه!

قال السبكي: وليس بين الحديثين نعارض. كلاهما أسس على التقوى. غير أن قوله سبحانه "من أول يوم" يقتضى مسجد قباء، لأن تأسيسه كان في أول يوم من حاول النبي (صلى الله عليه وسلم) دار هجرته والبلد الذي هو مهاجرة.

قال القاسم بن عبد الرحمن: عمار بن ياسر أول من بنى مسجدا لله، يُصَلِّي فِيهِ. رواه أبو عروبة. وذكر ابن إسحاق هذا الحديث عن عمار في خبر بناء مسجد المدينة. قال السبكي: إنما غنى بهذا مسجد قباء، لأنه هو الذي أشار على النبي (صلى الله عليه وسلم) ببيانه. وهو الذي جمع له الحجارة. فلما أسسه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) استتم بِنَاؤُهُ عَمَّارٌ.



وعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يزور قباء راكبا وماشيا، فيصلي فيه ركعتين ^{مُتَّفَقٌ} عليه. وفي رواية: كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يأتي مسجد قباء كل سبت، راكبا وماشيا. وكان ابن عمر يعمله.

مسجد الضرار

رُوي أن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء - وكان يأتيهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويصلي فيه - حسد لهم إخوانهم بنو غنم بن عوف. وقالوا: نفي مسجدا ونرسل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يصلي فيه، ويصلي فيه أبو عامر الراهب، إذا قدم من الشام. ليثبت لهم الفضل والزيادة على إخوانهم، زعموا. وأبو عامر هو الذي سماه النبي (صلى الله عليه وسلم) العاسق. وقال لرسول الله (صلى الله عليه وسلم): لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم. فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين. فلما أنهزمت هوازن، خرج هاربا إلى الشام. وأرسل إلى المنافقين أن أستعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح، فإني ذاهب إلى قيصرا، وآت بجود، ومُخْرِجٌ محمدا وأصحابه من المدينة.

فبنوا مسجد الضرار إلى جانب مسجد قباء. وقالوا للنبي (صلى الله عليه وسلم): "بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاطية. ونحن نحب أن تصلي لنا فيه، وتدعونا بالبركة". فقال (صلى الله عليه وسلم): "إني على جناح سحر وحال شغل. وإذا قدمنا، إن شاء الله، صلينا فيه". فلما قتل من غزوة تبوك، سألوه إتيان المسجد، فنزل قوله: "وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضَرَارًا وَكُفْرًا" إلى قوله "لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا" الآيات.

فدنا بمالك بن الدُخْشُمُومَ بن عَدِيٍّ وعامر بن السَّكَنِ ووحشي، قاتل حمزة، فقال لهم: "انطلقوا إلى هذا المسجد الظالمِ أهلُه. فاهدموه وأحرقوه". ففعلوا. وأمر أن يُجعل مكانه كُتَّاسَةٌ تُلْقَى فيها الحِيفُ والقُمامة .

(٩٢)

وقيل كل مسجد بُنيَ مِباهاةً، أو رِياءً وُتُمَّةً، أو لغرضٍ سوى إنباء وجه الله، أو بمالٍ غير طيب فهو لاحقٌ بمسجد الضرار .

وعن شقيق أنه لم يدرك الصلاة في مسجد بني عامر، فقبل له : مسجد بني فلان، لم يصلوا فيه بعدُ. فقال : " لا أحب أن أصلي فيه، فإنه قد بنى على ضرارٍ ". وكل مسجد بنى على ضرارٍ أو رِياءٍ، فإن أصله ينتمى إلى المسجد الذي بُنيَ صِرارًا .

وعن عطاء: لما فتح الله الأمصار على عمر (رضي الله عنه) أمر المسلمين أن يدبوا المساجد وأن لا يتخذوا في مدينةٍ مسجدين يضار أحدهما صاحبه .

وذكر ابن إسحاق الذين اتخذوا مسجد الضرار وذكروا فيهم جارية بن عامر، وكان يعرف بحمار الدار. وهو جارية بن عامر بن مُجَمِّع بن العَطَّاف. وذكروا فيهم ابنه مُجَمِّعًا، وكان إذ ذاك غلامًا حدَّثنا قد جمع القرآن . فقَدِّمُوهُ إمامًا لهم، وهو لا يعلم بشئ من شأنهم .

وقد ذكر أن عمر بن الخطاب، في أيامه، أراد عزله عن الإمامة . وقال: أليس ١٥ بإمام مسجد الضرار؟ فأقسم له مُجَمِّع أنه ما علم شيئًا من أمرهم، وما ظن إلا الخير . فصَدَّقَهُ عمر وأقرَّه .

مساجد المدينة

قال السهيلي: كانت مساجد المدينة تسعة، سوى مسجد النبي (صلى الله عليه وسلم). كلهم يصلون بأذان بلال. كذلك قال بكير بن عبد الله بن الأشج، فيما روى عنه أبو داود في مراسيله، والدارقطني في سننه.

٥ فيها مسجد رائج، ومسجد بنى عبد الأشهل، ومسجد بنى عمرو بن مبدول، ومسجد جهينة، وأسلم (وأحسبه قال مسجد بنى سلمة). وسائرهما مذكور في السنن.

وذكر ابن إسحاق، في المساجد التي في الطريق، مسجدا بنى الحليفة. وكذا وقع في كتاب أبي بحر الخلاء معجمة، ووقع بالحسيم في كتاب قرئ على ابن السراج وأبن الأفلح. ١٠

بقيع الغرق

بقيع الغرق

وهو مدفن أهل المدينة النبوية. وفيه تدافن أكثر أهل المدينة.

١٥ وفيه قبة العباس بن عبد المطلب، عم النبي (صلى الله عليه وسلم). وفيها معه الحسن بن علي. وكان الحسن أوصى أن يدفن مع النبي (صلى الله عليه وسلم) إلا أن يخاف أن يراق في ذلك محجم دم، فمنعه مروان. وكادت الفتنة أن تقع. وأبى الحسن [ابنه] إلا أن يدفن مع جده. فكله عبد الله بن جعفر ومُسَوَّر بن مخزومة. فدفن بالبقيع في قبة العباس. وفيها أيضا زين العابدين، وأبنة محمد الباقر، وأبنة جعفر الصادق.

وفي البقيع أيضا قبة أمير المؤمنين عثمان بن عفان. وكان موضع القبة وما حوله بقعة عثمان بن عفان. وكان يقال حُش كوكب. والحُش البستان.

فأستراه عثمان (رضي الله عنه) وزاده في البقيع . وكان يقول إنه يدفن هاهنا رجل صالح . فكان أول من دُفن بهذه الزيادة .

وفي البقيع أيضا قبة إبراهيم بن النبي (صلى الله عليه وسلم) .
وقبة فاطمة الزهراء .

قبة إبراهيم
(ابن النبي)

قبة فاطمة وعندها
من أمهات المؤمنين
والصحابة والتابعين

وفي البقيع أيضا جماعة من أزواج النبي (صلى الله عليه وسلم) وعَمَّتُهُ صَفِيَّةُ .
وفيه خلائق من الصحابة والتابعين .

وفيه قبة مالك بن أنس ، إمام دار الهجرة .

قبة مالك بن أنس

وأول من دفن بالبقيع عثمان بن مظعون . قال المطلب بن عبد الله بن حنطب :
أول من دفنه النبي (صلى الله عليه وسلم) بالبقيع ، عثمان بن مظعون ، ثم قال لرجل
عنده : أذهب إلى تلك الصحرة ، فأثني بها حتى أضعها عند قبره . فمن مات من أهلنا
دفناه عنده . رواه ابن أبي شَيْبَةَ .

أول مدفون بالبقيع

قال علي بن أبي طالب : ثم أتبعه إبراهيم بن النبي (صلى الله عليه وسلم) . رواه ابن
أبي شَيْبَةَ أيضا .

قال الأصمعي : قُطِعَتْ غُرُقْدَاتُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، حِينَ دُفِنَ فِيهِ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ .
فَسَمِيَ بِقَبْرِ الْغُرُقْدِ لِهَذَا .

سبب تسميته
بالغرقد

٩٤

وقال الخليل : ”البقيع من الأرض موضع فيه أروم شجر . وبه سمي بقية الغرقد .
والغرقد شجر كان ينبت هناك“ .

معنى الغرقد

والبقيع على باب المدينة الذي في جهة الشرق ، الذي وراء دار عثمان بن عفان .
ومنه يخرج إلى البقيع .^(١)

(١) يابض بالأصل مقدار مئة سطور .

المسجد الاقصى

كلمة ساءة على الحرم
المقدس

معهد الأنبياء، ومعهد الأولياء، وثاني البيت الحرام في البناء، وأول القبلتين
حال الابتداء، شيدت ملوك بني إسرائيل معاهدته، وشنت بقباب البروج معاهدته
ثم تدارك بنو أمية ذمائه، وصنّفوا أرضه وسماؤه؛ وهذا هو على ما هو عليه من حمل
الآلام، واختلاف دول الكفر والإسلام؛ ومن صخرته المقدسة المعراج، حيث
خرج بنجاثم الأنبياء (عليه الصلاة والسلام) من حضرة القدس إلى حضرة القدس،
وبسط له بساط الأنس؛ ودنا من ربه مقاماً لم يبلغه الخليل ولا الكليم، ولا وصل
إليه ملك مقرب ولا نبي كريم، وقد أُمّ في ذلك المسجد بالبيتين، وصعد منه إلى أعلى
عليين، وإلى صفيح تلك القعة المحشر، ومنها يوم القيامة المنشر. والصحرة بها
عرش الله الأذنى، ومقام الفخار الأسنى؛ وهي التي ترف إليها عروس الكعبة زفا،
وتقسم الناس لشقاوة وزلي الفضائل التي لا تحصى.
قد تقدم حديث أبي دز: أول مسجد وضع، المسجد الحرام ثم المسجد الأقصى.
وبينهما أربعون عاماً.

٩٥

وروي عن علي بن أبي طالب، قال: كانت الأرض ماء فبعث الله ريحا فمسحت
الأرض مسحاً، وظهرت على الأرض زبدة فقسمت أربع قطع، خلق من قطعة
مكة، والثانية المدينة، والثالثة بيت المقدس، والرابعة الكوفة. ذكره أبو العرج
أبن الجوزي.

سوءات المقدس

وروي أبن منته بسده، أن كعباً قال: بنى سليمان بن داود بيت المقدس على
أساس قديم، كما بنى إبراهيم الكعبة على أساس قديم.

- قال ابن الجوزي: سكن الجبارون في الأرض المقدسة فسلط عليهم يوشع، ثم سلط الكفار على بيت المقدس فصيره منبلة. فأوحى الله (عز وجل) إلى سليمان فبناه. وروى عن سعيد بن المسيب قال: أمر الله تعالى داود أن يبني مسجد ببيت المقدس. قال: رب! وأين أبنيه؟ قال: حيث ترى الملك شاهرا سيمه. قال: فراه في ذلك المكان. قال: فأخذ داود فأسس قواعده ورفع حائطه، فلما أرفع أنهمد.
- ٥ فقال داود: يارب! أمرتني أن أبني لك بيتا، فلما أرفع هدمته. فقال: يا داود إنما جعلتك خليفة في خلقي، لم أخذته من صاحبه بغير ثمن؟ إنه بينه رجل من ولدك. فلما كان سليمان ساوم صاحب الأرض، فقال: هي بقطار. فقال سليمان: فد استوجبتها: فقال له صاحب الأرض: هي خير أو ذاك؟ قال: لا بل هي خير.
- ١٠ قال: فانه قد بدا لي. قال: أو ليس قد أوجبتها؟ قال: بلى، ولكن البيعين بالخيار مالم ينزقا. (قال عبد الله بن المبارك، هذا أصل الخيار). فلم يزل يراذه، ويقول له مثل قوله الأول، حتى استوجبها منه بسبعة قناطير. فبناه سليمان حتى فرغ منه. وتغلقت أبوابه. فعالجها سليمان أن يفتحها، فلم تفتح، حتى قال في دعائه: بصلوات أبي داود إلا تفتح الأبواب! ففتحت الأبواب.
- ١٥ قال: ففرغ له سليمان عشرة آلاف من قراء بني إسرائيل: خمسة آلاف بالليل. وخمسة آلاف بالنهار. لا تأتي ساعة من ليل ولا نهار، إلا والله عز وجل يعبد فيه.
- وقال أبو عمرو الشيباني: أوحى الله إلى داود: إنك لن نتم بناء بيت المقدس. قال: أي رب! ولم؟ قال: لأنك غمرت يدك في الدم. قال: أي رب! أو لم يكن في طاعتك. قال: بلى وإن كان.

وقال كعب: أوحى الله تعالى إلى سليمان أن آبن بيت المقدس. فجمع حكام الإنس
وعفاريت الجن وعظماء الشياطين. ثم فرق الشياطين، فجعل منهم فريقا يبنون، وفريقا
يقطعون الصخور، وفريقا يقطعون العُمد من معادن الرُّحام، وفريقا يفوضون
في البحر فيخرجون منه الدرّ والمرجان. وأخذ في بناء المسجد، فلم يثبت الساء.
وكان عليه حير بناء داود. فأمر بهدمه. ثم حصر الأرض حتى بلغ الماء. فقال:
أُسَّسُوا عَلَى الْمَاءِ. فَأَلْفُوا فِيهِ الْحِجَارَةَ. وكان الماء يلفظ الحجارة، فاستشار في ذلك،
فأشاروا عليه أن يتخذ قِلاَلا من نحاس، ثم يملأها حجارة، ثم يكسب عليها ماعلى خاتمه
من ذكر الوجود، ثم يلقها في الماء لتكون أساس الساء. ففعل. فبنت وبني. عمل
بيت المقدس عملا لا يوصف، وزينه بالذهب والفضة واللوان الجوهر في سماءه
وأرضه وأبوابه وجُدُرُه. ثم جمع الناس وأخبرهم أنه مسجد لله، وأنه هو الذي أمر
ببنائه، وأنه من أنقصه أو شيئا منه، فقد صاذه الله، وأنه كان قد عهد إلى داود
في ذلك، ثم أوصى سليمان بذلك من بعده. ثم اتخذ طعاما وجمع الناس.

وروى عبد الله بن عمرو بن العاص في قوله تعالى: "فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ سُورِلَهُ
بَابٌ بَاطِلُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ" قال: هو سور بيت المقدس
الشرقي. وقد أضر بنا عن كثير مما ورد في البناء السلجاني والعجائب التي كانت فيه.
لعدم صحته بالثقل.

وأما ما ورد في فضله.

فصل بيت المقدس

فنه حديث أمس. قال: "قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): صلاة الرجل

في بيته بصلاة واحدة، وصلاته في مسجد القبائل بست وعشرين صلاة، وصلاته في المسجد الذي يُجمع فيه بمائة صلاة، وصلاته في المسجد الأقصى بمئتين ألف صلاة، وصلاته في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة.

٩٧

وعن أبي ذر قال : قيل : يا رسول الله ! صلاة في بيت المقدس أفضل ، أم صلاة في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؟ قال : "صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه . ولنعم المصلّي ! هو أرض المحشر والمنشر ، وليأتين على الناس زمانٌ . وتبسط قوس من حيث يُرى بيت المقدس ، أفضل وخير من الدنيا جميعا !"

وَصَحَّ عَنْ مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَنَّهُ لَمَّا اخْتَضِرَ قَالَ : يَا رَبِّ أَدْنِي مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَةً بِحَجَرٍ ! .

١٠

ونزله أبو ذر وأكثر فيه الصلاة . وصلى فيه ابن عمر . ومات فيه عبادة بن الصامت ، وشداد بن أوس ، وأبو أبي بن أُمّ حرام ، وأبوربحانة (وأسمه شمعون) ودو الأصابع ، وأبو محمد النجاري . هؤلاء من أهل بيت المقدس ماتوا به . والذي أعقب منهم عبادة وشداد وسلامة بن قيسر وفيروز الديلمي . والذي لم يعقب منهم أوبرحانة وأبو محمد النجاري وذو الأصابع .

١٥

وقال أبو الزاهرية : أتيت بيت المقدس أريد الصلاة . فدخلت المسجد وغلقت عني سدة المسجد ، حتى أطفئت الفاديل ، وأنفطعت الرجل ، وغلقت الأبواب . فدا . أما كذلك إذ سمعت جميعا له جناحان ، قد أقبل وهو يقول : "سبحان الدائم القائم ! سبحان الدائم القائم ! سبحان الحي القيوم ! سبحان الملك القدوس !

سبحان رب الملائكة والروح! سبحان الله وبحمده! سبحان العلي الأعلى! سبحانه وتعالى“، ثم أقبل حفيّف يتلوه، يقول ذلك، ثم أقبل حفيّف بعد حفيّف يتجاوبون بها، حتى أمتلأ المسجد، فإذا بعضهم قريب مني. فقال: آدمي؟ قلت: نعم. فقال: لا رَوْع عليك، هذه الملائكة! قلت: سألتك بالذي قواكم على ما أرى! من الأول؟ قال: جبريل، قلت: ثم الذي يتلوه؟ قال: ميكائيل. قلت: من يتلوهم بعد ذلك؟ قال: الملائكة. قلت: سألتك بالذي قواكم على ما أرى! ما لقائهم من الثواب؟ قال: من قالها مرة في كل يوم، لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة، أو يرى له.



وروى أبو عبد الله بن باكوية، بسنده إلى محمد بن أحمد الصوفي، قال: قال لي أستاذي أبو عبد الله بن أبي شبة: “كُتبت بيت المقدس، وكنت أحب أن أبيت في المسجد، وما كنت أترك. فلما كان في بعض الأيام، صُرت في الرواق بمحضِر قائمه. فلما أن صليت العتمة وراء الإمام، أتيت الحُصْر، فأختبأت وراءها، وأنصرف الناس والقوام. ثم خرجت إلى الصخرة. فلما سمعت غلق الأبواب، وقعت عيني على المحراب وقد أنشق ودخل منه رجلٌ ثم رجلٌ إلى أن تم سبعة. وأصطف الفوم. ولم أزل واقفا شاخصا زائل العقل إلى أن انفجر الصبح. فخرج القوم على الطريق الذي دخلوا.”

وبه إلى ذي النون قال: يبنا أنا في بعض جبال بيت المقدس، سمعت صوتا يقول: ذهبت الآلام عن أبدان الخُدام، ولَهت بالطاعة عن الشراب والطعام، وألقت

(١) في الأصل: قال.

(٢) في الأصل: لما.

(٣) أي: وسد أي سد أي عداقه من ما كويه.

قلوبهم طول الصام ، بين يدي الملك العلام ! فتبعْتُ الصوتَ . فإذا أمرُدُ مصغرُ
الوجه ، يميل ميل الفصن ، إذا حركته الريح ، عليه سملة قد آتَرَبَها ، وأخرى قد آتَشَحَ
بها . فلما رآني ، توأرى عني بالشجر . فقلت : ليس الجفاء من أخلاق المؤمنين . فكَلَّنِي
وَأَوْصَنِي . فخر ساجدا ، وجعل يقول : هذا مقام مَنْ لا ذك وأستجار بمعرفتكَ وَالْفَ
محبتك ! فإلّا القلوب ، أعجبنى عن القاطعين لى عك ! قال : فغاب عني ولم أره .
وَرُويَ عن قَنَادَةَ في قوله تعالى : ” يَوْمَ يُنَادِي الْمُسَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ “ قال :
من صحرة بيت المقدس . وقال يزيد بن جابر في الآية : يقف إسرأفيلُ على صحرة بيت
المقدس ، فيبغض في الصور ، فيقول : أيتها العظام النخرة ، والجلود المتمزقة ، والأشعار
المتقطعة ، إن الله تعالى امرِك أن نجتمعى للحساب !

١٠ وروى ابن منده بسنده عن أنس بن مالك قال : إن الجنة لثحن شوقاً إلى بيت
المقدس . وبيت المقدس من جنة الفردوس ، وهي سرة الأرض .^(١) (يعني الصحرة) .
وبه عن أبي إدريس الخولاني قال : يحول الله صحرة بيت المقدس مرجانة تبصاء
كعرض السماوات والأرض ، ثم يصب عليها عرشه . ثم يقصى بين عباد ، يصيرون
منها إلى الجنة وإلى النار . وقال أبو العالية في قوله تعالى : ” إلى الأرض التي باركنا فيها “
قال : من بركتها أن كل ماء عذب يخرج من أصل صحرة بيت المقدس .

١٥ قال المفسرون في قوله تعالى : ” وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُسَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ “
قالوا : هو إسرأفيل . يقف على صحرة بيت المقدس فبادي : يا أيها الناس ، هلموا إلّا
الحساب ! إن الله بأمركم أن تجتمعوا لفصل القضاء ! (وهذه هي النفخة الأخيرة .
والمكان القريب صحرة بيت المقدس) .

قال كعب ومقاتل : هي أقرب إلى السماء بثمانية عشر ميلا . وقال ابن السائب :
بأثنى عشر ميلا .

وروى أن كعبا قدم لإبلياء قرشاً [حبراً] من أحبار يهود بضعة عشر ديناراً على
أن دلّه على الصخرة التي قام عليها سليمان بن داود لما فرع من بناء المسجد .
وصلى مما يلي ناحية باب أسباط . فقال كعب : قام سليمان بن داود على هذه
الصخرة ثم استقبل بيت المقدس كله . فدعا الله عز وجل بثلاث . فأراه نجيل
إجابته في دعوتين ، وأرجو أن يستجيب في الثالثة . فقال : ” اللهم هب لي ملكا
لا ينبغي لأحد من عدي ، إنك أنت الوهاب ” فأعطاه الله (عز وجل) . وقال : ” اللهم
هب لي ملكا وحكما يوافق حكلك ! ” . ففعل الله (عز وجل) ذلك به . ثم قال : ” اللهم
لا يأتى هذا المسجد أحديريد الصلاة فيه ، إلا أخرجته من خطبته كبوم ولدته أمه ! ”
هذه نبذة يسيرة من ابتدء وضعه .

فتح بيت المقدس
في أيام عمر ، ثم في
أيام صلاح الدين ،
ثم تسليمه للفرنج ،
وأستفاده منهم



وأما ما يتعلق بفتح بيت المقدس في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)
وأستيلاء الفرنج عليه ، ثم فتحه على يد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ؛
وتسليمه إلى الفرنج بعد ذلك في أيام الملك الكامل ، ثم أستفاده منهم بعد ذلك على
يد الناصر داود بن المعظم ، فليس هذا موضعه . وسيأتى إن شاء الله تعالى في التاريخ
التلويح بذلك والإشارة إليه . فهناك ذكره أنسب .

وسمعه ومزاراه
إلى سنة ٧٤٣

ولنذكر الآن ما يتعلق بصفة المسجد الأقصى ، وما أشتمل عليه من المزارات ، على
ما استقر عليه بناؤه إلى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة .

وفد ألف في ذلك صاحب تاج الدين أبو الفضائل أحمد بن أمين الملك تاليفا
صغيرا سماه: "سلسلة المسجد، في صفة الصخرة والمسجد". نقلتُ منه ما يليق بهذا
الموضع، معتمدا في ذلك على ما حرره بالذراع.

نصيب خاص
في الحرم المقدسي

والصخرة الشريفة
وننتدئ بذكر الصخرة الشريفة والبناء المحيط بها، فنقول:

- أما البناء المبارك من وجه الصحن المعروش بالبلاط المصقول، فارفعاه ثمانية
عشر ذراعا، يعلو ذلك كرسى القبة، وأرتفاعه عشرة أذرع وربع. ودوره مائة وثلاثة
أذرع وثلاث ذراع. في دوره ست عشرة طاقة زجاج مذهبة، بظاهرها شبابيك،
وهي مئمة الأركان. كل ثمينة تسعة وعشرون ذراعا وثلاث ذراع. والبناء من ظاهره
مكسو منه أرتفاع سبعة أذرع بالرخام الأبيض المشجر. ومن أعلاه سبعة أذرع
إلى الميازيب بالقص المذهب المشجر المختلف. وتحتوى كل ثمينة على سبع طاقات:
إثنان في الطرفين مسدودتان، والخمسة مركب عليها الزجاج، ومن ظاهرها
الشبابيك الحديد. ومن أعلى الميازيب حائط أرتفاعه أربعة أذرع، مكسو بالقص
بالصفة المذكورة، مشخص في كل ثمينة منه ثلاثة عشر محرابا. ولها أبواب أربعة:
فالقبلي أرتفاعه ستة أذرع وربع، وعرضه ثلاثة أذرع ونصف وثن. وأمامه من
خارج رواق مفروش بالرخام الأبيض المشجر طوله من الشرق للغرب أحد وعشرون
ذراعا ونصف، وعرضه أربعة. سقفه بسط مدهون. والوسط أمام الباب قنطرة
بالقص المذهب، محمول على ثمانية أعمدة من الرخام: منها غرابي اثنان في طرفيه،
وخضمر مرسيني تلوهما أربعة وشم ولحم اثنان، بين الأعمدة الغرابي والخضمر هنأ
رخام مقوش الظاهر سعته ذراع وثلث، تنزل فيه المياه المنحدرة من المزاريب.

المحيط بها
والمنش
المحيط بها وطافاته
وشبابيكه

وصفي للبناء على
الطراز العرفي



ويُعلق على الباب المذكور مصرعان من الأبواب ملبسة بالحاس الأصغر المنقوش .
وعلى يَمْنَةِ الداخل وبُسْرته درابزين خشب ارتفاع ثلثي ذراع، في رؤوس الثمينة
الأقولة خاصة . ويقاس من عتبة هذا الباب من داخل إلى وجه الأعمدة الآتي
ذكرها ثمانية أذرع وثلاث ذراع، بأعلاها سقف بسط مدهون بأبواع الدهان، ارتفاعه
خمسة عشر ذراعاً، محمول على حائط الصخرة . والأعمدة والحائط من باطن التسمية ،
ملبس جميعه بالرخام بغير فص بانذار به رخام منقوشة تقدير ذراع مذهب .^(١)

كل ثمانية من هذا السقف محمولة على ساريتين ملبسة بالرخام المشجر والمؤن
البدیع . دور كل سارية أحد عشر ذراعاً وثلاث ذراع . وطولها ثمانية أذرع وثلاث ذراع ،
وجها الذي يلي الصخرة بقرتين . ومع السارية عمودان : أحدهما ”ششم ولحم“ والآخر
أخضر مر سيني . بين كل عمود لأخيه خمسة أذرع . ودوره دراعان وثلاث ذراع .
وارتفاعه خارجاً عن القواعد ستة ونصف يعلوها ”بساتل“ ملبسة بالحاس الأصغر
المنقوش المذهب فوق نقشه . يعلو ”البساتل“ قناطر بالقص المذهب البديع .

بهذه التسمية الأولى ، ثمانية سوارٍ وستة عشر عموداً . منها أبيض وأزرق عشرة ،
وأخضر مر سيني ثلاثة ، و”ششم ولحم“ ثلاثة .



وتفليس من واجهة قواعد هذه العمدة عشرة أذرع لثمينه ثانية عليها سقف
”مقالی“ مذهب ، ارتفاعه ارتفاع السقف الأول . و”مقالیه“ مركبة بغير تسمير لأجل
كنس السقف . والسقف الذي يعلوه الرصاص خمسة أذرع من الباطن . وبآخر هذه
الثمينة الدائرة الدرابزين المحيط بدور القبة . والحامل للقبة أربعة سوارٍ مربعة ملبسة

(١) هكذا في الأصل . وربما كان المراد : أستانته .

بالرخام مثل الأولى. بين كل سارية وسارية ثلاثة أعمدة من الرخام "الشحم والخم" والأخضر المرسني. يعلو ذلك قناطر من الوجهين : فص مُدْهَبٌ، والباطن رخام أبيض وأسود. جملة الأعمدة الحاملة للقبة اثنا عشر عمودا : منها أخضر ومرسني سبعة، و"شحم وخم" خمسة.

- قال : ولقد فسّئتُ عمودا منها "شحمًا ولحمًا" فكان دوره ثلاثة أذرع ونصفا وارتفاعه ٥ خارجا عن القواعد سبعة أذرع وثلاثي ذراع.

وأرتفاع هذه القبة الخشب المذهبة من قطبها إلى ظاهر الصخرة الشريفة سبعة وأربعون ذراعا، ومن ظهر الصخرة لباطن أرض المغارة ستة أذرع، ومن ظاهر القبة الخشب إلى القبة الثانية المكسوة بالرصاص ذراع ونصف.

- قال : ولقد قست الدور الحامل للقبة بالأعمدة والسواري فكان مائة وثلاثة أذرع.

وصفة الشاك الحديد الذي بين هذه العمود والسواري، له أربعة أبواب : الشمال منها مغلق، والثلاثة مفتوحة. فأما القبلي فيصعد إليه بدرجتين. ومن حد عتبه من داخل إلى صدر الصخرة أربعة أذرع ونصف وربع. وحجر الصخرة من هذه الجهة ملبس بالرخام الملوّن ارتفاع ذراعين. ويحيط بحجر الصخرة من تمة أقطاره درابزين

- من الخشب المقشور، دوره أربعة وسبعون ذراعا. وبآخر هذه الصخرة المنحمة من

عرب إلى جهة الشمال حجر صغير محمول على ستة أعمدة صغار، قبل إنه أثر قدم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج. وقبالة القدم المشار إليه امرأة من السبعة معادن يسمونها "درة حمزة" محمولة على ثلاثة أعمدة لطاف : منهن آثنان "رُوحَان في جسد".

صفا الشاك
وحواله

أثر قدم النبي
يقال



(درة حمزة)
مرآة من السعة
معادن

(١) بالاصل : وثلاث.

(٢) بالاصل : السبع معادن.

وارتفاع الشباك الحديد أربعة أذرع وثلاث ذراع، تعلوه شرفة خشب مدهونة.
و أعلى الشرفة شمعانات حديد.

والمحراب الذى يصلى به إمام الصخرة عن يمين الداخل من الباب القبلى داخل
الدرابزين الخشب المتقدم الذكر . وتجاه المحراب باب مغارة للصخرة الشريفة،
معقود قطرة بالرخام الغرب، على عمودين "شمعية" ينزل إلى باطنها بأربع عشرة
درجة . طول باطن المغارة من الشرق للغرب عشرة أذرع، وعرضها سعة ونصف
من القبلة للشمال .

و جميع باطن أرض الصخرة والمغارة مفروش بالرخام .

وباطن المغارة المذكورة محرابان على اليمين واليسار . كل محراب على عمودى رخام
إطاف . وأمام المحراب الأيمن صفة نسمي "مقام الحصر" . طولها من الشرق للغرب
ذراع وثلاث ذراع، ومن القبلة للشمال ذراعان وربيع . وبواجهها عمود رخام قائم
للسقف، وعمود راقد مردها . وبالركن الشمالى من المغارة صفة نفرة فى الصخرة
يسمونها "مقام الخليل" . عمقها من القبلة للشمال ذراع ونصف، ومن الشرق للغرب
ذراع وربيع .

وأما الباب الشرقى من بناء الصخرة، فهما بابان : أحدهما داخل الآخر .
جعل الباب الخارج وقاية للداخل من الأمطار والتلوج . ملابس بالرخام . رحاب
ماين البابين عرض أربعة أذرع وربيع، وطول نرجسته اثنا عشر ذراعاً ونصف .

على يمينه الخارج بيت للبواب . وبه محراب محمول على ثلاثة أعمدة لطاف، وعلى
يساره بيت للقناديل محمول على أربعة أعمدة خضر مرسني وزرق .

باطن المغارة

مقام الحصر

مقام الخليل

الباب الشرقى
للصخرة

وعقد ما بين البابين بالصص المُنْهَب . ومن عتبة الباب الثاني منهما إلى العمدة
سبعة أذرع وثلاثان وهو الحامل للسقف البسط .



ومن واجهة العمدة للشباك الحديد أحد عشر ذراعاً . ومن باطن الشباك الحديد
إلى الدرازين الخشب الساتر للصخرة أربعة أذرع وربع . ومن حد هذا الباب
الشرقي على يَمْرُ الدّاخل منه طالبا للقبلة على مسافة تسعة أذرع ، عمودان مرسقي
أخضر . بأعلامهما دُقيسيّ مُنْهَب يطلع من باطنه إلى ظهر سقف الصخرة والقبلة .
وأما الباب الشمالي ويسمى باب الجنة فله خرجة كالتي في الباب الشرقي
وصفتها وحليتها .

الباب الشمالي
المسمى باب الجنة

وفيا بين العمودين اللذين أمام الباب - داخل درازين خشب مذهب به محراب
لطيف - إشارة على الرخامة السوداء التي يصلح الناس عندها . وقُدت هذه الرخامة
من مده زمانية ، وعمل مكانها رخامة خضراء . والناس يصلون ويدعون عندها .

وأما الباب الغربي فله خرجة كالباين الشرقي والشمالي .

الباب الغربي

وسعة ما بين تمامين الصخرة من داخل مثل الباب الشمالي خلا السعة من الشباك
الحديد للدرازين الصخرة فإنه ستة أذرع وثلاث ذراع .

هذا ما يتعلق بصفة الصخرة والناء المتضمن المحيط بها .

وأما الصحن المحيط بها ، فجميعه مفروش بالبلاط الجليل المصقول .

الصحن وساحته

وذراع من القبلة للشمال مائتا ذراع وتسعة وعشرون ذراعاً ، ومن الشرق للغرب
مائتا ذراع وثلاثة وعشرون ذراعاً ونصف ذراع .

وذرع ما بين الرواق الذي قبلي الباب القبلي من أبواب الصخرة إلى رأس السلام الموصلة للجامع ، ثلاثة وخمسون ذراعاً . ومن رأس السلام إلى عتبة الجامع مائة وخمسون ذراعاً ونصف وربع .

وبأعلى هذه السلام أربع قناطر محمولة على ثلاثة أعمدة وركبتين من الساء : منها عمودان صوّان أحمر ، والوسطاني رخام أبيض فيه نقر مربع .
ذكروا في التواريخ أن الدعاء عنده مستجاب .

وشرقي هذه القناطر على مسافة أربعين ذراعاً قناطر مثلها . أعمدتها أشنان أخضر مرسيني . وفيما بين هاتين القنطرتين في سفلى الحرم صفة كبيرة تسمى صفة السبع درج . يقال إنها مأوى الصالحين والسيّاح في الليل ، وعليها يتركبون .

(١٠٥)

وبجانب القنطرة المذكورة أولاً ، مدهون صورة محراب ، بحذيه عمودا رخام لطاف . وفي ركنها الغربي قبتان من رخام ، واحدة تعلو الأخرى : كل منهما قطعة واحدة ، تسمى قبة الميزان ، محمولة على اثني عشر عموداً من الرخام "الشحم والحم" بقواعد "شمعية" . والقبة التي عليها كمثل ارتفاع القبة المذكورة بكاملها : ثمانية أذرع وثلاثان . وارتفاع العمدة السفلى ذراعان وسدس ، وارتفاع العمدة الفوقاني ذراع ونصف وربع . وتعرف أيضاً بقبة النجوى .

قبة الميزان

قبة الجوى

وبالقربة القبليّة من جهة غربي الصحن موضع يعرف بالمدرسة المعظمية ، طولها من ظاهرها أربعة وثلاثون ذراعاً ، وعرضها من القبلة للشمال سبعة أذرع . لها بابان يُفتحان للشمال ، بحدّهما ثلاثة أعمدة من الرخام ، كل عمود به أربعة في جسد واحد ،

المدرسة المعظمية

(١) في الاصل : ساحة .

ملفوفة "مُثَعَبَةٌ". وتِلُوْ ذلِكَ عمودان لطاف. وأرتفاع بناؤها تسعة أذرع من أرض
صحى الصحرة.

ويَدْخُلُ من البابين المذكورين رواقٍ طوله ثمانية عشر ذراعاً ونصف في عرض
ستة، بستقف شامئٍ مذهب ثلاثة عشر مربعا. بصدرة القبلي ثلاث طاقاتٍ مطلة
على الحرم وأبواب الجامع.

وبالجهة الغربية منه قبةٌ معفودة. بكل جهة من جهاتها القبليّة والشماليّة
والغربيّة ثلاث طاقات. ولجنتها الغربيّة باب للدخول إليها من الرواق المذكور،
وطاقة نطل على الرواق المذكور.

وبالجهة الشرقية من الرواق المذكور قبة ألطف من هذه. سكنى الإمام، وقيم
المكان، وحاصل الزيت.

قبة الملك المعظم

الإمام والفضة
أحاف هـ
المدرسة

وربب الملك المعظم لها إماما مفردا يصلى الصلوات الخمس. وربب بها خمسة
وعشرين نفرا من طلبة الحو وشيخا لهم، وشرط أن يكونوا حنيفة من جملة طلبة
مدرسته التي خارج الحرم. ووقف على ذلك قرية تسمى بيت لقيا، من عمل القدس
الشريف. وعلى سقفها مكتوب أنه أهتم بعمارة ذلك في سنة ثمان وستمائة.



القرية الموقوفة
لطب

وأمام الشيايك الشماليّة التي بالقبة الغربيّة من هذا الرواق، على تقدير خمسة
أذرع، ممشاةٌ معفودة عتبتها سبع عشرة درجة، عرض كل درجة ذراع، يتوصل
منهّن إلى سفل الحرم.

وأمام القبة الشرقية من هذا الرواق صُفَّةٌ عليها رخامة منقوشة مِرْزُولةٌ لإخراج
ساعات النهار، طولها من الشرق للغرب ذراعان وثلاثان، وعرضها ذراع وثلث،
وارتفاعها ذراع ونصف.

مرحلة المدرسة

قبة للتصديدين
بالحرم المقدس

ويقابل هذه المدرسة في القُرنة الشرقية من هذا الصحن قبةً لطيفة مكسوة من ظاهرها بالياض، خلوة لبعض المتصدين بالحرم الشريف، يفتح بابها للشمال. وتتمه جهاتها الثلاث بكل منهن طاقة مطلة على الحرم.

وفي حائطي هذا الصحن الغربية والشمالية مسطبتان تعلو إحدهما قبة من جهة الغرب والأخرى في الشمال سقفٌ على عمودين رخام، يصلي عليها المبلّغون في الصلوات الخمس.

وذراع ما بين عتبة الباب الشرقى إلى حدّ الدرج، نهاية صحن الصخرة المبلط من جهة الشرق، ستة وسبعون ذراعاً.

وبأعلى هذا الدرج خمس قناطر معفودة على أربعة أعمده وساريتين، بنحدرت القبلى والشمالى خلوتان للفقراء المجاورين بالحرم. وأرتفاع عقد هذه القناطر عشرة أذرع، أسوة أرتفاع القناطر التى على سائر السلام. وبقى ثلاث قناطر منهن مفتوحة، يُخرج منهن إلى هذه الدرج المسماة بدرج البراق. وعنتهن ست وثلاثون درجة. وذراع ما بين أول درجة من هذا الدرج إلى حدّ السور الشرقى مائة وستة وخمسون ذراعاً وثلاث.

وذراع ما بين الباب الشرقى البراقى وقبة السلسلة خمسة أذرع ونصف وربع.

وهذه القبة محمولة على اثنى عشر عموداً أخضر مرسلين و"شحم ولحم". طول كل عمود، خارجاً عن قواعده، ثلاثة أذرع وثلاث وربع وثمن، وأرتفاع سقفها البسط الملبس بالرصاص ثمانية أذرع.

جميع ما بين الأعمدة محروق . وما بين العمود والعمود مُتَكَابَةً من الحجر الصوّان
 المححوت المجلي ، تقدير شبر لا غير . طول كل قطعة من هؤلاء أربعة أذرع ونصف .
 وعرض ما بين عمودي المحراب خمسة أذرع مسدود بالرخام الملوّن ، بمجذى المحراب
 عمودان رخام أبيض . وبأعلى هذه الأعمدة قناطر ملبسة بالقص المذهب والأخضر
 المختلف الألوان . ارتفاع القناطر ذراعان وربيع ، وسعتها من المحراب لآخرها ثمانية
 عشر ذراعاً . وبباطن هذه القبة فيه محمولة على ستة أعمدة أخضر مرسنيّة و”شخم
 ولحم” . ما بين العمود والعمود أربعة أذرع سعتها ثمانية أذرع ونصف . بأعلى الأعمدة
 قناطر ملبسة بالقص ، طول أربعة أذرع ونصف . والقبة الخشب من أعلى ذلك .

السلسلة المعلقة
 من السماء والأرض

روى أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد المقدسي الخطيب ، بسنده إلى أبي مالك بن
 ثعلبة ، قال : سمعتُ إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله يحدث عن أبيه عن جدّه (يرفعه)
 ١٠ “أن سليمان بن داود جعل سلسلة معلقة من السماء إلى الأرض ليتبين الحق من
 المبطل ، فالحق ينالها والمبطل لا ينالها ، وأن يهوديا استودع مائة دينار فحدها ، فهاؤوا
 إلى السلسلة . وقد سبك اليهودي الذهب في عصا . وناولها صاحب المال وحلف :
 لقد أعطيته دنانيره . وحلف الآخر أنه لم يأخذ . فأرقت السلسلة من ذلك اليوم .”
 ويقال إن السلسلة كانت موضع القبة المذكورة . والله تعالى أعلم .

١٥

وذرع ما بين الباب الشمالي من أبواب الصخرة (المسمى بباب الجنة) إلى منتهى
 الصحن المحيط بها إلى القناطر الثلاث المعقودة على عمودين رخام وسارينين مائة
 وثمانية أذرع .



ويُتزل من هذه القناطر في ثمان درج إلى الحرم الشريف . وأمام الدرج ممشاة المشاة الموصلة للحرم مستطيلة مفروشة بالبلاط ، عرضها خمسة أذرع وربع وينتهي متشاملا إلى باب الحرم المعروف بباب شرف الأنبياء ؛ وطول هذه المشاة مائة ذراع وثمانية وسبعون ذراعا . وسبأني (إن شاء الله) ذكر هذا الباب عند ذكر أبواب الحرم .

وعن يمين الداخل من هذه القناطر ويسراه في منتهى شمالي الصحن مسطبتان . ٥ طول كل منهما ثمانية أذرع ونصف ، من الشرق إلى الغرب ، وعرضها من القبلة للشمال ذراعان وثلاث ذراع . يصلي الناس عليهما .

ومن هذا الباب الشمالي على مسافة آتين وأربعين ذراعا طالبا للغرب عمل مسطبة ارتفاعها عن الصحن المبلط ثلث ذراع ، وطولها من الشرق للغرب ثلاثة عشر ذراعا وثلاث ، وعرضها من القبلة للشمال عشرة أذرع . بُني عليها قبة ثمانية ، تسمى قبة المعراج . بابها يفتح للشمال ، سعته ذراع وثلاث ، وطولها ذراعان وثلاث . بظاهرها ١٠ الفة المذكورة حاملا لأركانها من الأعمدة الرخام الأبيض ثلاثون عمودا . طول كل عمود ، خارجا عن القواعد ، ذراعان وثلاث ذراع .

والثمنينة التي بين الأعمدة ملبسة ألواح رخام ملكي مشجرة بأزرق . يُصعد إلى بابها بثلاث درج رخام . ثم ينزل إلى داخلها بمثلهن . ١٥

أرضها مفروشة بالرخام الأبيض ، وحيطانها من داخل كذلك ، مثل الظاهر . باطنها من الأعمدة أيضا ثمانية عشر عمودا . وبأعلى الرخام المذكور طاقات بصاص شبه الجلوس "المكندج" ثلاثة ، وزجاج أربعة . وبأعلى الطاقات كرمي القبة . وعرضها من الشرق للغرب سبعة أذرع ، ومن القبلة للشمال ستة أذرع وربع . سعة محرابها ذراع وثلاث ذراع ؛ وهو بأول المسطبة لجهة القبلة . والباب والسلام بأخرها لجهة الشمال . وثمنمة المسطبة يصلي عليها الناس . ٢٠

ومن قطب القبة لأرضها ارتفاع ستة عشر ذراعاً . وبظاهرها في أعلاها قبة لطيفة مكان الهلال ، محمولة على ستة أعمدة صغار رخام شمعية ؛ طول كل واحد منها تقدير ذراع .

(١٤٩)

وذراع ما بين الباب الغربي إلى رأس القناطر التي أمامه بآخر صحن الصخرة من جهة الغرب ثمانية عشر ذراعاً وثلاث ذراع . وهي أربع قناطر معقودة على ثلاثة أعمدة مكتبة بالأزرق وساريتين . ويتزل من هذه القناطر بأربع وعشرين درجة إلى الحرم . ومن حد هذه الدرج إلى السور الغربي (وهو الذي فيه الباب الجديد المعروف الآن بباب القيسارية ، وفيه باب الميضأة وسائر الأبواب الغربية الآتى ذكرها إن شاء الله عند ذكر أبواب الحرم) خمسة وثمانون ذراعاً وثلاث ذراع .

وبظاهر هذا الصحن من الصهاريج المركب على فوهة كل منهن خرزة رخام أو حجر منحوت سبعة ، لمن تسعة أبواب . منها بالجهة القبلية بئر يعرف بالرمانة له بابان : هذا الباب الذي بالصحن ، وباب أسفل الحرم أمام الجامع ، وبالجهة الشرقية بئران ، يعرف أحدهما بالشوك ، ويعرف الآخر ببئر الورد ، له بابان جميعهما من صحن الصخرة الشريفة . وبالجهة الشمالية بئر يعرف بباب الجنة . وبالجهة الغربية ثلاث آبار : أحدها يعرف بالكاس لأن على فوهته كأس رخام طويل ، والآخر له بابان من الصحن ، والآخر يعرف .

الآثار وصح
صحن الحرم

(١) بالأصل : وساريتين .

(٢) بالأصل : الصور .

(٣) بالأصل : من م الصهاريج . ولا يستقيم الكلام في رأينا إلا بإعمال لفظة من وأعتبارها رائدة .

(٤) في الأصل : تذكير البئر في مواضع وصح اللغويون على تأنيها .

وإذ ذكرنا ما في هذا الصحن من الصهاريج، فلنذكر ما في سُفْل الحرم من الصهاريج، فنقول:

الصهاريج في سفلى
الحرم المقدسى

في سُفْل الحرم من الصهاريج خمسة عشر صهريجاً .

بالجهة القبلى ستة : بالقرب من الزاوية الفخرية واحد، وباب الجامع واحد؛
وداخل باب الجامع الشرقى واحد، ويسمى ببئر الورقة، وله بابان أحدهما هذا الذى
داخل باب الجامع، والآخر فى مكان يعمل فيه نجارة الحرم، والبئر الأسود، وله
ثلاثة أبواب : أحدها يُنزل إليه بدرج، وبئر يعرف بالبحيرة، له بابان، وبئر فى الحاكورة
التى عند الباب الشرقى، وله بابان : واحد فى الحاكورة، وباب خارج عنها .

❦

وبالجهة الشرقية ثلاثة آبار : منها بالقرب من باب الرحمة واحد، له بابان .

وبالجهة الشمالية ثلاثة آبار : بئر بركة بنى إسرائيل، وبئر بيباب شرف الأنبياء، وبئر
بالرواق الحامل للزاوية المعروفة باللاوى وخانقاه الإسعردى .

وبالجهة الغربية ثلاثة : أحدها بيباب الغوانمة، والآخر عند باب الرباط المنصورى،
وله بابان : باب فى الحاكورة، وباب خارج عنها، يعرف بأبن عروة، وبئر عند الباب
الحديد مغطىً بحصر الأروقة .

وهذه الآبار الثمان والعشرون معمرة بالمياه .

وهناك أيضاً غيرها ثلاثة صهاريج خربة معطلة . واحد عند درج الميزان، والثانى
عند محراب عمر، والثالث تحت الزيتون بالجهة الشرقية من الحرم .

(١) ليس فى الاصل فقط . فقطنا الكلمة ولا نصى أنها مضافة لى أراد المؤلف، وبحوران تكون محارة .

(٢) يظهر أن هذه الكلمة مصروب عليها فى الأصل ولكن بكيفية توحى الشك .

وقد أستوعبنا الآن صفة صحن الصخرة وما أشتمل عليه .

فلذكر ما بياطن الحرم من المساجد والمزارات والأبنية وغير ذلك .

ونتدئ أولاً بذكر السور المحيط بذلك جميعه .

صفة السور القبلي وما صاقبه من المساجد وغيرها

- وأول هذا السور من جهة الغرب مسطبةٌ طولها من المحراب للشمال ستة أذرع
وعرضها ستة ونصف . وبصدرها محرابٌ . ويتلوها من جهة شرقها بابُ الزاوية
المحرية ، ويتلو بابُ الزاوية الفخرية من الشرق صُفَّةٌ عشرة أذرع وربع ، وعرضها
ثلاثة ونصف . ويتلو هذه المسطبة باب جامع المغاربة . وطول جامع المغاربة من
محرابه لرأس دهليزه أحد وثلاثون ذراعاً ونصف ، وعرضه أحد عشر ذراعاً ونصف .
ومحرابه لطيف ، مركب على عمودين رخام لطاف . ومن ظاهر حائط هذا المحراب
إلى حائط جامع النساء نرجةٌ في الزاوية الفخرية التي إلى جانبه ، وطول دهليزه أحد
عشر ذراعاً وثلاثة أذرع ، وعرضه أربعة أذرع وثلاثة أذرع .

السور القبلي
ومساطبه ومحاربه



وفي باطن سوره الشرق مسطبة لطيفة ، عرضها ذراع ونصف ، وطولها ثمانية
أذرع ونصف وربع وثمن .

- وفي ثمانين السور خزائن لطاف للقناديل وحوائج القومة به . وله باب واحد يفتح
للشمال . سَعَتُهُ أربعة أذرع وارتفاعه خمسة أذرع .

باب القناديل
والحوائج

جامع المغاربة
و جامع النساء

وقولنا جامع المغاربة، لعلبة هذا الاسم على السنة الجمهور. ولو قلنا مسجد المغاربة، لما علم الجمهور بالقدس. وكذلك جامع النساء. كل ذلك ليس بجوامع تقام فيها خطبة. وإنما لكل منها إمام مفرد، يصلى فيه الصلوات الخمس لا غير.

ويتلو جامع المغاربة فضوة كبيرة يتلوها جامع النساء. وطوله من الشرق للغرب اثنا وستون ذراعا ونصف ذراع، وعرضه من القبلة للشمال اثنا وعشرون ذراعا وثلاثا ذراعا، وهو رواقان سقفهما اثنا عشر عقدا: كل رواق ستة عقود محمولة في الوسط على ست عضائد. ويصدره من الشبايك خمسة: عرض الشباك الأول منها ذراعان ونصف، وعمقه في السور ثلاثة أذرع، وهو عرض السور جميعه في هذه البقعة، وارتفاعه ثلاثة أذرع وثلاثا ذراع. وثمة الشبايك دون هذا المقدار.

وبجائظه الغربي شباك مطل على حارة المغاربة. ١٠

وباب هذا الجامع يُفتح للشمال. وبكل خذ أربعة أعمدة رخام أبيض في جسد واحد. طولها خارجا عن القواعد ذراعان إلا ربعا. وأمامه شجرتان عظيمتان من الجوز، تحتهما مسطبة يصلى الناس عليها.

ويدخل من الباب المذكور ويتزل بنحس درج إلى الأروقة المذكورة. ومن باب جامع النساء على موصى سبعة وعشرين ذراعا من جهة الشرق، الباب العربي ١٥
من أبواب الجامع المسمى الآن بالمسجد الأقصى.

(١) في الأصل: وعرضها ... وهي. [والسياق يدل على أن المراد مساحة ذلك الجامع. لذلك استعملنا الصميرين المذكورين].

صفة السور الشرق



السور الشرق
(وفيه مهد عيسى)

تقدم أن في قُرْنة السور القبليّ مهّد عيسى، عليه السلام. وشماليّه رواق معقود على
سنة عقود قد حُرِّبَت مساطبه من العائز القديمة. وبعض أرضه مبسوطة بالقص.
طوله ثلاثة وأربعون ذراعاً، ومن جانبه للقبلة كشفٌ إلى حدّ مهّد عيسى.

- مسجد باب الرحمة
- وشماليّ هذا الرواق، على مصيّ ثلاثمائة ذراع، مسجد باب الرحمة، وطوله من الشرق
للغرب ثلاثون ذراعاً، وعرضه قبلةً وشمالاً أربعة عشر ذراعاً ونصف. وسعة محرابه
ثلاثة أذرع وربع. يصلى فيه إمام معرد. وهو معقود بالحجر المنحوت ستّ قباب :
أثنان مرتفعتان، وأربعة منبسطة على عمودين صوّان بيض في الوسط وساريتين
في وسطه طول كل عمود أحد عشر ذراعاً ودورته أربعة أذرع ونصف. وهذا
المسجد متخذ باطن البابين المسميين باب الرحمة.
- باب الرحمة

١٠

وهما بابان قديمان قد سُدّا. على كل منهما مصراعان من خشب مصفح من
خارج بالحديد. طول كل منهما أحد عشر ذراعاً، وعرضه ستة ونصف. وخلف
كل منهما بابان بالصفة المذكورة إلا أنّهما مصفحان بالنحاس الأصفر المنقوش.
قد سُمِّرَا وأُحْكِمَ غلقهما. قيل إنّهما من بقايا العائز السلجانية. سُمِّيَا بأبواب الرحمة.

- ومتهى السور الشرقيّ رواق طوله من القبلة للشمال مسنة عشر ذراعاً ونصف.
• ومن الشرق للغرب سبعة أذرع وثلاث، ويعقبه في أول السور الشماليّ باب أسباط.
• وسيأتي ذكره، إن شاء الله.

١٥

(١) بالاصل : وعرضها.

(٢) بالاصل : وشمال.

وليس في هذا السور الشرقي الآن بابٌ يُسلك منه للحرم الشريف . ولم يكن له في الزمن القديم سوى البابين المذكورين .
ويقال إن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) غلقهما لما فتح القدس . فلم يفتحها إلى الآن .

المقبرة خارج
هذا السور

وقد اتخذ الناس ظاهرَ هذا السور مقبرة يدفنون فيها موتاهم . وفيها قبر شداد بن اوس .

١١٢

وادي جهنم
وما فيه من عجائب
المان والآثار
والقوش والمعاد
القديمة

وتلو المقبرة المذكورة وادٍ عميقٌ يعرف بوادي جهنم ، يزرع . وفيه كروم وبساتين . ومنه يُتطرق إلى العين [ماء] . وفيه أبنية عجيبية وآثار غريبة ونقوش ومعابد قديمة . وهو وقف على المدرسة الصلاحية . وحدّ هذا الوادي من الشرق طُور زَيْتَا الذي يقال إن الله تعالى رفع عيسى عليه السلام منه . وبه قبر رابعة العدوية ، يُزار قصداً . وفيما بين السور الشرقي وصحن الصخرة الشريفة أشجار من الزيتون والميس والتوت والتين . تقدير عدتها مائة شجرة ، يستظل الناس تحتها ويصلون .

قال صاحب تاج الدين أحمد بن أمين الملك :

وصف الفصول
الارعة بالحرم
المقدس

”ولقد مضى علىّ في مجاورة هذا الحرم الشريف الفصول الأربع ، فرأيتُ له في كل فصل محاسنَ في غيره لم تُجمع ، وهو أنه من مبدأ فصل الربيع تبدو فيه من الأزهار المختلفة الألوان ما يستوقف بحسنه لبّ الذكي الأروع . وكلُّ أحد من له معرفة بالأعشاب يأتي إليه ، ويأخذ من تلك الأزهار ما علم منفعتها ومضرته“ .

قال : ”وأما ما شاهدته بالبيان ، أني جلست وقتاً في بقعة منه تكلمت بأزهار من الشقائق والهبّار والأخضوان ، وإلى جاني فقير عليه أطمار رُثَّةٌ يبدى تبسماً ، وتارة يعلل صوته

- بالتسبيح والتكبير تَرْتَمًا، ويقول: سبحان من جمع فيك المحاسن وكساك هذه الحلل
 الفاهرة، وجعلك تحتوى على كنوز الدنيا والآخرة! قللت له ياسيدى! أما فضله
 وبركته، فقد صدق العيان فيها الخبر، وقام بها الدليل والبرهان وتواتر بها الأثر؛ لكن
 ما كنوز الدنيا؟ فقال: مامن زهرة تراها إلا ولها فى النفع والضرر خواص، يعرفها
 أهل الاختصاص! قللت: لعل تُظهر للعيان شيئاً مما عرفت يزداد به اليقين تبصره،
 وتكون هذه الجلسة معك عن صبح النجاح مسفرة . فأخذ بيدى ومثنى خطوات
 إلى جهة من جهات الحرم . ومد يده أخذ قبضة من ذلك الكلال، وقال: هل
 معك خاتم أو درهم؟ قللت نعم، فأخرجتُ درهماً معي . فعركه بذلك الكلال،
 فعاد كالدينار فى صفرته . ثم أخذ حشيشة أخرى، وعركه بها . فعاد أبيض .
 أبقى مما كان أولاً . وقال: هذه رموز آتحت على تلك الكنوز . ولم يترك نبى الله
 سليمان شيئاً من المواهب التى محه الله إياها . والمنافع التى وصلت إليه من الإنس
 والجن على اختلاف صورها ومعناها، إلا وأودعه فى هذا الحرم . فأين من يهم تلك
 المعانى، أو من كان لها يُعاني؟ ثم أخذ منها غير ما كنت أسلكه . فسألته التثبت
 والتلبث . فقال: الدنى من صرف نظره إلى العرض الأدنى، والسرى من صرف
 رماه بالتهجد فى هذا المنفى . أو صيك أن تغتم الفرصة فى ركعات تقدمها بين يديك،
 وسواها فان، ولا تلتفت إلا إلى ما هزتك من الرحمن . قللت: ناسيدى! ومثلك
 من يفتح أبواب الصواب . فقال: ما بعد السنة والكتاب من باب . ثم فارقتى مهرولاً،
 معلماً بصوته ومرتلاً . يقول: سبحانك يادائم! سبحانك ياقدوس! سبحانك
 يارحمن! سبحانك ياحيي النفوس! جعلتُ هذا الذكر لى ديدنا، وكلما أشتاقت له
 منى عينٍ أطربتُ بذكره أذناً .

صفة السور الشمالي وفيه عدة أبواب

أولها من جهة الشرق بابٌ يسمى باب أسباط، وهو تلو الرواق المقدم ذكره
الذي هو نهاية السور الشرقي. وأرتفاع هذا الباب خمسة أذرع، وعرضه ثلاثة أذرع
ونصف وربع وثمن ذراع.

ويعقب هذا الباب من غربيه، رواقٌ معقود على عشر سوارٍ، طوله آثنان وسبعون
ذراعا، وعرضه ثمانية أذرع. يصدره أربعة شبايك مُطلة على بركة بنى إسرائيل.
وهي بركة قديمة عميقة.

ويعقب هذا الرواق ساحةٌ، وهي أرضٌ كشفٌ ببعضها مصبٌ مياه لبركة بنى
إسرائيل. وبعضها كشفٌ، قصد أن يُبنى به أروقة. وإلى الآن لم تُكمل. وطولها أربعة
وسبعون ذراعا.

ويعقب هذه الأرض المدرسة الكريمة، وجاورت ما أمامها من الأروقة بمخاططين: ^(١)
المدرسة الكريمة*
غربية وشرقية. وجعلوا مصيبتين قدامها. وطول هذه المدرسة من الشرق للغرب
خمسة وعشرون ذراعا. وجعل قدام هذه الأروقة مسطبةً يصعد إليها بأربع دَرَجٍ بارزة
في الحرم. طولها من القبلة للشمال ستة عشر ذراعا. وهذه المدرسة بناها كريم الدين
عبد الكريم، ناظر الخواص الشريفة السلطانية الناصرية. ويعقب هذه المدرسة بابٌ،
يسمى باب حطة. عرضه أربعة أذرع وثلاث أذرع، وأرتفاعه ثمانية أذرع. أمامه ممشاة

معروشة بالبلاط، طولها مائة وثمانية وسبعون ذراعا، وعرضها خمسة أذرع وكُسِرُ
يُصعد من آخريدريج إلى ثلاث قناطر معقودة على عمودين رخام وساريتين، يدخل
منهن إلى صحن الصخرة .

وبجدي هذا الباب مسطبتان لطيفتان، عرض كل منهما ذراعا: الشرقية منهما
لصيقة للدرسة الكريمة المذكورة؛ وتلو الفريسة رواق، طوله اثنا وسبعون ذراعا
في العرض المذكور .

وفي سورة ثلاثة شبائك للرباط العَلَمَى الدوادارى . وبأوله من الشرق بالقرب
شباك للتربة الأوحدية، من بنى أيوب .

ثم يتلو هذا الرواق باب يعرف بباب شرف الأنبياء . طوله ثمانية أذرع وعرضه
أربعة، وأمامه ممشاة نظير المشاة المذكورة . وقد تقدم ذكر هذه أيضا .

ويتلو هذا الباب رواق طوله سبعة وأربعون ذراعا، وعرضه سبعة أذرع ونصف،
معقود على ثمان سوارٍ . وأوله شباك . أحدهما مفتوح يتوصل منه إلى زاوية
الصاحب أمين الدين، المعروف بأمين الملك . وتلوها باب يصعد من باطنه إلى زاوية
اللاوى . وتلو الباب مسطبة، فيها صهيح .

ويعقب هذا الرواق من الغرب رواق معقود عقدين على ثلاث سوارٍ . طوله
تسعة عشر ذراعا ونصف، وعرضه من الشمال للقبلة تسعة أذرع . ويصلى به الآن
بعض النسوة . الصلوات الخمس، خلف الأئمة .

مدرسة آل ملك
وحاقدا الاسعدي

وبأعلاه مدرسة الأمير سيف الدين الحاج آل ملك الجوكندار، وخانقاه مجد الدين
الإسعدي التاجر. وبأوله جوار الصهرج المذكور، سلم يصعد منه إلى المدرسة
والخانقاه المذكورتين.

ويعقب هذا الرواق كشف ليس به أروقة. وهو صورة مسطبة عالية. ويتزل
من وسطها بست درج إلى الحرم.

مدرسة الحاول

وبأقصى ارتفاع هذا السور خمسة شسبايك لمدرسة الأمير علم الدين سنجر
الحاولي، رحمه الله. وليس لها استطراق إلى الحرم. ومن حد هذا الكشف، طالبا
لجهة الغرب، خلوتان. لكل منهما باب يُفتح للجهة القبيلة من الحرم. وداخلهما كله
في باطن السور الشمالي. وهي من جبل صخر أصم، صفة مغارة. وقيل يعرف قديما
بمغارة إبراهيم. وفي الشرقية منهما شبك لطيف. وإلى جانب هاتين الخلوتين، خلوة
لشيخ الحرم. وبها شبا كان على الحرم الشريف. وطولها ستة عشر ذراعا. وأمماها
مسطبة في الطول المذكور، وعرضها أربعة أذرع وثلاث. وبأعلى هذه الخلوة، خلوة
يُصعد اليها بسلم، بسبع درج في حد الباب الذي يفتح للشرق.

ويتلوا ذلك رواق على عقدين طولها من الغرب طالبا للشرق خمسة عشر ذراعا
وعرضه تسعة ونصف. وتلوه سلم مستطيل جدا، يصعد من أعلاه إلى مأذنة، وإلى
دار هناك لبني جماعة. وهذه المأذنة هي أقصى السور الغربي، وأرتفاعها ثلاثة وخمسون
ذراعا. وبأعلاها درابزينات خشب منقوشة. وهي مكلفة من العمدة الرخام اللطاف
بأحد وثلاثين عمودا.

صفة السور الغربي

السور الغربي ويشتمل على سبعة أبواب بما فيه من باب الطهارة، فإنه الآت غير نافذ .
وامام كل باب شجرة كبيرة من الميس أو التوت، وتحتها مسطبة يصلي الناس عليها،
ويستظلون، خلا باب الفوائمة، فليس قدامه شيء .

ومبدأ السور من المأذنة المذكورة .

٥

أوله وأول أبوابه من هذه الجهة، باب الفوائمة . وطوله أربعة أذرع، وعرضه ثلاثة أذرع .
يُصعد إليه من الحرم الشريف بعشر درج . ويحده الشمالى خلوة للباب ، بارزة
في الحرم تقدير خمسة أذرع . ومن حد هذه الخلوة إلى المأذنة المذكورة خمسة وثلاثون
ذراعا . ومن الباب المذكور - على مصى ثمانية عشر ذراعا طالبا للقبلة - باب لطيف
خلوة في باطن عرض السور لبعض الفقهاء المجاورين . ومن حد هذه الخلوة إلى نهاية
أربعة وعشرين ذراعا حاكورة بها أشجار وكروم تحت دار وقفها علاء الدين الأعمى .

١٠

وكان هذا الرجل من نظار الحرم المتقدمين ، وله تأثيرات حسنة في الحرم من
المواعيد والأبنية .

آثار علاء الدين
الأعمى داخل الحرم

وطول الحاكورة طالبا للشمال خمسة وأربعون ذراعا، في عرض سبعة أذرع وكسر .

ومن نهاية الحاكورة إلى أقصى السور وهو المأذنة المذكورة ثشف بلا أروقة .

١٥

ولصيق هذه الحاكورة من القبلة باب كبير يعرف بباب الرباط المنصوري . طوله
سنة وعرضه خمسة ونصف . وأمامه ممشاة يتوصل بها إلى السلم الذى يتوصل منه
إلى صحن الصخرة، قبالة الباب الحديد الآتى ذكره .

باب الرباط
المنصوري

وبعد الباب المذكور إلى جهة الشمال عقد على ساريتين ، طوله تسعة أذرع وعرضه عرض الحاكورة وسائر الأروقة المتصلة به . وهذا العقد أول العقود في السور الغربي .

وتعمل في ثمانية الحائط التي في أوله مع ثمانية السارية خلوة صغيرة للقيم والبواب ٥
بالباب المذكور .

وتحت هذا العقد يجلس الناظر والمباشر يومئذ للنظر في المصالح . وتلو الباب ١٠
المذكور عرضه عرض الأروقة ، وطوله مائة وثمانية أذرع ، معقود على ست عشرة سارية . وعلى تقدير عشرة أذرع من أوله شبك القاعة التي هي سكن الناظر على أوقاف الحرم . وهي من وقف الحرم . وفي آخره خلوة لطيفة سكن القيم وبرسم القناديل .

وتلو ذلك الباب المعروف بالحديد . طوله أربعة أذرع ونصف ، وعرضه ذراعان وثلاث ذراع . وأمامه ممشاة مبلطة يتوصل منها إلى سلم لصحن الصخرة الشرفة . عرضه ثلاثة وعشرون ذراعا ونصف وعدد درجه إحدى وعشرون درجة . وليس بأعلاه قناطر أسوة بقية السلام .

وتلو هذا الباب رواق على ثمان سوار طوله ثمانية وخمسون ذراعا وعرضه عرض سائر الأروقة . وبآخره باب لطيف لخلوة لبعض الفقهاء . ١٥

ثم يتلو هذا الرواق باب كبير عميل من قريب وأستجد فتحه ، يُنزل إليه بعشر درجات . له مساطب في خفيه . طول كل منها سبعة أذرع وعرضها ذراع وثلاث ذراع .

(١) في الاصل : مصالح .

قد أُنِيتْ عمارته . وأرغفاه ثمانية أذرع وعرضه خمسة أذرع . وعقدته بوجهين ،
 متقوس بالبحر الملون . وطرار كاتبه بالذهب ، نُقِرَ في الحجر . وأبوابه مصنعة بالنحاس .
 المذهب المخزم ، متقن العماره والزخرفة . ويتوصل منه إلى القيسارية المستجدة .
 وتشتمل على صَفِي حوانيت ، بعضها وقف على الحرم ، وبعضها وقف على المدرسة
 والحقاقه اللتين أنشأهما الأمير سيف الدين تنكر ، رحمه الله ، وسيأتي ذكرها
 عن كُتُب . إن شاء الله !

وإلى جانب هذا الباب رواقٌ معقود على ساريتين بكار جدًا طوله خمسة عشر
 ذراعًا ، وعرضه إلى خارج الساريتين سبعة أذرع وثلاث ذراع إلى باطنهما خمسة
 أذرع ونصف . بصدرة شباك لقاعة من وقف الحرم . وبجانب الشباك خلوة
 لطيفة للقيم والبواب . وإلى جانب هذا الرواق بابُ الطهارة . وهو يشتمل على
 طهارتين : إحداهما للنساء ، والثانية للرجال . وتشتمل طهارة الرجال على ثلاثة وعشرين
 بيتًا وفسقية كبيرة . وبأعلى طهارة النساء مساكن تُكْرَى لوقف الحرم .

الحلاوى
والطهارات
والمساكن
١٢٠

وباب الطهارة يُنزل إليه من أرض الحرم بأربع درجات . وطول الباب أربعة أذرع
 وثلاث ذراع ، وعرضه ثلاثة وثمَن . وبعده سبع درجات إلى دهليز مستطيل ، يتوصل
 منه إلى طهارة الرجال وإلى سلم يتوصل منه إلى علو طهارة النساء . وطهارة النساء
 في أوائل الدهليز ، على يمين الداخل .

باب الطهارة

ويتلو باب الطهارة رواقٌ طوله ثلاثة وستون ذراعًا ، وعرضه سبعة ونصف .
 معقود على تسع سوارٍ .

وفيه في ثمانية السور بابان خلوتين: إحداهما للقيم والأخرى برسم فقير. وفي آخره من جهة القبلة محرابٌ ملاصقٌ للأذنة، يُصلَّى فيه صلاةٌ مفردةٌ بإمامٍ مفردٍ، وتجاوره المأذنة المختصة بالحرم وارتفاعها ثمانية وأربعون ذراعاً. وباعلاها درابزينان من الخشب، وهي مكللة من العمدة الرخام اللطاف بثمانية أعمدة.

باب السلسلة
(وهو باب السحرة)

ويتلو المأذنة بابان قد غُلقَ الشمالُ منهما وُتِمَّ والمأذنة إلى جانبه. ويسمى البابُ المفتوح باب السلسلة، ويعرف قديماً بباب السحرة. سبعة خمسة أذرع وثلاث، وطوله ثمانية ونصف. وكذلك المغلق^(١). وأمام هذا الباب ممشاة قلع يتوصل منها إلى سلام صحن الصخرة بغير قنطرة المعظمية. ذراعها سبعة وسبعون ذراعاً وربع. ويتلو الباب رواقٌ معقود على عشر سوارٍ طوله سبعة وخمسون ذراعاً، وعرضه سبعة أذرع وربع، وارتفاع عقده عشرة أذرع ونصف. وهو نظير ارتفاع سائر سقوف أروقة الحرم.

وهذا الرواق فيه شباك للدراسة التنكزية: أنواعها من الآبنوس والعاج. ودخلهما المدرسة، وظهره حامل للخانقاه التنكزية. وفي آخره باب لطيف يصعد منه إلى أعلى المدرسة وسكن الصوفية. وفي آخر سواريه ستة أعمدة من صوان كبار. ويتلو هذا الرواق من القبلة مسطبة ارتفاعها ذراع وطولها من الجنوب للشمال ثمانية وثلاثون ذراعاً إلا ثمناً، وعرضها عرض الرواق المذكور.

باب حارة المغاربة

وتقيس من هذه المسطبة ثلاثة وثلاثين ذراعاً، تجدد باب حارة المغاربة. وسعته ثلاثة أذرع وربع، وطوله أربعة ونصف.

وتلو الباب المذكور على ثلاثة أذرع مسطبة . وهى نهاية السور الغربى وأول السور القبلى . وهذه المسطبة مجاورة للزاوية الفخرية التى هى أول السور القبلى من جهة الغرب . وقد تقدم ذكرها .



وإذ قد أسنوبنا صمة السور المحيط ، فلندكر الآن ما وعدنا بذكره مما أشتمل عليه سوى صحن الصحرة .

ونبدأ بما هو تحت صحن الصحرة ، وعدته تسع خلايا : أحدها جعل حصلا لأصناف الحرم .

الخلاوى
والحواصل تحت
الصحرة

فإنها بالجهة القبلى ثلاثة : منهن ماعلى أبوابه مساطب ومعرشات تكرم ، وفيه أبواب الرواق العظمى التى تحت مدرسته . وهو مصلى للحنابلة بإمام مفرد ، وبجانبه الشرقى حاصلان يُجعل فيهما زيت الحرم وأصنافه .

وفى الجهة الشرقية من تحت صحن الصحرة أربع خلايا : منها ماعمل قدام أبوابه حاكورة وغُرست أشجارا . والجهة الشمالية خالية من الخلاوى والحواصل .

وبالجهة الغربية خلوتان . إحدهما جعلت حصلا لأصناف الحرم . وفيه أبواب للرواق العظمى . وقبالة أبواب الرواق العظمى من الغرب قبة موسى عليه السلام . وهى أمام باب السلسلة وأمام رواق الحنابلة . بين المسطبة الحاملة لها وبين باب السلسلة ثمانية وعشرون ذراعا . وطول المسطبة من القبلة للشمال أربعة وعشرون ذراعا . وعرضها من الشرق للغرب أحد وعشرون ذراعا ونصف ، وأرتفاعها نصف ذراع . يصدر المسطبة القبلى القبة المذكورة . طولها من ظاهرها من القبلة إلى الشمال

عشرة أذرع، وعرضها من الشرق للغرب مثل ذلك. وارتفاع كرسى القبة من ظاهر المسطبة ثمانية أذرع. تشتمل هذه القبة من باطنها على أرض معروشة بالرغام .
 بابها يفتح للشمال . عرضه ذراع ونصف ، وطوله ذراعان وثلاثان . وبجذبه شباكاً حديد في طول الباب وعرضه . وبكل جهة من جهاتها شباكاً حديد . يُغلق على كل شباك ، زوج أبواب . وهي محمولة على الأركان . وبين كل حائط وأخيه قوس عقيد .
 وبأعلى كرسى القبة كرسى ثانٍ ، فيه خمس طاقات زجاج . وبأعلى الكرسى الثاني القبة المعقودة . تقدير ارتفاعها من ظهر الكرسى الثاني ثمانية أذرع . وليس فيها عمد رخام بالجملة الكافية ، حتى ولا في خدئ المحراب .

صفة قبة سليمان عليه السلام

وهذه القبة بالجانب الشمالى من الحرم . وهى مسامتة للصريح والسلم الذى بُصِّدَ منه إلى الخلقاه الإسعردية والمدرسة السيفية آل ملك .

ومن واجهة الصريح إلى باب القبة ثمانية وأربعون ذراعاً . وهو يفتح للشمال .
 طوله ذراعان ونصف ، وعرضه ذراع وثمن . بجذبه عمودا رخام ومسطبتان : يبنى وسرى . طول كل منهما خمسة أذرع وربع ، وعرضهما مثل ذلك .

وبجذئ الباب المذكور شباك كان مطلقاً على هاتين المسطبتين . طول كل شباك منهما ذراعان وثلاث ذراع ، وعرضه ذراع وثلاثان .

يُدخل من هذا الباب إلى قبة مئنة . وثمة التشمينات مسدودة بها أربعة وعشرون عموداً من الرغام طول كل عمود - خارجاً عن القواعد - ذراعان ونصف . فى كل تئنه

من المسدودات أربعة أعمدة حاملة للرخامة التي في عقد القناطر . وبجذبي المحراب
عمودان لطيفان طول كل منهما ذراع ونصف .

١٦٦

وفي نهاية العمدة - عند نهاية كرسى القبة - طاقاتُ زجاج بدائرها . سعة القبة
سنة أذرع ونصف ، وارتفاعها من قطب القبة للأرض عشرون ذراعاً .

وعلى بئمة المصلى في المحراب صخرة صغيرة طولها ذراعان وربع ، وعرضها من الجبهة
القبليّة ذراع ، ومن الشماليّة ثلثا ذراع . يدعو الزوّارُ عندها . ويقال إنها من الآثار
السليمانية ، وإن الدعاء عندها مستجاب .

صخرة سليمان

وفي حائط هذه القبة القبليّة ، من خارج ، عمودان من الرخام . وبهما تكمل ما بهذه
القبة من الأعمدة ثلاثين عموداً .

١٠ . صفة المجلس الذي بناه سليمان عليه السلام

ويسمى الآن بمصطبل سليمان

قال صاحب تاج الدين : هذا المجلس بناؤه أعجب وأتقن من المسجد الذي
أعلاه . وله من داخل الخانات الصلاحية (يعني المجاورة لمقصورة الخطابة) بها الآن شيخ
يدير الخنق ، وبه تعرف الآن) سلمان : أحدهما ست وثلاثون درجة يُتزل منها
إلى بعض أقسام المجلس المذكور ، والثاني أربع وخمسون درجة ، يُتزل منها إلى بقية
أقسام المجلس المذكور .

بعض سائر

قال : والمكان في عابة النور لما عمل له من المناور والطاقات المحكمة . وهو رواقات
عقودها محمولة على عمد من الصوّان وأركان البناء . وعرض هذه المجالس من القبلة
إلى الشمال : منها ماعرضه ثمانية أذرع ، ومنها ماعرضه تسعة أذرع ، ومنها ماعرضه

عشرة أذرع ؛ وأرتفاع عقوده من الأرض التي بها الابواب النافذة لرأس وادى عين سلوان منها ما تقدير آرتفاعه عشرون ذراعا، ومنها ما تقديره خمسة عشر ذراعا.

ويقال إن أحد هذه الأبواب كان منه دخول الأنبياء عليهم السلام.

وفي إحدى أسطواناته حَلَقَةٌ. يقال إن البراق ربط بها ليلة الإسراء.

مرط البراق

وهذه الأروقة كلها آخذة من الشرق للغرب . فمنها ما يمكن قياس طوله ، الذي

❦

أمكن التطوق إليه . فكان تقديره ثلاثة وتسعين ذراعا . ومنها ما لم يمكن قياس طوله لكون أطواله قسمت حيطانا : منها ما هو في وقتنا هذا مملوء بالتراب المهول ؛ ومنها ما هو صفة حواصل ؛ ومنها ما هو مساكن ومرافق لسكان الخلفاء المذكورة .

قال : ونطاق النطق ضاف عن استيعاب وصف هذا المجلس . لكن الأماكن التي أمكن التطوق إليها والمشى لها هو نافذ منها دلت على أن البقعة المسماة بالجامع (يعنى المسجد الأقصى) موضع الخطبة الآن ؛ وبقعة جامع النساء وغالب المشاوات التي بالحرم والأشجار المزدرة : كلها معلقة على هذه العقود والسواري .

قلتُ : ولقد دخلتُ إلى بعض هذه الأماكن ، ورأيتُ من عجائب الأبنية بها ما يملأ العين . وكان دخولي إليها من الزاوية المعروفة بسكن الخنثى ثم أفضيتُ منها إلى الكروم وظاهر المسجد .^(١)

ريادة المؤلف

(١) بالأصل : دل .

(٢) يابس آخر الصحبة بالأصل مقداره تسعة سطور .



قبر الخليل عليه الصلاة والسلام

وما جاوره من قبور بنيهِ والأزواج

وكلها داخل ذلك المسور ، وفي حدود ذلك المكان المنور .

قبر الخليل ، رابع
وروجه سارة
وأسه إسحاق

روى الحافظ أبو القاسم مكيّ بن عبد السلام بن الحسين الرُمَيْليّ المقدسيّ ، بسنده إلى كعب الأجبّار ، قال : أوّل مَنْ مات ودُفِنَ بِحَبْرَى سَارَةُ ، وذلك أن إبراهيم خرج لما مات ، يطلب موضعا ليقبرها فيه . فقدم على صفوان ، وكان على دينه . وكان مسكنه وناحيته حَبْرَى . فَأَشْتَرَى مِنْهُ الْمَوْضِعَ بِخَمْسِينَ دِرْهَمًا . وكان الدرهم ذلك العصر خمسة دراهم . فُدْفِنَتْ سَارَةُ فِيهِ . ثُمَّ تُوُفِيَ إِبْرَاهِيمُ فُدْفِنَ لَصِيْقَهَا . ثُمَّ تُوُفِيَتْ رَبْقَةُ زَوْجَةُ إِسْحَاقَ ، فُدْفِنَتْ فِيهِ . ثُمَّ تُوُفِيَ إِسْحَاقُ فُدْفِنَ لِرَبْقَتِهَا . ثُمَّ تُوُفِيَ يَعْقُوبُ فُدْفِنَ فِي الْمَوْضِعِ . ثُمَّ تُوُفِيَتْ زَوْجَتُهُ لَيْقًا فُدْفِنَتْ مَعَهُمْ .

فَأَقَامَ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى زَمَنِ سُلَيْمَانَ . فَلَمَّا بَعَثَهُ اللَّهُ ، أَوْحَى إِلَيْهِ أَنْ يَبْنِيَ عَلَى قَبْرِ خَلِيلِي حَبْرًا حَتَّى يَكُونَ لِمَنْ يَأْتِي بِعَدْلِكَ ، لَكِي يُعْرَفَ .

خَرَجَ سُلَيْمَانُ وَبَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، حَتَّى قَدِمَ أَرْضَ كَنْعَانَ . فَطَافَ فَلَمْ يَصِبْهُ . فَجَرَعَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ . فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : يَا سُلَيْمَانُ ، خَالَفَتْ أَمْرِي ! قَالَ : يَا رَبِّ ، قَدْ غَابَ عَنِّي الْمَوْضِعُ . فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : امْضُ ، فَإِنَّكَ تَرَى نُورًا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، هُوَ مَوْضِعُ قَبْرِ خَلِيلِي . خَرَجَ سُلَيْمَانُ ثَانِيًا ، فَنَظَرَ فَأَمَرَ الْجَنَّ قَبَنُوا عَلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يَقَالُ لَهُ الرَّامَةُ . فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : إِنَّ هَذَا لَيْسَ هُوَ الْمَوْضِعُ ، وَلَكِنْ

(١) حَبْرَى كَسْرُ الْهَاءِ أَظْهَرَ الْقَامُوسُ . وَقَدْ أورد القصة في "معجم ياقوت" ج ٢ ص ١٩٥ ببعض تصحيح في الاسماء .

اذا رأيت النور قد ألتقى بأعنان السماء، فخرج سليمان فنظر إلى النور قد ألتقى بأعنان السماء إلى الأرض . فبنى عليه الحير .

قلتُ : ولم يكن لهذا الحير بابٌ . وإنما المسلمون لما أفتتحو البلد، فتحوا له بابا . وبناءه بناء محكم . وفي حائطه حجارة هائلة في كبر القدر ، منها ما طوله سبعة وثلاثون شبرا .



وقد أقيم بهذا الموضع خطبةٌ، ورُتّب به إمام ومؤذنون .

وفي قبلته بابٌ يُزل منه بدرج كثيرة إلى سرداب ضيق تحت الأرض، يأخذ متشاملا إلى بحوة فيها ثلاث نصاب قبور في حائطه، يقال إنها قبر الخليل وزوجته وإسحاق .

وهناك طاقة لا يُعرف إلى أين تنتهي، لكن يقال إنها إلى مغارة تحت أرض الحرم، فيها الموتى . وتلك أمثال القبور من فوق .

زيارة المؤبد
للسرداب الذي فيه
قورا الأنبياء.

ولقد أتيتُ إلى هذا السرداب ومشيتُ به زحما، لضيقه . ولتطأ طؤ سقفه، لا يقدر أحد على المشي منتصبا به . وهو خطوات يسيرة تنتهي إلى الفجوة المذكورة . وهي نحو أربعة أذرع في مثلها . وهيئة القبور في قبلة المسجد الآن قبران : الأيمن قبر إسحاق، والأيسر قبر زوجته . وفي شماله مما هو منعصل عن المسجد بهيتين متقابلتين قبران : الأيمن قبر إبراهيم الخليل ، والأيسر قبر سارة زوجته . وفي شمالى الحرم فةٌ مفردة مسامنة لقبة الخليل . وفيها قبر يُقال إنه قبر يعقوب . ولا شك ولا ريب أن إبراهيم (صلوات الله عليه) ومن ذكر معه مدفونون داخل هذا المسور . وأما تعيين موضع القبر، فالله أعلم .

قال علي بن أبي بكر الهروي : حدثني جماعة من مشايخ بلد الخليل أنه لما كان في زمان بردويل الملك، أنخسف موضع في هذه المغارة . فدخل جماعة من القريج إليها بآذن الملك، فوجدوا فيها إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وقد يَلَيْتُ أكفانهم، وهم مستندون إلى حائط، وعلى رؤوسهم قناديل . وهي مكشوفة . فجند الملك أكفانهم ثم سدّ الموضع . وذلك سنة ثلاث عشرة وخمسمائة . حكى ذلك شهاب الدين بن الواسطي . قال : وقيل إن هو آدم وروح وسام في المغارة . قال : والمغارة تحت هذه المغارة التي تُزار الآن . والله أعلم .

اكتشاف قبور
الأنبياء في أيام
احتلال الصليبيين
لبلد الخليل

قد آدم وروح - م

ووراء الحرم موضع فيه قبر يسب إلى يوسف، عليه السلام . يقولون إنه لما بُني المكان، أرادوا أن يجعلوا قبره داخل الحرم . فسمع بانيه وهو سليمان (عليه السلام) قائلاً يقول : دعوه خارج الحرم، فعليه خراج مصر !

قـ. يوسف وسب
وحوده خارج
الحرم

١٣٧

ويقال إن موسى (عليه السلام) لما خرج من مصر، استصحب معه تابوت يوسف، ودفنه هناك قريباً من آبائه، ولم يدفنه عندهم، لما ناله من الملك . هكذا يقال، والعهد على قائله . والله أعلم .

قلت : وهذا الحرم مؤزر جذره بالرحام الملقون والمُذْهَب . وعله أوقاف جليله . وبتدفعه كل يوم بعد العصر سِتَاطٌ وهزى فيه من الخبز على الواردين بحسبهم على قدر كفايتهم .

حرفة الخبز
الخليل وصيادته

ولقد رتب الخليل (صلوات الله عليه وسلامه) في ذي الحجة سنة خمس وأربعين وسعمائة . فأخبرني جماعة المباشرين أن في بعض ليالي العشر من هذا الشهر في هذه السنة فرقوا رواده على ثلاثة عشر ألف رغيف، وأن غالب أيام العام مابين السبعة

يزده الموقد
بقبر إبراهيم الخليل
سنة ٧٤٥

آلاف والعشرة آلاف. ويُفَرَّقُ أيضاً مع الخبز طعام العَدَسِ بالزيت الطيب والسَّابِقُ .
وفي بكرة النهار يُطَبِّخُ أيضاً قدر من الدَّشِيشِ، ويفتَقُّ على الواردين . وفي بعض ايام
الأسبوع، يُطَبِّخُ ماهو الغر من ذلك .

وله خُدَامٌ برسم غربلة القمح وطحنه وعجينه وخبزه . لا يَبْطَلُونَ ليلاً ولا نهاراً .
وأهراء القمح والطاحون والفرن، نافذٌ بعض ذلك إلى بعض . بحيث إن القمحَ
تُزَعُّ في الأهراء ويُخْرَجُ خبزاً محبوزاً . ولم يزل على هذا مدى الشهور والأعوام
والليالي والأيام، لا ينقطع له مدد، ولا يُحَصَّرُ بضبط ولا عدد .

ولما آستولوا الفرنج على بلد الخليل (عليه السلام) أجزوا هذا السَّماط وزادوا على
من كان قبلهم، وبالفوا في صلة هذا المعروف .

ثم زاد ملوك الإسلام في السَّماط . وهو معروفٌ يشمل المأمور والأمر، والغنى
والفقير .

وقلتُ من قصيد مدحتُه، عليه الصلاة والسلام :

هذا حليل الله إبراهيم قد * لاحتنا أعلامه الشَّمُّ الذُّرَى !

هذا الذي سنَّ القِرَى لضيوفه * كرمًا، ولولاه لما سَنَّ القِرَى !

هذا الذي مَدَّ السَّماط فما أنطوى * ذاك السَّماط تكرمًا، وسَلَّ الورى !

وقلتُ من أخرى :

هو ذا صاحب السَّماط ولكن * صاحب الحوض نخله ودووه !

ذو فناء يُقَرَّى به كل ضيف * لم يُحِبَّ تحت الدُّجى طارقوه !

منعمٌ سَيِّدٌ حوادٍ كريمٌ * منذ مدوا سماطه ما طووه .

فتح الصياغة
وأهراؤه

استمرار السَّماط
في أيام الفرنج
وزيادتهم

زيادة ملوك
الإسلام فيه

قصائد للزُّلَّف
في مدح الخليل

﴿١٢٨﴾

وقلتُ من أنكرى، حين زرتَه في ذى الحجة سنة خمس وأربعين [وسبعائة]:

خَلِيلُ إِلَهِ الْعَرْشِ أَوَّلُ مَنْ قَرَى * ضُيُوفًا! وَهَاقْدَجْتُهُ وَأَسْتَضَفْتُهُ.

أَتَيْتُ كَرِيمًا لَا تَزَالُ رِحَابُهُ * مُطَبَّقَةً بِالْوَفْدِ حَيْثُ نَظَرْتُهُ.

دَعَتْ نَارُهُ الضَّيْمَانَ فِي عَسَقِ الدُّجَى * وَلَيْسَ سِوَاهَا بَارِقًا ثُمَّ شَمِتَتْهُ.

فَتَى الْخَوْدِ شَيْخُ الْأَنْبِيَاءِ جَمِيعِهِمْ * وَالذُّهْمُ حَقًّا، يَقِيًّا عَلِمَتْهُ. ٥

وقلتُ، عند الوداع في هذه السنة:

هَذَا الْخَلِيلُ وَهَذِهِ أُنَاؤُهُ! * يَكْفِيكَ بَعْدَ فِرَاقِهِ أُنَاؤُهُ!

هِيَاهُ لَا تُؤَيِّ أَقْلٌ حَقُوقِهِ * وَلَوْ أَنَّ جَفَنَكَ لَا يَحْجُفُ بَكَؤُهُ!

فَامْسِكْ فَوَادِكْ إِنْ مَلَكَتْ عَنَانُهُ! * هِيَاهُ قَدْ طَارَتْ بِهِ أَهْوَاؤُهُ!

وَتَعَزَّ عَنْ أَهْلِ الْكَثِيبِ وَإِنَّمَا * مِنْ أَيْنَ لِلصَّبِّ الْكَثِيبُ عَزَاؤُهُ! ١٠

قلتُ: وكان قدومنا هذه المرة على الخليل (عليه السلام) يوم الاثنين لأربع

تفصيل المؤلف
لر يارته

عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة خمس وأربعين وسبعائة. فبتنا ليلتنا نتبرك

في حوِّ تلك القصور من العظام العظام، ونعفّر الوجوه في تلك القعدة المشرفة

في مواضع أقدام أولئك الأقوام. ثم أصحنا وقد حمدنا السرى عند الصُّباح،

وطلبنا حوائجنا عند تلك الوجوه الصُّباح. فلما قضينا من الزيارة الأرب، وهزتنا ١٥

من النوبة الخليلية الطَّرب، بعثت وراء الصاحب ناصر الدين أبي عبد الله محمد بن

الخليل - التميمي الداري. وهو بقية هذا البيت للخليل، والمنتهى إليه النظر على وقب

الحبيب سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وبلد أبيه إبراهيم الخليل. واقتسنا منه

﴿١٢٩﴾

استحضر المؤلف
سعة الإطلاع
النوى تيم الدار
ووصفه لها

(١) إحضار الكتاب الشريف النبوي المكتتب لهم بهذه النطية . والمُشْرِف لهم به على سائر البرية . فأنعم بإجابة المتلمس ، وجاء به أقرب من رَجْع النَّفْس . وهو في خرقه سوداء من مُلَحَم قطن وحرير ، من كُم الحسن أبي محمد المستضيء بالله أمير المؤمنين ، وبطانتها من كُنَّان أبيض على تقدير كل إصبع منه ميلان أسودان ، مشقوقان بميل أبيض ، جعل ضمن أيكاس يضمها صندوق من أنوس يُلَفُّ في خرقه من حرير .
وَالكُتَاب الشريف في خرقه من خُفٍّ من أدم ، أظنها من ظَهَر الْقَدَم . وقد مَوَّه سواد الجلود على الخط ، لا أنه أذهبه ، وما أخفى من يد كاتبه المشرفة ما كتبه . وهو مالحط الكوفي المليح القوي . قبلنا تلك الآثار ، وتمتعنا منه بمد الأنوار . ومعه ورقة كتبها المستضيء بنصبه شاهدة لهم بمضمونه ، ومزيلة لشك الشاك المريب وطنونه .
ومضمون ما كتب كهيئته وسطوره :

”نسخة كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كتبه“

”تيم الداري وإخوته في سنة تسع من الهجرة بعد منصرفه“

”من غزوة تبوك في قطعة أدم من خف أمير المؤمنين علي وبخطه“

”نسخته كهيئته“

”بسم الله الرحمن الرحيم“

”هذا ما انطىٰ مجد رسول الله لتميم“

”الدارى وإخوته حبرون والمرطوم“

”وبيت عینون وبیت ابراهيم وما فيهن“

”نَظِيَّةَ بَيْتٍ بِذَمَّتْهُمُ وَنَفَذَتْ وَسَلَتْ ذَلِكَ لَهُمْ“

”ولا عقابهم فمن آذاهم آذاه الله فمن آذاهم“

”لعنه الله شهد عتيق بن أبو حافة وعمر بن“

”الخطاب وعثمان بن عفان وكتب على بن“

”بو طالب وشهد“

١٠

هذه نسخة الكتاب الشريف .

و” أبو حافة “ ألف وباء وواو - ثم ” حافة “ - و” بو طالب “ باء وواو - ثم

” طالب “ . وليس في ” بو “ ألف . يئن ذلك ليُعرف . و” كتب “ في ذكر عليّ

رضي الله عنه مقدّمة ، و” شهد “ مؤخّرة . يئن ذلك أيضا ليُعرف .

وقد رأيتُ ذلك كله بعينى ، ومن خط المستضىء نقلت . وهو خطه المعروف

المألوف . وقد رأيته وأعرفه معرفة لا أشكُ فيها ولا أرتابُ . وقرأته من الكتاب

نقل هذه النسخة
من خط الخليفة
المستضىء

١٥

النوى نفسه . وهو موافق لما كتبه المستصفي ، نقله عنه . على أن آثاره كادت تنقضي ، وتحتجب عن الناس لفساد الزمان وتفتن^(١) .

وكان التبرك برؤية ذلك على ظهر القبو الصغير الشمالي ، في الحرم الخليلي الملاصق لغبر زوج يعقوب (عليه السلام) المفصلي منه إلى المأذنة بحصرة مخزن العدس .

(١) وقد رأى كثير من الناس هذا الكتاب الشريف قل أبى فصل الله . في ذلك ما رواه صلاح الدين الصمدى (في ورفق ٢٧ و ٢٨ من الجزء ٨) من تذكّره ، وهذا الجزء مخطوط ومحموط بدار الكتب الخديوية . وهذا نص ما فيه .

قال الفقيه القاضي أبو بكر العربي الماعزى رحمه الله تعالى في كتاب القس له : " وقد كان عند أولاد نعيم الدارى رضى الله عنه محزون بدمشق . قرية إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، كتأب النى صلى الله عليه وسلم في قطعة من أديم : (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أقطع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم تمبا الدارى . أقطعه فريق حبرون وعيون فريق إبراهيم الخليل . يسير فيما يسيرة . وكتب على س أنى طالب . ونهد فلان وفلان) فبقينا في يده يسير بسيرة . وشاهد الناس كله إلى أن دخلت الروم سنة سنين | لعلها ست | وتسعين . ولقد أعترضه فيما بعض الولاة بان يريلهما من يده إبان كوني بالشام . فحصر غلته القاضي حامد الهرورى . وكان حميا في الطاهر ، ومعزليا في الباطن ، ملجدا شيعيا . وكان الوالى سكان س أرتك | أرتك | . فاستظهر أولاد نعيم بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال القاضي حامد : هذا الكتاب لا يلزم ، لأن النى صلى الله عليه وسلم أقطع مالا يملك . فاستغنى الفقهاء . فقال الطوسى ، وكان بها حينئذ : هذا كافر ، والنى صلى الله عليه وسلم كان يقطع الحمة ويقول : قصر عمر ، قصر فلان . فكيف لا يقطع في الدنيا " وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رويت لى الأرض ... الحديث . فوعده صدق وكتابه حق . فخرى القاضي والوالى ، وفقى أولاد نعيم بكتائبهم . "

وما يدل على وجود هذا إلى ما بعد أن فصل الله ثلاثة أرباع القرن أو القلقتندى صاحب "صح الأعشى" كتب فصلا طويلا على هذا الإقطاع وعلى الكتاب السوى الكريم . وذكر في آخره ما نصه : " وهذه الرقعة التي كتب بها النى صلى الله عليه وسلم موجودة بأيدي التمييز حدام حرم الخليل عليه السلام إلى الآن . وكلها مازعهم أحد ، أنقوا بها إلى السلطان المار المصرية ليقف عليها ويثقف عنهم م يظلمهم . وقد أحضروا رؤيتهم غير واحد . والأديم التي هي فيه قد حلق لطلول الأمد . " | أطر مسح الأعشى ح ٧ ص ٣٩ من النسخة المحفوظة بمخزاتى | وذلك يدل على أن الكتاب السوى كان موجودا إلى سنة ٨٢١ هجرية .

وقد كنتُ رأيتُ ذلك مرة متقدمة بالحصن سكني بنى الخليلي، بظاهر البلد،
لما أتيتُ زائراً بعد العود من الحج على الدرب المصري في المحرم سنة تسع وثلاثين
وسبعائة. ولكنني إذ ذاك لم أنقله.

رواية المؤلف لهذا
الكتاب الشريف
سنة ٧٣٩

قبر يونس بن متى عليه السلام

(١٢)

قرية حَلْحوَلْ على يسار الذهاب من بلد القدس إلى بلد الخليل عليه السلام .
ويخرج الزائر إليه . وعليه بناء وقبة . وله خادم .
زُرْتُهُ مراتٍ . وآخر عهدي به في ذي الحجة سنة خمس وأربعين وسبعائة .
وكتبتُ على جدار القبة بيتين حطرا لي في ذلك الوقت، وهما: (١)

قبر يونس بن متى
وراية المؤلف له
مراسل أحمد
سنة ٧٥٥

قبر موسى بن عمران عليه السلام

بالقرب من أريحا . ويعرف القرية بِسَبْعَانَ .

رأيتُ بخط علاء الدين ابن الكلاس ما صورته : "قال الشيخ إبراهيم ابن الشيخ
عبد الله بن يونس الأرموي عن والده قال : زرتُ قبر موسى (عليه السلام) الذي
بالقرب من أريحا . قال الشيخ إبراهيم : وكان إذ ذاك لم تُبنَ عليه قبة ولا مشهد .
قال : فقلت في نفسي : اللهم أرني ما أزداد به يقينا في صحة هذا القبر . قال : فبينما أنا قائم
رأيتُ كأن القبر أُنشِقَ وخرج منه إنسان طَوَّال . قال : لَجُئْتُ إليه وسَلَّمْتُ عليه ، وقلْتُ
له : مَنْ أنتُ ؟ قال : موسى بن عمران ، وهذا قبري . وأشار إليه . ثم قعدنا . وإذا بالقرب

رواية في تحقيق
موضعه زمانه
عجب

منا رجل يطبخ في قدره فلما آستوى طعامه، أحضره إلينا وإذا هو شوربة أرز .
 فاكل موسى عليه السلام منها ثلاث ملاعق ، وأنا ثلاث ملاعق ، والرجل ثلاثا .
 ثم تداولناها بيننا إلى أن فرغت . قال الشيخ عبد الله : وكنتُ على عزم العود إلى
 بلاد العجم إلى عند شيجي . فقال لي موسى عليه السلام : أنت لا تسافر إلى شيجك .
 وكيف تسافر ؟ وأنت تريد تزوج بأمرأة من نسل الرسول ورُزق منها أربعة أولاد .
 وأقام الشيخ إبراهيم أصابع يده اليمنى الأربعة ، وضم الإبهام إلى باطن كفه ، يحكيه .
 قال الشيخ إبراهيم : فكان كما ذكر موسى عليه السلام ، فلم يسافر والدى ، وتزوج بأمرأة
 شريفة ، وهى أمى . ورُزق أربعة أولاد ، أنا أحدهم . ولما حضرته الوفاة ، قلت له :
 باسیدی أنت راض غنى ؟ فقال : كيف لا أرضى عنك ، وقد بشرنى بك موسى
 عليه السلام .^(١)

(١) ياص آثار الصعقة بالاصل مقداره ثلاثة عشر سطرا .

مسجد دمشق

١٢٢

المسجد الاموي
وقواته

مسجدٌ عظيم، ومعبود قديم . لا يُعرف على الحقيقة بانيه ولا زمن بانيه . فتح
المسلمون الشام، وهو كنيسة لأهل دمشق يُتعبَّد فيها، زمن الروم . وقد كان قبلهم
معبدًا لأُمم مختلفة . وتزعم الكلداسه أنه من بنائهم وأهم بنوهم فيما بنوا من الهياكل
السبعة التي أخذوها للكواكب السبعة، جعلوه بيتًا للمشتري . قالوا ولهذا استمر التعمُّد
فيه إذ كان المشتري طالع الديانات والتأله . هذا ما زعموه .

حيث أنه

وقال عبد الرحمن بن إبراهيم دُحيم : حطَّاه مسجِدُ دمشق الأربعة من بقاء هود
(١) وما كان من حدِّ السيسياء إلى فوق، فهو من بناء الوليد .

روح . يكتب حنن
مَدَنِي وَحَدِيد
في أيام الوليد .
ورغم وهب من
نه فأنه

وقال الوليد بن مسلم : لما أمر الوليد بن عبد الملك ببناء مسجد دمشق، وجدوا
في حائط المسجد القليلَ لوحا من حجر، فيه كتابٌ نقش . فاتوا به الوليد . فمعت إلى
الروم فلم يستخرجوه . فدلَّ على وهب بن ميه . فأقدمه عليه ، فأخبره بموضع ذلك
اللوح . ويقال ذلك الحائط من بناء هود عليه السلام . فلما نظر إليه وهب، حرَّك
رأسه . ثم قرأه، فإذا هو .

- رواية ما في اللوح

”بسم الله الرحمن الرحيم . ابن آدم ! لو طرقت يسير ما بقي من أجلك، لرهطت
في طول ما نرجو من أمك ! وإنما تلبى ندمك، ولو قد زلت بك فدمك، وأسلمك
أهلك وحشمتك، وآصرف عك الحبيب . وودَّعك القريب ، ثم صرت تدعى فلا
تحيب ! فلا أنت إلى أهلك عائد، ولا في عملك زائد . فأعمل لنفسك قبل يوم الصامه ،
وقبل الحسرة والندامة، وقبل أن يحلَّ بك أجلك، وتُترع منك روحك ! فلا ينفعك

مَالُ جَمْعَتِهِ، وَلَا وَلَدٌ وَلَدَتْهُ، وَلَا أُخٌ تَرَكَتْهُ! ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى بَرْزَخِ الْمَوْتِ، وَبِجَاوِرَةِ الْمَوْتِ. فَانْتَعِمِ الْحَيَاةَ قَبْلَ الْمَوْتِ، وَالتَّقْوَةَ قَبْلَ الضَّعْفِ، وَالصَّحَّةَ قَبْلَ السَّقَمِ، قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِالْكَفْظِ، وَبِإِحْالٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْعَمَلِ. وَكُتِبَ فِي زَمَانِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

دحول العرب
دمشق واثم

١٣٤

وَلَمَّا فَتَحَ الْمُسْلِمُونَ دِمَشْقَ (عَلَى مَا بَأَى ذِكْرَهُ، إِنْ تَسَاءَ اللَّهُ تَعَالَى) دَخَلَ أَمِيرُ الْجَيْشِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَوَّاحِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) بِالْأَمَانِ مِنْ غَرْبِ الْبَلَدِ، وَدَخَلَ خَالِدُ ابْنُ الْوَلِيدِ بِالسَّيْفِ مِنْ شَرْقِهِ.

الكنيسة صهيها
للنصارى وصهيها
للسلمين، إلى أيام
الوليد

فَكَانَتْ دِمَشْقُ بَصِيرِينَ. وَالْكَنِيسَةُ كَذَلِكَ. فَاتَّخَذُوا مِنْهَا الصَّفَ الشَّرْقِيَّ الْمَفْتُوحَ عَنُودًا، مَسْجِدًا يَصَلُّونَ فِيهِ. وَنَصَلَّى النَّصَارَى فِي الصَّفِّ الْآخَرِ. فَتَأَذَّى الْمُسْلِمُونَ لِمَا حَوَّرَ النَّصَارَى لَهُمْ فِي مَكَانٍ تَعُدُّهُمْ، وَكَرِهُوا فِرْعَ النَّوَاقِيسِ بِإِزَائِهِمْ. وَأَشْتَدَّ ذَلِكَ

حيلة لطيفة للوليد
مع إمبراطور الروم

عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ. وَكَانَ مُغَرَّبِيٌّ فِي سُلْطَانِهِ بِعَارَةِ الْمَسَاجِدِ وَبِأَسَاءِ الْمَعَادِبِ. فَأَعْطَى رَجُلًا دَيْتَهُ حَتَّى أَتَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ. وَدَخَلَ فِي زِيِّ النَّصَارَى كَنِيسَتَهَا الْعَظْمَى يَوْمَ الْأَحَدِ، وَالْمَلِكُ فِيهَا قَنَّ دُونَهُ. فَلَبِثَ حَتَّى رَأَى أَنَّ جَمْعَهُمْ قَدْ آسَتْكَلَ. ثُمَّ فَامَ فَأَذَّنَ، فَأُخِذَ وَأُحْضِرَ لَدَى الْمَلِكِ، وَقَدْ جَلَسَ إِلَى جَانِبِهِ الْبَطْرِيَّكُ، وَأَسْتَدَارَ بِهِمَا

الْقُسُوسَ وَالشَّهَامَةَ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ أَنْتَ، وَمَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَعَتَ؟ فَقَالَ: أَمَا أَنَا، فَرَجُلٌ مِنَ الْمَسَامِينِ مِنْ أَهْلِ دِمَشْقِ؛ وَأَمَّا مَا حَمَلَنِي عَلَى مَا صَنَعْتُ، فَأَنْشُدَكَ اللَّهَ، أَيُّهَا الْمَلِكُ: هَلْ سَاءَ مَا فَعَلْتُهُ وَكَرِهْتَهُ أَمْ لَا؟ فَقَالَ: بَع. فَقَالَ: وَنَحْنُ وَمَعْبُدِي فِي شَطْرِهِ النَّصَارَى، نَسْمَعُ نَوَاقِيسَهُمْ، وَنُسَاءَ بِجَاوِرَتِهِمْ. فَأَرَادَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْرِفَكَ أَنَّنَا نُسَاءُ بِذَلِكَ، كَمَا سَاءَ كَمَا فَعَلْتُ. فَخَلَّى عَنْهُ، وَكَانُوا قَدْ هَمُّوا بِقَتْلِهِ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: صَالِحُونَا عَلَى عَوَضٍ. فَصَوَّلُوا عَنْهُ بِنَصْفِ كَنِيسَةٍ مَرِيَمَ، وَكَانَتْ شَطْرِينَ.

المصلحة
على احتصاص
المسلمين به في طي
استنثار النصارى
كنيسة مريم كلها

ثم شرع الوليد بن عبد الملك في تحسين بناءه وتحصين فئائه . أبقى منه ما أبقى ،
وجدد ما جدد .

شروع الوليد
في تحسينه

وقال إبراهيم بن عبد الملك بن المغيرة المَقْرِي : حدثني أبي عن أبيه المغيرة ، أنه
دخل يوما على الوليد بن عبد الملك فرآه مغموما ، فقال : يا أمير المؤمنين ماسدك !

رواية أخرى
في أفراد المسند

فقال : يا مغيرة إن المسلمين قد كثروا ، وقد ضاق بهم المسجد . وقد بعثت إلى هؤلاء

لندخل كنيسهم في المسجد ، فأبوا . وقد أقطعتم قطع كثيرة وبذلت لهم مالا ،

فامتنعوا ، قال : لا نغتم يا أمير المؤمنين ! قد دخل خالد من الباب الشرقي بالسيف ،

ودخل أبو عبيدة من باب الجابية بالأمان . فساخمهم أي موضع بلغ السيف ، فإن

مكن لنا فيه حق أخذناه . قال : فرجعت عني ! فتول أن هذا فتولاه . فبلغت المسحنة

١٠

إلى سوق الریحان حتى حاذى من القنطرة الكبيرة أربعة أذرع وكسرا بالقاسمي .

فإذا باقى الكنيسة قد دخل في المسجد . فبعث إليهم . فقال : هذا حق قد جعله

حد النصارى
ربع كنائس في حد
محمم

الله لنا ! لم يصل المسلمون في عصيب ولا ظلم ، بل تأخذ حفا . قالوا : قد أقطعنا أربع

كنائس ، وبذلت لنا من المال كذا وكذا . فإن رأيت يا أمير المؤمنين أن نتفصل بذلك

علينا ، فافعل ! فتمتع عليهم حتى سألوه وطلبوا إليه . فأعطاهم كنيسة محمد بن دز

وكنيسة أخرى عند سوق الحبس ، وكنيسة مريم ، وكنيسة المصلبة .

ثم جمع الوليد المسلمين لهدم الكنيسة . فقال بعض الأقباء للوليد ، والفأس على

محاوة القدوسة
لمع هدم كنيسة
توسعة ، وماشرة
لوليد الهدم نفسه

كتمه ، وعليه قباء سمرجلى ، وقد شد قباءه : إني أخاف عليك من الشاهد . قال .

ويلك ! إني ما أضع فأسى إلا في رأس الشاهد ! ثم إنه صعد . فأقول من وضع فأسه

في هدمها الوليد بن عبد الملك . وكبر الناس .

وقال يعقوب القسوى: سألت هشام بن عمار عن هدم الكنيسة . فقال : كان الوليد قال للنصارى : ما شئتم ، إنا أخذنا كنيسة توما عنوة وكنيسة الداخلة . فأما أهدم كنيسة توما ، وكانت أكبرهما . قال : فرضوا أن هدم كنيسة الداخلة وأدخلها في المسجد . وكان بابها قبلة المسجد اليوم المحراب الذي يُصلّى فيه . قال : وهدم الكنيسة في أول خلافته . وكانوا في بنيانه تسع سنين . ولم يتم بناؤه .

وقال يزيد بن أبي مالك : أرسل إلى الوليد حين أراد أن ينقض الكنيسة فأناه النصارى فقالوا : كنيسة تالانهدمها ! قال : فإني أتركها وأهدم كنيسة توما ، لأنها لم تكن في العهد . فلما رأوا ذلك ، قالوا : إنا نتركها لكم ، وتدع لنا كنيسة توما . فصعد الوليد وصعدنا معه . فكان أول من صرب بفأس في هدمها .

قال : وأراد أن يبنى المسجد أسطوانات إلى الطاقات . فدخل بعض البنائين فقال : لا يبنى أن يبنى هكذا . ولكن يبنى أن يبنى فيه قناطر وتُعد أركانها ، ثم تجعل أساطين وتجعل عمدا . وتُعد فوق العمد قناطر تحمل السقف وتخفف عن العمدة البناء . وتجعل بين كل عمودين ركنا . قال : فبني كذلك .

وقال إبراهيم بن هشام الغساني : حدثني أبي عن يحيى بن يحيى ، قال : لما هم بهدم كنيسة مَرِّحًا ليزيدها في المسجد ، يعني الوليد . صعد المنارة ذات الأضلاع المعروفة بالساعات ، وفيها راهب يأوي في صومعة . فأحدره من الصومعة . فأكثر الراهب كلامه . فلم تزل يد الوليد تدق في قفاه حتى أحدره من المنارة . ثم هم بهدم الكنيسة . فقال له جماعة من نجاري النصارى : ما نجسر على هدمها . فقال : أتحافون ؟ هات

(١) العرب تقول للرجل نجار ، وإن كان لا يعمل بالخشب والمشار ونحوه ، ولا يصرب بالمضلع ونحو ذلك .

التعويض على
الصارى كنيسته
أخرى

المقول، بإعلام ! ثم أتى بسلّم فنصبه على محراب المذبح، وصعد فضرب بيده حتى
أثر فيه أثرا كبيرا، ثم صعد المسلمون فهدموه، وأعطاهم الوليد مكان الكنيسة الكنيسته
التي بحمام القاسم، حذاء دار أُم البنين في الفرائيس، قال يحيى بن يحيى: أنا رأيت الوليد
فعل ذلك بكنيسة مسجد دمشق.

مساومة الوليد
مع الصارى
ونحو يههم . . .
الحدوث إذا هدمها
وه إشارة اهدم
سعد، التأكيد

وروى الوليد بن مسلم عن ابن جابر وغيره، قال: لما كان الوليد وأراد بناء
المسجد، فقال: إنا نريد أن يزيد في مسجدنا كنيستكم هذه، ونعطيك عوضها حيث
شئتم. وإن شئتم أعطيتكم ثمنها، وأضعف لكم الثمن. فأبوا ذلك، وقالوا: لنا دقة
وعهد، والله إنا لاجد ما يهدمها أحد، إلا جُنَّ! قال: فإنا أول من يهدمها، فقام وعلمه
قباء أصغر فضرب، وهدم الناس معه.

قال أحمد بن المَعْلَى: فأخبرني شعبة بن الوليد، قال حدثني أبي، قال: كنت أمرتُ
عبد الرحمن بن عامر اليحصبي (وهو شيخ كبير أزرق) وهو جالس بالروضة، فيقول لي:
ألا تأتي حتى أكتب لك آرتجاز جتلك وهو يصرب بالقأس في الكنيسة بعد الوليد؟
ولت: نعم، ولكن حدثني الحديث. فقال: لما عزم الوليد على هدم الكنيسة، قالوا
إياه لا يهدمها أحد إلا جُنَّ. فقام جتلك يزيد بن تميم فجمع له وجوه أهل البلد،
وأمره الوليد أن يخذل فأسا صغيرة، ففعل. ثم خرج الوليد وتبعه وجوه أهل البلد
حتى علا الكنيسة. ثم ألتفت إلى يزيد بن تميم، فقال: أبين القأس؟ فأناه به. فقال

(١) هو الذي سماه "الشاهد" في الرواية المتقدمة في صفحة ١٨٠

(٢) في الأصل: قالوا.

(٣) في الأصل: فقالوا.

(١٦٦)

إن هؤلاء الكفرة يزعمون أن أول من يهدمها يُحْيى، وأنا أول من يُحْيى في الله. وأخذ بريقه قبائه فوصعها في منطقتيه. ثم أخذ الفأس فضرب به صربات. ثم ناوله جثتك فصرب به بعده، وتناول الفأس كل من حصر.

وصاح النصراني على الدرج وولولوا. فالتفت إلى يزيد بن نعيم، وهو على خراجها، فقال: أبعث إلى اليهود حتى يأتوا على هدمها. ففعل. فجاء اليهود فهدموها.

قال ابن الملقى: وأخبرني همام بن محمد بن عبد الباقي، قال: حدثني أبي، قال: حدثني مروان بن عبد الملك بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان، قال: لما أراد الوليد ساء مسجد دمشق، أحتاج إلى الصنائع. فكتب إلى الطاغية أن وجه إلى بجائي صانع من صنائع الروم، فإني أريد أن أبني مسجدا. وإن لم تفعل، غزوك بالحيوش، وحربت الكنائس، وفعلت. فكتب إليه: "لئن كان أبوك فهمها فأغفل عنها، إنها أوصمة عليه؛ وإن كنت فهمتها وغيبت عن أبيك، إنها لوصمة عليك، وأنا موحه إليك ما سألت". فأراد أن يعمل لها جوابا، فجلس عقلاء الرجال يذكرون. فقال الرزدق: أبا أحبيه، قال الله تعالى: "فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَنَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا". ففسرهم عنهم.

وعن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه، قال: كنت ملك الروم إلى الوليد: "إنك هدمت الكنيسة التي رأى أبوك تركها، فإن كان حقاً فقد خالفت أباك، وإن كان باطلاً فقد أخطأ أبوك". فلم يجبه أحد. فوثب الرزدق، فقال: أنا أبو فراس! "فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَنَ"! قال فكتب به الوليد إلى ملك الروم.

(١) سبي الرازي أو ابن فضل الله إيراد الرجل الذي أشار إليه في صدر الكلام في الصفحة السابقة.

(٢) هكذا بالاصل. والرواية التالية أكثر وصوحاً وطهوراً.

بكتابة ملك الروم
سؤال الهدم

١٥

٢٠

وقال أحد بن إبراهيم بن هشام بن ملاس: حدثني أبي عن أبيه عن جده، قال: بنى الوليد قبة مسجد دمشق، فلما استقلت وتمت، وقعت، فشق ذلك عليه. فاتاه بناء، فقال: أنا أتولّى بناءها، على أن لا يدخل أحد معي في بنائها. ففعل، فحفر موضع الأركان حتى بلغ الماء. ثم بناها. فلما استقلت على وجه الأرض، غطاها بالحصر. وهرب. فأقام الوليد يطلبه ولا يفدر. فلما كان بعد سنة، قدم، فقال له: ما دعاك إلى الهرب؟ قال: تخرج حتى أريك. فأتوا، فكشف عن الحصر. فوجد البنيان قد انحط حتى صار مع وجه الأرض. فقال: من هذا كنت تؤثني! ثم بناها حتى قامت. وقال عمر بن الدرقس الفسائي: رأيت قبة مسجد دمشق. وقد حفر لأركانها حتى بلغوا الماء، وألقي على الماء جران الكروم. وبني الأساس عليه.

سقوط القبة
بعد سائها

حيلة هندسة
في تشييدها



وقال إبراهيم بن أبي حوشب: كان جذى أحد قومة المسجد في بساتنه. فحدث أن الوليد بعث إليه عند فراغه من القبة، ولم يبق إلا عقد رأسها. فقال: إني عزمْتُ على أن أعقدها بالذهب. قال: يا أمير المؤمنين! اختلطت؟ هذا شيء يُقدَّر؟ قال: ما جئْتُ، تقول لي هذا؟ وأمر به، فنُصِرَ بنمسين سوطاً. ثم قال: أذهب، فافعل ما أمرتُ به. قال: فذكر لي أنه عمل لينة من ذهب. فحملها إليه. فلما رآها وعرف ما فيها، قال: هذا شيء لا يوجد في الدنيا. ورضي عنه وأمر له بنمسين ديناراً.

مخوفة ولين عند
رأس القبة
بالذهب، وتقرع
خداً أصحانه

وقال أبو بكر أحمد بن البرامي، حدثنا أبي: سمعت بعض شيوخوا قال: لما فرغ الوليد من بناء المسجد، قيل له: أتعبت الناس في طينه كل سنة. فأمر أن يُسَقَّفَ بالرصاص من كل بلد. فبقي عليه موضع لم يجد له رصاصاً، فكتب إليه بعض عماله: وجدنا عند امرأة منه شيئاً، فأبى أن يبيعه إلا وزاً بوزن. فكتب إليه خذه بما

أشبهه سحبه حه
بالرصاص

شراوة رصاصه من
امرأة يهودية فوره
دها، ثم تبرعها
بشئ للسحار، رأت
من عدل الخليفة

أرادت. فأخذ منها وزنا بوزن. فلما وقأها، قالت: هو مني هدية للمسجد. وقالت:
أنا ظننت أن صاحبكم يظلم الناس. وقيل كانت يهودية.

سليمان بن
عبد الملك يتولى
أمر الصاع بعينه

وقال الوليد بن مسلم: لما أراد الوليد بناء المسجد، كان سليمان بن عبد الملك
على الصنّاع.

وروى محمد بن عائذ عن مشيخة قالوا: ماتم مسجد دمشق إلا بأداء الأمانة. لقد
كان يفضل عند الرجل منهم الفلس ورأس المسار، فيجيء حتى يضعه في الخزانة.

ما كان في من
الرحاء والمزمر

وقال أحمد بن إبراهيم بن هشام: سمعت أبي يقول: ما في مسجد دمشق من
الرخام شيء، إلا رحامنا المقام الغربي. فإنه يقال لإنهما من عرش سبيل. وأما الباقي
فكله مرمر. المقام هو مقصورة الخطابة والرخامتان هما السماق البراق، لا يُدري
ما قيمتهما.



قلت: قوله في ذلك مردود.

مناشة المؤلف
عن الرخام والمرمر
والحجارة. وتفصيل
أنواع الرخام
الملون

فقد أجمعت الحكماء على أن الرخام هو الأبيض. فأما الملون فكله حجارة.
وبمسجد دمشق من الرخام الأبيض وقرميين من الإبل. وإن كان الساني رخاما
بزعمه، فميه من الملون كالغزالي والمنقط والمشحم والأخضر والسماق غير اللوحين شيء
كثير. والناس تطلق على كل ذلك اسم الرخام.

رحم به
ومن بعده

وقد أستجذ شيء كثير منه في الحائط الشامي، جتده الطاهر يبرس. وأستجذ
بعد ذلك كثير.

(١) في الأصل بالعدل المهمة وقال في "خلاصة تذهيب تذهيب الكمال في أسماء الرجال" لصفي الدين
الحررجي: هو بالعدل المهمة الدمشقي.

وفيه المقام الغربي - إشارةً إلى محراب مفصورة الخطابة - فإن المسجد لم يكن في حائطه القبلي في ذلك الوقت إلا هذا المحراب، والمحراب الشرقي المعروف بمحراب الصحابة .

فال دُحَيْمٌ: وحدها الوليد، حدثنا مروان بن جناح عن أبيه، قال: كان في مسجد دمشق اثنا عشر ألف مرخّم .

عدد المرجع
١٢٠٠٠

(١) وقال أبو تقيّ هشام بن عبد الملك: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: لما أخذ الوليد في بناء المسجد وطهر من تزوفه وبناؤه وعظم مؤنثته، تكلم الناس وقالوا: محقّ سبوت الأموال في نقش الخشب، وتزويق الحيطان . فصعد المنبر، حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "قد لعلني مقاتلكم، وليس الأمر على ما ظننتم . ألا وإنني أمرتُ بإحصاء ما في بيوت أموالكم فأصبت فيه عطاءكم ست عشرة سنة"^(٢).

ترويته وصدقته
الناهضة وأحتج
الامة على الوليد
ورده الممنوع

(١) في الاصل بالموحدة وهو تصحيف من الناسخ . وصوابه بالمشاة العوقية والقاف كما صطله في "حلاصة تدهيب الكمال في أسماء الرجال" لصمى الدين الحرشي .

(٢) أقام الوليد بيوت في حاطبيتهم (سنة ٣٨هـ قبل المسيح) هيكلًا واحدًا سمّوه البارثون [Le Parthénon] على رسم الصخرة المقدسة عندهم [l'Athènes] في مدينة أثينا . واسترقوا في بناءه شرسيس إلى أثينا عشرة . ولا تزال أطلاله ماثلة لآلآن . موصفا للعب المعاب . وقد لعلت الفقرة عليه ٣٠٠٠ سنة "لنت" أي بذكره أوجرة . والثالث ٦٠٠٠٠ فربك، قريبا من ٥٠٠٠٠ ديار . فيكون مجموع المعروف عليه ٦٠٠٠٠٠ من الدهاير [تحويل النقد إلى ما يعادله في أيام الدولة الأموية] . وقد قدم حنة من المداحين الحكوة فألّا أهل أثينا على رعيمهم الخطيب الشيريكليس [Pericles] وهو لم يهد هذا الإسراف الفاحش وهذا البدخ الباهظ . فلهم الرجل، وأثنى عليهم خطبة أخذت بحامع قلبهم . وسرهم أن هذه الفقرة الطائفة لا تكاد تذكر في حب هذا العصر الذي سينتقم لهم ولأغفاسهم مدى الدهر . فأقره القوم وأنصروا راصين .

ما المسجد الأموي فقد كان به العمل فيه سنة ٨٨ للهجرة . وقد علمنا من الرواية المتقدمة في صفحة ١٨١ أنهم "قاموا في بيانه تسع سنين ولم يتم بناؤه" . هذا وقد عرفنا أن قصص المدري (كما في صفحة ١٨٨) =

وقال الوليد عن عمر بن مباح، قال: حسبوا ما أنفق على الكربة التي قبلي مسجد دمشق فكانت سبعين ألف دينار.

وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة أصبغ بن محمد بن محمد بن لبيعة السكسكي^٥ قال: ذكر أن الوليد بن عبد الملك حين بنى مسجد دمشق، مَرَّ بِرَجُلٍ يَعْمَلُ فِي الْمَسْجِدِ وَهُوَ بَيْكِي، فَقَالَ: مَا قَصَصْتُكَ؟ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! كُنْتُ رَجُلًا حَالًا، فَلَقِيتُ يَوْمًا رَجُلًا فَقَالَ: أَتَحْمِلُنِي إِلَى مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا؟ وَدَكَرَ مَوْضِعًا فِي الْبَرِّيَّةِ، فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَلَمَّا حَمَلْتُهُ وَسَرْنَا بِعَصِ الطَّرِيقِ، أَتَنَفَّسْتُ إِلَى فَقَالَ لِي: إِنْ بَلَّغْنَا الْمَوْضِعَ الَّذِي دَكَرْتَهُ لَكَ، وَأَنَا حَيٌّ، أَعَيْنْتُكَ، وَإِنْ مِتُّ قَبْلَ بُلُوعِي إِلَيْهِ، فَاحْمِلْ جَنَّتِي إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي أَصَفَ لَكَ. فَإِنْ تَمَّ قَصْرًا خَرَابًا، فَإِذَا بَلَّغْتَهُ، فَأَمَكْتُ إِلَى صَحْوَةِ النَّهَارِ. ثُمَّ عُدَّ سَبْعَ شُرُوفَاتٍ مِنَ الْقَصْرِ وَأَحْفَرَ تَحْتِ طَلِّ السَّاعَةِ مِنْهَا عَلَى قَدَرِ رَامَةٍ، سَتَظْهَرُ لَكَ بِلَاطَةٌ، فَاقْلَعُهَا فَإِنَّكَ سَتَرَى تَحْتَهَا مَغَارَةً، فَادْخُلْهَا، فَإِنَّكَ تَرَى فِي الْمَغَارَةِ سَرِيرَيْنِ عَلَى أَحَدِهِمَا رَجُلٌ مَيِّتٌ. فَاجْعَلْنِي عَلَى السَّرِيرِ الْآخَرِ، وَتَدْنِي عَلَيْهِ، وَحُمِّلْ مَا مَعَكَ مَا لَا مِنَ الْمَغَارَةِ وَأَرْجِعْ إِلَى بَلَدِكَ. فَاتَ الرَّجُلُ فِي الطَّرِيقِ، فَفَعَلْتُ مَا أَمَرَنِي بِهِ. وَكَانَ مَعِيَ أَرْبَعَةُ جِمَالٍ وَحِمَارَةٍ فَأَوْسَقْتُهَا كُلَّهَا مَا لَا مِنَ الْمَغَارَةِ، وَبَسُرْتُ بِعَصِ الطَّرِيقِ، وَكَانَتْ مَعِيَ مَخْلَاةٌ نَسِيتُ أَنْ أَمْلَأَهَا وَادْخَلْنِي الثَّوْرَةُ، فَرَجَعْتُ بِهَا وَتَرَكْتُ الْجِمَالَ وَالْحِمَارَةَ فِي الطَّرِيقِ. ١٠

فَلَمْ أَجِدْ الْمَكَانَ، وَوَعَدْتُ. فَلَمْ أَجِدْ الدَّوَابَّ، فَبَقِيتُ أَتَوَرَّأُ أَيَّامًا. فَلَمَّا يَأْتَسْتُ، رَجَعْتُ ١٥

= أن العفة عليه بلغت ٤٠٠ صدوق، في كل صدوق ١٤,٠٠٠ دينار. ويكون مجموع العفة عليه ٥,٦٠٠,٠٠٠ دينار وهو يعادل تقريباً ما صرفه أهل أثينا وأحلامهم على ساء هيكلمهم.

فأنت ترى أن المدة التي استغرقها ساء الهيكل الوثني وباء الجامع الإسلامي تكاد تكون واحدة، كذلك، ٢٠ كان الشأن في أحراض الوثنيين والمسلمين، وفي الرد الذي أحاب به كل من رعيم الوثنيين وأمير المسلمين، وإن كانت المدة بينهما ١٢٥٠ سنة. أليس التاريخ يعيد نفسه، كما يقولون، ولو عدت نوال الدهور وتعاقت القرون؟

إلى دمشق ولم أحصل على شيء واضطرنى الأمر إلى ماترى : أعمل فى التراب كل يوم بدرهم . وكلما ذكرتُ حالى ، لم أملك نفسى ! أن أبكى فقال له الوليد : لم يقسم الله لك من تلك الأموال شيئا ، وإلى صارت ، فبليت بها هذا المسجد ، ثم وهبه شيئا .

وقال أبو قُصَيِّ العُذْرَى : وحسبوا ما أنفقوا على مسجد دمشق ، فكان أربعائة صندوق ، فى كل صندوق أربعة عشر ألف دينار . وبلغ الوليد أنهم تكلموا ، فقال :
يا أهل دمشق إني رأيتكم تنحرون بمائكم وهوائكم وفاكهتكم وحماماتكم ، فأحببتُ أن يكون مسجدكم انخامس .

وقال خالد بن بولك : اشتريتُ الوليد العمودين الأخضرين اللذين نحت النمر من حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية بألف وخمسمائة دينار .

وقال أحمد بن إبراهيم الغساني : حدثنا أبي عن أبيه عن زيد بن واقد ، قال :
وكلفني الوليد على العمال في بناء مسجد دمشق ، فوجدنا فيه مغارة ، ففرقنا الوليد ذلك . فلما كان الليل وافى ، والشموع ترهر بين يديه ، فنزل . فإذا كيسة لطيفة : ثلاثة أذرع في ثلاثة . وإذا فيها صندوق . فإذا فيه سَفَط ، وفي السَفَط رأسٌ يجي بن زكرياء . فأمر به الوليد . فودَّ إلى المكان . وقال أجعلوا العمود الذى فوقه معبرا من الأعمدة .
فجعل عليه عمود مسَفَط الرأس .

وقال ابن البرامي : سمعت أبا مروان عبد الرحيم بن عمر المازني يقول : لما كان في أيام الوليد وبناؤه المسجد ، احتفروا فيه فوجدوا بابا مغلقا . فأتى الوليد ، ففتح بين يديه . فإذا معاره فيها تمثال رجل على فرس ، في يده الواحدة الدرة التى كانت في الخراب ، ويده الأخرى مقبوضة . فأمر بها ، فكسرت . فإذا فيها حبتان : حبة قمح وحبة شعير . فسأل عن ذلك ، فقيل له : لو تركت الكف ، لم بسوس في هذه المدينة قمح ولا شعير .

العقبة عليه

٥٠٠٠٠٠٠٠

دينار

٥٠٠٠٠٠٠٠٠

٥٠٠٠٠٠٠٠٠

٥٠٠٠٠٠٠٠٠

٥٠٠٠٠٠٠٠٠

٥٠٠٠٠٠٠٠٠

٥٠٠٠٠٠٠٠٠

٥٠٠٠٠٠٠٠٠

٥٠٠٠٠٠٠٠٠

٥٠٠٠٠٠٠٠٠

٥٠٠٠٠٠٠٠٠

٥٠٠٠٠٠٠٠٠

٥٠٠٠٠٠٠٠٠

٥٠٠٠٠٠٠٠٠

٥٠٠٠٠٠٠٠٠

٥٠٠٠٠٠٠٠٠

٥٠٠٠٠٠٠٠٠

٥٠٠٠٠٠٠٠٠

٥٠٠٠٠٠٠٠٠

٥٠٠٠٠٠٠٠٠

٥٠٠٠٠٠٠٠٠

٥٠٠٠٠٠٠٠٠

٥٠٠٠٠٠٠٠٠

٥٠٠٠٠٠٠٠٠

٥٠٠٠٠٠٠٠٠

٥٠٠٠٠٠٠٠٠

٥٠٠٠٠٠٠٠٠

٥٠٠٠٠٠٠٠٠

٥٠٠٠٠٠٠٠٠

٥٠٠٠٠٠٠٠٠

٥٠٠٠٠٠٠٠٠

٥٠٠٠٠٠٠٠٠

الأقناء المفقودة
تحت المسجد

قلت: وحكى لي شيخنا أبو عبد الله محمد بن أسد النجار الخوافي الكاتب المجود، وكان يشار به بعض العماثر، أنه فتح في حصرتة الشرقية المعروفة بفتح الساعات لكشف قُبَيِّ الماء. فإذا تحت المسجد أقباء مفقودة وعمد منصوبة يفرق بينهما عضائد محكمة، قد أحكم بنسائها، وشُدَّت في سلاسل الأساس معاقدها. قد بنيت بالصفاح^(١) والعمد، والباء الذي ماهو في قدرة أحد. قال: ودخلناها وحُلنا في جوانبها.

الرواق الذي كان
محيطاً به ،
وأقاصه وماداً
بيها

وحكى لي المعلم علي بن محمد بن النقي المهندس، قال: حدثني أبي عن أبيه. قال: كان لهذه الكنيسة رواقٌ يحيط بها من الجهات الأربع بأبواب أربعة. في كل جهة باب. فالشرقي باب جبرون، وكان الباب الغربي تلقاءه، ووراء المسروية، ما بين العُصرونية وبينها. وبقي إلى زمن العادل أبي بكر. فسكَّه لما عمَّر القلعة. ونقل مجارته وعمده إليها.

قال: وكان في هذا الرواق قَلَالِيٌ وصوامعُ.

قلت: ومن آخر ما نُقص منها الباب وما يحاوره برأس الفباقيين، مما يلي عتبه الكائن.

وبُني منه مارة الجامع الشرقية، بعد الحريق الكائن سنة أربعين وسبعائة.

وتأخر من مجارته بقايا أشترت لعمارة الجامع اليلبغاوي، جوار بردًا سنة ثمان وأربعين وسبعائة.

وتَمَّ بقايا من سور ذلك الرواق وباب قديم، موجود بين المدرسة الثورية وبين المدرسة المجاهدية المعروفة بقصر هشام.

(١) الصفاح مجارة عراض كما في اللسان. وقد استعملها كتاب الإدلس بمعنى الصحور (راجع دوري

في تكملة المعجمات العربية). قلل ابن فضل الله حري في هذا المقام على هذا الاصطلاح.

١١١

نعويص عمر
من عبد العزيز
على النصارى
لكمة أخرى

وقال ابن الملقى: أخبرني أحمد بن أبي العباس، حدثنا ضمرة عن علي بن أبي جميلة قال: لما ولي عمر بن عبد العزيز، قالت النصارى: يا أمير المؤمنين، قد علمت حال كنيسنا! قال: إنها صارت إلى مازون، فعرضهم كنيسة من كنائس دمشق، لم تكن في صلاحهم، يقال لها كنيسة توما.

عمر بن عبد العزيز
أراد رجاءه
لنصارى، وكيف
رضاهم القوم
أصروا على

- ٥ قال ابن الملقى: وبلغني عن الوليد بن مسلم عن ابن جابر أنهم رفعوا إلى عمر بن عبد العزيز ما أخذوا عليه العهد في كنائسهم، فكلهم ورفع لهم في الثمن، حتى بلغ مائة ألف. فأتوا. فكتب إلى محمد بن سويد الفهري أن يدفع إليهم كنيسهم، إلا أن يرصهم. فأعظم الناس ذلك، وفيهم بقية من أهل الفقه. فشاورهم محمد بن سويد، متولى دمشق. فقالوا: هذا أمر عظيم! ندفع إليهم مسجدنا. وقد أذنا فيه بالصلاة وجمعا فيه. يهدم ويعاد كنيسة. فقال رجل مهم: ها هنا حصة، لم كنائس عظام حول المدبسة: دير مران، وباب توما، والراهب، وغيرها. إن أحبوا أن نعطيهم كنيسهم، ولأبى حول دمشق كنيسة إلا هدمت، وإن شاؤوا تركت هذه الكنائس ونسجل لهم سجلا. ثم عرصوا عليهم ذلك، فقالوا: أنظرونا، ننظر في أمرنا! فتركهم ثلاثا. فقالوا: نحن نأخذ الذي عرصت علينا، ونكتب إلى الخليفة نخبره بذلك، ويسجل هو لنا. بأمان على ما في القوطه. فكتب إلى عمر. فسرّه ذلك وسجل لهم كنائسهم، إنهم آمنون. ١٥ أن نخرب أو نُسكن. وأشهد لهم شهودا بذلك.

- ٢٠ وقال صفوان بن صالح: حدثنا الوليد، حدثنا محمد بن مہاجر: سمعت أنحنى عمرا قال: سمعت عمر بن عبد العزيز، وذكر مسجد دمشق، فقال: رأيت أموالا أنفقت في غير حقها. أنا مسدرك ما استدركت منها، فإدّؤه في بيت المال: أعمد إلى ذلك الفسيتساء والرجام، فأقلعه وأطيه، وأززع تلك السلاسل وأجعل مكانها حبالا، وأززع

شروع عمر
حدثني عمر بن
رجاءه لوضع
تمها في بيت المال
وكيف زدوه عن
ذلك مع المحاشة



تلك البطائن . وأبيع جميع ذلك . فبلغ ذلك أهل دمشق فأشتد عليهم . فخرج إليه اشراقهم فيهم خالد القسري . فقال لهم خالد : أنذروا لي حتى أكون أنا المتكلم . فادعوا له . فلما أتوا دير سمعان استأذوا على عمر . ثم قال له خالد : بلغنا يا أمير المؤمنين أنك هممت بكذا وكذا . قال : نعم . قال : والله مالك ذلك . فقال : عمر لمن هو ؟ لأتمك الكافرة ! (وكانت بصرانية أم ولد) . فقال : إن كنت كافره ، فقد ولدت مؤمنا . فاسحني عمر ، وقال : صدقت ! فما فؤلك "ماداك لي" ؟ قال : لأننا كنا معشر أهل الشام ، وإخواننا من أهل مصر والعراق نعرو فبهرص على الرجل منا أن يحمل من أرض الروم قفيزا بالصغير من سيفساء ، وذراعا في دراع من رخام . فيحمله أهل العراق وأهل حلب إلى حلب ويستأجر على ما حملوه إلى دمشق . ويحمل أهل حمص إلى حمص فيستأجر على ما حملوه إلى دمشق ، ويحمل أهل الشام ومن وراءهم حصتهم إلى دمشق . فذاك قولي : ماذا لك . فسكت عمر .

ويورد الروم
ويعاجبه به

ثم جاءه بريد من وإلى مصر يخبره أن قاريا ورد عليه من رومية ، فنه عشره من الروم يريدون الوصول إلى أمير المؤمنين . فأذن لهم وأمره أن يوجه معهم عشره من المسلمين يحسنون الرومية ، ولا يعلمونهم بذلك حتى يحملوا إلى كلامهم . فساروا حتى نزلوا دمشق ، خارج باب البريد . فسأل الروم رئيس العشرة من المسلمين أن يستأذن لهم في دخول المسجد . فأذن لهم ففروا في الصحن حتى دخلوا من الباب الذي يواجه القلعة . فكان أول ما استقبلوا المقام . ثم رفعوا رؤوسهم إلى الصفة . فخر رئيسهم معشرا عليه . فحمل إلى منزله ، فأقام ماشاء الله أن يعيم . ثم أفانق . فقال له أخصابه بالرومية : ما قصتكم ؟ وما الذي عرض لك ؟ قال : كنا معشر أهل رومية نحدث أن يقاتل العرب قليل . فلما رأيت ما بؤوا ، علمت أن لهم مذبذبة سيبلعونها . فذلك أصابي ما أصابي . فلما قدموا على عمر ، أخبروه . فقال : لا أرى مسجد دمشق إلا عيظا على الكفار . فترك ما كان هم به من امره .

١٥

٢٠

رواية أخرى

في عزيمته على تحريد
القبلة من يها
من المسلمين

- وقال أبو زرعة الدمشقي : حدثني أحمد بن إبراهيم بن هشام، حدثنا أبي عن أبيه عن حمزة، قال : أراد عمر بن عبد العزيز أن يجزّد ما في قبلة مسجد دمشق من الذهب . وقال إنه يسقّل عن الصلاة . ف قيل له : يا أمير المؤمنين إنه أتق على في المسامين وأعطائهم . وليس يجتمع منه شيء ينفع به . فأراد أن يبيضه بالحصّ . ف قيل له : تنهب النفقات فيه . فأراد أن يستره بالخزف ف قيل له : صاهيت الكعبة . فبينا هو كذلك إذ ورد عليه وفد الروم ، فاستأذنوا في دخوله فأذن لهم . وأرسل معهم من يعرف الرومية وقال : أحفظوا ما يقولون . فلما وقفوا تحت القبة ، قال رئيسهم : كم للإسلام ؟ قالوا : مائة سنة . قال : فكيف تُصغّرون أمرهم ؟ ما بجي هذا البنيان إلا ملكٌ عظيم . وأتى الرسول عمر فأخبره ، فقال : أما اد غابظ العدو ، فدعه .

- وقال أحمد بن إبراهيم بن ملاحس : حدثنا أبي عن أبيه قال : لما قدم المهديّ ربه دامت المقدس ، ومعه أبو عبيد الله الأشعريّ كاتبه ، فقال : يا أبا عبيد الله ! سقّنا سوا مئة بثلاث : بهذا البيت ، لا أعلم على الأرض مثله ، وببئال الموالى ، وبعمربن عبد العزيز . لا يكون والله فينا مثله أبدا . فلما أتى بيت المقدس ودخل الصحرة قال : يا أما عبيد الله ، هذه رابعة .

بقرار المهديّ
ما سيّ فحصل
ر ١٠٠ في
ش

- قال أحمد . وحدثنا أبي أن المأمون لما دخل مسجد دمشق ومعه المعتصم وبجيّ بن أكنم قال : ما أعجب ما في هذا المسجد ؟ قال المعتصم : دهنه وبقاؤه ، فإننا ندعه في قصورنا فلا يعضى عليه عشرون سنة حتّى يتغير . قال : ما ذاك أعجبنى منه . فقال بجيّ بن أكنم : تأليف رخامه ، فإنّي رأيت فيه عقدا ما رأيت مثله . قال : ما ذاك أعجبنى . قالوا : ما هو ؟ قال : بنيانه على غير مثال متقدم .

بغير المأمون
مدنه على غير مثال
منه

عجائب الدنيا
حسن عبد الشافي
مبا المسجد
الأموي
(١٤٤)

وقال الشافعي: عجائب الدنيا خمس: منارة ذى القرنين، والثانية أصحاب الرقيم بالروم، والثالثة مرآة ببلاد الأندلس معلقة على باب مدينتها الكبيرة إذا غاب الرجل من بلادهم على مسافة مائة فرسخ وجاء أهله إليها، يرون أصحابهم من مسافة مائة فرسخ، والرابعة مسجد دمشق، والخامسة الرخام والفسيفساء، فإنه لا يُدري له موضع. فلت: وكذا ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر.

صاعة
القصية
وأواعها

والفسيفساء مصنوع من زجاج يذهب ثم يطبق عليه زجاج رقيق. ومن هذا النوع المسحور. وأما الملوّن فمعجون.

القصية
التي أحترقت
سنة ٧٤٠

وقد عمل منه في هذا الزمان شيء كثير برسم الجامع الأموي وحُصِّل منه عدة صادق وفسدت في الحريق الواقع سنة أربعين وسبعائة، وعمل منه قِبَل الجامع التنكري ما على جهة المهراب.

الفرق بين القديم
والجديدة في أيام
المؤلف

غير أنه لا يبيح تماماً مثل المعمول القديم في صعاء اللون وبهجة المنظر. والفرق بين الحديد والقديم أن القديم قطعه متناسقة على مقدار واحد، والحديد قطعه مختلفة. وبهذا يعرف الحديد والقديم.

هذا المسجد
يشق إلى الحة

وروى الوليد بن مسلم عن ابن توبان قال: ما ينبغي أن يكون أحد أشد شوقاً إلى الجنة من أهل دمشق، لما يرون من حسن مسجدنا.

الدرة المساة
"قليلة"

وروى أحمد بن البراء بسنده عن عبد الرحيم الأنصاري قال: سمعت [بعض] الأعراب وهم يدورون المسجد، يقولون: لا صلاة بعد القليلة. ف قيل له: رأيت القليلة؟ قال: نعم، وهي تضيء مثل السراج. قلت: من أخذها؟ قال: أما سمعت المثل؟ "منصور سرق القلة، وسليمان شرب المزة" منصور الأمير، وسليمان

الامين يسرقها
والأموال يردها
للتشيع عليه

صاحب الشرطة، يعنى صاحب شرطته. وذلك أن الأمين كان يحب البلور، فكتب إلى صاحب شرطة منولى دمشق أن يُنفذ إليه القليلة، فسرقتها ليلاً، وبعث بها إليه. فلما قُتل الأمين رد المأمون القليلة إلى دمشق لِيُشنع بها على الأمين.

وكانت في محراب الصحابة . فلما ذهب حُمل موضعها برنية زجاج رأيتها ثم أنكسرت فلم يجعل مكانها شئ .

صباغها
وأنكسار العربية
الروح التي
وصعت محلها

وقال علي بن أبي حميلة : كنا ستر مسجد دمشق في الشتاء بلبود حسنة، فدخلته الريح فهزته، فنار الناس نغزقوا اللبود.

ستر المسجد

قلتُ : وأما بناؤه، فهو وثيق البناء، أنيق البهاء، قد بُني بالحجر والكس إلى منتهى حوائطه، وشُرف بالشراريف في أعاليه، وأُخذت له ثلاث مائر اثنتان في جناحي قبلته، شرقاً وغرباً، والثالثة في شامه وتعرف بالعروس .

وسب المتوكل
سأله الوثيق
الأنيق

ويُدخل إليه من ستة أبواب، منها أربعة أصول، وأثنان مستحذان . فالأصول باب الزيادة، وهو في حائطه القبلي، وباب الساعات وهو في حائطه الشرقي، يقصى إلى حصرة الساعات المعمولة لمعرفة الأوقات، تدار بالماء، وتعلق بها أبواب الساعات. ومُجاهاه في الحائط الغربي باب البريد، وهو أشهر من الشمس في الآفاق، وأكثر ذكرًا من "ذكرى حبيب ومتزل" للرفاق. وهو حصرة فسيحة في جانبيها حوانيت للفواكه والشمع والعطر والشراب وأطياب المأكول . وبها القني من المياه الجارية، توقد عليها المصابيح بالليل فيمويه الماء دهب شعاعها، وتُطرب أنابيبها الأسماع بلذة إيقاعها . والرابع باب النطافين وهو في حائطه الشمالي، تلاصقه الخانقاه الشميشاطية وتجارها الأندلسية .

نويه القديمه
والمنحة

٥

١٠

١٥

١١٥

وأما البابان المستجدان فهما الباب النافذ إلى الكلاسة، والباب النافذ إلى الكاملية.

وهما جناحا باب النطافين.

والمسجد ذو صحن يصاقب باب النطافين، قد فُصِّصَتْ حوائطه بالنقش والصبغة. الرومي المذهب والملون بفرائب الأشجار والصبغة.

صحن المسجد
وميسماؤه

ويدور به رواق قد أُزِّرت جُدُرُه وسواريه بالرَّخام الملون، وعُقدت رؤوس عمده وسواريه بالقناطر. وجعل على قنطرة منها طاقاتٌ صغارٌ، بمصلين كل اثنين منها عمود رخام أوسارية.

رواق الصحن

وفي ببلته ثلاثة أروقة، وفي وسطها القبة المعروفة بالنسر: قد عُقدت على المحراب الكبير الذي يصلَّى به خطيب الجامع وعاتقه الناس؛ ومقصوره الخطابة وسها المنبر؛ وأمامه سُدة الأذان.

روقة القبة
وقبة النسر

وإلى جانبه الأيسر المصحف العثماني نخط أمير المؤمنين عثمان بن عفان. رضى الله عنه.

المصحف العثماني
الذي كان فيه

وفي شرفي هذه المقصورة المحراب المعروف بمحراب الصحابة. وهو محراب المسلمين الأول. وبه تصلى المسالك الآد.

محراب الصحابة

وعربي المحراب الكبير محراب يعرف باللازورده. تصلى به الحنفية، جوار دار الخطابة.

محراب الحنفية

ثم يليه باب الزيادة، ويليه من الغرب محراب تصلى به الحنابلة.

محراب الحنابلة

ولكل من هذه المحاريب الثلاثة إمام ومؤذن، وقد وقف في كل محراب منها وقف على مدرّس وجماعة من الفقهاء من المذاهب الثلاثة: كل طائفة في محرابها.

وصف الأزوقة

وكلُّ أروقته بالعمد والعضائد ، عليها طافات القناطر المعقودة بعضها على بعض .
وقد أُزُرتْ جُدرُ هذه الأزوقة بالرخام الأبيض والحجرُ والأحمر المنقُط والأخضر
المرشوش والأسود الغرابي والأبقع والمعجون الأزرق .

وصف الدبر

وأما أركان القبة الأربعة وجناحا النسْر القبليّ والشاميّ فن الرخام إلى أعلى الجدر
والأركان معمولٌ بالفسيفساء ، مسعوفٌ بالطائِن المعمولة بالذهب واللازورد والزنجفر
والإسفيداج والأصباغ الخالصة من لونٍ والمركبة من لوبن .

مشاهد الخلعة
الراشدبر

وقد جُعل في أركان المسجد الأربعة أربعة مَشَاهِدَ أُتِّخِذَتْ على أسماء الصحابة
الأربعة . فالشرقيّ بِقِبْلِهِ [مشهدٌ] على اسم أبي بكر، وبه عِدة خزائن كُتِبَ وقف .
وشاميّه مشهدٌ على اسم عليّ ، والغربيّ بِقِبْلِهِ مشهدٌ على اسم عمر، ويعرف الآن بِمشهد
عروة ، وبه شيخ حديث وجماعةٌ من العلماء يستمعون الحديث بوقف مستقل
وعِدة خزائن كُتِبَ وقف . وشاميّه مشهدٌ على اسم عثمان . وبه بصلي نائب السلطان
في شاكه والحاكم الشافعيّ إلى جانبه .

وهذا الشاباك يحكم الحاكم بعد الصلاة . كأنه كرسيّ ملك له .

محاسن الحاكم
الشرعيّ
والحكام الأربعة

وهذا المشهد تعقد مجالس الحكماء الأربعة والعلماء لفصل القضايا المعضلة التي
لا ينفرد بها حاكم . فبجتماعهم بأمر نائب السلطان وينظرون في تلك الحكومة
ويحكمون فيها بأجمعهم .

محرر الدين العابدین

وداخل مشهد على مشهدٌ لطيف يعرف بالسجن . يقال إنه يُحْيِي به زين العابدين
حين أقدم على زيد . وجواره في زاوية الرواق الشاميّ - شرق الباب النافذ إلى الكاملية -
مقصورةٌ قد جاورها جماعةٌ من الفقهاء وتعرف بالحليّة . وبها خزانة كتب وقف .



وفي كل من ذلك إمام يؤتم به، ومؤذن يقيم الصلاة ويبلغ.

العمارات والمدارس
التي أوصت إليه

وفي هذا المسجد زيادات في شماله أوسع بها فناءه، ونفسحت أرجاؤه .

منها الزاوية الحلبية المذكورة في أول حده الشمالي من الشرق ؛

ثم التربة الكاملية، ولها مسجد له إمام ومؤذن ؛

والكلاسة، وبها إمامان ومؤذنان .

وفي شامها، الأشرمية والمدرسة العزيزية ينفذ إليهما، ولكل منهما إمام ومؤذن .

وجوار المدرسة العزيزية التربة الصلاحية من غربها .

هذا إلى عدة أئمة تقوم فيه احتسابا .

ورشة بالمرمر
وعمره وعصائده
بالرخام المذهب

وقد فُرس المسجد بالمرمر (ومقطعه من جبل المزة) وعمد قائمه بالرخام الملون

والمفتوش المذهب .

وكذلك عملت عضائده ودُهب قواعده وعمده ورؤوسها . وأجرى الماء في صحن

عُقدت عليه قبة في صحنه، وفي صحن في ركن النسر من داخل الرواق، وفي جمع

مشاهده وزاداته، وفي ميضأة أُتخذت أسفل المنارة الشرقية منه . هذا إلى ما في حضره

باب البريد والزيادة وتحت الساعات من مياه جارية ، وأسواق قائمة، وسُرج تتقد

ليلا كالأنجم، ويبيت ذات مناظر تملأ عين الناظر المتوسم .

سود الى وصف
القبة

فأما القبة فما لا يحول مثلها في ظن، ولا يدور في فكر. قد تعلق رفرها بالغمام

عائبا، وحلق طائرها إلى أخويه النسرين يعني أن يكون لهما ثالث . قد بُنيت على

فاطر، ممتدة على قناطر، ببقود مُحَكَمَة، وقطع صحور مُنَظَّمَة، إلى سقوف مُدْجَبَة،
ومخاسن موجرة مسهبه.

وعلى رأس القبة هلالٌ عالٍ في أنبوبة، طولُ الرمح .

حول هلال القبة

قد غُلِّقت هي وكل الأسطحة بالرصاص . وحُكَّت ميازيبُ، وُجِع فيه من كل
حَسَن غريبه .

قال أبو محمد بن زُبر القاصي: سُمِّي باب الساعات لأنه عمل هناك ببيكار الساعات^(١)،
'نعم بها كل ساعة تمضي، عليها عصافيرُ من نُحَاسٍ وحية من نُحَاسٍ وغرابٌ من
نحاس، فإذا تمت الساعة خرجت الحية، وصمرت العصافير، وصاح الغراب، وسقطت
حصاة في الطَّسْت .

وصف ساعة
السجد

وكان في الجامع قبل حريقه طَلْسِمَاتٌ لسائر الحشرات، مُعَلَّقة في السقف فوق
الطائش . ولم يكن يوجد في الجامع شيء من الحشرات قبل الحريق . فلما احترقت
الطلسمات، وُجِدَتْ، وبما كان فيه طَلْسَمٌ للصنونات لا تعشش فيه، ولا يدخله غرابٌ،
وطَلْسَمٌ للغار، وطَلْسَمٌ للحيات والعقارب. وما أبصر الناس فيه من هذا شيئاً إلا الفأر.
وفيه طَلْسَمٌ للعنكبوت.

صليب الجامع
قبل حريقه



وكان حريق الجامع في نصف شعبان سنة إحدى وستين وأربعمائة.

وكان سببه أن أمير الجيوش بدرًا الجمالي ورد من مصر إلى دمشق في هذه السنة،
فلما كان بعد العصر يوم نصف شعبان، وقع القتال بين المشاركة والمغاربة . فضربوا

حريق الجامع
سنة ٥٦١ وسمه

(١) هكذا في الأصل . وصوانه "بكاسم" . وهي الساعة المائية التي وصفها ابن جبير الأندلسي في رحلته

(٢) هو الفأزر المعروف باسم سبوع عد العرب وأسمه عصمور الجنة عند عامة مصر . وأسمه القرني

دارا كانت مجاورة للجامع بالنار، فبادرت إلى الجامع. وكانت العامة تعاون المغاربة. فتركوا القتال وقصدوا إطفاء النار من الجامع. فجُلَّ الأمر وعظم، فجعلوا سيكون ويتضرعون.

وصف العباد
الكاتب لهذا
الحريق

ووصف العباد الكاتب هذا الحريق في كتاب. فقال: "وفي النصف من شعبان هذه السنة، أحترق جامع دمشق. ففُجِع الإسلام بمُصابه؛ وصلت النار في محرابه؛ وأشتعل رأس القبة شيئاً بما شبت، وأكلت النار أُمَّ الليالي منها ما ربت؛ وطار النسر محساح الضرام؛ وكاد يحترق عليه قلب بيت الله الحرام؛ فكانت الحجيم استجارت به ممسكت بذيله، وكأن النهار ذكر ثأراً عده معطف على ليله، فوها له! من مسجد أحرقتة نَفَحَتْ أمّاس الساجدين؛ وعَلِقَتْ فيه لَفَحَات قلوب الواصلين؛ ثم تداركه الله بالألطف والإطفاء؛ وأتاه بالشفاء بعد الاستشفاء؛ وقال حسبه أصطلاء وأصطلاما، وحقق فيه قوله: "قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا".

آيات و ذلك
الحريق

وقال ابن العين زربي في الحريق المذكور:

لَهَفَ نَفْسِي عَلَى دِمَشْقِ التِّي كَا * نَتَّجَمَالِ الْآفَاقِ وَالْأَفْطَارِ!
وَعَلَى مَا أَصَابَ جَامِعَهَا الْحَا . مَعَ الْعِجَابِ وَالْآنَارِ!
إِذْ أَتَتْهُ النَّيْرَانُ طُوكُلًا وَعَرَصًا * عَنِ عَيْنٍ مِنْ قُطْرِهِ وَيَسَارِ!
ثُمَّ مَرَّتْ عَلَى حَدَائِقِ نَخْلٍ * فَإِذَا الْجَمْرُ مَوْصِعَ الْجَمَارِ!

الفوارات التي به
وتوارج إشائها
وسقوط عمدها
وما هو فيها

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر: أقيمت القبة الرخام التي فيها فؤارة الماء في سنة تسع وستين وثلاثمائة. قال: "وقرأت بخط إبراهيم بن محمد الحنّائي: أنشئت الفؤارة المنحدرة في وسط جبرون سنة ست عشرة وأربعمائة. وأمر بجز القصعة من ظاهر



فصر حجاج إلى جبرون وأجرى ماءها الشريف نخر الدولة حمزة بن الحسن بن العباس الحسيني". وتحت بخط محمد بن أبي نصر الحميدي: "وسقطت في صفر سنة سبع وخمسين وأربعمائة، من جمال نحاكت بها. فأنشئت كوة أخرى".

قال ابن عساكر: ثم سقطت عمدتها وما عليها في حريق اللبادين ورواق دار الحجارة ودار خديجة في سنة اثنتين وستين وخمسمائة.

قال الحافظ أبو عبدالله الذهبي: ثم عمل لها الشاذرون، في آخر دولة الملك العادل سنة نيف عشرة وستمائة.

عن شذرون
٦١٠هـ

قال: "ورأيت القصعة وهي أكبر من التي في وسط طهارة جبرون. وفي زنازها الأوسط ست أنابيب صغار، تفور حول الفؤارة. وعليها درابزينات، فلما احترقت اللبادين سنة إحدى وثمانين وستمائة، تلفت هذه القصعة وبقي عوضها هذه البركة المثمنة. وينبع الماء في هذه البركة من فتاه دفنت إليها من مكان مرتفع، فيعلو بها الماء نحو قامة. وسمعة الفؤارة أعظم من مرآها، وأسمها أجل من معناها".

وصد الذهبي
لقصعة الفؤارة
التي هي وما هي
عوضها بعد
حريق سنة ٦٨١

قلت: ولما وقع الحريق سنة أربعين وسبعمائة بسوق الدهشة والطرانقين وتشتت وجه الجدار الذي للشهد المعروف بأبي بكر وتعلت شرر النار حتى وصلت إلى دائر المارة الشرقية وشرعوا في إصلاحها وهي من ذلك، وجدوا أعاليها متداعية، وحجارتها مفرخة مفطرة، فوقف عليها الحكماء وقامت البينة بالضرورة الداعية إلى قفض المارة وتجديد بنائها. فنقصت جدرها الأربعة إلى حد أوتار الرواق القبلي، ونقص الجدار القبلي والجدار الشرقي إلى الأرض، وحفر ما بين الجدران في وسط المارة عدة

حريق سنة ٧٤٠
وتجديد المارة
على أصلها

قامات . وبُني ذلك لَبْنَةٌ واحدة، وبُنيت المنارة بِنِيانا جليلا لم يَبْنِ من زمن الوليد أَجْلٌ منه ولا أوتق .

مقامة الصعدي
في وصف الحريق
س ٧٤٠

وقال الفاضل صلاح الدين أبو الصفاء الصعدي من مقامة أنشأها في الحريق المذكور، من فصل يتعلق بالجامع :

« فسألتُ الخبر، ممن خبر، فقال : إن الحريق وقع قريبا من الجامع، وأنظر إلى شَبَحِ الحَوَكِيفِ أَنتَشَرَتْ فيه عَفَاقِقُ اللَّهَبِ اللامع ! فبادرتُ إلى صَحْنِهِ والناس فيه قطعة لحم، والقلوب ذائمه بتلك النار كما يذوب الشحم . ورأيتُ النار، وقد نَشَرَتْ في حدادِ الظلامِ مُعْضَفَرَاتٍ ذَوَائِبُهَا، وصَعَّدَتْ إلى السماءِ عَدَبَاتٍ ذَوَائِبُهَا :

ذَوَائِبُ لَحْتٍ فِي عُلُوِّ كَأَنَّمَا * تَحَاوِلُ نَارًا عِنْدَ بَعْضِ الْكَوَاكِبِ .

وَعَلَتْ فِي الْحَوَكِيفِ أَعْلَامُ مَلَائِكَةِ النَّصْرِ، وَكَانَ الْوَاقِفُ فِي الْمَدَانِ يَرَاهَا وَهِيَ
 ١٠ "زَمِي بِسَرِّ كَأَنَّمَا" بِفَكَمِ "زَمِي" "أَضْحَتْ" لَدَيْكَ "الدُّخَانُ" "حَائِثِهِ" . وَكَمْ
 نَفْسٌ كَانَتْ "فِي النَّازِعَاتِ" وَهِيَ تَتَلَوُ "هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْفَاسِيَةِ" . وَلَمْ تَزَلِ النَّارُ
 تَأْكُلُ مَا يَلِيهَا، وَتُخْفِي مَا يَسْتَعْلِيهَا وَبَعْتِلِيهَا ؛ إِلَى أَنْ أَرْتَهَمَتْ إِلَى الْمَارَةِ الشَّرِيفَةِ، وَلَعِبَتْ
 أَلْسِنَتُهَا الْمَسْوُودَةَ فِي أَعْرَاضِ أَحْشَائِهَا النَّفْسَ ؛ وَتَارَبَ إِلَيْهَا مِنَ الْأَرْضِ لِأَخْذِ النَّارِ،
 وَأَصْبَحَ صَخْرُهَا كَمَا قَالَتِ الْخُنُصَاءُ "كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ مَارَ" . فَتُكْسِتُ وَكَانَتْ لِلتَّوْحِيدِ
 ١٥ سَبَابَةً ، وَلَمَعْبَدِهَا الْمَطْرَبِ شَبَابَةً وَأَوْبَتِي رَأْسَهَا مِنَ الْهَدْمِ وَالنَّارِ بِسُفْقِهِ، وَأَدَارَ الْحَرِيقِ
 عَلَى دَائِرَتِهَا رَحِيقَهُ :

وَبِالْأَرْضِ مِنْ حُبِّهَا صَفْرَةً ، فَتُثَبَّتُ الْأَرْضُ إِلَّا بَهَارًا .

وَأَصْبَحَ "بَابُ السَّاعَاتِ" وَهُوَ مِنْ آتَاتِ السَّاعَةِ، وَخَلَتْ مَصَاطِبُ الشُّهُودِ مِنْ

السنة والجماعة، وعادت الدهشة، وقد آل امرها إلى الوحشة؛ وحسنها البديع وقد
تلت النار عرشه. كأن لم أربها سميرا، ولا شاهدت من بنائها وقماشها جنة وحريرا.
وقال جمال الدين عبد الله بن غانم، من كتاب عن كافل الشام، تنكر (رحمه الله)
إلى نائب طرابلس في هذه الواقعة.

وصف أس - م
لهذا الحريق

«وأصحى» ثم القوارة، يصاعد حمرات أنفاس، و «سوق النحاسين» يرسل منه
إلى سور الجامع «شواطئ من بار ونحاس»؛ وأقعد «بيت الساعات» إلى قيام الساعة،
ودخل إلى باب الجامع لكن لغير طاعة؛ وكاد يصلي من به يصلي، ويقبل على
صف العابد - فيولّي. وأهزرت المأذنة محي نافص، وتسعت وجه المشهد الأبي
بكرى فكأ أصاته عين الروافص، وترقرقت عون العابدين من الألم، وورق صحى
الجامع لما تم هذاه الساجدين من المأذنة بنار على علم؛ وما زالت امرأة اللهب حتى
خزبت النار، وصفت بعد ذلك في صحى الجامع مأفضل عن أكل النار.»

١٥٠

قلت: وهذا المسجد معمور بالاس كل النهار وطرى الليل، لأنه مزم المدارس
والبيوت والأسواق. وفيه ما ليس في غيره من كثرة الأئمة والقراء، ومشايخ العلم
والإقراء، ووجوه أهل التصدير والإفتاء، ووطائف الحذب وقراء الأسباع والمجاورين
من دوى الصلاح. فلا تزال أوقاته معمورة بالخير، أهلة بالعبادة. قل أن يخلو طرفه
عن ليل أو نهار من مُصل، أو جالس في حاجة منه لأعتكاف، أو مرسل لقرآن،
أورابع بعيرته بأدان، أو مكر في كتاب علم، أو سائل عن دين، أو باحث في معتقده،
أو مقتر لمذهب، أو طالب لحل مشكل: من سائل ومسؤل، ومعت ومستمع.
هذا إلى من يأتي هذا المسجد مستأنسا لحديث، أو مرتضا لقراءة أيج، أو متفرجا

وصف المؤلف
لعار هذا المسجد
لأناس دائما

في نضاء صحنه وحسن مرأى القمر والنجوم ليلا في سمانه . هَذَا إِلَى فَسْحَةِ الْقَضَاءِ
وطيب الهواء وبرد رواقاته ، أوقات الهجير ؛ وحسن مرأى ميازيه ، أحيانَ المطر .
وفي كل ناحية من وجهها قمر .

وعلى هذا الجامع من الوظائف المرتبة ما لا يَسْتَقِلُّ به إلا ديوانُ ملك ؛ وعليه
حلائل الأوقاف . إلا أن الأبدى العاديّة قد آستولت على كثير منه لسبه الأكار
والمناصبات . وعبر ذلك مما عمل عليه على سبيل النَّصَات .

وقد أضيف إليه وقف المصالح ، وقد كان أُفِرِدَ زَمَنُ بور الدين ، رحمه الله . وهو
لا يجاوز نسمين ألفا في السنة . جُمِلَ لها مصارف أخذ بمجتها كل مال المسجد
وُعُلِّ بالباطل ورُتِبَ منه لغير ذوى الاستحقاق . وحُمِلَ حَتَّى كَلَّ مَطَاهُ . وأُخِذَتْ
حتى قَصُرَتْ خُطَاهُ . وها هو الآن قد أَخْتَلَّتْ أحواله ، وأَكَلَتْ وتُشْرِبَتْ أمواله .
وأصبحَ نَهْأً مُقْسَمًا ، وسَوَامَا صَبِيحَ في حَجَرَانِهِ . وآل حال مَسَاثِرِيهِ إلى أسوأ الحال
وشر المال .

وكانوا غِيَانًا ثم أَصْحَحُوا رِزْيَةً . « أَلَا عَظُمَتْ تِلْكَ الرِّزَايَا ، وَجَلَّتْ !
وقد أنفقت كلمة السُّفَارِ في الآفاق إلى أنه فُردُ في محاسنه ، بديع في نظرائه .

مقام إبراهيم بيرزة

روى مكحول عن ابن عباس ، قال : وُلِدَ إبراهيم بفوطة دمشق في قرية يقال لها
رَزَّةٌ ، يجبل قَاسِيُون .

(١٥١)

٥٥٥ . إبراهيم
مُسْرِيهِ رَزَّة
(بالوطة)

(١) في الأصل : "لسه الأكابر والمناصبات" وفي الكلام إيهام . ولعل المؤلف أراد أن يقول .
"لسه المكابر والمناصبات ."

وعن حسان بن عطية قال: أغار ملك نبط هذا الجبل على لوط فسباه وأهله .
 فأقبل إبراهيم في طلبه، في عدة أهل بدر : ثلثمائة وثلاثة عشر . فالتقى هو وملك
 الجبل في صحراء معقور . فعبي إبراهيم ميمنة وميسرة وقلب . وكان أول من عبي
 الحرب هكذا . فالتقوا . فهزمه إبراهيم وأستنقذ لوطا وأهله . فأتى هذا الموضع الذي
 ببرزة ، فصلّي فيه .

وروى أحمد بن حميد بن أبي العجائز عن أبيه عن شيوخه، أن الآثار التي
 في برزة عند المسجد الذي يقال له مسجد إبراهيم في الجبل (عند الشق) أنه مكان
 إبراهيم، وأن الآثار التي فوق الشق في الجبل موضع رأى إبراهيم، فمن صلى فيه
 ودعا أجابه الله، وأن ذلك الجبل كان فيه لوط وجماعة من الأنبياء وآثارهم في مواضع
 من الجبل . أدركت الشيوخ يقصدونه ويصلون فيه ويدعون . وهو نافع لقسوة القلب
 وكثرة الذنوب، وأن بعضهم جاء من مكة فصلّي في الموضع الشق، لمنام رآه .

وعن أبي الحسين محمد بن عبد الله الرازي، قال: قال أحمد بن صالح: أدركت
 الشيوخ بدمشق وهم يفضلون مسجد إبراهيم عليه السلام ببرزة ويقصدونه ويصلون
 فيه ويذكرون أن الدعاء فيه مجاب، وهو موضع عظيم شرف . ويذكرون ذلك عن
 شيوخهم ويقولون إن الشق الذي في الجبل خارجا عن المسجد هو الموضع الذي
 احتأ فيه إبراهيم من النمرود، صاحب دمشق .

وعن عروه بن رويم عن أبيه عن علي: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
 وسأله رجل عن الآثار بدمشق فقال: لها جبل يقال له قاسيون، فيه قتل ابن آدم

(١) محل المراد: موضع رؤى بام .

(٢) في الأصل . وهو .

أخاه، وفي شرقه ولد إبراهيم، وفيه آوى الله عيسى بن مريم وأمه من اليهود. وما من عبد أتى معقل روح الله فأغتسل وصلى فيه ودعا، إلا لم يُردّ خائباً. وهو جبل كلمه الله. (والحديث طويل. وهو موضوع؛ وإنما ذكرته لئلا يُفتَرَّبه.)

مغارة الدم

(١٥١)

مغارة الدم
وصلها . حصوا
في الاستسقاء.

قال أبو زرعة الدمشقي: سألت أبا مُسِيرٍ عن مغارة الدم. فقال: مغارة الدم موضع الحرة، موضع الحوائج، يعني بذلك الدعاء فيها والصلاة.

وقال محمد بن أحمد بن إبراهيم: حدثنا هشام بن خالد، حدثنا الوليد، سمعتُ سعيد ابن عبد العزيز: حدثني مكحول أنه صعد مع عمر بن عبد العزيز إلى موضع الدم يسأل الله أن يسقينا، فسقانا.

قال مكحول: ونخرج معاوية والمسامون إلى موضع الدم يسسقون. فلم يبرحوا حتى سألت الأودية.

قال سعيد بن عبد العزيز: صعدنا في خلافة هشام إلى موضع قتل آدم نسأل الله أن يسقينا، فأتى مطر، فأقنا في الغار الذي تحته ثلاثة أيام.

وقال هشام بن عمار: صعدتُ مع أبي وجماعة - نسأل الله سُقْيَا - إلى موضع قتل ابن آدم أخاه. فأرسل الله علينا مطراً غزيراً، حتى أقما في المعار. فدعوا الله فأرتفع عنا، وقد رَوَيْتِ الْأَرْضُ.

وقال محمد بن يوسف الهروي: سمعتُ يزيد بن محمد وأبازرعة وأحمد بن المَعْلَى وسليان بن أيوب بن حذلم وغيرهم من مشايخنا يقولون: سمعنا هشام بن عمار وهشام

أَبْنُ خَالِهِ وَأَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَّارِ^(١) وَسُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَالْقَاسِمُ بْنُ عَثْمَانَ الْجَوْعِيَّ يَقُولُونَ: سَمِعْنَا الْوَلِيدَ بْنَ مُسْلِمٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبْنَ عَيَّاشٍ يَقُولُ: «كَانَ أَهْلُ دِمَشْقَ إِذَا أَحْتَبَسَ عَنْهُمْ الْقَطْرُ أَوْ غَلَا سَعَرُهُمْ أَوْ جَارَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ أَوْ كَانَتْ لِأَحَدِهِمْ حَاجَةٌ، صَعَدُوا إِلَى مَوْضِعِ أَبْنِ آدَمَ الْمَقْتُولِ، فَيَسْأَلُونَ اللَّهَ، فَيُعْطِيهِمْ مَا سَأَلُوا.»

قال هشام: ولقد صعدتُ مع أبي وجماعة من أهل دمشق نسأل الله سقياً. فارس. ٥
الله علينا مطراً غزيراً حتى ألقنا في الغار الذي تحت الدم ثلاثة أيام.

قال هشام بن عمار: وسمعت من يذرعن كعب قال: أختبأ إلياس من ملك قومه في الغار الذي تحت الدم عشر سنين، حتى أهلك الله الملك ووليَّ غيره. فأتاه إلياس ففرَّضَ عليه الإسلام. فأسلم وأسلم من قومه خلق، سوى عشرة آلاف منهم. فأمر بهم فقتلهم عن آخرهم.^(٢)

١٥٦

مقام عيسى بالربوة

روى هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم، قال حدثنا الأوزاعي عن حسان بن عطاء أن ملكاً من بني إسرائيل حصره الموت، وأوصى بالملك لرجل حتى يدرك ابنه. وكانوا يؤمنون أن يدرك ابنه فيه لكرهه. قال: مات فخرجوا بجنازته، وفيهم عيسى بن مريم، دنا من أمه فقال: أرايت إن أنا أحييت لك ابنك، أتؤمنين بي وأنا عيسى؟ قالت: نعم. فدعا الله. فجعلت أكفانه تحلل عنه، حتى استوى جالسا. فقالوا: هذا عمل ابن الساحرة. وطلبوه حتى أتته إلى شعب النيرب. فأعتصم منهم

مقام عيسى بالربوة

محرران لعيسى

(١) الحواري بوزن سكارى. انظر القاموس (في مادة ح ورد).

(٢) يياض في الأصل مقدار سبعة سطور.

بقلعة على صخرة متعالية. فأتاه إبليس فقال: «جئتك، وما أعتذر إليك من شيء. هذا أنت لم تنافسهم في دنياهم ولا شير من الأرض، صنعوا بك ما صنعوا. فلو ألقى نفسك من هذا المكان، فتلقاك روح القدس فيذهب بك إلى ربك فتستريح منهم؟» قال: «يا غوي، الطويل الفؤاد! إني واحد فيما علمني ربّي، عز وجل، أني لأجرب ربّي حتى أعلم أراض عني أم ساخط عليّ» فأقبلت أم الغلام، فقالت: يا معشر بني إسرائيل! كنتم تكونون وتسقون ثيابكم جزاء عليه، فلما أحياه الله لكم أردتم قتله. قالوا: فما تأمرنا به؟ قالت: إيتوه قاتلوه. فأتوه فقالوا: خصله سينا وبيك! إن أنت فعلتها، أتبعناك. قال: وما هي؟ قالوا: نحبي لنا عزيرا قال: دلوني على قبره. فترل عيسى معهم حتى أتوا به إلى قبره. قال: فتوضأ وصلّى ركعتين ودعا. فجعل قبره يتفجّج عنه النراب، ونخرج قد أبيض نصف رأسه ولحيته وهو يقول: هذا فلك يا ابن مريم! قال: لم أصع لك. هذا فعل قومك. زعموا أنهم لا يؤمنون لي ولا يتبعوني حتى أحبك لهم. وهذا في هدى قومك سير. قال فأقبل عليهم يعظهم ويأمرهم باتباعه. فقال له قومه: عهدناك وأنت أسود الرأس والحية! فما لنصف رأسك ولحيتك قد أبيض؟ قال: سمعت الصبحة، فظننت أنها دعوة الداعية، حتى أدركني لك، قال: إنما هي دعوة ابن مريم. فأتته الشيب إلى ماترى.

وآختلف أهل التفسير في تعيينها.

وروى مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم، في قوله تعالى: «وَأَوْبَاهُمَا إِلَى رِبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ». قال: تدرّون أين هي؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هي بالشام بارض يقال لها القُوطَة، مدينة يقال لها دمشق، هي خير مدائن الشام.

وروى عن ابن عباس قال: الرّبوة أنهار دمشق.

اختلاف
المفسرين في موقع
الرّبوة

وكذا قال سعيد بن المسيّب ويزيد بن شجرة؛ وقال كعب أمر الله تعالى عيسى بن مريم وأمه أن يسكنا دمشق، وهي إرم ذات العماد.

وقال الحسن في تفسير الآية: هي ارض ذات أشجار وأنهار، يعني أنهار دمشق.

وعن الوليد بن مسلم عن بعض مشيخته أن بني إسرائيل هُتِمَ بعيسى فأمره الله

أن ينطلق إلى دمشق، وقال الحسن: ذات قرار ومعين، ذات معيشة تقوتهم وتحملهم. وماء جار. قال: هي الربوة، هي دمشق.

وقيل إن الربوة في القرآن هي الرملة. روى مرفوعاً عن النبي، صلى الله عليه وسلم.

وزاد به: ولا تزال طائفة من أمتي على الحق، طاهرين على من ناولهم، حتى يأتي

أمر الله وهم كذلك. فلنا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: بأكاف بيت المقدس.

وروى عبد الزاق في تفسيره عن أبي هريرة قال: هي الرملة من فلسطين. ١٠

(١٩٨)

ويروى عن قتاده: هي بيت المقدس.

وقال زيد بن أسلم: هي الإسكندرية.

وقال وهب: هي مصر.^(١)

ويروى عن جابر الجعفي عن أبي جعفر: وأوتياها إلى ربوة، قال: الكوفة؛

والمعين العرات. ١٥

وقيل غير ذلك. والراجح عند الأكثرين أنها ربوة دمشق.

وهذه الأقوال واهية. وإنما ذكرناها للتعجب، اقتداءً بالحافظ أبي القاسم بن

عساكر، رحمه الله!

استناد المؤلف
على هذه الأقوال

الكهف بقاسيون^(١)

سنة الكهف
فاسيوسنة ٣٧٠
ورؤيا عربية
في ذلك

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخ دمشق: ذكر أبو العرج محمد بن عبد الله
ابن المعلم أنه ابتداء ببناء الكهف سنة سبعين وثلثمائة. قال: وبالله ربي أعصم من
الكذب، وأسأله أن ينطق بالصدق لسانی. رأيت جبريل عليه السلام في النوم.
فقال لي: إن الله بأمرك أن تبني مسجداً يُصلّى فيه ويُذكر اسمه، وهو هذا. فقلت:
وأين هذا الموضع؟ فسار إلى هذا الموضع الذي سميتُ أنا: كهف جبريل. وقلتُ:
أتني لي بذلك؟ قال: إن الله سيوفق لك من يُعينك عليه.

مسجد عمرو بن العاص

مسجد
عمرو بن العاص
بالفسطاط بمصر

مسجد عظيم بمدينة الفسطاط. بناء عمرو بن العاص، موضع فسطاطه وما جاوره.
وموضع فسطاطه منه، حيث المحراب والمنبر.
وهو مسجد فسيح الأرجاء، مفروش بالرخام الأبيض، وعمده كلها رخام. ووقف
عليه نحو ثمانين من الصحابة وصلوا فيه.

ولا يخلو من سكنى الصلحاء، معمور الأوقات بالذكر. وعقب صلاة الصبح فيه
أوقات مشهودة ومواسم خير لاتعد.

وصف المساجد
والشمس فوق
النيل في وقت
العروب

وحكى علي بن ظافر [الأزدی] قال: روى لي أن الأعرابي الفتح ابن قلاص
[و] [نحو الملك علي بن مفرج] بن المنجم أجمعاً في منار الجامع في ليلة فطر ظهر بها

(١) أي مسجد الكهف.

(٢) وقت هذه الحكاية في صفحة ١٣٧ و ١٣٨ من كتاب "بدائع البداة" المطبوع في بولاق
سنة ١٢٧٨. وهناك زيادة وقص في الألفاظ. فذلك حمت بين روايته ورواية ابن فضل الله.

الهلل للعيون، وبرز في صمحة بحر النيل كالنور^(١)، ومعهما جماعة من غواة الأدب،
الذين ينسلون إليه من كل حذب . فحين رأوا الشمس فوق بحر النيل غاربه ، وإلى
مستقرها جارية ذاهبه ؛ قد شمرت للغرب^(٢) الذيل ، وأصفرت خوفا من هجمة^(٣) الليل ،
والهلل في حمرة الشفق ، كحاجب الشائب أو زورق الورق . فأقترحا عليهما أن يصنعا
في ذلك الوقت التزيه ، على البديه .

فصنع ابن قلافس :

أَظَرُّ لِي الشَّمْسُ فَوْقَ النَّيْلِ غَارِبَةً * وَأَنْظَرُ لَهَا بَعْدَهَا مِنْ حُمْرَةِ الشَّفَقِ !
غَابَتْ وَأَبْقَتْ شُعَاعًا مِنْهُ يَحْلِيهَا * كَأَنَّمَا أَحْتَرَقْتُ بِالْمَاءِ فِي الْغَرَقِ !
وَالْهَلَالُ ، فَهَلْ وَافَى لِيَنْقِدَهَا * فِي إِثْرِهَا زُورَقٌ قَدْ صَيَغَ مِنْ وَرَقِ "

وصنع ابن المنجم :

يَارُبُّ سَامِيَةٌ فِي الْحَوْقِ تُبْهَا ^(٤) * أَمْدٌ طَرَفِي فِي أَرْضٍ مِنَ الْأَفُقِ .
حَيْثُ الْعِشِيَّةُ فِي التَّمَثِيلِ مَعْرَكَةٌ * إِذَا رَأَاهَا جَبَابٌ ، مَاتَ لِلْفَرَقِ .
شَمْسٌ نَهَارِيَّةٌ لِلْغَرْبِ دَاهِبَةٌ ^(٥) * نَالِيلٌ مُصْفَرٌّ مِنْ هَجْمَةِ الْفَسَقِ .
وَالْهَلَالُ أَنْعَاطٌ كَالسَّنَانِ مَدَا * مِنْ سَوْرَةِ الطَّعْنِ مُلَقًى فِي دَمِ الشَّفَقِ .

وحكى^(٦) على بن ظافر أيضا . قال : أخبرني [أبو عبد الله] بن المنجم الصواف ، بامعناه

(١) في كتاب البدائع : كانوب . [وهو غلط] .

(٢) في » » : للغيث .

(٣) في » » : محوم .

(٤) يعنى المأدنة .

(٥) ورد هذا الشطر في كتاب البدائع هكذا : "والشمس هاربة للعرب دارة" .

(٦) بدائع الدلائل ص ١٢٩ وفيه زيادة ونقص عن ابن فضل الله . وقد جمعت بين الروايتين .

قال : صعدتُ إلى سطح الجامع بمصر في آخر شهر رمضان مع جماعة . فصادفتُ به الأديب الأعزُّ أبا الفتوح بن قلاقس ونشو الملك عليّ بن مقرِّج بن المنجم وآبن مؤمن وشجاعاً المغربيّ في جماعة من الأدباء. فأنصفتُ إليهم . فلما غابت الشمس وفاتت ، ودُفِنَتْ في المغرب حين ماتت ، وتطرز حِداد الظلام بعلم هلاله ، وتحلّى زنجيُّ الليل بِجَلْخاله ، اقترح الجماعة على آبن قلاقس وآبن المنجم أن يعملّا في صفة الحال . فاطرق كلُّ منهما مفكراً ، وميزما قدفه إليه بحر خاطره من جواهر المعاني متخيِّراً . فلم يكن إلا كرجع الطرف ، أو وثبة الطرف ، حتّى أنشدا .

فكان ما صنعه نشو الملك :

وَعِشِّيْ كَأَنَّمَا الْأَفُقُّ فِيهِ * لَا زُورُ دُرُصٍّ بِنُضَارِ!^(١)
فَلْتُمْ لَمَّا دَنَتْ لِمَغْرِبِهَا الشَّمْسُ وَلَاحَ الْهِلَالُ لِلظُّلَارِ:^(٢)
أَقْرَضَ الشَّرْقُ صَوَاهِرَ الْغَرْبِ دِينًا . رَا فَا عَطَى الرَّهِيْنَ نَصْفَ سَوَارِ!

وكان الذي صعه آبن قلاقس :

لَا تَنْظُرِ الظَّلَامَ قَدْ أَحْذَا الشَّمْسُ وَأَعْطَى النَّهَارَ هَذَا الْهِلَالَ .
إِنَّمَا الشَّرْقُ أَقْرَضَ الْغَرْبَ دِيْنًا * رَا فَا عَطَاهُ رَهْنَهُ خَلْخَالًا!^(٣)

(١) البدائع : وعشأ .

(٢) في آبن فصل الله : الهار | وهي ليست مطابقة للقام ، ولعلها سق قلم . فذلك آحترت رواية بدائع البدائع | .

(٣) في البدائع : فأعطاه الرهن .

قال: وهذا مما تواردت في معناه الخواطر. وقطعة ابن المنجم أحسن من قطعة الأعرابي الفتوح ابن فلاقس: لتتصيفه السوار. وعلى كل حال فقد أبدعاً، ولم يتركها للزيادة في الإحسان موضعاً.

مسجد قرطبة

١٥٦

- مسجد قرطبة
مسجد عظيم ليس في مساجد المسلمين مثله بنيةً وتميقاً، وطولاً وعرضاً.
طوله وعرضه
وصفه وسقفه، ونصحه صحن للهواء.
نسبة وسواريه
وعدد قسماً مسقفه تسعة عشر قوساً. وفيه من السواري (أعنى سواري مسقفه بين أعمدته وسواري قبلته - صفاراً وكباراً - مع سواري القبة الكبرى وما فيها) ألف سارية.
زياته
وفيها نثرات كبيرة للوقيد، منها واحدة يوجد فيها ألف مصباح. وأقلها تحمل آثني عشر مصباحاً.
سماواته وحوائز مسقفه
وسقفه كله سماوات خشب مسمرة في جوائز مسقفه. وجميع خشب هذا الجامع من عيدان الصوبر الطرطوشي. ارتفاع الجائزة منها شبر في عرض شبر إلا ثلاثة أصابع. وطول كل جائزة سبعة وثلاثون شبراً. وبين الجائزة والجائزة غلظ جائزة. والسماوات المذكورة كلها مسطحة: فيها ضروب صنائع من الضروب المسدسة والمُدْرَب وهو صنعة القص وصنعة الدوائر. والمداهن لا يشبه بعضها بعضاً بل كل سماء منها مكتفٍ بما فيه من صنائع قد أحكم ترتيبها وأبدع تلوينها بالأوان حمرة

الزنجفرية والبياض الإسفيداجي والزرقة اللازوردية والزرنوق الباروقي والخضرة الزنجارية والتكحيل النقي . تروق العيون وتستميل النفوس : بإتقان ترسيمها ، ومختلفات ألوانها وتقسيمها .

وسعة كل بلاط من بلاط مسقفه ثلاثة وثلاثون شبرا . وبين العمود والعمود بلاط خمسة عشر شبرا .

ولكل عمود منها رأس مخام وقاعدة . وقد عُقد بين العمود والعمود على أعلى الرأس قسي غريبة عليها قسي أخر، على عمد من الحجر المحوت ، متقمة .

وقد جُصِّصَ الكلُّ منها بالجلص والجيار . ورُتِّبَ عليها نجوم مستديرة ، ثابتة يديها ضروب صناعات الفص بالمُقَرَّة . وتحت كل سماء منها إزار خشب .

ولهذا المسجد الجامع قبلة تُعجز الواصفين أوصافها . على وجه المحراب سبع قسي قائمة على عمد طول كل قوس منها أشف من قائمة ، وكل هذه القسي مزججة بصيغة القوط^(١) . قد أعيت الروم والمسلمين بفريب أعمالها ودقيق تكوينها ووضعها .

وفي عِصَادَتِي المحراب أربعة أعمدة : اثنتان أخضران ، واثنتان زرذوران . لا تقوم بمال .

ومع بين المحراب المتبر الذي ليس بمعمور الأرض مثله صنعة . خشبه أبنوس وبقس وعود الجِجَمَر . ويحكى في كتب تواريح بني أمية أنه صنع في نجارته ونقشه

سبع سنين . وكان عدد صنّاعه ستة رجال ، غير من يخدمهم ويتصرف لهم . ولكل صانع مهم في اليوم نصف مثقال تمّدي .

(١) L'art Gothique أى

(٢) هكذا في الأصل . ولعله أراد وع . [كما حل المؤلف عدد أربعة أسطر] .

وصف قلته
العحية ، وما فيها
من صعة القوط

أعمدة المحراب
لا تقوم بمال

المبر الذي ليس
معمور الأرض
مثله

سنة صاع قصوا
سبع سنين في عمله

وعن شمال المحراب يَبْتُ فيه عُدَدُ وطسوت ذهب وفضة وحسك. وكلها لوقيد^(١)
الشمع في ليلة كل سبع وعشرين من رمضان.

آلات الوقيد
في ٢٧ رمضان

وفي هذا المخزن مصحف يرفعه رجلان، لنقله . فيه أربع أوراق من مصحف
عثمان بن عفان الذي خطه يمينه، وفيه نُقِطٌ من دمه.

مصحف يرفعه
رجلان فيه ٤
ورقات من
مصحف عثمان

ولهذا الجامع عشرون بابا، مصفحة بصفايح النحاس وكواكب النحاس. وفي كل
باب منها حلقتان في نهاية الإتقان .

٢٠٠ مصفحة
ولنحاس وكواكب
نحاس

وفي الجهة الشمالية منه الصومعة، الغريبة الشكل والصنعة، الجلييلة الأعمال الرائقة .
ارعاها في الهواء مائة ذراع بالذراع الرشاشي : منها ثمانون ذراعا إلى الموضع الذي
يقف عليه المؤذن بقدميه، ومن هناك إلى أعلاها عشرون ذراعا . ويصعد إلى أعلى
المدارجين : أحدهما من الجانب الغربي والثاني من الجانب الشرقي . إذا أفترق
الصاعدان أسفل الصومعة، لم يجتمعا إلا إذا وصلا الأعلى . والذي في الصومعة من
العمد بين داخلها وخارجها ثلثمائة عمود : بين صغير وكبير . وفي أعلى الصومعة على
القمة التي على بيت المؤذنين ثلاثُ تَفَاحَات : واحدة من ذهب، وأثنان من فضة .
تسع الكبيرة من هذه التفاحات ستين رطلا من الزيت .

صومعة لغربية

درجان متجانسان
للصعود إلى أعلاها

فيها ثلثمائة عمود
١٥٨
ثلاث تفاحات
من ذهب وفضة

وبخدم الجامع كله ستون رجلا^(٢) .

٦٠ رجلا
يخدمون الجامع

(١) هكذا في الأصل بالاهمال . وفي اللسان أن الحسك شوك مدرج لا يكاد أحد يمشي عليه إذا يس
الأم كان في رجله حف... والحسك من الحديد ما يعمل على مثله وهو من آلات السكر . [ولعله المراد بها
والعرض احاطة هذه التحد والآلات نشئ يجمع الالاس الوصول إليها] .
(٢) قبة الصغيفة يباصر . مقداره سعة عشر سطرا .

بقية المزارات الأخرى

(١٥٩)

سائر المزارات
وتفصيلها
ومواضعها المرموعة
والحقيقية

وأما سائر المزارات فكثيرة جدًا: لا تدخل تحت الحصر، ولا يحيط بها قلم الإحصاء. وإنما نذكر منها ما حضرنا ذكره في هذا الوقت، مما هو ببلاد الشام، على ما يظن على الظن صحته، لا كما يزعمه كثير من الناس في نسبة أماكن لأحققة لها. والله أعلم! من ذلك:

§ قبر مالك بن الأشتر النخعي. قيل إنه على باب مدينة بعلبك، من الشمال. والصحيح أنه بالمدينة.

§ قبر حفصة، زوج النبي، صلى الله عليه وسلم. قيل إنه ببعلبك. والصحيح أنها أم حمص، أخت معاذ بن جبل. فإن حمصة ماتت بالمدينة.

§ دير إلياس النبي عليه السلام، ويقال إنه كان محبوبا [فيه].

§ مشهد إبراهيم (عليه السلام) بقلعة بعلبك. جدد بناء الملك الأشرف موسى. § قبر أسباط، ببعلبك.

§ قبر نوح (عليه السلام) بقرية تعرف بالكرك، من أعمال بعلبك.

§ قبر شيث، بقرية تعرف بشرعين بالقرب من كرك نوح. وقبر إلياس النبي بقرية.

§ قبر حزقيل، أحد أنبياء بني إسرائيل بالبقاع، غربي كرك نوح.

§ قبر بنيامين، شقيق يوسف، عليه السلام، بقرية ظهر حمار، من البقاع.

§ قبر شيبان الراعي، بالبقاع، بالقرب من حزقيل. في مشهد مبني عليه.

٥

١٠

١٥

§ قبر أيوب (عليه السلام) بقرية تعرف بدير أيوب، من أعمال نوى. كان بها أيوب، عليه السلام. وبها ابتلاه الله، عز وجل، وبها العين التي ركضها برجله، والصخرة التي كان عليها؛ وبالقرية أيضا قبر سعد التكروري، فقير صالح له شهرة.

§ مشهد جماعة من الصحابة بقرية تعرف بِجُحَّةٍ عَلَى يسار الذهاب إلى زرع^(١).

• كان بها وقعة أجادين في فتوح الشام. وبها حجر، ذكر أن النبي (صلى الله عليه وسلم) جلس عليه. وهذا ليس بصحيح. فانه (صلى الله عليه وسلم) لم يُعَدِّ بَصْرَى. وذكر أن بجانبها سبعين نيا.

﴿١٦٠﴾

§ قبر أَلَيْسَع، بقرية تعرف بِبُسْر، من أعمال زرع^(١).

§ نَجْرَانُ، شرقي بُسْر. يقال إن بها الأخدود. ولا يصح. لأن الأخدود باليمن.

والله أعلم.

١٠

§ قبر عبد الرحمن بن عوف، بقرية تعرف بالدور، على باب زرع. والله أعلم.

§ أَلْهَمَيْسَع أَبُو أَلَيْسَع، في ذيل الْجَحَاة. والله أعلم.

§ سام بن نوح، على باب نوى. وبها قبر الشيخ محي الدين النَوَوَى. وبها الشيخ على الحريري، شيخ الطائفة الحريرية.

§ مبرك الناقة. موضعٌ معروف ببَصْرَى. ويقال إن ناقة النبي (صلى الله عليه وسلم) بركت به هناك. أما قدوم النبي (صلى الله عليه وسلم) ببَصْرَى فلا شك فيه؛ وأما أن ناقته بركت به في هذا الموضع بعينه، فلا تقطع به. ولكن الظاهر أنه هو. فالله أعلم.

١٥

وفي هذا الموضع مصحفٌ شريفٌ عُثمانيٌّ، وعليه أثر الدم.

§ وقبل بُصْرَى دِيرٌ يقال له دِيرُ النَّاعِيّ. كان به بِحِيرَا، الراهب. وبه اجتمع برسول الله، صلى الله عليه وسلم.

§ وشرق بُصْرَى، قرية تعرف بِدَنِينَ. بها قَدَمُ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في صحرة سوداء، على ماذكروا. والله أعلم.

§ وقرب بُصْرَى قرية تعرف بِغَصْب. بها قبر وهب بن منبه.

§ قدم هارون، عليه السلام، ببلدة بِصَرَخَد.

§ وهذه البلدة مشهدة، ذكروا أن موسى وهارون (عليهما السلام) كانا به، لما خرجا من التيه.

§ قبر هارون. في السيق ببلاد الشولك.

§ قبر أبي عبيدة بن الجراح. بقرية عَمَتَا من القُور. وعليه بناءٌ، وخدامه مرتب جارٍ. أجرى له في الأيام التنكزية، بعلم الوزير أمين الملك ووساطته.

§ قبر معاذ بن جبل. بالقصير المعيني.

§ قبر أبي هريرة. بقرية تُنَيّ بالساحل، من أعمال الرملة.

§ البلقاء. يزعم بعض الناس أن الكهف والرقيم هالك. وهذا ليس بصحيح. قال الهروى: وقد زرنا الكهف والرقيم في بلاد الروم عند مدينة يقال لها ابسس، خربة

١١) بها آثار عجيبه، قريبة من مدينة ألكستين . وقيل إن مدينة دقيانوس هي طليطلة .
والصحيح الذي ببلاد الروم . وسيأتى ذلك فى موضعه .

§ قبر جعفر الطيار . بقرية مؤتة ، من أعمال كرك الشؤبك .

§ وبها أيضا قبر زيد بن حارثة ، وقبر عبد الله بن رَواحَة ، والحارث بن
العمان ، وعبد الله بن سهل ، وسعد بن عامر القيسى وأبى دُجَانَة
الأنصارى : استشهدوا (رضى الله عنهم) فى غزوة مؤتة ، وهى غزوة مشهورة .

§ قبر سليمان بن داود . سرقى بُحَيْرَة طَبْرِيَة . قال شهاب الدين ابن الواسطى
فى نصنمه : والصحيح أن سليمان دُفِنَ إلى جانب أبيه ، فى بيت لحم . وهما فى المغارة
التي بها مولد عيسى ، عليهم السلام .

١٠ § قال : ومن شرقها أيضا قبر لقمان الحكيم وأبنه ، على ما قيل .

§ قبر أم موسى بن عمران . نقرية يقال لها إربيل من أعمال طبرية ، على يمين
الطريق . وبها أربعة من أولاد يعقوب . وهم : دان وأبساخور وزبولون وكاذ .

§ قصر يعقوب ، عليه السلام ، وبيت الأحزان ، وجب يوسف ، عليه
السلام . فى الطريق إلى بانياس . وهذا هو المشهور . قال ابن الواسطى : والصحيح

١٥ أن جب يوسف فى طريق القدس ، عند بلد يقال له سنجيل . وقال فى موضع

آخر : سِيلُون قرية كان يعقوب (عليه السلام) ساكنا بها . وإن يوسف (عليه
السلام) خرج معها مع إحقوه . والجُب الذى رُمى فيه يمين سنجيل ونابلس ،
عن يمين الطريق .

(١) فى الأصل بعد هذا الكلام تكرر رؤسُه : ويقال ان مدينة دقيانوس .

§ قبر شعيب، عليه السلام، بقرية يقال لها حِطَّين ويقال حِطِّيم. وقبر زوجته على الجبل، على ما قيل.

§ قبر يهوذا بن يعقوب. بقرية رُومَة من أعمال طبرية.

§ قبر صفوراء، بنت شعيب، زوجة موسى بن عمران. بقرية كفر منده. قيل إنها مَدَّين، على ما زعم. قال ابن الواسطي: والصحيح أن مَدَّين شرق طور سينا.

§ وبهذه القرية الحبُّ الذي قلع موسى الصخرة من عليه، وسقى منها أغنام شعيب. قال: والصخرة باقية هناك. وبها آثان من أولاد يعقوب، وهما: أشير ونفتالي.

§ وعدهده الأماكن جبل يقال له الطور. قيل إن موسى، من هذا الجبل رأى النار، ومن هذا الموضع أرسله الله.

§ قبر راحيل أم يوسف. عن يمين الطريق السالك من القدس إلى الخليل.

§ قبر لوط. بقرية كفر تريك، شرقي بلد الخليل.

§ مقام لوط. بقرية تامين. وبها كان يسكن، بعد رحيله من زُغَر. والموضع الذي خُسف بقومه هو اليومَ البصرة المتنة. وقيل إن الحجر الذي ضربه موسى فأنفجرت منه اثنتا عشرة عينا، زُغَر.

§ قبر عبادة بن الصامت. بالرملة.

§ مشهد الحسين. بعسقلان. كان رأسه بها. فلما أخذها الفرنج، نقل السامون الرأس إلى القاهرة، ودُفن بها في المشهد المعروف به، خلف الفَصْرَيْن، على زعم من

قال ذلك . والأغلب أنه لم يتجاوز دمشق . لأنه إنما حمل إلى يزيد بن معاوية .
وكانت دمشق دار ملكه وملك بنى أمية . ومن المحال ان يتجاوز الرأس المحمول إلى
السلطان لغير حصرتة . وله بدمشق مشهدٌ معروف ، داخل باب الفراديس . وفي خارجه
مكان الرأس ، على ما ذكروا . وقد جاء في أخبار الدولة العباسية أنهم حملوا أعظم
الحسين ورأسه إلى المدينة النبوية حتى دفنوه بقبر أخيه الحسن . والمدى بعيد بين
مقتل الحسين ومبنى مشهد عسقلان .

§ وفي هذا المشهد دُفن رأس الكامل صاحب ميافارقين . وفي ذلك قال أبو
المهتار ، الكاتب .

أين عازِ عَرَا وَجَاهَدَ قوما . * أُنْحِنُوا بالعراق والمشرقين
لم يَشْنُهُ أَنْ طِيفَ بالرأس منه * فله أسوة برأس الحسين .
وافق السَّبْط في الشهادة والدَفْ * ن وقد حاز أبحر مرَّتين .
لَمْ وَارَوْا في مشهد الرأس ذاك الر * أس ؟ فَاسْتَعِجُوا من الحاليتين !
(١١)

§ قبر يحيى وزكريا . يقال إسمها بِسَبْطِيَّة . وحكى ابن عساكر عن زيد بن واقد .
قال : وكلّى الوليد على العمال في بقاء جامع دمشق . فوجدنا فيه مغارة ، ففترنا الوليد
ذلك . فلما كان الليل وافي . وبين يديه الشموع . فنزل . فإذا هي كنيسة لطيفة : ثلاثة
أدبَع في ثلاثة أذرع . وإذا فيها صُدف . فإذا فيه سَقَط وفي السفط رأس يحيى بن
زكريا . مكتوبا عليه . ” هذا رأس يحيى بن زكريا “ . فأمر به الوليد ، فودَّ إلى المكان .
وقال : أجعلوا العمود الذي فوقه مُغِيرًا من الأعمدة . فجعل عليه عمود مُسَقَط الرأس .

قال زيد بن واقد : رأيتُ رأسَ يحيى بن زكريا، وعليه البشرة، والشعرُ على رأسه لم يتغير . وقال القاسم بن عثمان الجوعى : سمعتُ الوليد بن مسلم وسئل : أين بلغك رأسُ يحيى بن زكريا ؟ قال : بلغني أنه قُتِمَ . وأشار بيده نحو العمود المسقط الرابع من الركن الشرقي . وقال هشام بن عمار : حدثنا محمد بن شُعيب ، قال : دخلتُ مع شتاد بن عبد الله من باب الدَّرَج . فقال لي : ترى هاهنا كتماناً بالرومة ؟ قل : نعم . فصلتُ ركعتين . وقال : هاهنا رأسُ يحيى بن زكريا . وروى القاسم الجوعى عن الوليد بن مسلم أنه سأل الأوزاعي : أين بلغك رأسُ يحيى بن زكريا ؟ قال : في العمود الرابع المُسَقَط .

١٦٤

سعد بن عباد . يقال إنه بقرية المنبجة ، من غُوطَة دمشق . ولا يصح .^(١)
خالد بن الوليد . يقال إنه خارج حِمص . ولا يصح . وإما هو خالد بن يزيد ابن معاوية ، بقول جرهم ، فإن عمر بن الخطاب كان قد عزل خالدًا عن حمص وأُخِصَّه إلى المدينة . فمات بها ، ووجدَ عليه عمرُ بعد موته .
ضرار بن الأزور . خارج باب شرقي . مع خلق من الصحابة ، أسْتَشْهِدُوا في فتح دمشق .

§ وبقابر باب الصعير خلقٌ من الصحابة أبصا ، أسْتَشْهِدُوا في فتح دمشق .
§ وكذلك من سكن دمشق منهم .

§ وكذلك سائر بلاد الشام ، وبمصر ، والعراق ، والعجم ، والمغرب .
§ وبجزيرة العرب منهم رجال ، وبمكة والمدينة مشاهيرُ وأعلام .^(٢)

(١) يبايض بالأصل مقداره سطران .

(٢) يبايض بالأصل مقداره خمسة سطور .

البيوت المعظمة عند الأمم

وأما غير ذلك مما هو لطوائف الأمم:

فأقول ذلك ما كانت عبَاد الكواكب تعظمه.

عادة الكواكب
وحباكتها

- وهي سبعة بيوت في الأرض. يرون أن كلا منها هيكل كوكب من الكواكب
السبعة السيارة: لأعتقادها أن الكواكب أحسامٌ حيةٌ ناطقةٌ، تجري بأمر الله في كل
ما يحدث في العالم. ففتروا إليها الفرائين، لتنفعهم. فلما رأوها تخفى في النهار وبعص
أحيان الليل، عملوا لها تماثيل، وبنوا لها البيوت والهياكل: ظناً أنهم إذا عظموا تلك
التماثيل الموضوعة لها، تحركت الأجسام العلوية بمرادهم.

١٦٥

وقد قال الله تعالى، حكايةً عن قولهم: "مَا عَبَدُكُمْ إِلَّا لِنُقَرِّبُكُمْ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى".

- والأنياس السبعة التي كان إليها مخيمهم: البيوت المحجورة

§ أولها البيت الحرام. كان يأتيه منهم من يتقرب برُحل.

قلت: وإن صح قولهم من قصد هؤلاء البيت الحرام بالتعظيم، فلا عجب. فإنه
ما زال معطى في الإسلام وقبل الإسلام، تنحج إليه طوائف الأمم في كل الأوقات.
زاده الله إبقاء وأدامه، ووصل شرفه بيوم القيامة!

- § وثانيها بيت فارس، على رأس جبل أصفهان. وبينهما ثلاثة فراسخ. كان يأتيه
منهم من يتقرب بالمشترى. ثم جعله يستأشف - لما تمجس - بيت ناره، فعظمه المجوس.
§ وثالثها بيت مندرسان، ببلاد الهند. كان يأتيه منهم من يتقرب بالزنج، وقد

ذكره أبو عبيد البكري وقال: إن به من القوى الدافعة والجاذبة والمنفردة، أوصافا لا يسع ذكرها. ثم قال: وهو بيت مشهور من أراد البحث عنه، فليبحث.
§ ورابعها بيت كاوسان، بناء كاوس الملك، بمدينة فرعاة. كان لأنه منهم من يتقرب إلى الشمس. قال أبو عبيد البكري: وهدمه المعتصم. وهدمه حبر ظريف ذكر في كتاب الزمان.

§ وخامسها بيت عُمدان، بناء الضحاك بمدينة صنعاء. كان يأتيه منهم من يتقرب بالزهره. وخرّبه عثمان بن عمار، رضى الله عنه. والآل مكانه بركة. وآثاره كالجليل الضخم. وكان الوزير عيسى بن الجراح، لما فى إلى اليمن أحضره قرا وبى عليه سقاية. قال البكري: وزعم أهل اليمن أنه سيبنى على يد غلام يخرج من بلاد سبأ، يؤثر في هذا العالم تأثيرا عجيبا.

§ وسادسها بيت بأعلى بلاد الصين. بناء ولد عامور بن سويل ساف بن يوح. يأتيه منهم [من] يتقرب لقطارد خاصة، ولسائر الكواكب السعة السيارة عامة. وهو سبعة أبيات، في كل بيت سبع كوى، يقال كل كوة صورة على صورة كوكب من الخمسة والعشرين. ولهم فيه أسرار برعهم.

§ وسابعها بيت النوبهار. بناء متوشهر الهندى بمدينة بلخ. وكان يأتيه من الصائفة من يتقرب بالقمر. وكان يسمى المتولى لسدائته "برمك". وكانت ملوك الفرس تعظمه وتعظم متوليه. وآلت ولايته إلى أبى خالد البرمكى، فلهذا قيل "خالد بن برمك" ولهذا قيل "البرامكة". وكان من أعلى المباني تشييدا. وكان يلبس بالحرير الأخضر، تُشرع له

(١) في الأصل: مكان

(٢) هكذا في الأصل. والحسبان لا يتحه.

شِقَاقٌ منه . طول كل شُقَّة مائة ذراع . فيقال إن الريح حملت بعض تلك الشِّقَاق فرمت به على مسيرة خمسين فرسخاً . وهذا يدل على عُلُوِّه الزائد . وكان قد كتب على باب التوبهار بالفارسية : ” قال سوراشف الملك : أبواب الملوك تحتاج إلى ثلاث خصال : عقل ، وصبر ، ومال “ .

- ثم لما ملك الإسلام مدينته بلخ ، كتب تحت هذه الكتابة بالعربية : ” كذب سوراشف . الواجب على الحر إذا كان معه واحدة من هذه الخصال أن لا يلزم باب السلطان “ .

هياكل الأقدمين

هياكل الأقدمين وأما سيوت اليونان^(١) فهي ثلاثة هياكل ، وهي مشهورة في العالم :

- أولها - بيت بانطاكية ، داخل مدينتها ، على يسرة المسجد الجامع . وخره المسلمون .
 ١٠ ولما أتى ثابت بن قُزْه بن زكريا الحزائي مع المعتضد في سنة تسع وثمانين ومائتين ، أتى هذا الهيكل وعظمه .
 وثانيها - هو الهرم الذي على بُعد من القسطنطين .

وثالثها - بيت المقدس . كان قد شُرع في بنائه . ثم شرع داود (عليه السلام)

- في تكميله بانيه مسجدا . ثم تم على يد أبنه سليمان ، عليهما السلام .
 ١٥

قال البكري : فأما الصنم الذي ذكره الله عز وجل في الإنجيل ، فكانت اليونانية آحاثارت له جبل لبنان . فأتخذوا له هناك هيكلا فيه نقوش عجيبة ، في الحجر . لا يتأثر مثلها في الخشب^(٢) .

(١) في هذه التسمية طر . ولعل المؤلف أراد ” الأتليس “ . وإلا فالهرم للصريين الأقدمين ، وبيت

المقدس لبني إسرائيل .

(٢) لعل الإشارة إلى هيكل بعلبك ، فإن هذا الوصف ينطبق عليه .

هياكل الصقالبة

وأما بيوت الصُّقْلَب فهي بيوت ثلاثة ، وفيها مخاريق مصنوعة يسمع لها أصوات
أستقرَّت عقولهم :

فأولها - بيت فيه آثار مرسومة تدلُّ على الكائنات . قال الكري : وهذا البيت على
الجل الذي كان للفلاسفة أنه أحد جبال العالم . (قلت : لعله يكون على الجبل المستدير
وهو المسمَّى في الشمال بجبال قافونا) .

وثانيها - على الجبل الأسود . تحيط به مياه عجبية ، ذوات طعوم مختلفة . وفيه صنم
كبير ، على صورة رجل شيخ ، يده عصا يحرك بها عظام الموتى . وتحت رجله اليسرى
عرايبُ سودُّ من صور الغُذاف وغيرها .

وثالثها - يحيط به خليج من البحر ، في وسطه قبة عظيمة ، بها صنم على صورة جارية .

هياكل الصباينة

وأما ما كان للصباينة . فكان لهم هياكلٌ تسمى بأسماء ، وهي :

هيكَل العلة الأولى ، وهيكَل العقل ، وهيكَل الصورة ، وهيكَل النفس .
مستديرات الأشكال .

وهياكل الكواكب والنيرين على أشكال مختلفة من التسديس والتثليث والتربع .
وكانت لهم فيها دُخَنٌ وقرابين يطول وصفها .

(١) الذي في مروج الذهب : "الذي ذكرت العلاسة أنه أحد حلال العالم العالية" .

قال البكري: والذي بقي من هياكلهم، بيتٌ بحِزَابٍ، في باب الرقة . يعرف بمعلنيشا . وهو هيكَل آزر، أبي إبراهيم، عليه الصلاة والسلام . ولهم في آزر وأبيه كلام كثير .

﴿١٣٨﴾

قال البكري: ولهم في هياكلهم مخاريق قد وصلت: تقف السدنة من وراء الحُدُر وتكلم بأصوات الكلام، فتجرى الأصوات في تلك المنافع والمخاريق إلى تلك الصور المحيطة فيظهر لها طبق على حسب ما دبر على هيئة هندسية . ثم قال: والصائبة حشوية اليونان . وإنما يضافون إلى الفلسفة، إضافة نسب لا إضافة كلمة . لأنهم يونانيون، وليس كل يوناني بحكيم . قال أبو عبيد البكري: وعلى باب حرّان كتابة بالسرانية نسبة قول في النفس نسبة قول أفلاطون: الإنسان نبات سماوي . قال: والصائبة تقرب في بعض الأوقات نورا أسود . تُشد عيناه ويصرب وجهه بالملح، ثم يُدبج ويُنظر في أعضائه . وما يظهر منه في الجراحات والاختلاج، فيستدل به على أحوال السنة، ولهم في قراينهم أسرار وعجبات .

هيكَل الصبر

وهيكل في أفاصي الصين . وهو بيت مدوّره ستور وأبواب . في داخله قبة مسبعة عظيمة البنيان . وبه برّ مسبعة الرأس، متى أكتب إنسان على رأسها تهزّز على رأسه فيها . وعلى رأس البرّ، شبه الطوق مكتوب عليه بقلم قديم، قلم السند هند: "هذه البرّ تؤدي إلى مخزن الكتب الأولى وتاريخ الدنيا وعلوم السماء لما كان ويكون، وتؤدي إلى خزائن رغائب هذا العالم، لا يصل إلى الدخول إليها والاقتباس مما فيها إلا من وازت قدرته قدرتنا وعلمه علمنا" .

قلت: هذا ما ذكره البكري ذكرته كما ذكره . والعهد عليه فيما نقله .



بيوت النيران

بيوت النيران

وأما بيوت النيران، فأقول من ذكرها أفريدون . قال : لأنه زعم أنها من جنس الكواكب النورية . وبالنور صلاح العالم ، لأنها عندهم أصل كل حي ومبدأ كل تمام . لأنها تجذب الحيوان إليها كالفراش الطائر بالليل ، وما يصاد بالليل بالسرّج من الوحش والطير والسّمك كما يصاد في البصرة بإيقاد السرج في الزوارق ، فيطلع السمك من الماء حتّى يقع في الزوارق . ويبتل أحوال المحوس في اجتذاب النار للحيوان أن الحيوان ينام الليل لاحتباسه عن الإسفار ، فإذا رأى النّار ظنّه فرجة إلى النهار ، فقصده .

وليس هذا موضع ذكر شبهتهم والأجوبة عنها . وإنما ذكرنا هنا ما هو لائق به . وبيوتهم المشهورة خمسة :

فأولها ، بيت بطوس ، بناها أفريدون .
وثانيها ، بيت بخارى ،

وثالثها ، بيت دارابجرد في أرض فارس .

(كان زرادشت نبي الفرس ، على ما زعموا ، قد أمر يستأشف الملك أن يطلب نارا

كال يعظمها جُم ، الملك ، فوجدت بخوارزم . فنقلها يستأشف إلى دارابجرد . قال البكري : والمحوس تعظم هذه النار ، وهي أكرم نيرانهم .

ورابعها ، بيت باسطخر ، من فارس . ويقال إنه كان مسجد سليمان ، عليه السلام .

وقال المسعودي: وقد دخلته، وهو على نحو فرسخ من مدينة إصطخر، فرأيت بنيانا عجيبا وهيكلًا عظيمًا، وفي أعلاه صور من الصخر محكمة، عظيمة المقادير: من الخيل وسائر الحيوان. يحيط بذلك كله سور من الحجر، فيه صور الأشخاص، قد شُكِّلَتْ وأُثِقِنَتْ. ويزعم من جاور هذا الموضع أنها صور الأنبياء، عليهم السلام. وفي جوف هذا الهيكل الريح غير خارجة منه في ليل ولا نهار: لها هبوبٌ وحيفٌ، يذكر من هناك من المسلمين أن سلبان حبس الريح فيه، وأنه كان يتغذى بعبك، من أرض الشام، ويقل بمدينة تدمر، في الملعب المتخذ فيها (وهي في البرية بين العراق ودمشق من أرض الشام. وبين تدمر والشام ستة أيام) ثم يتعشى بهذا المسجد.

(١٧٠)

وبتدمر خلق من العرب من فطان.

١٠ وخامسها، بمدينة جُور التي يضاف إليها الماورد. بليت نار بناه أردشير له يوم عيد. وهو على عين هناك، عجيب. وإليه متزهاتهم. وفي وسط جُور بِنْيَانٌ كانت تعظمه الفُرس، يعرف بالطربال. خربه المسامون.

وإمّا فضل ماء وردهم، لصحة التربة وشفاء الهواء.

وألوان سكانها في غاية الحسن، من اعتدال الحمرة والبياض.

١٥ وبين جور وشيراز (وهي قصبة فارس) عشرون فرسخًا.

فسبحان الذي من علينا بالإسلام، وهدانا إليه وعلمنا ما لم نكن نعلم، وفضلنا على

كثير من خلقه، تفضيلاً!

الآثار المشهورة

ومما نتج به هذه الهياكل من الآثار المشهورة في الأرض مما بقي، لقي جسمه
أو رسمه، مأيد كـ:

§ ومن ذلك صنم الخطا المحجوج في نهاية الشرق المتشامل . وهو قريب من
السند .

§ ومن ذلك قصر الدهاك . ما بين مدينة طُغُورا وبين مدينة باش بالقي، شرق-
طغورا وغربي باش بالقي .

§ ومن ذلك حائط القلاص . ويعرف بالحائط المحيط، ويعرف بحائط عبد الله
ابن حميد جنوبي بلاد الغربية وأسيجاب .

§ ومن ذلك مدينة إصطخر . وهي مدينة عجبية البناء، من بناء سليمان، عليه السلام ١٠

§ ومن ذلك قصر سِنداد . وهو بالعراق، قريب النيل، بأرض الأذير، على نهر
سنداد . وكان مسكن آل مُحَرَّق^(١) . وفيه قال الأسود بن يعفر .

(١٧١)

ماذا أوْمَلْ بعد آل مُحَرَّقْ ، * تركوا منازلهم ، وبعد إباد؟

أهل الخورثق والسدير ومأرب * والقصر ذى الشُرُفات من سِنداد .

دار تخيرها لطيب مَقبلها * كعبُ بن مامة وابن أم دؤاد . ١٥

نزلوا بأنقرة يسيل عليهم : ماء الفرات ، يحيى من أطواد .

حرت الرماح على محلّ دبارهم * فكأنما كانوا على ميعاد !

§ ومن ذلك قصور الحيرة ، بين العراق والشام .

(١) هو ما جاء في لسان العرب في مادة (ح ر ق) وقد أعجم في الأصل تصحفا من التامع .

الخورق والسدير

§ ومن ذلك الخورق والسدير. وهما من أشهر الآثار. بناهما شخص اسمه سِنِمَار
للتَّعْنان بن قيس، وبُكِّله في عشرين سنة. فلما وقف عليه التَّعْنان، استجاده وأتى على
سِنِمَار. فقال له سِنِمَار: لو شئتُ أن أجعله يدور مع الشمس، لفعلتُ. فأمر به أن
يُطرح من أعلى شُرْفاته. فُضِرْب به المثل، فقيل: "جزاء سِنِمَار". وفي ذلك بقول
الشاعر:^(١)

حرَّني بنو قيس، وما كنت مذنباً، * جِزاء سِنِمَارٍ وما كان ذا ذنب!
بنى القصر للتَّعْنان عشرين حَجَّةً * يعلّ عليه بالقرايميد والخُشْب.
فلما استوى البنيان وأشتدَّ رصفُهُ * وأض كثر الطود والشاخ الصَّعْب،^(٢)
رمى بسِنِمَارٍ على أمِّ رأسِهِ، * وذاك لعمرُ الله من أعظم الخطب!
ثم تهرب هذا التَّعْنان في الجاهلية، وأنخلع من ملكه، ولبس المُسُوح. وفيه قال
عدي بن زيد:

وتذكَّر ربَّ الخورق إذ فكَّر يوماً. وللهدي تفكير!
راقه ماله وكثرة ما يملك، والنهر معرضاً والسدير.
فأرعى قلبه وقال: وما غبطة حتى إلى الممات يصير؟

(١٧٢)

§ ومن ذلك قصر سَنَافاد.

§ ومن ذلك الرصيف الممتد بين صَرْخَد والعراق، ممتداً في البرية. يقال إنه من عمل
سليمان بن داود، عليهما السلام. وهو يتصل في مواضع ويتقطع في أخرى. يتوصل
السالك معه من الشام إلى العراق، ومن العراق إلى الشام في أقرب مدة.

الرصيف

(١) أورد باقوت هذه الأبيات باختلاف يسير في الألفاظ (في معجم البلدان ج ٢ ص ٤٩١).

(٢) في الأصل: الشاذخ. [وقد صححت بمعاونة باقوت].

§ ومن ذلك مدينة تدمر بين العراق وبين الشام، وما فيها من عجائب البناء وكنوز
العمد.

§ ومن ذلك ملعب بعلبك. والباقي منه عمد بقلعتها الآن، وما في سورها من الأحجار
العظام والصخور الراسية كالجبال. يقال إنه من بناء سليمان بن داود، عليهما السلام.
§ ومن ذلك مدينة شهباء من بلاد حوران. بها من الأبنية الباقية والعمد العالية
والآثار الدالة ما هو من جلائل الآثار.

آثار حوران
صفد

§ ومن ذلك مدينة جرش من بلاد حوران. يحكي الهول عن غرائب آثارها. وقد
أصبحت خاوية على عروشها، خالية من أهلها وسكانها، لا يحس بها حسيس، ولا يوجد
بها أنيس.

§ ومن ذلك جب يوسف، وهو قرب قرية اسمها شورى.

§ وبلدانيا جسر يعقوب، وهو معروف مشهور.

كل ذلك ببلاد صفد.

§ ومن ذلك منازل ثمود بين الحجاز والشام. وبيوتهم المنحوتة في الجبال باقية إلى الآن.

منازل ثمود

وهي المعنية بقوله تعالى: "وَتَحْتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِيقَيْنَ". وبها البئران: بئر الناقة
وبئر ثمود، المقسوم بينهما الشراب. ولما مر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأرض
ثمود في غزوة تبوك، وجد بعض من سبق من أصحابه قد ملأ من بئر الحجر. فأمر بأن
يراق الماء. فقالوا: يا رسول الله قد عجننا منه العجين. فأمر بأن يطعموه الإبل، وأن
يشربوا من بئر الناقة. وهما معروفان هناك.

وهذه فائدة أردنا التنبيه عليها.



(١) في الأصل عاد وصحها بالهاتش "ثمود" ولكنه لم يلتفت إلى البقية فصحها نحن كما ترى والآتية

والحديث معروفان من قصة ثمود.

- ٥ ومن ذلك جُبُّ بَابِلَ، وهو الذى حُبِسَ به دانيال. ألقاه فيه بُحْتُ نَصْر. وألقي معه أسدين حتى أناه، بأمر من الله، نبي من أنبياء بنى إسرائيل. فقال: يا صاحب الحب! فأجابه دانيال: قد أسمعت! ما تريد؟ قال: أنا رسول الله إليك، لأستخرجك من موضعك. فقال دانيال: الحمد لله الذى لا يئسنى من ذكره! والحمد لله الذى لا يكُلُّ من يوكل عليه إلى غيره! والحمد لله الذى يجزى بالإحسان إحسانا! والحمد لله الذى يجرى بالإساءة غفرا! والحمد لله الذى يكشف ضرنا عن كربنا، وأستخرجه وإن الأسدين لعن يمينه وشماله يمشيان معه حتى عزم عليهما دانيال أن يرجعا.
- وعن ابن عباس، قال: من قال عند كل سبع: "اللهم! رب دانيال ورب الحب ورب كل سيد مستأيد! احفظنى وأحفظ على!" لم يضره السبع.
- ١٠ § الأخدود. المخفر لأصحاب الأخدود المذكورين فى القرآن الكريم. وهو بقرآن من اليمن.
- سنة المعطلة
ولقصر المشيد
- ومن ذلك البئر المعطلة والقصر المشيد. وهما قريب الحج الخالى بمشاريق اليمن.
- سد مأرب
- ١٥ § وبه قصر القشيب. كان ليلقيس.
- قصر نفقيش
- ومن ذلك قصر عُمدان. بصعاء اليمن. وهو من أشهر الآثار وأظهر المعالم. كان مسكن التباعة من حمير، ومنهم شمير بن مالك وأسعد أبو كرب. وكفى بذكركهما طافا الأرض وبلغا الآفاق. وقصر عُمدان هذا هو المذكور فى الأشعار، والمشهور فى الأخبار. وفيه بقول ابن أبى الصلت:
- قصر حمدان

إشرب هنيئاً عليك التاج مفتيحاً * في قصر عُمدان داراً ملك محاللاً!

تلك المكارم لأقربان من لبن * شيباً بماء ، فعاداً بعد أبوالا!

§ ومن ذلك بئر برهوت ، ببلاد حضر موت من بلاد اليمن ، وهو الذي لم يُعرف عمقه ، ولا علم أن إنساناً نزله .

§ ومن ذلك قصر زيدان ، المشهور بمدينة ظفار باليمن . وكانت تسمى قديماً مدينة يحصب .

§ ومن ذلك قصر الشاذياخ ، وهو ببلاد نيسابور ، من خراسان ، كان دار السلطنة لبعض ملوكها ، ولم تُخر ذكره إلا لأنه شُبه ببناء عُمدان ، فكان كأن لذكره به تعلق :

إشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً * بالشاذياخ ، ودع عُمدان ليمن !^(١)

فأنت أولى بتاح الملك تلبسه * من هودّة بن عليّ وأبن دى بزّن !

وعلى باب قصر الشاذياخ ، صُلب على بن الجهم . فقال حين صُلب ، أرتجالاً .

لم ينصبوا بالشاذياخ عشية الإثنين مسبوقاً ولا مجهولاً !

نصبوا بحمد الله ملء قلوبهم * شرفاً ، وملء صدورهم تحيلاً !

ما عابه أن بزّعه شيا به ، * فالسيف أهول ما يرى مسلولاً !^(٢)

(١) في الأصل : باليمن . [وقد صححت بمعونة ياقوت ، لأنه أورد هذين البيتين في معجم البلدان ، ح ٣

ص ٢٢٩ .]

(٢) هذه الحكاية والأبيات المتألفة بها ليست في ياقوت . وإنما أوردتها صاحب الأغاني بمصـ

أولى (ح ٩ ص ١٠٧) مع إيراد القصيدة أكلها وهي ١٢ بيتاً . [وقد صحّحت بعض الكلمات بمعونه .]

دار الأعمى
السطح

ومن ذلك دار الأعمى . وكانت بفسطاط مصر ، يباع بها قماش النساء ،
وفانر اللباس والأمتعة . وتجلب إليها من كل أرض . وكان يجلس على حوانيتها أهل
المراع واللهو . وكانت من عجائب المباني ، وغرائب الآثار .

وحكى ابن ظافر أن ابن قلافس جلس بمصر فيها مع جماعة ، فمات بهم امرأة^(١)
تعرف بابنة أمين الملك . وهى شمس تحت سماء الثَّباب ، وغصن فى أوراق الشَّباب .^(٢)
خفقوا إليها تحديق الرقيب إلى الحبيب ، والمريض إلى الطبيب . فجعلت تنلقت
نلقت الطيِّ المذخور ، أفرقه القانص فهرب ، وثنى ثنى الفصن المطور ، عاتقه النسيم
فأضطرب . فسأله العمل فى وصفها . فقال هذا يصلح أن يعكس فيه قول ابن القطان
الأزدى القيروانى^(٣) :

١٠ "أعرضن لما أن عرَّضن فإن يكن * حذرا ، فإن نلقت الغزلان؟"

ثم صنع .

لها ناظر فى درى ناصر * كما ركب السن فوق القناة .

(١) فى كتاب دائع الدائمه ، ص ١٧٤ وفى ديوانه المخطوط مرة ٥٤٩ أدب بدار الكتب الخديوية .

وفى مسحة التى عى ناطهارها مع التدقيق فى التصحيح الشاعر المعصرى الشهير خليل افندى المطراب .

سنة ١٣٢٣ (١٩٠٥)

١٥

[وقد حمت من الروايات ، إلا ما كان فيه اختلاف وتغير فقد مهت عليه فى الحواشى التالية . الثلاثة

دون الحكاية التى قصمت واقعة الحال .]

(٢) فى كتاب دائع البدائة : صحاح .

(٣) فى آس فضل الله . فى حصن أوراق

(٤) قول الخطا ، الأردى .

(١) لَوْتُ حين وَلَّتْ لنا جِيَدَهَا * فَأَيُّ حَيَاةٍ بَدَتْ من وِفَاةٍ؟
(٢)
كَمَا دُعِرَ الظُّبِيُّ من قَانِصٍ * فَمُرَّ وَكُتِرَ في الْأَلْتِفَاتِ!
(٣)
ثم صَنَعَ.
(٤)

ولطيفة الألفاظ لكن قلبها * لم أشك منه لوعة، إلا عتأ.
كملت حاسنها فودَّ البدر أن * يحظى ببعض صفاتها أو يعتنا.
قد قلت لما عرضت وتعرضت: * يامؤيسا، يامطمعا، قل لي متى؟
قالت: أنا الظبي الغريروانما * ولئى وأوجس خيفة فتلفتنا.
(٥)

ومن ذلك الأهرام بمصر، وأجلها الهرمان بحيزة مصر. وقد أكثر الناس القول
في سبب ما بُنِيَ له. فقيل: "هيا كل للكواكب"، وقيل: "تقبر ومستودع مالٍ وكتب"
وقيل: "ملجأ من الطوفان"، وهو أبعد ما قيل فيها. لأنها ليست شبيهة بالمساكن.

وأقربها إلى الصحة - والله أعلم - أنها إمامها كل كواكب، وإماما موضع قبور. ولقد
تُضِعَّ أكبرها في زمان المأمون، حين قدم مصر. فلم يظهر منه ما يدلُّ على ما وُضِعَ له.
وعلى ألسنة الناس أنه وجد ذهباً فوزنه، وحسب مقدار ما أنفق، فوجدهما سواء
بسواء، لا يزيد أحدهما على الآخر بشئ، لعلمهم السابق أنه سيُنْفَقُ عليه مثل هذا

صح المأمون
للهمم الكبير،
وتدقيق المؤلف
في ذلك.

١٥ (١) في ابن فضل الله: أرت.

(٢) » » » حياة بذا أو وفاة.

(٣) في ديوانه المخطوط والمطبوع: هر.

(٤) هذه الأبيات لم ترد في الديوان المخطوط ولا المطبوع.

(٥) في البدائع: القريد.

٢٠ (٦) » : نبوة.

(٧) في الأصل: لطمهما.

المقدار . فوضع هذا المقدار بإزاء ما ينق عليه . ووجدتُ هذا في كثير من الكتب .
مراجعتُ التواريخ الصحيحة والكتب المسكون إليها ، فلم أجد المأمون وجد به شيئاً
ولا أستعاد زائداً عما يعلم الناس به علماً .

وأدلل الأدلة على أن أحدها هيكلُ بعض الكواكب ، ^(١) أن الصابئة كانت تأتي حقيقة
تخرج الواحد وتزور الآخر ، ولا تبلغ به مبلغ الأول في التعظيم . والله أعلم بحقيقة أمورها
وجليته أحوالها .

وهي أشكال لسية . كأن كل هرم لهُ سراج . آخذة في أسافلها على التربيع مسلوكة
في عمود الهواء . آخذة في الجوف حتى إلى الثلث . أولاً استدارة سفل أبلوج السُر ^(٢)
لشبهائها به . ويحتمل أن يكون هذا الشكل موضوعاً لبعض الكواكب لمساوية
أقتضته .

وصف المؤلف
الأهرام وزادته
ف

ولقد أضعتُ غير مره ، ما زلتُ على الأهرام بجميع بلاد الجزيرة ، ورأيت منها ما دثر
بعضه ، وما دثر كله . فإذا هي مصفحة البناء ، شيئاً على شيء ، لأفسحة في أوساطها ، كما
تكون ساحات الدور بين الجدران . وإنما هي بناء ملتصق على بناء . بعضها فوق بعض .
ووجدتُ بعض الأهرام مبنية بالطوب . وهذا أكبر دليل على أنها لم تُخذ ملجأ
من الطوفان .

(١٧٩)

فأما مقدار الهرم من المشار إليهما ، في ارتفاعهما ومساحة أقطارهما ، فإنه مذكور
في الكتب ذكرها مستوعباً لم أحققه بالقياس . وأبني لي تحقيق في هذا الكتاب أن
أذكره بمحذور التلبس ، مع إمكان التحقيق ، مع كثرة تردد عليهما ، وسكني بالقاهرة
في جوارها . ولعلني مانع في وقت هذا التأليف ، فعدتُ عن معاودتها بالنظر والتحقيق .

(١) في الأصل : واد .

(٢) في الأصل : سفل السُر .

على أن الهدم قد شرع في قلع هذه الآثار، ونقل أحجارها إلى الأبنية والمساكن .
نبه لها الدهر طرفًا غافيا، وقلبا غافلا، فأصبحت هاوية الأركان، ناعة السكان . فلقد
صدق عليها المتنبي قوله :

أين الذي الهرمان من بُنيانه * من قومه ما يومه ما المصرعُ
تتخلف الآثار عن سُكَّانها * حيناً، ويدركها الفناء فتبع !

وإن فيها لعبةً للعبث، وتذكرةً للذكر، وآيةً لمن أأب، وتبصرةً في الدنيا لمن يلد
للنقاء ويعمر للغراب .

وحكى ابن ظافر^(١) قال : ذكر لي أن جماعة من الشعراء في أيام الأفضل خرجوا
متنزهين إلى الأهرام، ليرَوْا عجائب مبانيها، ويتأملوا عرايب مأسطرها^(٢) الدهر من العبر
فيها، فأقترح بعض من كان معهم العمل فيها . فصنع أبو الصلت أُمّةً من عدد العزّز
[الأندلسي] :

بعيشك هل أبصرت أحسن منظراً، * على ما رأيت عيناك، من هَرَمي مصر^(٣) ؟
أنافاً بأعان السماء وأشرفاً * على الحق، إشراف السّمَاك على النّسِير^(٤) .
وقد وافيا نَشْرًا من الأرض عاليًا . كأنهما نهْدانِ قاماً على صدر .

(١) بدائع البداه (ص ١٣٦) ، ومع الطيب (ج ٢ ص ٢٢٤) .

(٢) ابن فضل الله : و .

(٣) هذه الكلمة ليست في البدائع ولا في مع الطيب .

(٤) البدائع : بأكناف .

(٥) ابن مصل الله : أو .

أبو الهول روصه § ومن ذلك أبو الهول . وهو أسمٌ لصنمٍ يقارب الهرم الكبير . في وَهْدَةٍ منخفضة تقع دونه شرقاً بغرب . لا يبين من فوقِ سطح الأرض إلا رأس ذلك الصنم وعنقه . أشبه نئياً برأس راهب حبشيٍّ ، عليه غفَّارية . على وجهه صباغ أحمر إلى حُمْرة ، لم يُحْلَ على طول الأزمان ، وقديم الآباد . وهو كبير . لو كان شاخصاً كله ، لما قَصُر عن عشرين ذراعاً طوله . في غاية مناسبة التخطيط .

يقال إنه طَلَسَمَ مع الرمل عن المزدَرَع . وزاد تحسين هذا القول إليهم وتصويرهم ، أنه على نهاية الرمل إلى جهة المزدَرَع .

وي أبي الهول بقول [أبو منصور] ظافر الحدَّاد^(٢) .

تأمل هيئة الهرمين وأنظرك ، * وبينهما أبو الهول العجيب !
كعمَّاريتين على رجيل^(٣) * نجوين ، بينهما رقيب .
ويفض البحر عندهما دموعٌ * وصوتُ الريح بينهما نجيب .
وظاهرٌ يحجن يوسف مثل صَبٍّ * تخلف ، دهب محزوفٌ كثيب .

سحر يوسف § وأما يحجن يوسف ، فشمال الأهرام ، على بُعدٍ منه ، في ذيل خرقة من جبل في طرف الحاجر .

(١) هكذا ضبطه في الأصل . والمعروف أنه طَلَسَمَ .

(٢) في بدائع الدلائل (ص ١٣٦) ، وفي فتح الطيب (ج ٢ ص ٢٢٤)

(٣) في ابنِ مصل الله وفي البدائع : كعمَّاريتين . [وهو تصحيف . وقد ورد الصواب في فتح الطيب ، والكلام بمعنى التثنية لا الجمع . والعمَّارية هنا هودج . وهي كلمة مولدة — أنظر تكملة المعجمات العربية للعلامة دروي] .



حافظ المعروض

§ ومن ذلك حائط العجوز . وهو حائط يستدير بالديار المصرية ، تمتد على جانب المزدرع بها ، كأنه قد جعل حجازين الرمل والمزدرع . على أنه غير على الذرى .

مشهت معه إلى دنندرا ، من الصعيد الأعلى . ورأيت أنه قد دثر غلبه ، ومتقطعه أكثر من متصله . وهو مبنى من طوب . ليس بعريض السمك ولا على الجدار .

ووقفت على الكتب المؤلفة في أخبار مصر أنه من بناء امرأة أسماها دلوكة ، وأنه يصل إلى ما بين العريش ورغ ، منتهى الحد الفاصل بين مصر وبين الشام . وليس له هناك أثر ، بل ولا في أسفل أرض مصر .

ويذكر في تلك الكتب - بسبب سوء العجوز له - خرافة لنا رضى ذكرها .

ولا يعرف من بنى هذا الحائط حقيقة ، ولا ما بنى له عن يقين . ولكننا قلنا على الظن الغالب .

§ ومن ذلك شامة وطامة . وهما صنمان من حجر ، على قاعدتين ، ببلاد الصعيد .
شامة وطامة
(تمثالاً ممنون أو
مسيب الكبير)

§ ومن ذلك البرابي . بالصعيد ، في أماكن منه .

§ وأشهرها برباة إجميم . من ورثها على شرق النيل ، حيث ينطف الرمل ملتقى على الريف .

رأيت بها مختلفات من صور الحيوان : من نوع الإنسان والدواب والوحش والطير . على صور مختلفة ، وأشكال متباينة ، مصبغة بأنواع الأصباغ ، مرسومة في الجدران والسقوف والأركان ، من باطن البناء وظاهره ، لم تنطمس رسومها ، ولا حالت أصباغها : كأن يد الصانع ما فارقت صورها ، وكف الصانع ما سجد هانها .

قال لى الحكيم المحقق شمس الدين محمد النقاش: إنه سافر قصدا إليها وأقام مدة
 بردد نظره فيها، ويحدد نظره في أوضاعها، فأها تشتمل على هيئة العلويات المرصودة
 بأسرها، مما لا يعمل كل موضوع منها إلا برصد محرر مما لا يسع زمان واحد بعضه.
 قال: فعلمت أنها ما عملت في زمان واحد، بوضع حكيم واحد: لقصر مدد الأعمار
 عن زمان يفى برصد تلك الهيئة الكاملة. قال: وإنما تكون - والعلم لله - مما توارث
 عملها على حكم الأرصاد المحررة عدة حكمة في أزمنة طويلة، حتى استقل ذلك
 المجموع وتمت تلك الهيئة.

تحقيق الحكيم
 شمس الدين محمد
 النقاش نشأها

١٧٧

ومن ذلك عمود الصواري . بظاهر الإسكندرية . وهو عمود مرتفع في الهواء
 نحته قاعدة، وفوقه قاعدة . يقال إنه لا نظيره من العمودى علوه ولا فى استدارته .
 ويحكى عنه حكائمت منها ماهو مسطرى الصحف ، ومنها ماهو مستفيض على الألسنة ،
 مما لا نرى ذكره

عمود الصواري
 بالإسكندرية

ومن ذلك المنارة بها . وشهرتها كابية . ولم يبق منها إلا ماهو فى حكم الأطلال
 الدوارس ، والرسوم الطوامس .

منارة الإسكندرية
 والشعراء

وقد كانت المنارة مسرح ناظر، ومطمح أمل حاضر، طالما جمعت أخذانا، وكلت
 لحياذ الخواطر ميدانا.

١٥

حكى ابن ظافر أن ابن قلاقس والوجه [أبا الحسن علياً] بن البروى طلع المنارة .
 والوجه يومئذى عنفوان [شبابه و] صباه، وهبوب شمسه فى الجنوب وصاه .

(١) لعله أراد : صره

(٢) مدائح الداهية، (ص ١٣٨) .

وَأَبْنُ فَلَاقِسٍ مَغْرَمٌ بِهِ، مُغَرَّى بِجَبِّهِ، مَكْبٌ عَلَى تَهْنِئِهِ، مَبَالِغٌ فِي تَفْضِيضِ شَعْرِهِ
وَتَهْنِئِهِ، وَلَمْ تَكُنْ وَقَعَتْ بَيْنَهُمَا تِلْكَ الْهِنَاءُ، وَلَا اسْتَحْكَتْ بَيْنَهُمَا أَسْبَابُ الْمَهَاجَةِ.
فَأَقْرَحَ عَلَيْهِ أَبْنُ فَلَاقِسٍ أَنْ يَصِفَ الْمَنَارَةَ . فَقَالَ [بِدِيهَا] :

وَسَامِيَةِ الْأَرْجَاءِ تُهْدِي أَخَا السُّرَى . ضِيَاءً، إِذَا مَا حِنْدُسُ اللَّيْلِ أَظْلَمَا .
لَبَسْتُ بِهَا بُرْدًا مِنَ الْأَنْسِ صَافِيًا . فَكَانَ بَدَدُكَارِ الْأُحْبَةِ مُعْلَمًا .
وَقَدْ ظَلَمْتَنِي مِنْ دُرَاهَا بَقِيَّةُ . أَلَا حَظَّ فِيهَا مِنْ صَحَابِي أَنْجَمَا .
فَخَيَّلَ أَنْ الْبَحْرَ تَحْتَ غَمَامَةٍ * وَأَنْتَى قَدْ خَبِثْتُ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ .
فَاسْتَدَّ سُرُورَ أَبْنِ فَلَاقِسٍ وَفَرَحَهُ، وَقَالَ يَصِفُهَا وَيَمْدَحُهَا :

وَمِثْلُ جَاوَرَ الْجَوْزَاءِ مَرْتَقِيَا . كَأَنَّمَا فِيهِ لِلنَّسْرَيْنِ أَوْكَارُ .
رَاسِي الْقِرَارَةِ سَامِي الْفَرْعِ فِي يَدِهِ * لِلنُّونِ وَالنُّورِ أَخْبَارُ وَأَنْتَارُ .^(٢)
أَطْلَقْتُ فِيهِ عَيْنَ النَّظْمِ فَأَطْرَدْتُ * خَيْلُهَا فِي بَدِيعِ الشَّعْرِ مِصَارُ .
وَلَمْ يَدْعُ حَسَنًا فِيهِ أَبُو حَسَنِ، * إِلَّا نَحْكَمَ فِيهِ كَيْفَ يَخْتَارُ .
حَلَّى الْمَنَارَةَ لَمَّا حَلَّ ذِرْوَتَهَا * بِجَوْهَرِ الشَّعْرِ بِحَرٍّ مِنْهُ زَخَارُ .
مَا زَالَ يُذَكِّرُنِي بِهَا نَارُ الذِّكَاةِ إِلَى * أَنْ أَصْبَحْتُ عَلَمًا فِي رَأْسِهِ نَارُ .^(٣)

١٧٧ مكرر
الملعب ومكان قصر
حي خليف

ومن ذلك الملعب بها . وقد كان له عيد يجتمعون إليه فيه، في كل سنة، وتُرمى به
كُرَّةٌ . فمن وقعت في كفه، آل إليه الملك . وحضره عمرو بن العاص في الجاهلية ،

(١) مدائح الدائمه : دَبْتُ .

(٢) في ابن فضل الله . وأخبار .

(٣) وردت هذه الأبيات في الديوان المخطوط والمطبوع ، مجردة من الثاني والخامس . ومن حكاية الحال .

ووقعت الكرة في كفه . فقالوا : أحرمت العادة ؟ فإن مثل هذا لا يملك . وهذه واقعة مشهورة ، لا حاجة إلى الإطالة بها .
ومكان هذا الملعب عمر بنو خليف القصر المنسوب إليهم .

- وحكى ابن ظافر أن ابن قلاقس حضر يوما عند بنى خليف [نظاهر الإسكندرية] في قصر رسا بناؤه وسما ، وكاد يمزق بمزاحمته أنواب السما . قد آرتدى جلابيب السحاب ، ولات عمائم الغائم . وآبتسمت ثنايا شرفاته ، وآتسمت بالحسن حنايا غرفاته . وأشرف على سائر نواحي الدنيا وأقطارها ، وجبته السحاب بما أوتئمت عليه من ودائع أمطارها . والرمل بهائه قد نشر تبره في زبرجد كرومه ، والجو قد بعث بذخائر الطيب إليه لطيمة نسيمه . والنخل قد أظهرت جواهرها ، ونشرت عداثرها . والطل ينزل لؤلؤه في مسارب النسيم ومساحبه ، والبحر يرعد [غيظا] من عبث الرياح به . فسأله بعض الحضور أن يصف الموضع الذي تمت محاسنه ، وغبط به ساكنه . بغاشت لذلك جُحج بحره ، وألقت إليه جواهره لترصيع لبة ذلك القصر ونحره ، فقال :^(٥)

قَصْرٌ بِمَدْرَجَةِ النِّسِيمِ تَحَدَّثُ ۖ فِيهِ الرِّيَاضُ بِسَرَّتِهَا الْمُسْتَوِرِ^(٦)

- ١٥ (١) دائع الدائع . ص ١٧٥ ، ومع الطيب [ح ٢ ص ١٧٤ ، ١٧٥] .
(٢) هذه الكلمة ليست في الدائع . ولكنها واردة في هج الطيب .
(٣) في آبر يصل الله ، وفي المعج : وآرتسمت .
(٤) هاتان الكلمتان ليسنا في الدائع .
(٥) في الدائع : فألقت إليه جواهرها لترصيع لبة ذلك القصر ونحره .
٢٠ (٦) في آبر يصل الله وفي الدائع : عه .
(٧) لم يرد في الديوان المخطوط والمطبوع سوى هذا البيت والثالث بعده .

(١) خَفَضَ الخورقَ والسديرَ سُمُوهُ * وثنى قصورَ الروم ذاتَ قُصورِ.
(٢) لاث الغمامَ عِمَامَةً مِسْكِيَّةً * وأقام في أرضٍ من الكافورِ.
غنى الربيعُ به محاسن وصفه * فأقرعَ نَوْرُ يروق [ونُورُ]
(٣) فالُدُوحُ يسحبُ حُلَّةً من سُندُس * تزهو لؤلؤُ طلَّها الموفُورِ.
والتخل كالفيد الحِسان تَقَرَّطُ * بسبائك المظوم والمشورِ.
والرمل في حُبِّك النسيم كأنما * أبدى غُضُونُ سِوَالف المذعورِ.
(٤) والبحر يرعدُ متنه فكأنه * درعُ تُسَنُّ بمِغْطَى مَقْرورِ.
وكأننا، والقصرُ يجمعُ شَمَلًا، * في الأفق، بين كواكبٍ بدُورِ.
وكذلك دَهْرُ بني خُلَيْفٍ لم يزل * يثني المعاطف في حيرِ حبورِ.

١٠ ومن ذلك مدينة لبدة^(٧) . وهي خراب يَبَّاب . بها صنان عظيمان من الرُخام مديته لبدة .
الأبيض ، في زِيّ امرأتين . وغالب بناء هذه المدينة - في جدرها وسقوفها وفروش
دياراتها وأرصها - من الرخام الأبيض . وكان يجري إليها وادٍ يُصب إلى البحر الشامي

(١) في آسن وصل الله : السور .

(٢) في الديوان المخطوط والمطوع : لات | وهو سهو من السامع ومن جامع الحروف | .

(٣) في الدائع : فالروض .

(٤) في الدائع : المهجور | وقد صححت البيت لأن فيه تحريفا كثيرا في آسن وصل الله وفي الدائع
دون المعج | .

(٥) أي نُصَبْتُ وتلبس .

(٦) في آسن فصل الله : بمغلف .

(٧) اسمها الجغرافي القديم "إيبس" Iephis

وُتِرى السفن البحرية إليه . وطفأت الوادى ومجارى الماء مرصوفة بالرخام . فغلب عليها ساقى الرمل ، فقطع مدد الوادى ، وأخلى أوطانها ، وأجل سَكَنَها . وهذه المدينة بَرَقَّة ، مما يقابل أطرابُلس الغربية .^(١)

ومن ذلك المعلقة^(٢) . وهى مدينة بإفريقية . على ساحل البحر الشامى على نحو ستة عشر ميلا من تونس . يقال إنها كانت لابنة الملك الذى قال الله ، وقوله الحق ،
 ٥ فى حقه : ”وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا“ . بها آثار عظيمة ، وأحجار كبيرة ، ومهاوير بعيدة ، وأشرب عميقة . تُظهر لمن تأملها العجب العجائب ، والألب اللباب . ومن عظيم ماحوته من الأحجار ، أنه على طول المدد ، وترانى عيان الأبد ، أنه ينقل من أحجارها إلى ما جاورها ولا يتقطع مددها ، ولا يظهر نقص فى كثرتها .

ومن ذلك مدينة شرسال^(٣) . وهى مدينة تقابل مِلْيَانَةَ ، بالغرب الأوسط ، على
 ١٠ ساحل البحر الشامى . يقال إنها كانت مدينة الملك الفاصب لاسفن ، المعنى بهوله تعالى فى سورة الكهف . وقد تقدمت الآية عند ذكر آمنة هذا الملك ، فيما قبل .
 وهى مدينة تزيد على الوصف ، فى أنساع الأفنية ، وأرتفاع الأبنية ، وعظم القناطر المرفوعة ، والأقنية المعقودة ، والفواعد المشيدة ، والجُدُر السمكة ، مما يشهد له جُوال الأرض . وسُفَّار الآفاق ، وسُفَّار الحديث ، بأنه لاشبيه له فى تخشين بنائها ، وتحسين
 ١٥ صاعاتها .

مدينة المعلقة
 تسوس (وهى
 قرطاج)



مدينة شرسال
 الحرائر

(١) Tripoli de Barbarie

(٢) يشير المؤلف إلى أحد أقسام مدينة قرطاج المشهورة التى يسميها الإدريسي قرطاجة ، وقد أفاض
 فى وصفها فى شرح آثارها (ص ١١٢ - ١١٤ من طعة دورى) .

(٣) ذكرها الإدريسي . وليس فى كتابه هذا الوصف الذى أورده ابن هص الله .

ومن ذلك صخرة سبتة^(١)، يقال إنها المعنية بقوله تعالى: "أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ"، وهي مشهورة هناك.

ومن ذلك هيكल الزهرة^(٢)، بالأندلس، في ذيل الجبل الآخذ بين طليطلة^(٣) ووادي آش في شرقيه بشمال، مطل على البحر المحيط. وقد تقدمت الإشارة إليه.

ومن ذلك باب الصفر^(٤)، في شرقي الأندلس يفصل بينه وبين الأرض الكبيرة^(٥). ذات الأسن العديدة من سكان الشمال، عمل الباب على نقب كان فتح في جبل حيث خرجت من البحر الشامي طريقا للأندلس إلى البر المتصل.

وقد رأيت أن أعقب ذكر هذه الآثار، بما هو مماثلها أو أبلغ في الاعتبار، وهو:



قصر العباس^(٦)، وهو بين سنجار ونصيبين، وهو وإن لم يكن في القدم من نسبة ما ذكرنا، فإنه في العبرة كما أشرنا. حكى قاضي القضاة أبو العباس أحمد بن خلّكان

قصور العرب
ووصف الشعراء لها

(١) هي مدينة Lenta.

(٢) في الأصل: المعى.

(٣) Port Vendre.

(٤) Tolède.

(٥) Gnadix.

(٦) يشير إلى أحد أبواب (Puerta) حال البرانس (Les Pyrénées) التي يسميها العرب حال

الأبواب وجمال البرّيات وحال البرانس.

(٧) هذا التعبير يطلق في عرف حفرافي العرب وخصوصا الأندلسيين على ملاد فرنسا خاصة وسائر أرض أوربة عامة.

(٨) في الأصل: مثلها.

في تاريخه قال : مر أبو الربيع قرواش بن المقلد بن المسيب بقصر العباس بن عمرو الغنوي وكان مطلاً على بساتين ومياه كثيرة ، فتأمله ، فإذا في حائط منه مكتوب :

”يا قصر عباس بن عمرو ، كيف فارقك ابن عمرك ؟

قد كنت تغتال الدهو * ، فكيف غالك ريب دهرك ؟

وأما لعزك بل لكو * دك بل لمجدك بل لفخرك !

وكتبه علي بن عبد الله بن حمدان بخطه سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة .

(وهذا هو الأمير سيف الدولة بن حمدان) .

وتحته مكتوب :

”يا قصر ، ضعضعك الزما * ن وحط من علياء فخرك !

ومحا محاسن أسطير * شرفت بهن متون جذرك !

وأما لكاتبها الكريم وقدره الموفى بقدرك !

وكتبه الفضل بن الحسن بن علي بن حمدان بخطه سنة اثنتين وستين وثلاثمائة .

(وهذا هو عمدة الدولة آس الأمير ناصر الدولة أحي سيف الدولة) .

وتحته مكتوب :

يا قصر ، ما فعل الأولى * ضربت قباهم بعقرك ؟

(١) كتاب ”رويات الأعيان“ في ترجمة ”المقلد“ صاحب الموصل (ح ٢ ص ١٦٨ - ١٦٩ من

طبعة بولاق سنة ١٢٧٥) . وأظهر الترجمة الأمازيغية للدارود ده سلي تحت اسم Mukallad .

(٢) قدرك (في آثار البلاد للقروبي ص ٣١٣ من طبعة وستمعد) .

أَخِي الزَّمَانُ عَلَيْهِمْ * وَطَوَاهُمُ لَطْوِيلُ تَشْرِكُ!^(١)
وَاهَا لِقَاصِرِ عُمَرٍ مَنْ * يَخْتَالُ فِيكَ، وَطُولُ عُمَرَ!

❧

وكتبه المقلد بن المسيب بن رافع بخطه في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة.

(وهذا هو والد قرواش).

فكتب ولده قرواش تحته :

”بِاقْصَرُ، مَا صَنَعَ الْكِرَا * مُ السَّاكُونُ قَدِيمَ عَصْرِكَ ؟
عَاصِرْتَهُمْ فَبَدَّدْتَهُمْ * وَشَأْوَتَهُمْ طَرًّا بِصَبْرِكَ!^(٢)
وَلَقَدْ أَثَارَ تَعْجُجِي * يَا ابْنَ الْمَسِيْبِ رَقْمَ سَطْرِكَ!^(٣)
وَعَابَتْ أُنَى لِاحِقُ * بِكَ دَائِبٌ فِي قَفْوِ إِثْرِكَ!^(٤)

وكتبه قرواش بن المقلد بن المسيب بخطه في سنة إحدى وأربعائة.

وعزم على هدمه، وقال: هذا مشؤوم، ثم تركه.

وباني هذا القصر العباس بن عمرو الغنوي من أهل تَلَّ سَيَّار، باني الرقة ورأس
عين من حصن مَسَامَةِ بن عبد الملك بن مروان. وكان يتولى اليامّة والبحرين.

(١) في ابن حلكان : وطوا هو بطويل تشرك . وفي ياقوت والقروبي : وطوا هو بطويل تشرك .

(٢) في ابن حلكان :

عاصرتهم فبددتهم * ساورتهم طرأ بصرك .

وهذا البيت الثاني غير وارد في القروبي .

(٣) في القروبي : أطال .

(٤) في ابن حلكان : ذائب . [وهو تصحيف . طعى] . وفي القروبي : تابع .

وسيره المعتضد لحرب القرامطة في عشرة آلاف فارس . فقتل الجميع ، وسلم وحده .
(وعمر بن الصغار حارب إسماعيل بن أحمد صاحب نراسان في حسين ألف فارس فأخذوه وسلم الباقون) .

وكذلك قصر البصرة . وكان قبل أن تُنحط البصرة منزلاً منزله الأكاسرة
في متصيدهاتهم ، وتخرج إليه الأساورة في منزهاتهم . وتهتم حتى جددده الحجاج ، فعرف
به ، فقبل قصر الحجاج . وكان يعرف بقصر قباد . وقال : قال أبو القزاف : قال الحجاج لحرير
والفرزدق ، وهو في قصره بالبصرة بالجزيرة : « إيتاني في لباس آبانك في الجاهلية » .
فلبس الفرزدق الديباج والخز ، وقعد في قبة . وشاور جرير دهاء بني يربوع وشيوخهم ،
فقالوا : « ما لباس آباننا إلا الحديد » . فلبس درعا وتقلد سيفاً وتباط رُحماً وركب
فرساً ، وأقبل في أربعين فارساً من بني يربوع . وجاء الفرزدق في هيئته . فتقالوا .
فقال جرير :

١٠

لَيْسَتْ سِلَاحِي ، وَالْفَرَزْدَقُ لُغْبَةٌ • عَلَيْهِ وَشَاخَا حَلِيهِ وَخَلَاخِلُهُ .
أَعِدُّوا مَعَ الْخَزِّ الْمَلَابَ ، فَإِنَّمَا * جَرِيرٌ لَكُمْ بَعْلٌ وَأَتَمُّ حَلَالُهُ !

(١)

ثم رجعا ، فوقف جرير في معزة بني حصن ، ووقف الفرزدق بالمربد . وقد أبر
جرير عليه .

١٥

وكذلك قصر الكوفة . وقد هُدم ، فلم تبق منه بقية .
وله حكاية مشهورة . ولهذا ذكرناه .

قال عبد الملك بن عمير : كنتُ مع عبد الملك بن مروان بقصر الكوفة ، حين جرى
برأس مُضْعَب بن الزبير . فوضع بين يديه ، فرآني قد آرتعدتُ فقال لي : مالك ؟

قلت: أعينك بالله، يا أمير المؤمنين! كنتُ بهذا القصر، في هذا الموضع، مع عبيد الله
أبن زياد، فرأيتُ رأس الحسين بين يديه. ثم كنتُ فيه مع المختار بن أبي عبيد،
فرأيتُ رأس أبن زياد بين يديه. ثم كنتُ فيه مع مُصعب بن الزبير. فرأيتُ رأس
المختار بين يديه. ثم ها أنا فيه معك، ورأس مصعب بين يديك. فقام عبد الملك من
مقامه ذلك، وأمر بهدم ذلك الطاق.

١٨١

ولمناسبة هاتين الواقعتين، ذكرنا هذين القصرين، لما فيهما من العبرة لمن تفكر.
فسبحان الله الباقي، وكل شيء هالك، الدائم، وما سواه ليس كذلك!

ومنها قصر هرقل. وهو بالشَّرف الأعلى الشَّمالى. ويُعرف في زماننا بقصر شمس
الملوك. ولم يبق منه اليوم إلا الجوسق والحمام. والجوسق الآن خاتمه للفقراء. ولم يزل
متزلا للوك ومتزها لأهل البلد، لإشرافه [على] نهر بردى والوادي. ونزله السلطان
صلاح الدين.

وحكى ابن ظافر قال: دخل أبو خالد بن صقير القيسرائى^(٢) على الأمير تاج الملوك
أبى سعيد نور بخت، أتابك طغتكين، صاحب دمشق، وبين يديه بركة فسيحة الفناء،
صحيحة البناء، قد راق ماؤها وصفا، وجرّ النسيم عليها مارق من أذياله وضفا. وهو
تارة يرُشف رضاها، ويمجّد ثيابها، وتارة يسبكها مبردا، ويمجكها مسردا. فأمره
بوصفها، فقال:

(١) مدائع الداء، ص ١٧٢.

(٢) > > : صغير.

(٣) > > : نوردى بن.

أَوْ مَا تَرَى طَرَبَ النسيَمِ إِلَى الْغديرِ إِذَا تَحَرَّكَ؟^(١)
 نَلَّ لَوْ رَأَيْتَ الْمَاءَ يَلْسُهُ هَبْ فِي جَوَانِبِهِ، لَسَرَّكَ!
 وَإِذَا الصَّبَا هَبَّتْ عَلَيْهِ، أَتَاكَ فِي ثَوْبٍ مُفَرَّكَ.

ومن ذلك ما ذكره الحافظ أبو القاسم علي بن عساكر، في ترجمة إسماعيل بن أبي هاشم، قال: قرأت بخط أبي الحسن رشيد بن نظيف، وأبنايه أبو القاسم علي بن إبراهيم وأبو الوحش سبيع بن المسلم، عنه: أخبرنا القاضي أبو عبد الله محمد بن الحسن ابن علي بن محمد بن يحيى الدقاق: حدثني أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي: حدثنا إسماعيل بن أبي هاشم، قال: قرأت علي قصير بدمشق لبني أمية:

لَيْتَ شِعْرِي! مَا حَالُ أَهْلِكَ يَا قَصْرُ وَأَيُّ الَّذِينَ عَالَوْا بِنَا كَا؟
 مَا لَأَرْبَابِكَ الْجَبَارَةِ الْأَمْلَاكُ شَادُوكَ ثُمَّ حَلَّوْا سِوَاكَ؟
 أَلَزُّهُدٍ بَا فَصْرُ فَيْكَ تَحَامُّوْ * لَكَ أَلَا تُبْقِيْ وَلَسْتَ هَاكَ؟
 لَيْبَ شِعْرِي! وَلَيْتَنِي كُنْتُ أَذْرِي! مَا دَهَاكُمُ، بَا فَصْرُ، ثُمَّ دَهَاكَ؟
 ومن حلقه: "هذا جوابُ عنهم:

أَتَبَا السَّائِلَ الْمُفَكِّرُ فَبِهِمْ! * مَا إِلَى ذَا السُّؤَالِ - قُلْ لِي دَعَاكَ؟
 أَوْ مَا تُعْرِفُ الْمُؤَنَ إِذَا حَلَّتْ دِيَارَا فَلَنْ تُرَاعِيَ هَلَاكَ!
 ١٥ إِنْ فِي نَفْسِكَ الضَّعِيفَةُ شُغْلًا فَأَعْتَبِرْ وَأَمْضِ فَلِئَلَّا تَرَكَ! "١٥

قال: وحدثني أبو الحسن بن الطحاوي: حدثني ابن أبي هاشم قال: قرأت
 بخولان [مصر] علي قصير لعبد العزيز بن مروان:

(١) يدافع الدائه: أو ما ترى طرب العدي: * إلى الدسم إذا تحرك؟



أَيَّ رَبِّ الْقَصْرِ الَّذِي شَيْدَ الْقَصْرِ، وَأَيَّ الْعَيْدِ وَالْأَجْنَادِ ؟
 أَيُّ تِلْكَ الْجُمُوعُ وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَأَعْوَانُهُمْ وَذَاكَ السَّوَادُ ؟
 أَيُّ عَبْدُ الْعَزِيزِ، أَيُّ ابْنِ مَرْوَا * نَبِّ، وَأَيُّ الْحِمَاةِ وَالْأَوْلَادِ ؟
 مَا لَنَا لَا نُحِسُّهُمْ وَنَرَاهُمْ ! * أَتُرَى، مَا الَّذِي دَهَامَ، فَبَادُوا ؟

قال : وقرأت نحتي : " هذا جواب عهم :

أَيُّهَا السَّائِلُ الْمُفَكِّرُ فِيهِمْ : * كَيْفَ بَادَتْ جُمُوعُهُمْ وَالسَّوَادُ،
 ثُمَّ فِي الْقَصْرِ وَالَّذِينَ بَنَوْهُ . أَسْفَا، حِينَ فَارَقُوهُ وَبَادُوا.
 أَيُّ كِسْرَى وَتَبَعَ قَبْلَ مَرْوَا * نَبِّ وَمِنْ قَبْلِ تَبَعَ شَتَادُ.
 أَيُّ نَمْرُودَ؟ أَيُّ فِرْعَوْنَ مُوسَى * أَيُّ مِنْ قَبْلِهِمْ ثَمُودُ وَعَادُ ؟
 كُلُّهُمْ فِي التَّرَابِ أَضْحَى رَهِينَا . حِينَ لَمْ تُفْنِ عَنْهُمْ الْأَجْنَادُ !
 إِنَّ فِي الْمَوْتِ يَا أَخِي لِكِ شُغْلَا * عَنْ سِوَاهِ . وَالْمَوْقِفِ الْمُبْعَادُ ! "

ومما ينسحب على ذيل ذلك، أنني نزلت في مسجد بُقْيَةِ السَّلَارِ، مِنَ الْيَمُوكِ
 بِالشَّامِ (وكانت قديماً سَازِلَ غَسَّانَ، ثُمَّ رُحِلَ قَوْمٌ مِنْ آلِ بَسَارَ، ثُمَّ صَارَتْ إِلَى بَنِي السَّلَارِ، وَكَانُوا أَمْرًا
 بِلَا، وَصَادَةً أَحْلَا، ثُمَّ أَدَامَ الْخِدْنَانِ)، فَقَرَأْتُ عَلَى بَعْضِ جُذُرَانِ الْمَسْجِدِ :

أَرَأَيْتَ أَيُّ مَنَازِلٍ وَدُبَارٍ * أَمَسَتْ خَلَاءَ مِنْ بَنِي السَّلَارِ،
 الْعَاصِرِينَ مَسَاجِدًا لِإِلَهِهِمْ * الْعَاصِرِينَ نَدَى دَوَى الْإِعْسَارِ ؟

وقد كنت أحرمتها :

قَلْبِي الْمَشُوقُ إِلَى بَنِي السَّلَارِ * أَبْدَا يُقَلِّبُ فَوْقَ جُذُودِ نَارِ !
 قَوْمٌ لِحُسْنِ صَنِيعِهِمْ أَحْبَبْتُهُمْ، * حُبِّي لَأَلِّ مَجْدِ الْأَطْهَارِ !

فكبت تحتها :

(١٨٢) مكرر

لا تكثرن تنكراً الآثار * وتغير الأوطان والأوطار!

بأمن تعجب للفنية إذ خلّت * من ساكنها من بنى السّار!

لا تعجبت فهم سلالة آدم * أكل المنون وعرضة الأقدار!

٥ إن نخل منهم، فهي من قبل خلّت * من آل غسان وآل يسار.

لا تعجبت من العراق، فإنه * ما هذه الدنيا بدار قرار!

جأؤوا على آثار غيرهم وقد * ذهبوا كما ذهبوا على الآثار!

وسيلنا لما أتينا نعلمهم * كسيلهم في الورد والإصدار!

كل الذي حازوه غاربه ولا * تجب إذا ردّ المعار عواري!

١٠ قلت: ومن هذا النوع أني مررت بعد حين من الدهر بمعاهد كنت آلمها أول

(١٨٢) مكرر

عمرى، والشيب ما عارض عارضى ولا عذرى، وعقد الأجتماع منظوم، وأهلها أهلة

وبجوم. فوجدتها خالية بعد أهلها، ظامية بعد علّها ونهلها، قد أصبحت غارية من

ريفها وظلّها، عادمة لكثرةا وقّلّها. وقد كتب عليها بعض من ولىع :

هذه دارهم ومأثوا جميعا - هكذا هكذا يُعادي الزمان!

١٥ فخركني هذا البيت، لسكان ذلك البيت، وأيامنا نحن وساكنه الميت، وتذكرت

لك الأمام الماضي، والعيشة الراضيه، ثم ما غرت الحوادث، وسدت من الأبواب

والبواعث، فقلت أرتجالا :

أين دهرٌ مضى لنا أولُ العُمُر وأين الزمانُ والإخواتُ؟
 حَدَّثَتْ بَعْدَنَا عَلِيمُ أُمُورٍ! * هَاتِ شَيْئًا مَا أَغْتَالُهُ الْحَدَثَانُ؟
 ذَهَبَ الْكُلُّ فِي زَمَانٍ تَقْضَى، * كُلُّ شَيْءٍ يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ!
 مَا تَبَقِيَ لَنَا مِنَ الْكُلِّ إِلَّا * قَوْلُنَا لِلتَّذْكَارِ: كُنَّا وَكَانُوا!

ثم أمرتُ مَنْ كَتَبَهَا تَحْتَ الْبَيْتِ وَأَنْصَرَفَتْ بِأَيْكَ، وَشَكُوتُ لَوْ أَنْصَفَ الدَّهْرُ
 شَايِكًا .

الديارات والحانات

١٨٢

الديارات المشهورة

وأما ما بلغنا ذكره من الديارات المشهورة الواردة في أشعار العرب وغيرهم،
أو كان قد دخلها أحد من الخلفاء والأمراء والأدباء والشعراء المشهورين،
أو ورد لذلك الدير ذكرٌ في شعر قديم أو عصري .

دير الكلب

فنها دير الكَلْبُ ^(١) وهو قوب مَعْلَتَايا، في سفح جبل . والماء ينحدر عليه .
وقلاليه مبنية بعضها فوق بعض، في صعود الجبل . فمظرها أحسن منظر . ويَبْنُوهُ
ينصب عليه من أعلاه .

وفيه من الزيتون والرمان والآس والكرم والزعرمان والزرجس شئ كثير .
ولرهبانه مزارعُ في السهل . وغلاته كثيرة .

قال الخالدي ^(٢) : ولهذا الدير خاصية في براء غضة الكلب الكلب . وله عيدٌ في وقت
من السنة . يخرج إليه خلقٌ من النصارى نساء ورجالاً للإقامة عندهم . وخلق من ^(٣)
المسلمين للنظر إليه والزهة فيه . ويجتمع إليه أهل الرّفث والمُجَان، وتُسمع به الأغاني
وأأنواع الملاهي، وتُدبج به الذبائح، وتُشرب الخمر .

(١) يؤدّ هذا الصلوة ويؤيد ما رواه باقوت من أن "نحات الديا ثلاثة : دير الكلب، ودير الذهب،
وقلعه حلب" . (معجم البلدان ج ٤ ص ٨٣٩) . وأطرفه هاصيل أخرى على هذا الدير (ح ٢
ص ٦٩٠ ج ٤ ص ٢٩٩) . وكذلك في "أحسن التقاسيم" للشاري طبع ليدن (ص ١٤٦) .
(٢) هو أحد الخالديين الشاعرين الشهيرين . ينسب إلى الخالدية ، قرية قرب الموصل . كانوا حاريس
لنائب سيف الدولة بمودج المتني . ولها أشعار وأخبار وتآليف منها كتاب "الهدايا والتحف" وفي خراف
بالقاهرة سحتان منه .

(٣) لعله عنده بافراد الصمير .

وحكى أن أخا لأبى السفاح الشاعر عضه كلب كلب، فحمله إلى هذا الدير .
فندأوى به ، فبرئ . وأشد له شعرا فيه ، لم أذكره .

دير أبون^(١) . وهو دير بين الجزيرة وثمانين . وهو دير جليل عند المصارى . وبه
جماعة من الرهبان . ويرعمون أنه قبر نوح عليه السلام ، وقد تقدم ما ذكرناه في أمر
قبره بترك البقاع . والله أعلم أى بفعلة صمته .

ولهم صهرج لىء . زعموا أن له أبايب من صُفْر يجرى فيها الماء من جبل
الجودى إلى الصهرج .

وإلى جانبه ضيعة غناء كثيرة الإساين . يقال لها بزر مهران .

دير الزعفران^(٢) . وهو بالقرب من مغلثا بجانب الفلجة النافذة إلى الحسنية . وهو
في حيف جبل تطل عليه قلعة أردمشت^(٣) . وفيه نزل المعتضد لما حاصرها وأخذها .

وهو كثير الرهبان والعلاني . ولرهبانه يسار ونعم ومزارع وبساتين .

١٨٨

وفرش أرضه من زهر الزعفران . وقلاليه بعضها من [فوق] بعض ، كباء دير
الكلب ، بأحسن وصف وأملح تكوين . وله سور يحيط به وشرايه مفضل في اللون
والرائحة والعنق . وماؤه سائح من ينبوع في جبله .

(١) أطر تماصيل أخرى في ياقوت (ج ١ ص ٥٦٢ ح ٢ ص ٦٤٠) .

(٢) أطر الطرى (سلسلة III ص ٢١٤٤) ؛ وكامل آبن الأثير (ج ٧ ص ٢٣٥ ح ١٢

ص ٢٩٣) ؛ وياقوت ج ٢ ص ٦٦٣ ح ٣ ص ٧٢٤ ؛ وحصوا الناشئ (ورقة ١٨٢) .

ويسمى أيضا عزر الزعفران (أطر ياقوت ج ٣ ص ٧٢٤) .

(٣) في الأصل : أردمشت . والتصحيح عن ياقوت .

قال الخالدي: أجترت به في بعض السنين، وعامل الناجية سعيد بن إسحاق
فاحبسني عنده أباما للأنس . فعملت فيه عدة أشعار، منها :

وزَعْرَائِيَّةٍ فِي اللَّوْنِ وَالطَّيْبِ ۖ طَيِّبَةُ الْخَمْرِ ذُكَاءُ الْجَلَايِبِ ،
تَوْنٌ بِحَانَةِ عُثْمَرِ الزَّعْمَرَانِ عَلَيَّ ۖ مَرَّ الْمَوَاحِرِ فِيهِ وَالْأَهَاضِيْبِ .
وما الْغَطَّارِفَةُ الشَّبَانُ إِن شَرِبُوا ۖ نَحْمَرَا بِأَلْبَجٍ مَن رُهْبَانِهِ الشَّيْبِ .
شَرِبَتْهَا مَن يَذَى حَوْرَاءَ مُقْلُنْهَا ۖ تُضْنِي الْقُلُوبَ بِتَبْعِيْدٍ وَتَقْرِبِ .
شَمْسٌ إِذَا طَلَعَتْ ، فَالَتْ مَحَاسِنُهَا ۖ هَاقِدْ طَلَعْتُ ، فَيَا شَمْسَ الصُّحْحَى غَمْبِي !
وَمِنْ سُكْرًا ، وَنَامَتْ لِي مَعَانِفَةٌ ۖ فَلَا تَسْلُ عَنْ عَنَاقِ الطُّغْيَى وَالذَّبِّ !

دير قنبي^(١) . وهو ببغداد والمدائن .

دير قنبي

ودير العاقول^(٢) . أسفل منها باثني عشر فرسخا . وإلى جانبه قرية كبيرة . أخرجت

دير العاقول

(١) أطر الطبري (سلسلة III ص ٢١ و ١٩٦١ و ١٩٥٠ و ١٦٥٠) . ويكاتب العدون
والخداق (ح ٣ ص ١٩٦) . ويعجم . استعجم للكري (ص ٣٨١) . والتديه والإشراف للسعودي
(١٤٩) . وطقات الأطا . لأن أنى أميعة (ص ٢٣٥) . وآس الأثير (ح ٥ ص ٣١٠) . وياقوت
(ح ١ ص ٧٣٩ ح ٢ ص ٦٨٧ و ٧٠٠ ح ٣ ص ٣٦٢ ح ٤ ص ١٧٨ و ٨٤٦) .
وختصر الدول لآس الهندي (ص ٢٨٥) . وخصوصا الشاشق (ورقة ١١٥) . ويكتوبه قنا .

١٥

(٢) أطر الطبري (سلسلة III ص ١٠٠٢ و ١٨٩٣ و ١٩٤٨ و ١٩٦١) . وأحسن التقاسيم
(ص ٥٣ و ١١٥ و ١٢٢ و ١٣٤ و ١٣٥) . ومسالك الإصطخرى (ص ٨) . ومسالك آس حوقل
(ص ١٦٨ و ١٦٩ g) . وآس حردادة (ص ٥٩) . وجغرافية أنى العدا (ص ٥٤ و ٢٩٥ و ٣٠٥) .
وآس الأثير (ح ٦ ص ٢٢٦ ح ٧ ص ٢٠٠ و ٢٣٤ ح ٨ ص ١٧٢ و ٤٧٤ ح ٩ ص ١٦٥) .
وياقوت (ح ١ ص ٢٦٦ و ٢٧٦ و ٦٨٧) . ولى آس الأثير : دير العول .

٢٠

(٣) لعل الصواب : منها .

عثة من الكلاب والوزراء . وهو حسن الباء ، راكب على دجلة . وبات فيه الوزير
على بن مقلة ، ثم أصطبح فيه . وقال

باتت يدي تجي نمار الجناح * بديرقني من وجوه ملاح !
حتى تلا الراهب من موره . وضمخ الأفق خلوق الصباح .
فهل قى يسعدني عاقدا : ذيل غبوق بذول أصطباح ؟
أطبعه في كل ما ينسهي : كطاعة الريش لأمر الرياح .

وفيه يقول البحتري : من قصيدة يمدح ابن الفياض الوزير . وكان من ديرقني :

(١٨٥)

ما تقضى لبانه عند لبني . * والمعنى بالغانيات مبني !
نزلوا رنة العراق آرتيادا . أي أرض أشف دارا وأسنى ؟
بين دبر العاقول مرتبع أشرف محنله إلى ديرقني .
حيث بات الزيتون من فوقه النحل عليه ورق الحمام نقي .
ما المعالي إلا المكارم تزدا . دوا مضانع المجد تني !

قال الخالدي : وأنشدنا أبو العباس بن أبي حالد الأحول : قال أنشدني كاتب

أبن طولون لنفسه :

إن عجزا كما نكوت وغبنا * أن نرى صاحبي في ديرقني !
حبذا روضه المديح ليلا * وهواه ذاك الممسك ردا !
قد جرى السلسيل بالمسك فيها * فحوته الدنان : دنا فدنا .
كم خلونا بحسرواني كسرى * وهو يسقى طورا وطورا ينقي !
تحتنا فردة من الورد إلا * أنها من أنامل البدر تنقي !

وحكى بحظّة البرمكى قال : كُنت بحضرة إسماعيل بن بلبل ، بواسطه أيام حرب العلوى البصرى ، والموفق الباصرى قاتله . فلما أنصرفت رافقنى البحرى ، وكان قد زار ابن بلبل . فلما وصلنا إلى ديرقنى قال لى : ويحك يا بحظّة ! هذا ديرقنى ، وهو من الحسن والطيب على ماترى ! وأنت أنت ! وطنبورك طنبورك ! فهل لك أن نقيم به اليوم ، فنشرب وطرب ، وننعم ولعب ؟ فقلت : نعم ! ولم يكن معنا نبيذ . فسالنا عمن يقرب منا من العيال ، فكتب إليه البحرى :

يا ابن عيسى بن فرخان ، وللفر * س عيسى بن فرخان أفتخار !
فد حللنا بديرقنى وما نبسنى قرى غير أن يكون عغار !
فأسقي من حيث كان يشرب كسرى * عصابة كلهم ظمأ حرار !
من كُبت نولت الشمس منها * ماتولته من سواها النار !

وجه إليها عشرين دماً شرباً ، ومائة دجاجة ، وعشرين حملاً ، وفاكهة . وعملت في الأبيات لنا . فلم نزل نشرب عليه يوماً وليلتنا . وأخذت فيها معنى فقلت :

وبات يسفيا جنانية * ضفت بها الشمس على النار !

دير العذارى^(١) . وهو بين سر من رأى وبغداد ، بجانب العث على دجلة ، في موضع حسن . فيه رواهب عذارى . وكانت حوله حانات للحمارين وبسائين ومتزهات . لا يعدم من دخله أن يرى من رواهبه جوارى حسن الوجوه والقدود . والألحاظ والألفاظ .

دير العذارى

(١) أنظر معجم ما استعجم (ص ٣٧٦) ؛ وآثار البلاد للقرنيزي (ص ٢٤٨) ؛ وبافوت (ج ٢

قال الخالدي: ولقد آجرتُ به فرائثه حسبا، ورأيتُ في الحانات التي حوله خلقا
يشربون على الملامى. وكان ذلك اليوم عيداً له. ورأيتُ في جُنَيْنَاتٍ لرواهبهِ جماعةً
يلْقُظْنَ زهر العُصْفُر، ولا يمانل حمرة خدودهن. ثم إن دجلة أهلكته بمدودها،
حتى لم يبق منه أثر. وبحظفة فيه أخبارٌ وأشعار. لأنه كان معاناه وماواه، وإليه
يُجذب به هواه. وفيه يقول ابن المعتز:

أَبَا جِرَّةِ الْوَادِي عَلَى الْمَشْرِعِ الْعَذْبِ! سَفَاكَ حَيًّا حَتَّى الثَّرَى مَيَّتُ الْجَذْبِ!
وَحَسْبُكَ بِادِّيرِ الْعَذَارَى قَلِيلُ مَا * يَحْتِجُ بِمَا تَحْوِيهِ مِنْ طَيْبَةِ قَلْبِي!
كَدَبْتُ الْهَوَى إِنْ لَمْ أَقِفْ أَشْتَكِي الْهَوَى * إِلَيْكَ وَإِنْ طَالَ الْوُقُوفُ عَلَى صَحْفِي!
وَعُجْتُ بِهِ وَالصُّبْحُ يَنْتَهَبُ الدُّجَى * بِأَضْوَانِهِ، وَالنَّجْمُ يُرْكُضُ فِي الْغَرْبِ.
أَصَانِعَ أَطْرَافِ الدُّمُوعِ بِمُفْلَاةٍ * مُؤَفِّرَةٍ بِالْدمْعِ عَرَبًا عَلَى غَرْبِ.
وَهَلْ هِيَ إِلَّا حَاجَةٌ قَضَيْتْ لَهَا * وَلَوْ تَحْمَلْنَاهُ فِي طَاعَةِ الْحَبِّ؟



قال الخالدي: وأنشدني بحظفة لنفسه:

قَالُوا: قَبِصُكَ مَغْمُورٌ بِأَنْارٍ * مِنَ الْمَدَامَةِ وَالرَّيْحَانِ وَالْقَارِ!
فَقُلْتُ: مَنْ كَانَ مَاوَاهُ وَمَسْكَنُهُ - دَيْرَ الْعَذَارَى لَدَى حَانُوتِ نَحَارِ،
وَسَادَهُ يَدُهُ وَالْأَرْضُ مَفْرَشُهُ، * لَا يَسْتَطِيعُ لِسُكْرِ حَلِّ أَزْوَارِ،
لَمْ يُنْكِرِ النَّاسُ مِنْهُ أَنْ حُلَّتْهُ * خَصْرَاءُ كَالرُّوضِ أَوْ حَمْرَاءُ كَالنَّارِ!

(١) في الأصل: أهلكتها.

(٢) المعان المباءة والمنزل - (قاموس).

وقال : وللصنوبرى فيه :

أقولُ لمُشيه العذراءُ حسًّا : * علامَ رَعَيْتَ فى دَيْرِ العَدَارَى ؟
وما وَحَدَى أَعَارُ عليه ، لَكِنْ * جَمِيعُ العَالَمِينَ مَعِيَ غَيَارَى !

ولابن فيروز البصير فيه :

• وروصة هُوَ قد جَعَلَتْ ثَمَارَهَا * بِدَيْرِ العَدَارَى بَيْنَ رَوْضٍ وَأَنْهَارِ .
تَحَالُ بِهَا وَجْهَ المَدِيرِ وَكُتْلَهُ * هِلَالًا وَشَمْسًا بَيْنَ أَنْجَمٍ نَوَارِ .
يَطُوفُ بِأَبْرِيقِ مُقَدَّى كَرَامَةٍ * عَلَيْنَا بِأَسْمَاعٍ كَرَامِ وَأَبْصَارِ .
كَأَنَّا لَهُ زُغْبُ المِرَاحِ بِقُوَّتِهَا * بِمِثْلِ مُدَابِ التَّبَرِّ مِنْ شَطْرِ مَنَافِرِ .

قال الخالدي : وهذا حسنٌ بدیع .

• وحكى الجاحظ قال : زعم فتیان من تَغَلَّبَ أَنَّهُم أَرَادُوا قَطْعَ الطَّرِيقِ عَلَى قَقَلٍ ، بَلَنَهُمْ
أَنَّهُ يَمُزُّهُمْ قَرِيبَ دَيْرِ العَدَارَى . ثم جَاءَتْهُمْ الْعَيْنُ بِأَنَّ السُّلْطَانَ قَدْ عُرِفَ بِهِمْ وَأَقْبَلَ
فِي طَلَبِهِمْ . قال : فَاحْتَمَيْنَا فِي الدَّيْرِ ، فَلَمَّا أَمِنَّا ، قَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ : مَا يَمْنَعُنَا أَنْ نَأْخُذُوا
الْقَسَّ نَقْشُدُوهُ وَنَأْكُلَهُ ثُمَّ يَخْلُوكُلْ وَاحِدٌ مِنْكُمْ بِوَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الْأَبْكَارِ ، فَإِذَا طَلَعَ
الْحَجَرُ تَقَرَّمَا فِي الْبِلَادِ ؟ وَكَأَنَّ جَمَاعَةً بَعْدَ الرَّاكِبَاتِ اللُّوَانِي كَمَا نَظُنُّنَ أَبْكَارًا ، فَوَجَدْنَاهُنَّ
كُلَهُنَّ ثِيَابٍ ، وَقَدْ آتَفَضْنَهُنَّ الْقَسُّ . فقال بعضنا :

١٥

وَدَيْرِ العَدَارَى فَصُوحٌ هُنَّ ، * وَعِنْدَ اللُّصُوصِ حَدِيثٌ عَجِيبُ .
خَلَوْنَا بِعَشْرِينَ دَيْرِيَّةً * وَنَيْلُ الرَّاكِبِ شَيْءٌ غَرِيبُ .
إِذَا هُنَّ يَهْمَزْنَ رَهْزَ الظَّرَافِ ، * وَبَابُ الْمَدِينَةِ فَجٌّ رَحِيبُ .

لقد بات بالدير ليل التمام * نساءً وساعً ونيل صليب.
وللقس حرً يبيض السواد * ووجد يدً عليه الحبيب.
وقد كان غيراً لدى عانة * فصب على العير لث غصوب.

وفيه يقول بعض القطاع أيضاً، من كلمة له :

وألوط من راهب يدعى * بات النساء عليه حرام.
يحرّم بيضاء ممكورة^(١) * ويغنيه في البضع عنها الغلام.
إذا مامش غص من طرفه * وفي الدير بالليل مه عرام.
ودير العذارى فضوح لمن * وعند اللصوص حديث تمام.

وقيل في راهبة فيه :

يا أيها القمر المنير الزاهر * المشرق الحسن المضي الباهر !
أبلغ شيبتهك السلام، وهتها * بالنوم، وأشهد لي بأنى ساهر !

دير الباعوث^(٢) . وهو على شاطئ الفرات، من جانبها الغربي . في موضع نزيه .
وكانت الحارة قليلة حوله . وله خفر من الأعراب . وله مزارع ومباقل وجنّينات .

(١) الممكورة المستديرة الساقية حديثها . | أطر اللسان | .

(٢) في الأصل بالعين المهملة . ولم يذكره الشاذلي ، وأما ياقوت فقد سماه "دير باعوث" بالمعجمة وبدون
أداة التعريف ، وأقتصر على القول بأنه "دير كبير كثير الرهبان على شاطئ دجلة بين الموصل وحريرة أبر
عمر" . (ج ٢ ص ٦٤٦) وفي شرح القاموس في مادتي (ب ع ث ، ب ع ث) أن الباعوث عبد للصاري
ويقال به باعوثاً ، وأن الباعوث استسقاء الصاري وهو أسم مرياني ، وقيل هو بالعين المعجمة والثاء المقوطة
موتها قتلان . | والجاري على ألسنة الشوام في هذه الأيام "الباعوث" لعبد مشهور عنهم بصاحي المعروف

في مصر أسم "شم السيم" . |



و في هيكله صورة دقيقة الصنعة عجيبة الحُسن ، يقال إن لها مئين سنين ، لم تتغير
أصباغها ، ولا حالت ألوانها . قال المنيجي : آحَرْتُ بِدِيرِ الْبَاعُوثِ هَذَا وَاسْتَحْسَنُتُهُ
وَاسْتَطَبَبْتُهُ ، فَلَوْلَا الْوَطَنُ لَأَسْتَطَبَبْتُهُ . وَرَأَيْتُ فِي رُهْبَانِهِ غُلَامًا كَمَا عَدَرْتُ قَدْ تَرَهَّبَ .
لَخَاطَتُهُ وَإِذَا بِهِ أَحْلَى النَّاسِ أَلْفَاظًا عَلَى لُغَتِهِ فِيهِ تَجَمُّعُ السِّينِ ثَاءً . فَشَدَيْتُ سُمَارِي^(١)
إِلَى حَانِطِ الدَّيْرِ . وَاشْتَرَيْتُ شَرَابًا مِنَ الرُّهَانِ . وَبِتُّ هُنَاكَ مَنَادِمًا لِذَلِكَ الْغُلَامِ .
فَلَمَّا أَرَدْتُ الرَّحِيلَ قَالَ : أَتَنْصَرِفُ مِنْ عِنْدِنَا وَأَنْتَ شَاعِرٌ وَلَمْ تَقُلْ فِينَا شَيْئًا ؟ فَقُلْتُ :
بَلَى ، وَاللَّهِ قَدْ قُلْتُ ! وَأَنْشَدْتُهُ :

بَا طِبَبَ لَيْلَةً دِيرَ مَرِّ بَاعُوثِ ! * فَسَفَاهَ رَبُّ الْعَرْشِ صَرْفَ غُبُوثِ !
وَمُورِدَ الْوَجَانِ مِنْ رُهْبَانِهِ * هُوَ يَنْهَمُ كَالْفُلْجِيِّ بَيْنَ لُبُوثِ ،
حَاوَلْتُ مِنْهُ قُبْلَةً فَاجَانِي ، * بِأَحْسَنَ ذَا التَّذْكِيرِ وَالنَّائِيثِ !
حَتَّى إِذَا مَا الرَّاحُ سَهَّلَ حَنَّتْهَا * مِنْهُ الْعَسِيرَ بِرُطْلِهِ الْمَخْثِ !
بَاتُ الرِّضَا وَبُلْغَتِ قَاصِبَةُ الْمُنَى * مِنْهُ بَرَّغَمُ رَقِيبِهِ الدَّيُوثِ !
وَلَقَدْ سَلَكَتُ مَعَ الْمَصَارِي كُلَّ مَا * سَلَكَوْهُ غَيْرَ الْقَوْلِ بِالنَّثِيلِ !

دِيرُ السُّوسِيِّ^(٢) - وَهُوَ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ سُرٌّ مِنْ رَأْيٍ ، وَمِنْهُ أَرْضُهَا . فَابْتَدَأَهَا
الْمُعْتَصِمُ مِنْ أَهْلِهِ .

دِر السوسى

(١) الشُّبَّارِيَّةُ : هِيَ سَبِيْعَةٌ كَانَتْ تَعْمَلُ فِي الْعِرَاقِ لِلْبَهَةِ وَالْحَلَاةِ ، مِثْلَ الدَّهْيَةِ فِي وَادِي الْبَيْلِ . وَفَدَّ
يَرُدُّ سَمِيَّهَا كَثِيرًا فِي كُتُبِ الْأَدَبِ . وَلَكِنْ الْبَدِيءُ ذَكَرَهُ تَابِعَ الْعُرُوسِ فِي اسْتِدْرَاكِهِ هُوَ السَّيْرِيَّةُ فَقَطْ . وَقَالَ
بُحَارَى صَرَبٌ مِنَ الْعَرَبِ وَفَدَّ اسْتَعْمَلَ آسَ فَضَّلَ اللَّهُ هَذَا الْفَلَقَ الْأَخْبَرُ آسَاءَ كَلَامِهِ الْإِنِّي عَلَى دِيرِ شَوَيْ .

(٢) مَر - مَار = قَدِيصٌ (٣) فِي يَاقُوتٍ صَوَّبَ .

(٤) اقْتَصَرَ يَاقُوتٌ عَلَى قَوْلِ كَلَامِ اللَّادِي أَنَّهُ "دِيرُ مَرِّجٍ سَاءَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ السُّوسِ وَسَكَهُ هُوَ وَرَهْطَانُ
مَعَهُ ، مَسَى بِهِ ، وَهُوَ سَوَاحِي سُرٍّ مِنْ رَأْيٍ ، بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ" ثُمَّ أَوْرَدَ آيَاتِ ابْنِ الْمَعْرُوفِ ، حَسْبَ حَوَاتٍ
فِي رِوَايَةِ آسَ فَضَّلَ اللَّهُ (أَعْلَى مَعْرِ الْأَدَاءِ ح ٢ ص ٦٧٢) ، وَأَطْرَفَ الْبَكْرِي فِي مَعْجَمِهِ مَا اسْتَعْمَلَ (ص ٣٧٨) .

حكى أحمد بن أبي طاهر، قال: قصدت بُسرَّ من رأى رائداً بعض كبارها بشعر
مدحته به، فقبلني وأجرل صِلَتي، ووهب لي علماً رومياً حسن الوجه، فسرتُ أريد
بغداد. فلما سرت نحو فرسخ، أخذتنا السحاب، فعدلت إلى دير السوسى لنقيم فيه
إلى أن يخف المطر. فأشدت القطر وجاء الليل. فقال الراهب الذى هو فيه: أنت
العشة بائث هنا، وعندى شراب جيد، فخبثتُ تقصف ثم تبرك. فبتُ عنده. فأخرج
لي شراباً جيداً، ما رأيتُ أصفى منه ولا أعطره. وبات الغلام يسقيني، والراهب نديمى،
حتى مت سكرًا. فلما أصبحت رحلتُ وقلتُ

❦

سَقَى سُرَّ مَنْ رَى وَسُكَّانَهَا : وَدِيرًا لِسُوسِيهَا الرَّاهِبُ !
فَقَدِيتُ فِي دَيْرِهِ لَيْلَةً * وَبَدَرْتُ عَلَى غُصْنٍ صَاحِي !
غَزَالٌ سَقَانِي حَتَّى الصَّبَا * جَ صَفَرَاءُ كَالذَّهَبِ الدَّائِبِ .
سَقَانِي الْمُدَامَةَ مَسْتَقِظًا * وَنِمْتُ وَنَامَ إِلَى جَانِي .
وَكَانَتْ هِنَاةٌ لِي الْوَيْلُ مِنْ * جَنَاهَا الَّذِي حَطَّه كَاتِي !

١٠

وقد ذكره أبو الفرج، وأنشد فيه قول ابن المعتز:

بِأَيَّالِي بِالْمَطِيرَةِ وَالْكُرْ * خ وَدِير السُّوسِيَّ، بِاللَّهِ عَوْدِي !
كَنتَ عِنْدِي أُمُودَجَاتٍ مِنَ الْجَنَّةِ، لِكِنِّهَا بغير خُلُود !
أَشْرَبُ الرَّاحَ وَهِيَ تَشْرَبُ عَقْلِي ، . وَعَلَى ذَاكَ كَانَ قَتْلُ الْوَلِيدِ .

١٥

دير عبدون^(١) - وهو بُسرَّ من رأى إلى جانب المطيرة. قال : وسمي دير عبدون
لكثرة المسمم عبدون - أخى صاعد [بن مخلد] - به . وكان عبدون نصرانيا .

(١) أنظر الكرى في معجم ما استمع (ص ٣٧٤) : وأطهر ياقوت (ح ٢ ص ٦٧٨) .

وأسلم أخوه صاعد على يد الموفق الناصر . فاستوزره^(١) وبلغ معه المبالغ العظيمة .
وحكى البحرى أنه كان مع عبدون في هذا الدير في يوم فصيح، ومعه ابن خرداذبة .
قال البحرى فأنشدته قصيدتي التي مدحته بها، وأوتىها :

لأجديد الصبي ولا ريعانه * راجع بعد ما تفضى زمانه !

فأمر لي بساتحي ديار، وثياب نحر، وشهري^(٢) بسرجه ولبامه . وأخوه حينئذ مع
الموفق في قتال العلوي البصري . فسر بذلك وقال لي : يا أبا عبادة ! قل في هذا
شعرا أنفذه إلى ذي الوزارتين ، يعني أخاه ، وكان لقب بهذا . فقلت :

ليكتنقك السرور والفرح ! * ولا بقتك الإبريق والقدح !

فتح ونضح قد وافيأك معاً : فالفتح قمرى ، والفصح يفتح .

فأنتم سليم الأقطار تغتبق الصهء من دنها وتضطبح !

فإن أردت اجتراح سيئة ، * فيها لها السيئات تجرح !

وأقمتا يوماً إلى الليل . وخلع على ابن خرداذبة وحمله وأنصرفنا .

وأشد الخالدي قول ابن المعتز فيه :

سقى الخزيرة ذات الظل والشجر * فدير عبدون هطال من المطر !

(١) هذه البيات إلى ما واردة في ياقوت مع اختلاف في اللفظ قليل . وقد أورد فيه قصيدة لأن المعتز
ليست عند أسهل الله (أطرم معجم البلدان ح ٢ ص ٦٧٨) وقد ذكر ياقوت ديلاً آخر بهذا الاسم
وقال أنه "قرب جريرة أس عمره ويهها دحلة ؛ وقد نرب الآن . وكان من أحسن مترهاها" .

(٢) الشهرة بالكسر ضرب من البرادين وهو بين البردون والمقرف من الحيليل أو بين الرمكة والفرس
العتيق وحمه شبار ، (تاج) .

دِير زَكِّي . وهو قريب البليخ والقرات . في أثره البقاع ، بين بسابن وأنهار
وقلال وضياح .

وحكى عن الحسين بن يعقوب أنه قال : صرْتُ إلى الرُّها ، فبِتُّ بها . وخرجت
قبل عيد الصليب بيوم . فإذا لدينا وجوهٌ حسَنٌ من نصرانيات خرجن لبعدهن ،
عليهنَّ جُيْدُ الثياب وفانرجوهر ، وإذا روائح المسك والعنبر قد طُيِّبَ الهواء منها ،
وقد فُرشَ لهنَّ على العجل وهو يُجَرَّ بهنَّ ، وأناريات على الشَّهاري الخراسانية والبغلات
المصرية والحمر القُرَّة ومشاة ، وفي خلال ذلك صباؤٌ ما رأيت أحسن منهم وجوها
وقدودا وثيابا . فتاملت منظرا لم أر أحسن منه قط . وإذا هم يطلبون دِير زَكِّي
لعيِّدوا فيه .

قال الخالدي : وإلى جانبه قرية تعرف بالصالحية ذات قصور ودهر . وفيها
يقول بعض الشعراء :

قُصورُ الصالحيةِ كالْعَذاري * لَيْسَنَ حُلِيِّنَّ لِيَوْمِ عُرْسٍ .
تُقَنَّعُها الرِّياضُ بِكُلِّ نَوَّرٍ . وتُضَحِّكُها مطالعُ كُلِّ شَمْسٍ .

(١) يكتون أيضا : دِير زَكَّا . وأطر الطبرى (سلسلة III ص ١٧٩٢) ؛ وآثر الأثير (ح ٥

١٥ ص ٢١٥) ؛ ومعجم ما أستعجم (ص ٣٧١ و ٣٧٧) ، وخصوصا ياقوت (ح ١ ص ٦٦٧ ح ٢

ص ٦٦٤ ح ٣ ص ٣٦٣ ح ٤ ص ٨٦٢ و ٩٩٤) ؛ والشاشي (ورقة ٩٥) .

(٢) في الاصل : منه .

وفيه قال الصنوبري :

إني طَـرِبْتُ إلى زِينُونِ بِطَيَّاسٍ * فالصالحِيَّةِ ذاتِ الْوَرْدِ وَالْآسِ !
وَصَفُّ الرِّياضِ كَعَافِي أَنْ أَقِيمَ عَلَى * وَصَفِ الطُّلُولِ ، فهل في ذاك من بَاسِ ؟
وقائل لي : أَفِقْ يَوْمًا ! قَلْتُ لَهُ ، * مِنْ سَكْرَةِ الْحُبِّ : أَوْ مِنْ سَكْرَةِ الْكَاثِ ؟
قُلْ لِلذِّى لَمْ فِيهِ : هَلْ تَرَى كَلْفًا * بِأَمْلَحِ الرُّوضِ إِلَّا أَمْلَحَ النَّاسِ ؟

❦

وفيه قال أيضا :

الصالحِيَّةِ مَوْطِنِي * أَبْدَا . وَبَطَيَّاسٌ قَرَارِي .
مَنْ فَوْقَ غُذْرَانٍ تَفِيْتُضُ وَيَنْ أَنْهَارِ جَوَارِي .
وَمُدَامَةٍ بُزِلَتْ فَأَشْدَّ بِهِ قَتْلَهَا قَتَلَ السَّوَارِ .
يَا لَأَمْسَى مَا الْعَارُ عَا . رُكْ ! فَاْمُضْ ! عَنِّي الْعَارُ عَارِي !
لَمْ نَفِي عَلَى مَلُوءَةِ الْأَصْدَاغِ مُسَبَّلَةِ الْإِزَارِ !
قَدْ فَضَّضْتُ بِالْيَاسِمِينَ وَنُعْتُتُ بِالْجُلْنَارِ .

وفيه قال :

حَبَّذَا الْمَرْحَ ! حَبَّذَا الْعَمَرَ ! لَا بَلْ * حَبَّذَا الدَّيْرَ ! حَبَّذَا السُّرُوتَانِ !
قَدْ تَجَلَّى الرَّبِيعُ مِنْ حُلِّ الرَّمَرِّ وَصَاغَ الْحَمَامُ طِيبَ الْأَغَانِي .
زُبْنَتْ أَوْجُهُ الرِّبَاضِ فَانْصَحْتُ وَهِيَ تُرْهِى عَلَى الْوُجُوهِ الْحَسَانِ .

(١) في الأصل طيَّاس بالون وقد ذكره ياقوت في حرف الباء .

(٢) لعلها : المرح .

أخضر اللون كالزبرجد في أحمر صافي الأديم كاليفيان.
وبهار مثل الزناير محفو * ف بزهر الخيزي والحودان.
سقياني بكل لون من الرا * ح على كل هذه الألوان!

وفيه يقول الصنوبري أيضا من قصيدة:

أراق سحابة بالرقسين * جنوبي صُوب الجانيين ،
وأهدى للرصيف رصيف مُزِن * يعاوده طرير الطرئين .
نضاحكما الفرات بكل فج * فتضحك عن نضار أولجين .
كأن عناق نهرى دبرزكي * إذا اعتنقا عناق ميمين .
أفاما كالسوارين ، استدارا ، على كفيه أو كالدملجين ،
ويأسفن الهرات بحيث تهوى * هوى الطبرين الجلهتين .
تطارد مميزات مديرات * على عجل تطارد عسكرين .
ترانا واصلين كما عهدنا * وصالا لا تنقصه بين
ألا باصاحبي خذا عاتى * هواي! سلبتما من صاحبي!
وكان اللهو عندي كإن أمي ، فصرنا بعد ذاك لعلتين!

وله أيضا من أخرى:

ياندبى أما تحش إلى الفصنف ، فهذا أوائل يبدو الحنين
ما ترى جانب المصلى وقد أشرف منه ظهوره والبُطون
أسرجت في رياضه سرج القطر وطابت سهوله والحزون .
إن آذار لم يذر تحت وجه الأرض شيئا أكنه كأثوث!

وَكَاثُ الْقُرَاتِ بَيْنَهُمَا عِشْتُنُ الْجَيْنِ يَوْمُ فِيهَا السَّعِينُ،
 كَبُطُونِ الْحَيَاتِ أَوْ كُتُونِ السَّمَشْرِ قَاتِ، أَخْلَصَتْهَا الْقُبُونُ.
 كَمْ غَدَا نَحْوِ دِيرِ زَكَّى مِنْ قَلْبِ صَحِيحٍ فَعَادَ وَهُوَ حَزِينُ!
 لَوْ عَلَى الدَّيْرِ عُجَّتْ يَوْمًا، لَأَلْهَتُنْكَ فُنُونُ وَأَطْرَبَتْكَ فُنُونُ!
 لَا نَمِي فِي صَبَاحِي قَدْ كَ مَهْلًا * لَا تَلْمِئِي . إِنْ الْمَلَامَ جُنُونُ!

ولأبي بكر المعوج فيه من فصيده :

مَا تَرَى الدَّيْرَ؟ مَا تَرَى أَسْفَلَ الدَّبْشَرِ، وَقَدْ صَارَ وَرْدَةً كَالدَّهَانِ ؟
 لَوْ رَأَى النَّعْمَانُ، شَقَّ عَلَيْهِ . مَا يَرَى مِنْ شَقَائِقِ النَّعْمَانِ !

(١٩٤)

قال الخالدي عن الزهراوى، قال : كان بالموصل جارية مغنية، لُقِّبَتْ بالدَّيْرِ، وكان
 لها ابن عم يعشقها . ففطرته يوما زائراً، فاحتجب عنى، وعرف ان عمه المغنية
 المعروفة بالدَّيْرِ، وقد خلاها . فكتبت إليه .

قَدْ عَلِمْنَا بِأَنْ مَثَوَاكَ بِالْدَّبْشَرِ، فَعِيشَا فِي عِبْطَةٍ وَأَمَانِ !
 تَتَفَقَّحُ طَوْرًا وَتَسْمِيكَ طَوْرًا . وَتُلَاقِي لِلسَّوَةِ السَّوَاتِ .
 ثُمَّ أَتُسَدُّ إِذْ سَمِعْتَ نَحِيرًا كَنَخِيرِ الرُّعُودِ فِي نَيْسَابِ :
 "مَا تَرَى الدَّيْرَ؟ مَا تَرَى أَسْفَلَ الدَّبْشَرِ، وَقَدْ صَارَ وَرْدَةً كَالدَّهَانِ ."

قال الخالدي : "وهذا التضمين حسنٌ، واقع في موقعه، متمكن في مكانه. وهكذا
 سبيل مثله أن يكون البيت المضمَّن كأنه من الشعر المضَاف إليه". قلتُ : بشرط نقله
 لمعنى آخر غير ما أراد به ناظمه، وإلا فتركه التضمين أولى، إذا كان بمعنى الأول.

وقد ذكره أبو الفرج وقال: ومن ذكره هارون الرشيد . فقال في بعض عزوانة ،
وقد خلف جارية كان يحبها هناك :

سلامٌ على النَّازِحِ المغْتَرِبِ! * نَحْيَةً صَبَّ بهِ مُكْتَلِبُ!
غَزَالُ مَرَاتِقِهِ بِالْبَيْخِ * إِلَى دِيرٍ زَكَّى فَقَصَّرَ الخَشْبُ!
أَيَّامَنْ أَعَانَ عَلَى نَفْسِهِ * بِتَخْلِفِهِ طَائِعًا مَنْ أَحَبَّ!
سَاسْتُرُهُ، وَالسُّتْرُ مِنْ شَيْتَانِي * هَوَى مِنْ أَحَبِّ لِمَنْ لَا أَحْتُ.
فال : ويقال إنه قالها في ديرية رآها في دير زكّي ، وهو يها .

دير القائم الأقصى^(١) - وهو على شاطئ الفرات، من جانبه العربي في طريق در القائم الأنصى
الرّقة. قال أبو العرج : وقد رأيته ، وهو مرقبٌ من المراقب التي كانت بين الروم
والفرس ، على أطراف الحدود^(٢) .

وقال إسحاق الموصلي : لما خرجنا مع الرشيد إلى الرقة ، مررنا بالقائم وعده الدير .
فاستحسن الرشيد الموضع . وكان الوقت ربعا ، وكانت تلك المروج مملوءة بالشفائق
والزهر . فشرّب على ذلك ثلاثة أيام . ودخلت الدير أطوف فيه ، فرأيت ديرية ،
حين نهّد ثديها ، عليها المسوح ، مارأيت أحسن من وجهها وجسمها . وكأنّ تلك
المسوح عليها حتى . فدعوت بنبيذ وشربت على وجهها أفداحا . وفلت :

(١) سماء الطري وياقوت دير القائم (أطرا الأول في سلسلة III ص ٦٧٠ والثاني ج ٢ ص ٦٨٤)
ثم أنظر معجم ما استعجم (ص ٣٥٩) .

(٢) أورد ياقوت هذه البيانات دون ما يليها مع زيادة طبيعة في التعريف بالمرف وأسمها بالآيات
الثلاثة دون قصتها وقال إنها "لعمد الله بن مالك المعنى" وقال الخالد "هو لإسحاق الموصلي" . (أطرا ص ٦٨٤)
البلدان ج ٢ ص ٦٨٤) . وأما في الشاشي الذي بأيدينا فلم يرد فيه ذكر هذا الدير .

يَذِيرُ الْقَائِمِ الْأَفْصَى * غَزَالُ شَادِنٍ أَخْوَى!
 بَرَى حُبِّي لَهُ جِسْمِي * وَلَا يَذِيرِي بِمَا أَلْفَى!
 وَأَكْتُمُّ حُبَّ جَهْدِي * وَلَا وَاللَّهِ مَا يَخْفَى!

ثم دعوت بالعود ، فغيت في الدير صوتا مليحا ظريفا . وما زلت أكرره وأشرب
 وأنظر إليها ، وهي تصحك من فعلى حتى سكرت . فلما كان من الغد ، دخلت على
 الرشد ، وأنا ميت من السكر . فقال لى : أين شرب ؟ فأخبرته القصة . فقال : طيب
 وحياتي ! ودعا بالشراب فشرب . فلما كان العشي ، قال : قم بنا حتى أتكر وأدخل إلى
 صاحبك هذه وأراها . فقممت معه وتلثم ودخل الدير فرأها وقال : مليحة والله ! وأمر
 من جاءه بكأس وخرّادى . وأحصرت عودى فغنته الصوت الذى صنعته ثلاث
 مرات . وشرب عليه ثلاثة أوطال . ثم خرج وأمر لى بثلاثين ألف درهم . فقلت :
 ياسيدتى ، وصاحبة القصة ؟ أريد أن يبين عليها أنزى . فأمر لها بمجسة آلاف درهم ،
 وأمر بأن لا يؤخذ من مزارع ذلك الدير خراج . وأقطعهم إياه وجعل عليه عن
 الخراج عشرة دراهم فى كل سنة ، تؤدى ببغداد .

دير حزقيال - قال شريح الخزازى : أجرت بدير حزقيال . فبينا أنا أدور فيه ،
 إذا بسطرين مكتوبين على أسطوانة . فقرأتها ، فإذا هما :

رَبِّ آيِلْ أَمْدٌ مِنْ نَفْسِ الْعَا * شِقِّ طُولًا ، قَطَعْتُهُ بِاتِّعَابِ !
 وَبِعِمْ بَوَصِلْ مَنْ كُنْتُ أَهْوَى * قَدْ تَبَدَّلْتُه بِبُؤْسِ الْعِتَابِ !



(١) الحرداذى الحمر . وقد أهمله فى الأصل والصواب اعماه (أطرق القاموس) .

(٢) أنظر البكرى (ص ٣٧٨) ، دياقوت (ج ٢ ص ٦٥٤) .

نَسَبُونِي إِلَى الْجُنُونِ لِيُخَفُوا . مَا بَقِيَ مِنْ صَبْرٍ وَكِتَابٍ .
لَيْتَ بِي مَا ذَعَوْهُ مِنْ فَقْدِ عَقْلِي . فَهُوَ خَيْرٌ مِنْ طُولِ هَذَا الْعَذَابِ !

وتحتته مكتوب : "هَوَيْتُ مُنْعَتُ، وَطُرِدْتُ وَشُرِدْتُ، وَفُوقَ بَنِي وَبَيْنَ الْوُطْنِ،
وُحِبْتُ عَنْ الْإِلَافِ وَالسَّكَنِ، وَحُبِسْتُ فِي هَذَا الدَّيْرِ [ظَلَمًا وَ] عَدُوًّا، وَصُفِّدْتُ
فِي الْحَدِيدِ زَمَانًا،

وَلَيْتَ عَلَى مَا نَانِي وَأَصَابَنِي . لَنُؤْمِرَ بَاقِيَّ عَلَى الْحَدَنَانِ !
فَإِنْ تُعْقِبِ الْأَيَّامُ أَنْظَرُ بَيْعَتِي ! . وَإِنْ أَتَوَلَّى يَرِمُ بِي الرَّجْوَانِ !
فَكَمْ مَيِّتٍ هُمَا بَظِيفٍ وَحَسْرَةٍ . صَبْرٌ لَمَّا يَأْتِي بِهِ الْمَلَوَانِ !"

فَدَعَوْتُ بِرَقْعَةٍ، وَكُتِبَتْ ذَلِكَ، وَسَأَلْتُ عَنْ صَاحِبِهِ، فَقَالُوا : رَجُلٌ هَوَى أَبْنَةَ
عَمِّ لَهُ . حُبِسَ عَمَّهُ فِي هَذَا الدَّيْرِ، وَغَرِمَ عَلَى ذَلِكَ جَمْلَةً لِلْسلْطَانِ خَوْفًا أَنْ تَقْتَضِعَ
أَبْنَتَهُ . ثُمَّ مَاتَ عَمَّهُ . فَوَرِثَهُ، هُوَ وَأَبْنَتُهُ، وَجَاءَ أَهْلُهُ فَأَخْرَجُوهُ وَتَزَوَّجَ أَبْنَةُ عَمَّهُ .^(١)

دِير مَاسَرَجَس - قَالَ أَبُو الْفَرَجِ : لَمْ يَذْكُرْ أَيْ دِيَارَاتِهِ ؟ وَلَهُ عِدَّةُ دِيَارَاتٍ .
مِنْهَا دِيرٌ بِأَزَاءِ الْبَرْكَانِ، فِي ظَهْرِ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا كَاذَةٌ .^(٢)
^(٣)

حُكِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الرَّبِيعِيِّ قَالَ : دَخَلْتُ - أَنَا وَأَبُو الْمَصَرِّ الْبَصْرِيَّ، مَوْلَى بَنِي جُبَحٍ -
بَيْعَةَ مَاسَرَجَسَ . وَقَدْ رَكِبْنَا مَعَ الْمُعْتَمِرِ، نَنْصِيدُ . فَوَقَفْتُ أَنْظُرُ إِلَى جَارِيَةٍ كُنْتُ

(١) هذه البيانات كلها واردة في ياقوت مع زيادة قاله في الألفاظ وقد وهم ما به في ضبط بعض

الكلمات (ج ٢ ص ٦٥٤) .

(٢) أنظر البكري (ص ٣٧٥) .

(٣) في الأصل بالإهمال . ومن على إغماها ياقوت .

أهواها، وجعل هو ينظر إلى صورة في البعثة، استحسناها حتى طال ذلك . ثم قال أبو النصر :

مَتَنَا صُورَةً فِي بَيْعِهِ ! * فَتَنَ اللَّهُ الَّذِي صَوَّرَهَا !

زَادَهَا الْبَاقِشُ فِي تَحْسِينِهَا * فَضَلَ حُسْنِي ، إِنَّهُ نَصَّرَهَا !

وَجْهَهَا لِأَشْكَ عِنْدِي فَتَنَةٌ * وَكَذَا هِيَ عِنْدَ مَنْ أَبْصَرَهَا !

أَنَا لِلْقَسِّ عَلَيْهَا حَاسِدٌ . * لَيْتَ غَيْرِي عَبَّأَ كُفَّهَا !

(١٩٧)

قال ، هل : له شتان ما بيدينا ! أنا أهوى بشرا، وأنت تهوى صورة ! قال لي : هذا عبثٌ ، وأنت في جدّ .

قال حماد ، وعنى عبد الله بن العباس في هذا الشعر عناء حسنا ، سمعته منه ، فنسبه إليه لكثره شعره في امرأة كان يهواها .

١٠

دير الروم - وهو بأرض بغداد ، قال الشافعي : كان مدرك بن علي الشيباني يطرقه في الآحاد والأعياد . فنظر من فيه من المردان ، والوجوه الحسنان . وله به :

وَحَوْهُ بَدِيرُ الرُّومِ قَدْ سَلَبَتْ عَقْلِي * فَأَصْبَحْتُ فِي بُؤْسِ شَدِيدٍ مِنَ الْخَبْلِ !

فَلَمْ تَرَ عَنِّي مَمْطَرًا مِثْلَ حُسْنِهِمْ * وَلَمْ تَرَ عَيْنٌ مُسْتَهَامًا بِهِمْ مِثْلِي !

١٥

وحكى عن جساس بن محمد قال : كان بدير الروم غلام من أولاد النصارى ، يقال له عمرو بن يوحنا . وكان من أحسن الناس صورة وأكملهم خلفا . وكان مدرك بن علي يهواه . وكان من أفاضل أهل الأدب . وكان له مجلس تجتمع به الأحداث لا غير .

فإن حضره ذولحية، قال له مدرك: إنه يُفج بك أن تختلط بالأحداث، فقم في حفظ الله! فيقوم. وكان عمرو من يحضر مجلسه، فعشقه وهام به. فكتب إليه رقعة، وتركها في حجره. فقرأها فإذا فيها:

يَحَالِسُ الْعِلْمَ الَّتِي . بِكَ تَمَّ جَمْعُ جُمُوعِهَا!
إِلَّا رَزَيْتَ لَمْ تُسَلِّ . غَرِقْتَ بِفَيْضِ دُمُوعِهَا!
يَبْنِي وَيَسْكَ حُرْمَةً . فَاللهُ فِي تَضَامِينِهَا!

٥

فقرأ الأبيات، ووقف عليها من حصر. فاستحيا عمرو، فأقطع عن الحضور. وغلب الأمر على مدرك، فترك مجلسه وتبعه. وقال فيه أشعارا، منها قوله:

بِأَمْنٍ يُرِيدُ وَصَالَنَا وَيُرْدَهُ . مَا قَدْ يَحَادِرُ مِنْ كَلَامِ الدَّاسِ!
صِلْنِي فَإِنْ سَبَقَتْ إِلَيْكَ مَقَالَةٌ . مِنْهُمْ ، فَعَصَّبَ مَا يَفَالُ بِرَأْسِي!

١٠



قال جساس: ثم خرج مدرك إلى الوسواس. فحضرته عائدا في جماعة من إخوانه، فقال: ألسنتُ صدقكم القديم؟ فما فكم أحد يُسعدني بالنظر إلى وجه عمرو؟ قال: فقصيا إليه. وقلنا له: يا عمرو إن كان قتل هذا الرجل ديناً فإن إحياءه لمروءة. قال: فما فعل؟ فلما له: قد صار إلى حالٍ ما نحسبك تلحقه. قال: فنهض معاً. فلما دخلنا عليه، سلم عليه عمرو، وأخذ بيده. فقال: كيف تجدك يا سيدي؟ فظفر إليه، ثم أغشى عليه، ثم أفاق وهو يقول:

١٥

أَنَا فِي عَائِيهِ إِلَّا مِنْ السُّوقِ إِلَيْكَ.
أَيُّهَا الْعَائِدُ، مَا بِي * مِنْكَ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ!
لَا تُعَدِّجْنا وَعَدَّ قَلْبُنا رَهِينَا فِي يَدَيْكَ!
كَيْفَ لَا يَمْلِكُ مِنْ رُبِّ * عِيٍّ بِسَهْمِيَّ مُقْلَبِيكَ!

٢٠

دير الرندورد

دير الرندورد^(١) - وهو بالجانب الشرقي من بغداد، وأرض ناحيته كلها فواكه

وأترج وأعاب، وعنبا من أجود ما يقتصر هناك، ولذا قال أبو نؤاس:

فسقى من كروم الرندورد ضحى . ماء العاقس في ظل العناقيد!

قال الشاشي: حكى' عبدالواحد بن طرخان: قال خرجت إلى دير الرندورد

في بعض أعياده منظرها، ومعنا محطة في جماعة من إخواني . فنزلنا موضعا حسنا . وواقمنا هناك جماعة من طراف بغداد، لجمعهم معشوقات حسان الوجوه والغناء . فاقننا به أباما في أطيب عيش . وقال محطة فيه شعرا، ذكر الدير وطيب الوقت ومن كان معا وغنى فيه لحما حسنا، وهو:

سَقِيًّا وَرَعِيًّا لِدِيرِ الرَّندُورْدِ وما * يَنْجُو وَيَجْعُ مِنْ رَاحٍ وَرَيْحَانٍ!
دَبْرُ تَدُورِ بِهِ الْأَفْدَاحُ مُنْزَعَةً * مِنْ كَفِّ سَاقِ مَرِيضِ الطَّرْفِ وَسَانٍ!
وَالْعُودُ يَتَّبِعُهُ نَائِي يَوَاقِفُهُ . وَالشَّدُو يُحْكِمُهُ غُصْنُ مِنَ الْبَابِ!
وَالْقَوْمُ فَوْضَى تَرَى هَذَا يُقْبَلُ ذَا . وَذَاكَ إِنْسَانُ سَوْءٍ فَوْقَ إِنْسَانٍ!
هَذَا وَدَجَلَةٌ لِلرَّائِينَ مُعْرَضَةٌ * وَالطَّيْرُ يَدْعُو هَدِيْلًا يَنْ أَعْصَانٍ!
تَرْ وَبَحْرُ فَصَيْدِ الْبَرِّ مَسْتَرِبٌ . وَالْبَحْرُ يَسْبَحُ شَطَاءَ بَحْتَاتٍ!
فَمُ صَعِ لَحْمًا وَغَنَى فِيهِ بِشَعْرَلَهُ ٥٥٠ :

١٥

حَلِيلِي! الصُّبُوحُ! دَنَا الصَّبَاحُ! * فَإِنَّ شَمَاءَ مَا تَجِدَانِ رَاحُ!
فَبِهِ نَفْسَةً جَبُّوا قَدِيمًا * عَوَانِهِمْ بَزَجِرٍ فَاسْتَرَا حُوا!

رَأَيْتُ الْغَانِيَاتِ صَدَدَتْ عَنِّي * وَأَعْرَضَتِ الْمُبْتَلَةُ الرِّدَاحُ .
وَقُلْنَ : مُضَتْ بِشْرَتِكَ اللَّيَالِ ! * قَعْلَتْ : نَعَمْ ، وَقَدَرْتُ السَّلَاحُ !

دير دُومَالِس^(١) ، وهو في باب الشَّامِسية . شرقي دجلة . قال الشَّابُشْتِي : وموقعه
في هذا الوقت في طهر القرية التي بناها أحمد بن بويه الدلمى . وهو نزه كثير البساتين
والشجر . وبقربه أجرة قصب . وهو كبير أهل . وهو من البقاع المعمورة بالقصص .
وعبداه أحسن عبد . يجتمع بصاري بغداد فيه . وفيه يقول ابن حمدون القديم :
مَادِرْدُومَالِسَ مَا أَحْسَنَكَ ! . وَيَا غَزَالَ الدَّيْرِ مَا أَفْنَنَكَ !
أَبْنُ سَكَنَتِ الدَّيْرِ فِي أَهْلِهِ ، فَإِنَّ فِي وَسْطِ الْحَشَامِ سَكَنَكَ !

دير سَمَالُو^(٢) ، وهو بالجانب الشرقي من بغداد . على نهر المهدى . وهناك أُرْجِيَّة لُلاء .
وحوله بساتين وأشجار وحل . أهل بن يطرقه من أهل الخَلَّاعة . وفي عبد الصِّضَح
لا يبقى أحد من البصاري ببغداد ، حتى يأتي إليه ، ولحمد بن عبد الملك الهاشمي فيه
شعر ، منه :

وَلَرُبَّ يَوْمٍ فِي سَمَالُوتَمَ لِي * فِيهِ النَّعِيمُ وَغِيَّتْ أُرْجَانُهُ !
حَتَّى حَسِبْتُ لَنَا الْبِطَاطَ سَعِينَةً * وَالْبَيْتَ تَرْقُصُ حَوْلَنَا حَيْطَانُهُ !



قال خالد بن يزيد بن الكاتب : كَسْتُ بِدِيرِ سَمَالُو . فلم أشعر إلا ورسول إبراهيم
ابن المهدى قد وافاني . فذهبت إليه ، فإذا برجل أسود مشفراني قد عاص في الفُرش ،
فاستجلسني . فجلست . فقال : أَنَسَدْنِي شَيْئًا مِنْ شَعْرِكَ ! فَأَنَسَدْتُهُ :

(١) في الأصل دوماles براو بعد الدال . وفي ياقوت والشاشي : درمالس ، بالراء بدل الواو (أنظر الأزل
في ج ٢ ص ٦٦٠ والثاني في ورقة ١) .

(٢) أنظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٧٠ ، ج ٣ ص ١٦٦) ؛ والشاشي (ورقة ٤) .

رَأَتْ مِنْهُ عَيْنِي مَنَظَرَيْنِ كَمَا رَأَتْ . مِنَ الْبَدْرِ وَالشَّمْسِ الْمُصِيبَةِ بِالْأَرْضِ .
 عِشَّةً حَيَاتِي سَوَدَّ كَأَنَّهُ . خُدُودُ أُضِيفَتْ بَعْضُهُنَّ إِلَى بَعْضٍ .
 وَبَاوَلَنِي كُلُّهَا كَأَنَّ رُضَاهَا . دُمُوعِي لَمَّا صَدَّ عَنْ مُقَلِّي عُغْضِي .
 وَوَلَّى، وَفَعَلَ السُّكْرَى فِي حَرَكَاتِهِ . مِنَ الرَّاحِ فَعَلَ الرَّيْحُ بِالْغُصْنِ الْفَضْ .
 فَرَحَفَ حَتَّى صَارَ فِي ثُلَاثِي الْمَصْلَى . ثُمَّ قَالَ : يَا بُنَيَّ ! سُبِّهِ النَّاسُ الْخُدُودَ بِالْوَرْدِ ،
 وَشَبَّهْتَ أَنْتَ الْوَرْدَ بِالْخُدُودِ ! زِدْنِي ! فَأَنْسَدْتَهُ :

عَاتَنْتُ نَفْسِي فِي هَوَا * لَكِ ، فَلَمْ أَجِدْهَا بَقِيْلُ .
 وَأَجَبْتُ دَاعِيَهَا إِلَيْكَ ، وَلَمْ أُحِبْ مَنْ يَعْدِلُ .
 لَا وَالَّذِي جَعَلَ الْوُجُو - هِ الْحُسْنِ وَجْهَكَ تَهْتَلُ !
 لَا قُلْتُ : إِنَّ الصَّبْرَ عَنْكَ مِنَ النَّصَايِ أَجْمَلُ !
 فَرَحَفَ حَتَّى صَارَ حَارِجَ الْمَصْلَى . ثُمَّ قَالَ : رَدْنِي ! فَأَنْسَدْتَهُ :

عَسَّ حُيَيْكَ سَرِيعًا قَاتِلِي . وَالْهَوَى إِنْ لَمْ يَصِلْنِي وَاصِلِي
 طَفِيرَ الْحُبِّ بَقْلِبِ دَنِفٍ . بَكَ وَالسُّقْمُ بِحَسْمٍ نَاحِلِ
 وَبَكَ الْعَاذِلُ لِي مِنْ رَحْمَتِي فَبَكَائِي مِنْ بُكَاءِ الْعَاذِلِ
 فَصَاحَ وَقَالَ : يَا بَلِيقُ ! كَمْ لِي مَعَكَ مِنَ الْعَيْنِ ؟ قَالَ : سِتَائَةٌ وَخَمْسُونَ دِينَارًا .
 قَالَ : أَقْسَمُهَا بِبَنِي وَبَنِيهِ .



وَحِكْيَ الشَّابِئِنِي لِحَالِدِ حِكَايَاتِ ، وَأَنْسَدَ لَهُ شِعْرَاءُ مِنْهُ قَوْلُهُ :

كَيْدُ الْمُسْتَهَامِ كَيْفَ تَذُوبُ * مَا تُفَاسِي مِنَ الْعُيُونِ الْقُلُوبُ ؟
 يَا مَكَانَ الْهَوَى خَلَوْتُ مِنَ الصَّبْرِ ، مَا لِلْسُّلُوفِ نَصِيبُ !

وقوله :

وَلَمْ أَذِرْ مَا جَهْدُ الْهَوَىٰ وَبَلَاؤُهُ * وَشِدَّتُهُ حَتَّىٰ وَجَدْتُكَ قَلْبِي !
أَطَاعَكَ طَرِيقِي فِي فُؤَادِي ، فَخَازَهُ * لَطَرْتُكَ حَتَّىٰ صِرْتُ فِي قَبْضَةِ الْحَبِّ !

دير الثعالب^(١) - وهو في الجانب الغربي من بغداد، بباب الجديد . وهو بمكان
متزه لا يخلو من قاصد وطارق . ولا يتحلف أحد من النصارى عن عيده . فواطه
معموره، وبفاعه مشهوره . ولأبن دهقان فيه شعر ظريف . وهو من ولد إبراهيم بن
محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، وبُكِنِي بأبي جعفر . وأُتْسِدَ له بِمَحْظَةِ :

أَحِينَ قَطَعْتُ لَكَ الْوَصِيلِينَ . وَجُدْتُ عِلْبَكَ وَلَمْ أَجْثَلِ ،
عَدَرْتُ وَأُظْهِرْتَ لِي جَفْوَةً . وَجُرْتَ عَلَيَّ وَلَمْ تَعْدِلِ
أَطْمَعُ فِي آخِرٍ مِنْ هَوَاكَ وَلَمْ تَزَعْ لِي حُرْمَةَ الْأَوَّلِ ١٠

دير مديان^(٢) - وهو على نهر كرخاً ببغداد . وكَرْخَايَا نَهْرٌ يُسْقَى مِنَ الْحَوْثِ الْكَبِيرِ
وَيَمُزُّ عَلَى الْعَاسِيَةِ ، وَيُسْقَى الْكَرْخَ ، وَيَصْبُ فِي دِجْلَةٍ .
وكان قديماً عامراً يصبُّ الماء فيه ، ثم نصب بالشوف^(٣) .

قال الشَّابُئِيُّ : وهذا الدير حسن عامر حوله البسايين . ويُفَصَّدُ للتزهِ . ولأبن
الضحَّاك فيه شعر . منه : ١٥

(١) أطار يافوت (ح ٢ ص ٦٥٠) ، والشَّابُئِيُّ (ورقة ٨) .

(٢) أطار يافوت (ح ٢ ص ٦٩٥) ، والشَّابُئِيُّ (ورقة ١٢) .

(٣) في الأصل : "ثم يصب بالسوق" . وقد صححت بمعونة يافوت فإنه يقول : وكان الماء فيه جارياً
ثم أقطع حريته بالشوف التي أمتحت في العرات .

٢٠٢

دير أشموني

بادير مذبذب لا عُرِيَتْ من سَكْنِي * ما هَجَّتْ من سَقَمٍ ! بادير مديانا !
 هل عِنْدَ فَسَكٍ من عِلْمٍ فُبْخِرَنِي ؟ * أم كيف يُسْعِدُ وَجْهَ الصَّبرِ مَنْ خانا ؟
 سَقِيًّا وَرَعْبًا لَكَ خَافًا وَسَاكِهَا * بين الجُنَيْمَةِ وَالرَّوْحَاءِ مَنْ كانا !
 دير أَشْمُونِي^(١) - وَأَشْمُونِي أَمْرَاهُ بَنَى الدَّيرَ بِاسْمِهَا وَدُفِنْتُ فِيهِ . وَهُوَ يُقَطِّرُ بَلًّا .

قال جَحْطَلَةُ : خرجت في عبد أشموني فلما وصلت الشط، مدت عيني لأنظر موضعا
 حالما أصعد إليه ، أو رجلا أزل عليه . فرأيت قبتين من أحسن مَن رأيتُ . فقدمتُ
 سميرتي نحوهما ، وفلت : أأذنون لي في الصعود إليكما ؟ فقلنا : بالرَّحْبِ والسَّعة !
 فصعدتُ ، وفلت : با علام ! طَبُورِي وَنَيْبَذِي . فقلنا : أما الطُّبُورُ فَنَعَمْ ، وأما البَيْدَا
 فلا . فجلستُ مع أحسن الناس خلقا وأخلافا وعِشْرَةً . فأحدثُ الطنبور وغَنَيْتُ
 سَمِيرِي :
 ١٠

سَمِيًّا لِأَشْمُونِي وَلَدَاتِهَا * وَالْعَيْشُ فِيهَا بَيْنَ حَافَاتِهَا !

إِذْ أَصْطَبَاحِي فِي بَسَانِيهَا * وَإِذْ غُبُوفِي فِي دِيَارَاتِهَا !

فشر بنا بالأرطال ، وطاب لنا الوقت إلى آخر النهار .

قال محمد بن المؤمل : كنت مع أبي العتاهية في سميرته ، ونحن سائرون إلى أشموني .
 ١٥ فسمع غناء من بعض تلك الواحي ، فاستحسنه وطرب له . وقال لي : أتمنحس أن
 ترقص ؟ فقلت : نعم . فقال : فقم بنا نرقص . فقلت : في سميرية ؟ أخاف أن تغرو .
 فقال : إن غرقنا ، أليس نكون شهداء الطرب ؟

دير سَابَر^(٢) - وهو في الجانب الغربي من دجلة ، بين المَرْزُوقَةِ والصَّالِحِيَّةِ .

درسار

(١) أصل ياقوت (ج ٢ ص ٦٤٣) ، والشاشقي (دوق ١٨) .

(٢) أصل ياقوت (ج ٢ ص ٦٦٦) ، والشاشقي (دوق ٢١) .

في بقعة كثرة البساتين والكروم والثمار والحانات والخمارين، معمورة بأهل الطرب .
والدبر حسن عامر، ولا ين الضحك فيه :

وعَوَاتِي بَاشَرْتُ بَيْنَ حَدَائِقِ * فَفَضَضْتُهُنَّ وَقَدْ غَيَّنَ صَحَا حَا .
أَتَبَعْتُ وَخَرَّةَ تِلْكَ وَخَرَّةَ هَذِهِ * حَتَّى شَرِبْتُ دِمَاعَهُنَّ جِرَا حَا .
أُبْرِزْتُهُنَّ مِنَ الْخُدُورِ حَوَاسِرًا * وَتَرَكْتُ صَوْنَ حَرِيمِهِنَّ مُبَا حَا .
فِي دَيْرِ سَابِرٍ وَالصَّبَاحِ يَلُوحُ لِي ، * بَخِمَعْتُ بَدْرًا وَالصَّبَاحَ وَرَا حَا .
وَمَنْعَمٌ نَازَعْتُ فَضْلَ وَشَاحِهِ * وَكَسَوْتُهُ مِنْ سَاعِدَيَّ وَشَا حَا .
فَاذْهَبْ بِطَنِّكَ كَيْفَ شِئْتَ فَإِنَّهُ * مِمَّا أَفْرَفْتُ لَدَا ذِهِ وَجَا حَا .

﴿٢٠﴾

وأورد الشاشيتي في الحمسين بن الضحك أخباراً طرافاً، وأنشد له أشعاراً لطافاً .
١٠ منها :

أَمَا نَاجَاكَ مَالُورَ الْعَصِيحِ * وَأَنْ إِلَيْكَ مِنْ قَلْبِ الْجَرِيحِ
فَلَيْكَ حِينَ نَهَجْرِهِ ضَرَارًا ، * مَنَنْتَ عَلَيْهِ مَالِقَتْلَ الْمَرِيحِ !
بُحْسُنِكَ كَانَ أَوَّلُ حُسْنِ ظَنِّي ، * أَمَا تَنْهَاكَ حُسْنُكَ عَنْ قَبِيحِ
أَلَا يَاعَمْرُو هَلْ لَكَ بِنْتُ كَرَمٍ * هَلُمَّ إِلَى صَعِيَّةِ كُلِّ رُوحِ !
فَقَامَ عَلَى تَحَاذُلِ مُقْلَتَيْهِ : * وَسَلَسَلَهَا كَأَوْدَاجِ الدِّيَجِ .
وَاتَّبَعَ سَكْرَةً سَلَفَتْ بِأُخْرَى ، * وَحَلَّى الصَّخْوَ لِحْزَرِ الشَّحِيحِ .

١٥

وحكى عنه قال : كنا عند المتوكل في يوم بوروز، والهدايا تعرض عليه فيها تماثيل
من عنبر . وكان شفيح الخادم واقفا ، عليه قباء موزد، ورداء موزد، وهو فيهما

من أحسن الناس وجهاً . فجعل المتوكل يدفع إلى شفيح قطعة قطعةً من ذلك العبر،
ويقول : ادفعها إلى حسين، وأغمر يده . فيفعل ذلك . ثم كان آخر ما دفع إلى
وردة حمراء، حيّاني بها . فقلت :

وكالوردة الحمراء حياً بأحمر * من الورد، يسعى في غلائل كالورد!
له عبثاتٌ عند كل تحية * بكفيه تستدعي الخلى إلى الوجد!
تميت أن أسقى بكفيه شربة * تُدكرني ما قد نسيت من العهد!
سقى الله دهرًا لم أبت فيه ليلة * من الدهر إلا من حبيب على وعد!
فامرّه المتوكل أن يسقيه، وقال: قد أعطيناك أمينتك .

دير قوطا^(١) - وهو بالبردان، على شاطئ دجلة .



دير قوطا

قال الشابشي : وبه وبين بغداد بساين متصلة، ومتزهات منتظمة . كل ذلك
شجر وكروم كثيرة الطرا . قال : وهذا الدير يجمع أموالا كثيرة : من عمارته وكثره
فواكهه وما يطلبه أهل البطالة فيه . ولعبد الله بن العباس الربيعي فيه :
يادير قوطا، لقد هيئت لي طرًا * أزاح عن قلبي الأحران والكربا!
بسادن ما رأيت عيني له شهبًا * في الناس، لا عجمًا منهم ولا عربا .
والله، لو سامني نفسي سمحتُ بها * وما نخلت عليه بالذي طلبا!
وأنشد الشابشي له فيه قوله :

يا حبذا يومى بالدالية ! * نشرها قفصية صافية
مع كل قرمٍ مُتلفٍ ماله . * لم تبق في الدنيا له باقية
نُخذ من الدنيا ولذاتها، * فأنما نحن بها عارية!

(١)

دير جرجس - وهو بالمرزة : أحد الأماكن المشهورة، والمواضع المقصودة .
ويخرج إليه من ينتزه من أهل بغداد في السَّيريات، لقربه وطيبه . وهو على شاطئ
دجلة، والبساتين محدقة به، والحدائق مجاورة له، وبه كل ما يحتاج إليه .

وأُشيد الشابشيّ فيه لأبي جفنة القرشيّ :

تَرَنَّم الصَّيْفُ بَعْدَ مُجْمَعَتِهِ ۖ وَأَنْصَرَفَ الْبَرْدُ فِي أَرْتِنَتِهِ !
وَمِثْلُ لَوْنِ النَّجِيعِ صَافِيَةً ۖ تَذْهَبُ بِالْمَرْءِ فَوْقَ هِمَّتِهِ !
وَمَنْ وَفَى وَعْدَهُ بِزَوْرِيهِ ۖ وَبِثُّ، أَوْفَى لَهُ بِذِمَّتِهِ .
في دير مر جرجس وقد نفع الشَّجَرُ علياً أرواحَ زَهْرَتِهِ .

وأُشيد له فيه :

وَقَرَعْتُ صَافِيَةً بِمَاءِ سَحَابَةٍ ۖ فَتَحَنُّ حِينَ قَرَعْتُهُنَّ سُرُورًا !
وَنَمِرْتُ ثُمَّ سَقَيْتُهُ فَكَأَنِّي ۖ سَبَّحْتُ فَوْقَ لَهَاتِهِ كَأَفُورًا !
وَفَنَى يُدِيرُ عَلَيْكَ فِي طَرَبَاتِهِ ۖ حَمْرًا تُؤَلِّدُ فِي الْعِظَامِ قُورًا .
مَا زِلْتُ أَشْرَبُهَا وَأُسْقِي صَاحِبِي ۖ حَتَّى رَأَيْتُ لِسَانَهُ مَكْسُورًا .

قال : وكتب منه النخعيّ إلى ابن المعتز في آخر شعبان .

يَا أَبَا الْعَبَّاسِ، قَدْ شَمَّرَ شُعْبَانُ إِزَارَةً !
وَمَضَى يَسْعَى فَمَا يَأْنِي حَقُّ إِنْسَانٍ غُبَارَةً .
فَاغْدُ نَشْرَبْ صَفْوَةَ الدُّنْىِ وَتَسْلُبْهُ وَقَارَةً !

فلم يردّ عليه جواباً، ولا أفهمه فيه خطاباً .

دير الخوات^(١) - وهو نُكْبَرَا . وهو دير كبير عامر . وأكثر سكانه نساءً مَرَهَبَات .
وعنده الأحد الأول من الصوم .

قال الشاشي^(٢) : وتسمى ليلة الماشوش ، وهي ليلة يختلط فيها الرجال بالنساء ،
فلا يرد أحد يده عن شيء . وأنشد فيه بحضرة :

وحانية بالعلثِ وَسَطَ السُّوقِ ، نزلتها وصارِي رَفِيقِ
على غلام من بني الحليقِ خفاء بالجام والإبريقِ
أما رأيتَ قَطَعَ العَفِيقِ !

دير باشهرا^(٣) - وهو على شاطئ دجلة . نزهة كثير البساتين ، على طريق سمر من رأى .
معركة المصعد والمجدد . وفيه مول أبو العباس :

نزلنا دَيْرَ باشهرا على قَسِيهِ طَهرا .
فَمَسَقْنَا وَرَوَّانَا من الصافِيَةِ العَدرا .
فَقَالُوا بِهِ الشَّمْسَ وَقَبِلُوا بِهِ البَدرا .
وَأَحَبُّ لَدَى الكَاسِ وَلَكِنْ قَاتٌ سُكْرًا !

دير مرمار^(٤) - وهو نُسْر من رأى . عند قطرة وصف . حوله كروم وشجر .
وأسد فيد الفصل بن العباس بن المأمون :

(١) أهل باقرب (ح ٢ ص ٦٥٨) والشاشي (ورقة ٣٧) .

(٢) وقد يكتبونه أنشبا . وأظهر باقرب (ح ٢ ص ٦٤٥) والشاشي (ورقة ٣٢) .

(٣) سماه باقرب : مرماري . وأظهره (ح ٢ ص ٧٠٠) .

أَفْضَيْتُ فِي سُرْمَنْ رَا خَيْلٌ لَدَائِي . وَنَلْتُ فِيهَا هَوًى نَفْسِي وَحَاجَاتِي !
عَمَرْتُ فِيهَا بِفَاعِ اللَّهِو مَنْعِمَسَا : فِي الْقَصْفِ مَا يُرَى أَنْهَارُ وَجَنَاتِ !
بَدِيرَ مَرْمَارٍ إِذْ تُحْيِي الصُّبُوحُ بِهِ . وَتُعْمَلُ الْكَاسُ فِيهِ بِالْعَشَبَاتِ .
فَكَمْ بِهِ مِنْ غَزَالٍ شَادِنٍ أَبْقَى : يَصِيدُنَا بِاللَّحَاطِ الْبَائِلَاتِ !

- ٥ وحكى الشاشبنتي أن الفضل ذكر أنه خرج مع المعتز للصيد . قال : فانقطعنا عن الموكب ، أنا وهو ويونس بن بغا . فشكا المعتز العطش ، فقلت له : يا أمير المؤمنين ، إن في هذا الدير راها أعرفه ، وله مروءة حسنة . وفيه آلات جملة . فهل لنا أن نعدل إليه ؟ فقال : أقبل ! فصرنا إليه ، فرحب بنا ونلقانا بأجل مَلَقٍ . وحاءا بماء فشربنا . وعرض علينا النزول عنده ، وقال : أمانتزدون عندنا ٥ فقال المعتز : أنزل بنا إليه . فترلنا عنده . فسألني الديراني عن المعتز ويونس . فقلت : قَتَيَانُ مِنْ أَبْنَاءِ الْحُنْدِ . فقال : بل مُقَلَّتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ الْحُورِ . فقلتُ له : ليس هذا من ديك وأعتفادك . فقال : هو الآن في ديني . فضحك المعتز . ثم جاءنا من الطعام بما يكون مثله في الديارات . وكان من أنظف طعام في أنظف آتية . فأكلنا منه وغسلنا أيدينا . فقال لي المعتز : قل له ببنك وبينه من تحب أن يكون معك من هذين ولا تفارقك . فقلت له . قال : كلاهما . فضحك المعتز حتى مال من الضحك . ولحفنا الموكب ، فارتاع ، فقال له المعتز : بحياتي عليك لا تنقطع عما كا به ، فإنني لمن ثم موئى ولن ههما صديق ! فزحنا ساعة . ثم أمر له المعتز بخمسين ألف درهم . فقال : لا والله ، لا فلتها إلا على شرط ! قال : ماهو ؟ قال : يكون أمير المؤمنين في دعوتي مع من أراد . قال : ذلك إليك . فأتعدنا ليوم جثناه . فلم يبق غاية ، وقام بالموكب كله . وجاء بأولاد النصارى ، فخدموا أحسن خدمة . وسر المعتز سرورا ما رأيتُه سر مثله قط . ووصله ذلك اليوم بمال كثير .

دير سرجيس

دير سرجيس^(١١) - وهو بطيرناباذ^(٢٢) بين الكوفة والقادسية، على حافة الطريق .
وكانت أرضه مخوفة بالخل والكروم والشجر والحانات والمعاصر . وكان بهذا أحد
القلاع المعمورة، ووزَّه الدنيا التي نتهج بها القلوب المسرورة .
قال الشاشني: "وقد عفا آل آثارها، وهُدمت دياراتها .

قلت: وبلغني أن ديارها خربت، ولم يبق من رسومها إلا قباب حراب، وجرنٌ على
قارعة الطريق في القفر الباس .

قال الشاشني: "وسميه الناس معصرة أبي نواس . وله فيه :

قالوا: تسكَّ بعد الحج! فلت لهم: أرجو الإله وأخشي طيرنا إذا.
أخشي قُصْبِ كرم أن يازعني^(٣١) فصل الخطام إذا أسرعتُ إعدادا.
وإن سلمت - وما قلبي على نفسي^(٤٢) من السَّلامه - لم أَسلم بغير إذا.
ما أهد الرشدة من قلب تصممه^(٥١) قُطْرَيْلُ فُكْرِي بِنَا فُكْرُوا ذَا.^(٦١)

(١) سماء الشاشني: دير سرجيس (ونظره في ورقة ١٠٢) ، وأما ياقوت فهما دير سرجيس ونكس
وقال لهما رحلان (ونظره في ح ٢ ص ٦٦٧ ح ٤ ص ٨٨٤) .

(٢) إسم مدينة مشهورة ساقى ذكرها ونص الشرح عليها . [وأط في محلة "لغة العرب" التي يصدرها
اليوم في تعداد الفاصلات الأب أستاذ الكرمل وكاطم الدجيل فقد تضمنت السنة الثانية منها شرحا وإيا
على مؤسس هذه المدينة وأحاده وتاريخ وقائعها وسقوطها] .

(٣) ياقوت: رأس .

(٤) » . هـى .

(٥) في الأصل: نى . وأعتمد ما أورده ياقوت (أطرح ٣ ص ٥٧٠ ح ١ ص ٧٣٨) وهي
قرية على شاطئ دجلة من نواحي تعداد بينهما نحو فرسخين وهي تحت كلوادي .

(٦) الأشهر كناية هذه الكلمة ساء في آخرها . ولكم يكتبونها بالألف المقصورة أيضا . وهي طسوج
قرب بغداد . وهي الآن حراب (واطر ياقوت في ح ٤ ص ٣٠١ وفي المواضع الأخرى التي أشار إليها
مهرسه) .

وفيه بقول الحسين بن الضحاك :

أَخْوَىٰ هُبًّا لِلصَّبُوحِ صَبَاحًا ! هُبًّا وَلَا تَعْدَا الدِّيمَ رَوَاحًا !
 هل نَعْدِرَانِ بِدِيرِ سَرْجَسٍ صَاحِبًا * بِالصَّحْوِ أَوْ رِيَانِ ذَاكَ جُحَا حَا
 إِنِّي أَعْدُدُّكُمْ بِالْفَقَةِ بَيْنَنَا * أَنْ تَشْرَبَا بِقُرَى الْقُرَاتِ فَرَا حَا !
 يَا رَبُّ مَلَيْسَ الْجُهُونُ بِنَوْمَةٍ * نَبَهْتَهُ بِالرَّاحِ حِينَ أَرَا حَا !
 فَكَأَنَّ رَأَى الْكَاسِ حِينَ نَدَبْتُهُ * لِلكَاسِ أَنْهَضَ فِي حَشَا جَبَا حَا .
 فَأَجَابَ بِعَثْرٍ فِي فُصُولِ رِدَائِهِ * تَجَلَّاتٍ يَحْلُطُ بِالْعَتَارِ مَزَا حَا .
 وَهَكَتُ سَثْرَ مَحْوَنِهِ بَهَنِكِي * فِي كُلِّ مُلْهِيَةٍ وَبَحْتُ وَبَا حَا .

(٢٠٨)

ديارات الأساقف - (١)

ديارات الأساقف

١٠ قال الشابتي : هذه الديارات بالجبف ، ظاهر الكوفة ، في أول الحيرة . وهي
 قباب ومصور ، تسمى ديارات الأساقف ، بحضرتها نهر يعرف بالندير ، عن يمينه
 قصر أبي الخصيب ، وعن شماله السدير . والديارات بين ذلك .

قال : وقصر أبي الخصيب هذا ، من أحسن منزهات الدنيا ، مشرف على الجبف
 والظهر كله . يصعد من خمسين مرفاه إلى سطح حسن ، ومجلس مشرف . ثم يصعد
 من خمسين مرفاه أخرى إلى سطح أفتح ومجلس عجب الصنع . وهو منسوب
 إلى أبي الخصيب ، مولى أبي جعفر المصور .

وأُنشد في هذه الديارات لعل بن محمد بن جعفر العلوي قوله :

كَمْ وَقَفْتُ لَكَ بِالْحَوْرِ ، نَقِي لَا تُؤَاوِي بِالْمَوَافِ .

مِثْلَ الْعِدْرِ إِلَى السِّدِّ ، يَرِثُ دِيَارَاتِ الْأَسَافِثِ .
 قَدَارِجُ الرِّهَابِ فِي : أَطْمَارِ خَائِفَةٍ وَخَائِفٍ .
 دِمْنٌ كَانَ رِيَاصَهَا ، يُكْسِنُ أَعْلَامَ الْمَطَارِيفِ .
 وَكَأَنَّ غُدْرَانَهَا ، فِيهَا عُسُورٌ فِي مَصَاحِفِ .
 وَكَأَنَّ أُنْوَارَهَا ، تَهْتَزُّ بِالرِّيحِ الْعَوَاصِفِ .
 طُرُرُ الْوَصَائِفِ بِلَتَقِيْسٍ بِهَا إِلَى طُرُرِ الْوَصَائِفِ .
 تَلْقَى أَوَائِلَهَا أَوَا ، نَحْرَهَا نَالُوانِ الزَّخَارِفِ .
 بِحَرِيَّةٍ سُنَوَاتُهَا ، بَرِيَّةٍ مَبْهَا الْمَصَائِفِ .

(٢٨٦)

دِيرُ زُرَّارَةٍ - وَهُوَ بَنُ الْكُوفَةِ وَحَمَامُ أُغَيْسَ ، عَلَى يَمِينِ الْحَاجِّ مِنْ عِدَادِ . زُرَّارَةٍ ،
 كَثِيرِ الْحَالَاتِ وَالشَّرَابِ . لَا يَخْلُو مِنْ بَطْلِبِ الْإِلَهِ وَاللَّعِبِ ، وَيُؤْثِرُ الْبَطَالَةَ وَالْقَصْفَ .
 قَالَ الشَّابُثِيُّ : خَرَجَ بِحَيٍّ بَنُ زِيَادٍ وَمُطْعِمُ بَنُ إِيَّاسٍ حَاجِّينَ . فَلَمَّا قَرَّبَا مِنْ زُرَّارَةٍ ،
 قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : هَلْ لَكَ أَنْ تَقْتَدِمَ أَتَقَالْنَا ، وَنَمُصِّي إِلَى زُرَّارَةٍ ، وَنَشْرَبَ
 فِي دِيرِهَا لِبَلَنَّا ، وَتَرْوُدَ مِنْ نَحْرِهَا ، وَنَسْتَوِي مِنْ مَرْدِهَا مَا بَكَمِينَا إِلَى الْعُودَةِ ، ثُمَّ نَلْحَقُ
 بِأَتَقَالْنَا ، فَعَلَا . وَسَارَ الْبَاسُ ، وَأَقَامَا . وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَائِبَهُمَا ، إِلَى أَنْ عَادَ الْحَاجُّ .
 خَلَعَا رُؤُوسَهُمَا ، وَرَبَّكَ بَعِيرَيْنِ ، وَدَخَلَا مَعَ الْحَاجِّ ، عَلَى أَنَّهُمَا قَدْ حَجَّجَا . وَقَالَ مُطْعِمُ :

أَلَمْ تَرَنِي وَيَمِيحِي إِذْ حَجَّجْنَا ، وَكَانَ الْحُجَّ مِنْ خَيْرِ التَّجَارِهِ ؟
 نَحْرَجَا طَالِبِي خَيْرٍ وَدِينٍ ، فَالْ بَنَا الطَّرِيقُ إِلَى زُرَّارِهِ !
 فَاتِ الْبَاسُ فَدَغِمُوا وَحَجُّوا ، وَأَبْنَا مُوقِرَيْنِ مِنَ الْخَسَارِهِ !

عُمَرُ مَرْتُومَانٍ - وَهُوَ بِالْأَنْبَارِ ، عَلَى الْفُرَاتِ ، وَهُوَ عُمَرُ كَبِيرٌ ، كَثِيرُ الْقَلَالِيَّاتِ

عمر مرتومان

والرهبان . عليه سور محكم البنيان ، كالحصن العظيم . والجامع ملاصقه . وله ظاهر حسن ، ولا سيما في أيام الربيع . لأن صحاريه وسائر أرضه تكون كالخلل : لكثرة نواره ، وطرائف أزهاره . ونزله كل من اجتاز به من الخلفاء . وفيه يقول كُشَّاجِمُ :

أَغْدُ يَا صَاحِبِي إِلَى الْأُنْبَارِ ، * نَشْرُبُ الرِّاحَ فِي شَبَابِ النَّهَارِ !
وَأَعْمُرُ الْعُمُرَ بِاللَّذَاذَةِ وَالْقَصَصِ وَحَثِّ الْكُؤُوسِ وَالْأَوْتَارِ !
فَاغْتَسِمُ غَفْلَةَ الزَّمَانِ وَبَادِرَ - وَأَقْتَرِضُ لَذَّةَ اللَّيَالِي الْقِصَارِ !
لَا تَفْرُطْ فَإِنَّهَا خُلَّسَ الْعَيْشُ وَبَادِرَ تَوَادِرِ الْمَقْدَارِ !

وأسد الشابشتي له فيه يصف عودا في يد محبة :

جَاءَتْ نَعُودُ كَأَنَّ نَعْمَتَهُ - صَوْتُ نَفَاةٍ تَشْكُو فِرَاقَ مَنِي !
دَارَتْ مَلَادِيهِ فِيهِ وَأَخْلَفَتْ - مِثْلَ اخْتِلَافِ الْكَفَّيْنِ شُبْكَنَا .
يَا حُسْنَ صَوْنَيْيَمَا ، كَأَنَّهُمَا - أَخْنَانٍ فِي صَنْعَةٍ تَرَأَسَلْنَا !
وَهُوَ عَلَى ذَا يَنْوُبُ إِنْ سَكَتَتْ - عَمَّا ، وَعَمَّ تَوْبُ إِنْ سَكَا !

دير الأبلق - وهو بالأهواز . وحكى المدايني ، قال : إنه أصطليح في دير الأبلق

في جماعه من أصحابه ، فلما سكر قال :

يَوْمِي بِدَيْرِ الْأَبْلَقِ الْفَرْدِ ، مَا أَنْتَ إِلَّا جَمْعُ الْخُلْدِ !
بِهِ وَأُمُثِّلْ لَهُ لَمْ يَزَلْ - يَحْوِزُ الْعَيْسُ أَبُو الْهَيْدَى .

عمير إرميل

عمير إرميل . والشاهد فيه ، ما رمي جاثيل .

قال ابن المستوفى : بينه وبين كفر عزي أقل من ميل . وهو عمار كبير وفيه رهبان كثيرة ، وله نهر يجري على بابه وكرم وشجر في شرقه ، ورحى عامرة تطحن فوق الكرم .

وبازائه تلّ دير زارج، إذا صعد الزائر أيام الربيع أشرف على سائر بلدة حرة . وفيه من ألوان الزهر وأنواع الأفاقي والشقائق وصنوف النور والزهر (١)

يسرّ الساطرين وبقصر وصف الواصفين . وفي قلاليّ رهبانه جيئات حسان فيها آس مصر وشجر مريم وغير ذلك .

- ٥ قال : وحدثني محمد بن حمد الأصم ، قال : كنتُ بكمر عزيّ ، فنزحتُ مع جماعة فبهم حيرُ لئتمس موصعا نزا نجاس فيه ونقصف . فأجمع رأينا على فصد دبر إتراعيل - وهو من كمر عزيّ على مل - في أيام الربيع ، ورأياه في نهاية الحسن بماحوله ومه ، وهو مشرف على بلد حرة كله ، فربناه ووصفا فيه أباما متناعة ، وقلتُ فيه هذه الأبيات :

- ١٠ عَمَرَا عُمَرَا نَزَاعِلَ الْقَصْفِ وَاللَّعِبِ !
 مِثْلَانِ دَوَى شَرَفٍ وَقَدَرٍ وَدَوَى لُتٍّ .
 نَعَوَا فِي كَمَرِ عَزَى نَزَّ هَهُ تَبَعْتُ لِلشُّرْبِ !
 فَوَاقُوا جَنَّةَ مَنْ عُمَرَا نَزَاعِلَ عَنْ قُرْبِ .
 وَمَدْحُفٌ بِكَرِّمْ وَبِأَشْجَارٍ لَهُ عُلْبِ .
 ١٥ وَأَنْهَارٍ يَحَاكِي جَرَّيْهَا مَسْلُولَةَ الْقُصْبِ .
 وَرَوْضٌ رَاصُهُ الْمَزْلُ فَاضْخَى وَهُوَ كَالْعَصْبِ .
 رَأَوْهُ كَمَرُوسٍ جُثِّلِيَتْ فِي حَالِي قُشْبِ !
 فَخَلُّوا مَهْ فِي مَتَرٍ لِي لَهْوٍ مُوَقِّ رَحْبِ .
 وَدَارَتْ نَجْبُ الْأَبْطَا * لِي نَجَّتْ بِحَلِي الشُّرْبِ ،

(١) كلمة ناقصة هنا سطا عليها المخلد . ولعلها : "ما" أو نحو ذلك .

على أوجه أعمار * على قُصْبٍ على كُثْبٍ .

وما ظنُّك بالعطشا * نِ عد المكَرَع العذب

قال فاهصهما بعد أيام، وكلما يودّ أن لا يزول منه : لطيفه وحسبه .

قال ابن المستوفى : وليس بهذا الدير الآن شجر ولا ماء على بابه . وفيه بيعه حسنة وقناه قديمة ورحاه باقية ، والماء الذي يدير ... (١) بعيد عن الدير ، وفي كل عيد من أعياد النصارى ، يقام به سوف وتخرج إليه جماعة من إربل ، ويوزره حلوى من الواحى يكونون فيه مدة يومين أو أكثر وينصرفون عنه

دير باقوقا - ذكره ابن المسوى في تاريخ إربل ، قال : وهو إلى الآن باق ، وفيه رهبان كثيرة . ذكر الشمشاطى أنه وراء الزابى وله مزرعة إلى جانب دارى وفيها بساتين وفيها تين أسود كبير . ويده وبس الموصل سبعة فرائخ . وهو دبر كبير . وكان أنشدنى فيه أبو الحسين محمد بن ميمون الكاتب :

رَلْتُ بَدِيرَ بَاقُوقَا وَبِهِ مِنْ الرُّهْبَانِ لى خِدْنٍ مَعِي .

فَأَلْحَقْنِى بِصُهْبَاءِ شَمُولٍ يَهْوِجُ بَعْبِيرٍ مِنْهَا النِّسِيمُ .

وَنَادَمَنِى بِرُهْبَانٍ مَلَاجٍ وَفِيهِمْ سَادِنٌ حَسَنٌ رَحِيمٌ .

وَسِرَّاعِهِ وَالْأَهْوَاءِ فِيهِ ، وَهَلْ سَأَى مِنَ الدُّنْيَا يَدُومُ .

دير سعيد - وهو بالجانب الغربى من الموصل . مطّل على دجلة ، حسن البناء . حوله قلل كثيرة ، حسنة العمارة ، ظاهرة النصارة . فى كلّ قلاية منها جيباب لرهبانه ،

(١) ها كلمة ناقصة فى الأصل مما سطا عليه المجلد . ولعلها : الرِّجَى .

(٢) أصل القرويجى (ص ٢٤٨) ٤ وياقوت (ج ٢ ص ٦٦٩) .

فيها طرائف الرياحين وغرائب الشجر. كثير النرجس. وهو يقارب تل باذع. وتراه في الربيع كالوثني الملمع، والخلى المرصع. وهو منسوب إلى سعيد بن عبد الملك أبى مروان. أصبح ما قيل في نسبته إليه أنه ربما كان يتمهده أيام إمارته بالموصل.

ويقال إن لثراه أثار في دفع أذى العقارب، وإن ماءه إذا رُش في دار، قلّت العقارب بها.

وحكى أن رهبانه ألزموه في وفء بجاية، فقاموا بثلاثمائة ألف درهم، ولخالدي فيه شعر. مه :

أَلَا فَاسْتَرْزِقِي الرَّحْمَنَ حَيًّا وَسِرِّبِ الْكَاسَ نَحْوَ السُّكَّرِ سِيرًا !
فَأَيَّامُ الْمُحُومِ مَقْصَصَاتُ، * وَأَيَّامُ السُّرُورِ يَطِيرُ طَيْرًا !
وله فيه :

سَعِدَتْ مُحَبَّتِي بِدَيْرِ سَعِيدٍ * يَوْمَ عِيدٍ فِي حُسْنِهِ أَلْفَ عِيدٍ !
كَمْ قَتَاةٍ مِثْلَ الْمَهَادِ، سَلَبْنَا . هَا صَلِيًّا مِنْ بَيْنِ نَحْرِ وَجِيدٍ !
وغيره مثل النزال حللنا * عَقْدَ زُنَارِ خَصْرِهِ الْمَقْشُودِ !
وحططنا رجالنا ببناء الهيكل الموقد البديع المشيد .
والرؤاي مشهرات كفلنا * نِ لَنَا فِي مُحَبَّرَاتِ الْهَرُودِ .
نخدود مثل الشقاق في اللو * نِ تَلِيهَا شَقَاقُ كَالْخُدُودِ .
وإذا ما المزار غرد في الفصطن، حكته الأوتار في التفريد .
من رانا - ونحن في الأرض صرعى - * قال : قوم موتى بضير الجود !

وله فيه :

فأمر بالنفس في هوى قمر * وثال وصل البدور باليدر.
وأقضى أبقار لهوى طربا * بين عشايا المدام والبكر.
من لم يدري ربي الحدائق من * دير سعيد، رجاه لم تدّر.
مسرة كملها بلا حشيف * ولذة صفوها بلا كدر.
قد ضربت خيمة الغام لنا * ورش حيش النسيم بالمطر.
وعندنا عاتقان حمراء كالشمس وأخرى صفراء كالقمر.
يا داركا طرب يومه لفسد ! * تبيع عين السرور بالآثر

وقوله :

قد طمع القلب بالموم فإن * طمت بكأس، فهاتها تطفح !
في جنع ليل ترى كواكب * وفي إلى الغرب، كلها جنع.
نراك تنسى سرور يومك في * دير سعيد وظله الأقبح !
على بساط من البنسج قد أشفى من الورد فوقه مطرَح !
وكأس راج يديرها قمر * لحاظه في قلوبنا تجرح !
قد كال فيما مضى يعرض بالنوصيل، ولكن أراه قد صرح !

وقوله :

فكم من روعة والشمس لم تدب لتطفيل،
إلى دير سعيد أو * إلى دير عشايل !

بِسَافٍ كَمَّهَاءٍ مُنْزِلٍ أَدْمَاءَ عُطْبُولٍ !
 تَرَى فِي وَجْهِهِ وَجْهَكَ لِلرَّقَّةِ مِنْ مِيلٍ !
 فَأَجْرَاهَا كَخَلْجَالٍ . من الباقوبِ مَفْتُولٍ .
 سَرَبَاهَا عَلَى أَوْجِهِ حَوْرٍ كَالْتَمَائِلِ .
 إِذَا سَنَنْ تَمْنُطْنَ * جَمِيعًا بِالْخَلَاخِيلِ .

قال الخالدي : وأنشدني السري الرفاء لنفسه فيه :

وَقَلَّالِي الدِيرِ الَّذِي آوَلَا النَّوَى لَمْ أَرِمْهَا بِقَلِي وَلَا مُعْقُوقِ .
 مَحْمَرَةُ الْحَيْطَانِ بَنَفَحَ طَبِئِهَا ، فَكَأَنَّهَا مَنِيْبَةٌ بِحَلُوقِ !
 فَتَى أَزُورُ بَنَابِ مُشْرِفَةِ الدَّرَى ، فَأُرُودَ بَيْنَ النَّسْرِ وَالْعَبُوقِ "
 وَأَرَى الصَّوَامِعَ فِي غَوَارِبِ أَكْمَهَا ، مِثْلَ الْهَوَادِجِ فِي غَوَارِبِ نُوقِ ؟
 حُمْرٌ لَمُوحٍ حَلَالَهَا يَبِضُّ كَمَا فَصَّلْتَ بِالْكَافُورِ سِمَطَ عَقَبِي .

وحكى ابن المستوفى في تاريخ إربل ، في ترجمة أبي حفص عمر بن محمد بن الشحنة الموصليّ الحويّ . أنه نقل من مجموع بخطه ، قال : كنت في يوم من أيام الربيع بدير في ظاهر الموصل . يعرف بدير سعيد . وكان فيه راهب من البُبل ، كَسْتُ أَوَى إِلَيْهِ إِذَا جِئْتُ الدِيرَ . فَاتَّفَقَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنِّي خَرَجْتُ مِنْ فَلَائِنِهِ إِلَى بَسْتَانَ الدِيرِ وَمَعِيَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْكُتَّابِ ، كُنْتُ أَنْسَ بِهِمْ . وَنَحْنُ عَلَى لَدُنَّا ، وَإِذَا قَدْ أَتَانَا رَجُلٌ ، بِجُلُوسٍ وَأَنْدَفَعُ يَغْنَى ، وَيَقُولُ هَذَا الصَّوْتُ فِي الْمَوْصِعِ الْفَلَائِيّ ، لَيْرِيَا أَنَّهُ يَعْرِفُ صِنْعَةَ الْغَنَاءِ . فَأَبْرَمَنِي وَأَبْرَمَ الْجَمَاعَةَ ، وَأَسْتَقْبَلَاهُ . فَسَأَلَنِي بَعْضُ الْجَمَاعَةِ أَنْ أَقُولَ فِيهِ عَلَى طَرِيقِ الْعَبَثِ شَيْئًا . فَعَمَلْتُ فِي الْحَالِ :

ثَقِيلٌ يَصْمُ السَّمْعَ مِنْ قُبْحِ صَوْتِهِ وَبَعِي لَهُ أَنْصَارُنَا وَالْبَصَائِرُ!
ولو لم يكن فوق البسيطة لم تزل * مُرَزَلَةٌ بَطَانُهَا وَالظَّوَاهِرُ!
تَفَى قَلْنَا: هَاتِفُ الْبَيْنِ قَدْ دَعَا * بِمُرَقَّتِنَا أَوْ رَيْتُ دَهْرٍ مَبَادِرُ!
فَبَالَتْ أَنْ اللَّهُ لَمْ يَكْ خَالِفِي، * وَمَالَيْتَهُ دَارَتْ عَلَيْهِ الدَّوَارُ!

٥. **الدير الأعلى^(٢)** - وهو بالموصل، في أعلى جبل، يُطلّ على دجلة، يضرب المثل به
في رقة الهواء، وحسن المُستشرف تحته، والجزائر تتفرق خُلجانها وعُذرانها بإزائه. ولم
تزل الولاة تخرج إليه للطف الهواء، والنظر إلى الماء. ويقال إنه ليس للنصارى دبر
مثله. وطهر عنده معادن الكبريت والمرقشينا والفلقطار وأشياء من هذه الأنواع.
ثم صامت النصارى حتى أُبْطِلَتْ، خوفا من تتقبل السلطان.

٢١٢

١٠. قال جعفر بن محمد الفقيه: أجاز بنا بعض السنين أبو الحسن بن أبي البغل،
فتزل علسه، وخرجت في عد يوم نزوله إليه. فجعل يصف من طيب الهواء فيه
وطيب قراءة رهبانه أمرا عظيما. ثم أنشدني نفسه فيه شعرا:
ولست أرضاه.

وما قال الخالدي فيه:

١٥. وَأَسْتَشْرِفْتُ نَفْسِي إِلَى مُسْتَشْرِفٍ * لِلدَّبْرِ، مَا هَ بَحْسَنَهُ وَطَيْبِيهِ.
مُتَقَرِّفٌ آذَى دَجَلَةٍ تَحْتَهُ * بَغْدِيدِهِ وَخَلِيجِهِ وَقَلْبِيهِ.

(١) طر يجمع على أطر وطود وبطاد.

(٢) أطر أيضا آن الأثير (ح ٧ ص ١٣٩ و ١٨٦ و ٣٠١، ح ٨ ص ٤١٠ و ٤٦٤ و ٤٧٦).

و ٤٧٧، ح ٩ ص ٤٦، و خصوصا باقوت (ح ٢ ص ٦٤٤)، والشاشقي (ورقة ٧٥).

فَنَعِمْتُ بَيْنَ رِيَاضِهِ وَغِيَاضِهِ * وَسَكِرْتُ بَيْنَ شُرُوقِهِ وَغُرُوبِهِ .
 غَفَى الْجَمَالُ بِهِ فَزَادَ النَّفَرُ مِنْ * تَضْيِيقِهِ، وَالْحَدُّ مِنْ تَهْنِئَتِهِ .
 وَأَهْتَرَّ غَضَنُ الْبَانِ فِي زُنَّارِهِ * وَأَضَاءَ جِدُّ الرِّيمِ تَحْتَ صَلِيلِهِ .
 وله :

فَكَتَّ! فَلَا تَأْخُذْ مَنْ فَتَكَ * بِمَا أَخَذَ الْجَهْلُ أَوْ مَا تَرَكَ!
 أَدْرِهَا! أَلَسْتَ تَرَى الدِّيرَ فِي * بَدَائِعِ مَنْ حُلِّلَ لَمْ تُحْكَمْ
 وَبَيْنَ الْبُكُورِ وَبَيْنَ الْفُرُوبِ * وَبَيْنَ الرِّيَاضِ وَبَيْنَ الْبِرِّكَ،
 عَاءٌ تُسَدُّ إِلَيْهِ الرِّجَالُ . * بَلَحْنُ تُحْلُ عِلْبَهُ التَّكَلُّ!

دير مار مخايل^(١) - وهو على ميل من الموصل . يركب دجلة في بقعة حسنة .
 ١٠ بَطْلٌ عَلَى كُرُومٍ وَشَجَرٍ . بَزَى بِحَرَى سَهْلٍ جَلِي . وَبِهِ قَلَالٌ كَثْرَةً فِي غَايَةِ الظَّرْفِ ،
 مخوفة بأنواع الشجر ، وأصناف الرهر . وله عبد يكون قبل الشعانيين بأسبوع . تخرج
 إليه الصاري بنسائهم وصبيانهم . ويمرّ لهم فيه يوم وليلة ، تتجاوب فيه ألحان الأغاني
 وقراءة الرهايين .

وحكى أنه أُرْبِدَ بِهِ حَمْرُ بَرٍّ فِي بَعْضِ قَلَالِيهِ ، فَأَفْضَى الْحَفَرُ إِلَى صَنْدُوقٍ مِنْ حَجَرٍ .
 فكَشَفَ ، فَإِذَا فِيهِ مَيِّتٌ لَمْ يَتَغَيَّرْ مِنْ جِسْمِهِ شَيْءٌ ، وَإِذَا ثِيَابُهُ صَحْبَحَةٌ . وعند رأسه
 ١٥ صحيفة من صُفَرٍ فِيهَا كِتَابَةٌ قَدِيمَةٌ لَمْ يَقْعُوا عَلَى قِرَائَتِهَا ، وَلَكِنْهُمْ عَلِمُوا أَنَّ فِيهَا ذِكْرَهُ .

(١) يسمى أيضا "ديرما تخايل" و "دير مارخايل" و "دير ميخائيل" . وأظهر أيضا باقوت

(ج ٢ ص ٦٩٣ و ٧٠٢ ح ٤ ص ٨٧٥) .

(٢) مفرد القلال قلة بالكسر وهي شه الصومعة كما في القاموس . ووقع في الأصل قلال بدون ياء وصوابه

كأثرى .

وقصد المسلمون آتراءه منهم . ثم دارت النصارى حتى حُلَّتْ لهم ، فردوه إلى مكانه ، وعَفَّوا أثره .

قال الخالدي : والذي يُظَنُّ أنه كان ممن على دين المسيح عليه السلام ، وأنه هرب بدبسه ، فمات في هذا الموضع ، ودُفن فيه .

قال : وبين هذا الديروين الموصل وإِدِ يعرف بوادى زَمَار ، عليه رابية تُعرَف برابية العقاب ، تُشرف على دجلة والبساتين والجزائر والنهر . وهى غاية فى الربيع . وقال فيه :

أَلَسْتُ تَرَى التِّلْ يَدَى لَنَا * طَرَأَتْ مِنْ صُنْعِ آدَارِهِ
وقد نَقَطَ الزُّهْرُ خَذَ الثَّرَى * بِدِرْهِمِهِ وَبِدِينَارِهِ .
وَكُنْتُ فِي لَازُورْدِ الدُّجَى * يَزُجُّفِرُهُ وَيَزُنْجَارِهِ .
فَلَا تَلَقَّ كَأْسًا بِتَأْخِيرِهَا * وَلَا يَوْمَ لَهْوٍ بِإِنْظَارِهِ !

قال : وكان محطة قد أنشدنى لمسه فى دير العَلْتِ قوله :

سَقَاوَرِ عِيَالِ دِيرِ الْعَلْتِ مِنْ وَطَنِ ! لَا دِيرَ حَنَّةٍ مِنْ ذَاتِ الْأَكْبَرِاحِ !
أَبَامَ ، أَيَّامَ لَا أَصْنَى لِعَاذِلَةٍ ، وَلَا تَرُدُّ عَنَانِي جَدَّةُ الْإِلَاحِ !

فاستحسنتها ، وذكرْتُ قول أبى نُوَّاس فى دير حَنَّة ، وهى فى عروضها وقافيتها ، فقلت :

عَاسِنُ الدَّيْرِ تَسْبِيحِي وَمِسْبَاحِي . وَحَمْرُهُ فى الدُّجَى صُبْحِي وَمِصْبَاحِي !
بُسْطُ الْبَنْفَسَجِ تَبْسُطُ فى * مَحْضُونِ آسٍ وَخَيْرِيَّاتِ تَفَاجِ .

بدائع لا لدير العلك هرب ولا * لدير حنة من ذات الأكراب.
حتى تخمر نماري بمعرقتي * وجبرت مليحي بالسكر ملاحي.
أبا محيال، لا تعدم ضحى ودجى * سجال كل ملك الدوق سحاج!
فإن أقم سوق إطراى، فلا عجب! * هذا بذاك إذا ما قام نواحى!

(٢١٥)

- قال: وكان في هذا الدير نمار، يقال له الحارث، ويكنى أبا الأسد، معروف
بحوذه الشراب، وكان الخبان من أهل الموصل يقصدونه. وكان له ابن حسن الوجه،
مهتف القوام، خفيف الروح، يقال له عبد المسبح، يسقينا ومعنا مغز مليح
النساء، غنايا في شعر حساى بن ثابت، قوله:

أنظر حليلي يبطي حلق هل .. تؤنس دون البقاء من أحد؟

- وهو صوت معروف في الأغاني. فاستحسناه، وكان معنا كاتب، له على
إياد، فقال لى: أحب أن تعمل في عروض هذا الشعر شعرا تذكر فيه يومنا.
قلت:

لا وجفون تنوس في العقيد * وحسن نغز يلوح كالبرد!
لا كنت من يصعب أدمعه * بين الأثافي والنوى والود!
أحسن من وقفة على طلل، فقر وزجر العيرانة الأجد،
كأس مدام جلا المديربها .. أم الليالى وجدة الأبد،
نشرها شغلة بلا حرق .. وتحتلها روحا بلا جسد!
هل أحد نال مثل لذتنا، * بأبا محيال ليلة الأحد؟
سقى لما خور حارث ولما * خص به من محاسن جلد!

قُلْتُ لَهُ وَأَبْنُهُ يَطُوفُ بِهَا : عُمُرُكَ فِينَا عِمَارَةُ الْبَلَدِ !
بَابُكَ ذَا فِي جَمَالِ صُورِيهِ * صِرْتَ أَبَا الطَّيِّ لَا أَبَا الْأَسَدِ .
هَاتِ آسِقَيْنِهَا فَإِنْ سَفَكَتَ دَمِي ! فَمَا بَقَتْنِي عَلَيْكَ مِنْ قَوْدِ !

❦

فَاقْتَنَّا يَوْمَنَا ذَلِكَ ، وَبَتْنَا . فَلَمَّا أَصْبَحْنَا ، أَرَادَ الْكَاتِبُ الْمَوْصِلِي أَنْ يَذْهَبَ . وَكَانَ
الْيَوْمَ حَسَنًا لِرَفَقَةِ غَيْبِهِ ، وَمِلَاحَةً صَحْوِهِ . وَكَانَ لِلرَّجُلِ غِلَامٌ يَجِبُهُ ، فَأَرَادَ الرُّكُوبَ إِلَى
دِيَوَانِهِ ، فَانْشَدَتْهُ أَيْبَاتُ شِعْرِ قُلْتُمَا . فَأَمَرَ بِحِطِّ سُرُوحِ بَغَالِهِ ، وَأَخَذَنَا فِي شَانَتِنَا .
وَمِنْهَا :

بُحْمَرَةٌ وَجْهٌ لَذَاكَ الْهَلَالِ وَفَتْرُهُ مُفْلَةٌ دَاكِ الْفَزَالِ !
صَلِّ الْيَوْمَ بِالْأُمْسِ ، إِنِّي أَرَى : لَهُ نَالُ السُّعُودِ وَجُوهَ اتِّصَالِ .
هَوَاءٌ صَفَا ، وَهَوَى مِثْلُهُ : تَحْمُرُ دِلَالٍ وَمَاءٍ زُلَالِ .
وَعَيْمٌ تَوَهُمُهُ كَالنَّوَى وَصَحْوٌ حَقِيقَتُهُ كَالْحَالِ .
وَمِثْلُ الْيَوَاقِيتِ زَهْرُ الرُّبَى : وَقَطْرُ السَّدَى بَيْنَهَا كَاللَّالِ .
إِذَا مَا دَنَتْ شَمْسُهُ لِلدُّبُوبِ : لَهَا أَشْرُقُ نَوَارِهِ كَالدُّبَابِ .
وَذَا الدَّيْرُ تَسْمَعُ بِغَزْلَانِهِ : شَعَائِنُهُ فِي صُوفِ الْجَمَالِ .
وَصَفْرَاءُ بَانَتْهَا خَاسِرًا : وَلَوْ حَازَ عَنْ قَدَحٍ بَيْتَ مَالِ .
أَيُّهَا غَيَابَالُ أَفْدَى ثَرَاكَ : بِقِسْيٍ ، وَمَالِي ، وَعَمِّي ، وَخَالِي !
فَكَمْ سَكْرَةٌ لِي قَلَّ الْأَذَا : نِ بَيْنَ دَوَالِيهِهِ وَالِدَّوَالِي !
تَجُولُ خِيُولُ دَوَالِيهَا : فَنَمَلًا مَا وَرَدَ ذَاكَ الْهَجَالِ .

وقوله فيه :

بِأَعْيَالٍ إِنْ حَاوَيْتُمَا طَلَسِي * فَأَنْتُمَا تَحِدَانِي ثُمَّ مَطَرُوحَا .
يَا صَاحِبَيَّ هُوَ الْعُمَرُ الَّذِي جُمِعَتْ * فِيهِ الْمُنَى ، فَأَعْدُوا لِلدِّرْأِ أَوْ رُوحَا !
بِرُّ وَبَحْرٌ بِهِ يُهْدَى نَسِيمُهُمَا * لِلرُّوحِ مَسْكَابُ الْمَاءِ الْوَرْدِ مَنْضُوحَا .
يَجْرُ صَيَّادُهُ الشُّوْطُ مُضْطَرِئًا حَيًّا ، وَقَانِصُهُ الْبَغُورُ مَذْبُوحَا .

وفيه يقول أبو حفص عمر بن الشَّحْنَةِ الموصليّ النحويّ ، من قصيدة :

وَأَعْمِدْ إِلَى مَرِّ غَحَائِيلٍ فَإِنَّهُ * حَاسِنًا لِسُرُورِ النَّفْسِ مِفْتَاحُ !
كَمْ فِيهِ مِنْ أَشْمَعٍ بَادٍ تُخَوِّبُهُ * تَهْفُؤُهُ بِنْتُهُ تِلْكَ الْأَكْبَرُوحُ !

وفيه يقول أيضا :

بِأَمْرِ غَحَائِيلٍ ، وَإِنْ بَعْدَ الْمَدَى ، * سَقَيْتَ صَوْتَ سَحَائِبٍ وَتَوَارِقِ !
بِأَحَدٍ نَوَارُ رَوْصِكَ إِذْ عَدَا * يَقْتَرِمْنَ دَمْعَ الْعَمَامِ الدَّافِقِ !
مَعْنَى خَلَعْتُ بِهِ الْعِذَارَ بَصَابِيَا * فِي غُنْجِ أَحْدَاقٍ وَزُهْرِ حَدَائِقِ !
أَيَّامَ آجَرِي فِي مِيَادِنِ الصَّبَا * مُتَخَابِلًا جَرَى الْجَمُوحِ السَّابِقِ !

وسنأتي القصيدتين ، إن شاء الله تعالى ، في ترجمته مع المعاني .

وبالله التوفيق !



دير متى

دير متى ^(١) - هو بالموصل، من الجانب الشرقى، على جبل شاه، يعرف بجبل متى .
يُشرف على رستاق يَنْبُو والمرج، وهو حسن البناء، جيد الحصانة، وأكثر بيوتَه متقورة
في الصخر، في نهاية الحسن والنظافة. ورهبانه لا يأكلون طعاماً، إلا جميعاً: في بيت
للشَّاء، وبيت للصيف .

ومتى جلس أحد في صحن هذا الدبر. نظر إلى الموصل. وبنيهما سبعة فرائخ .
وله عتة أبواب مفرطة في الكبر، وكلها من حديد مُصَمَّت . وبه صهرج عظيم
يجمع فيه ماء المطر، عمقه اثنا عشر ذراعاً: لكل شهر ذراعٌ من الماء . ويفتح هذا
الصهرج من موضعين: في أعلاه وفي أسفله . فخرج ماؤه من أسدن من صُفر .
وجملة أمره أنه عجيب عظيم في أمثاله .

وحوله من الأشجار ومن سائر الثمار . وفي حارحه مغارٌ في الحسل، فيها صناديق
من صخر ماطاق لموتاهم، متى امتلأت خرج رأس الدير مع رهبانه يهرعون أناجيلهم،
ويجمعون العظام البالية منها . ثم طرح في فج داخل هذا المغار .
قال: وبث ليلة فيه، مع بعض الرؤساء على شرب ولعب، قتلُ :
فلاشكرن لدير متى ليلة . مَرَفْتُ ظَلَمَتَهَا بيدٍ مُشْرِقٍ!
حتى رأينا اللبل قوس ظهره . هَرَمٌ وأثر فيه شَيْبُ المَرِيقِ!
قال: وقرأت على باب دهليزه بيتين كُتِبَا، وهما:

مَادِرَ مَتَى سَقَتْ أَطْلَالَكَ الدَّيْمُ! . وَأَنْهَلْ فِيكَ عَلَى سُكَايِكَ النَّعْمُ!
فَمَا شَفَى غُلَّتِي مَاءٌ عَلَى ظَمَأٍ . كَمَا شَفَى حَرَّ قَلْبِي مَاؤُكَ الشَّمُ!

(١) أطلأ أيضاً القروي (ص ٢٤٩) ، وياقوت (ج ٢ ص ٦٩٤) .

(٢) في الاصل: سبع .

دير الحنافس

دير الخنافس^(١) - وهو دبر صفر بالموصل، بالجانب الشرقي، على قلة جبل شاخ،
بشرف على أنهار بننوى وصاعها.

وفيه طلسم طرف: يجتمع له في وفي من السنة الخنافس الصغار اللواتي كالنمل،
حتى تسود حيطانه وبونه وسقوفه وأرصه، مدة ثلاثة أيام، ثم لا يوجد. ولهذا سمي
دير الخنافس.

❦

قال الخلدی: وهذا معروف مشهور بالموصل. وإذا كانت تلك الأيام، أخرج
الزهاد أمتعتهم منه، هربا منها.

قال: ولا أعرف فيه شعرا إلا ما قاله بعض بني عروة الشناني يري أخاه، مات
عده، فدفن إلى جانه، ومه:

١٠ مُرْكٌ مَادَرَ الْخَافِسِ حُمْرُهُ ۖ بِهَا مَا جَدَّ رَحْبُ الدَّرَاعِ كَرِيمُ!
طَوَّبَ مَهْ هَمَامٌ بَنَ مَرَّةً فِي الرُّيْ ۖ هَلَالٌ يُبْرِ اللَّسْلَ، وَهُوَ بِسِيمُ!
سَفَاكَ وَسَقَاكَ وَسَقَى صَرِيحَهُ ۖ أَجَشُّ مِنَ الْفَرِّ الْعِدَابِ هَزِيمُ!
فَادْرُ أَحْسِنَ مَا اسْطَعْتَ حَوَارَهُ، ۖ فَإِنِّي عَادِي عَمَكَ، وَهُوَ مُقِيمُ!

قال: فناء بني عروة جميعا توح عليه وعلى، وتاهم بهده الأبيات إلى اليوم،
وإذا رأت أحباؤهم به، نَحَرُوا عَلَيْهِ وَأَقَامُوا مَا تَمَّ.

١٥

دير باعربا - وهو بين الموصل والحديثة، على شاطئ دجلة، من الجانب الغربي.
بإزاء حراير كنبره الشجر، فلما حلب من سَع. وهو جليل عند النصارى، وفيه قبور
يعظمونها. وسأؤد عجب. وارتفاع حافظ هكله نحو المائة ذراع، ماحوله بناء
يسده. وله مزارع. وفيه بيت صياغة يتزله من يحناز عليه.

(١) أطل أيضا في (ص ٢٤٧) و باقوت (ج ٢ ص ٦٥٨) والشاشي (ورقة ١٣٢).

قال الشبظمي: لما أخذ سيف الدولة إلى العراق، نزل دير باعربا، وصرح مصر به على شاطئ دجلة، ونفذى ونام، فلما كان وقت العصر دخل الدير، وصعد سطحه، فرأى منطرا حسنا، من بره وبحره وعلو مستوره، فاسندى شرابا، ودعا سقاره العواد، فغناه، وكان معه من الدماء أبو اسحاق اليسرى، ثم أسدعاني، وسقارة يعني بشعر غث في وزن بارد، فأمرني بأن أعمل في عروصه، ففعل بعد ثمنه، لكنه لا يخيء فيه الحسن:

شرفاً ما دير عرباء ومحمداً بهما نغنى مدى الدهر ونعمراً
سقى مائك هذا ماء وردٍ، ورى صحك ذا مسكاً وعبراً
إدعى سطحك سبب الدولة القُر ثم الذي فاب الورى عزاً ومقبراً
والذى إن سارى العسكر فرداً فهو في إقدامه ألف عسكر!

١٠



دير القيارة^(١) - وهو فوق دير باعربا، على جانب دجلة العربى، نُسب إلى عبيد فيه ومعدن، يستخرج منه الفير، ونحته حمة عظيمة، بقصده من به عليه أعب الأطباء، فبنفيم به خمسة أيام، مسننعا في ماؤها، فبراً من علته، وبسقى من القريس وبسط التشج، ويزيل الأورام الحاسية والراح الغلظه، ولحم الجراحات.

قال الخالدتي: وسبيل من قصدها، أن نطل نهاره في ماها، وأوى ليله هكل دبرها، وبدهمه رهبانه بالطسوث، فبنسبى إادل الله.

١٥

وفيه عيون بحرح منها المنط والقيير، فُسقل من السلطان بألوف دراهم في كل سنة، ومرافى هذا الدير كثيرة.

قلت: وسلم بذلك في موضعه.

(١) أنظر أيضاً القروى (ص ٢٤٨) وياقوت (ج ٢ ص ٦٨٩).

دير بارقانا

دير بارقانا - وهو فوق الحديشة، على جانب دجلة الشرق - رابك للاء ،
في موضع زه حسن ، وناؤه محكم ، وفلاؤه كثيرة الشجر والزهر . وله بساتين ومباقل .
وبقال إبه ايس في ستمك دجلة أسمن من ستمك يصاد من شاطئه .

قال الخباز البلدي : آجرتُ به ، فرأيتُ من حسنه وبصاره شجرة ، مادعاني إلى
المعام به والفصف فيه . وسألت رهبانه عن الشرب . فدلوني على راهب منهم .
فرأيناه طرما ، وفلايته ملحة ، وشرا به صافيا جدا . فأبغ منه ، وأفت عده نهاري
وليلي . وملت :

أَلَا سَقَمًا لِرُقَّةٍ بَارِقَانًا - وَهَبَكِلْهُ الْمَشِيدَ وَالْقَلَالِي !
فَكَمْ مِنْ سَدَفِهِ نَاكَرْتُ بِهَا - مُعْصَرَةً كَمَثَلِ دَمِ الْغَزَالِي !
فَكَمْ عَامَتْ غُصَّافِي أَعْتَدَال - بِهِ - وَلَمْتُ بِدَرَا فِي كَمَال !
وَحَادَ بِمَا أَحَاوِلُ مِنْهُ سَكَا - وَكَانَ مِمَّا نَبِي طَيْفِ الْخَال !

دير أبي يوسف

دير أبي يوسف - وهو قريب من بلاد - يسه و بينها نحو فرسخ . على شاطئ
دجلة . وهو موضع حسن معمور بالزيتون والسر والآس والرياحين ، مغروس الرُّبَا
بالزرجس . وهيكله حسن البناء ، وفيه عجائب من بدائع التصوير . ولرهبانه جِلْدَةٌ ونعم .

(٢٢٠)

(١) المقصود هما اختلاط الضوء والظلمة معا كوقت طلوع الفجر إلى أول الإسماع . ويقولون أتيته
سده أتي في سبه من الليل . ولها معان أخرى ذكرها في تاج الفروس أيضا . ولكن ما آخرته هو الذي
يعبه المقام .

(٢) أنظر أيضا ياقوت (ح ٢ ص ٦٤١) .

(٣) اسم علم لدية مشهورة بالعراق . وتسمى لطف واسمها بالعربية شهرا نادا (عن ياقوت) وتسمى بلد
الحطب (عن أبي العدا) .

ولا بُعِزْهُ كُلُّ يَوْمٍ قَائِلَةً تَحْطُّ عِنْدَهُ لَتَأْخُذَ نَحْمًا . وَالْحُجَّانُ تَقْصِدُهُ لَلْتَرَهُ بِهِ بَطْنًا يَرِهِمْ
وَعِبْدَانَهُمْ وَسَائِرَ مَلَاحِيهِمْ .

قال الخالدي : خرجت في بعض السنين إلى بلدٍ ، مع كاتبٍ لبعض أمراءنا .
وأحببتُ الشرب في دبر أبي يوسف ، فكتبتُ إليه .

بدير أبي يوسفٍ خمرةً . تزيد على لَبِّ البارِ !

وتزجُّه كنسيم الحبيب عند محبٍ له وامق !

وما ذا ترى فيه قبل استماع . همائم ناقوسه اللاطق !

لَتَقْنِصَ بِكُفْرٍ خُلُوقَةً .. تُخَبِّرُ عَنْ حِكْمَةِ الْخَالِقِ !

فعل . وأفنا به ثلاثة أيام في الدُّعُش ، وأصغى وقت . ثم آنحدرنا منه .

١٠ دِيرُ الشَّيَاطِينِ - وهو بالعرب من أوْسَل (مدخل فطس من الحل على دجلة) .
دير الشياطين

في موضع حسن . وهوائه رقيق لطيف ، وقلائبه عامرة كثيرة الانبجار . وأرصه
كثيرة الرصاص . وله سور يحيط به ، ومشترف على سطح هيكله يُشرف على دجلة
والجليل .

وفيه يهول السرى الرءاء :

١٥ عَصَى الرَّسَادِ فَتَدَّ مَادَاهُ مِنْ حَبِيبٍ . وَرَاكَصَ النَّيَّ فِي تِلْكَ الْمَيَادِينِ !

مَاحَنَ شَيْطَانُهُ الْعَاقِي إِلَى بَلَدٍ . إِلَّا لَيَقْرُبَ مِنْ دِيرِ الشَّيَاطِينِ !

وَفِيهِ زَهْرُ الْأَدَابِ بَيْنَهُمْ . أَبْهَى وَأَنْضَرُ مِنْ زَهْرِ الْبَسَائِينِ !

مَشَوْا إِلَى الرَّاحِ مَشَى الرَّخْ وَأَنْصَرَفُوا ، . وَالشُّكْرُ يَمْنِي بِهِمْ مَشَى الْفَرَازِينِ !

حتى إذا انطلق الساقوس بينهم . مُزِينُ الخَصِرُ رُومِيُّ القَرايِنِ ،
 حَتَّى أَقْدَحَها بِضِ السَّوَالِفِ فِي . حُمُرِ الغَلَائِلِ فِي خُضَرِ الرِّبَاحِينَ .
 كَأَنَّها وَبِياضِ الماءِ بَعَرَّعَها . وَرَدَّ نِصَالِها أَوْرَاقُ نَسِيرِينَ .



دير مر سرجس

دير مر سرجس - وهو فوق بلد بثلاثة فراسخ، على قُلة جبل عالٍ . يبين للماظر
 من عذة فراسخ .

قال الخالدي : وعلى بابه شجرة لا يعرف أحد ما هي : لا يسقط ورقها عند سقوط
 ورق الشجر، ولها ثمرة تسبه اللوز . وفي جبله من الزراير تنبت عظيم . لا يفارقه
 صفا ولا شتاء، لا يندر على صيد نئ منها . وفي شعاب جبله أفلاج كثيرة، تمتع من
 صيد طيره ليلا .

قال : وفي أوديه حصي على شكل اللوز لا يعادله .

قلت : ولعل هذه الشجرة هي التي ذكرها ابن وحشية، وقال إنها في الدنيا واحدة
 لا ثاني لها .

وحكى الخالدي ، قال : حدثنا الخزاز البلدي ، قال . فقد بلدنا رجل من آل الهرات ،
 وكان أدبيا شاعرا . فأسحقني ، فما كنت أفارقه . فرأى يوما هذا الدير وسألني
 عنه ، فوصفته له . فأحب النظر إليه ، فخرج وحملي معه . وكان ذلك في شتاء متصل
 المطر . فلما جئناه ، رأينا في جبله من القُدران ما ملأ أفاويه . فلما صعدنا سطح
 المبكل ، فكر ساعة ثم أسدنى نفسه :

وهكلي تبرز الدنيا لِمُشْرِفه . حتى يُعَايِنَ منها السهل والجَبَلَا
 كأَنَّ صَيِّبَ بَابِ طُولِ لَيْلِهما : يَسْتَمِطِرَانِ على غُدرانه المُفَلَا

دير صُباعي^(١) - وهو على شاطئ دجلة الشرفى، فوق تكريت، قليل . وهو كثير الرهبان . وله مزارع وجُينات . ولرهبانه يسار وغنى . وفه يقول بعض لبعض لصيوس بنى شيان :

ألا ربَّ سَلِّمْ دِيرُ صُباعا ، وَرِدْ رُهبانَ هُكَلِهْ أَجتماعا !
فَكَمْ جُنتاهُ أَمْوَأًا سَقَابًا ، وَرُحًا مَهْ أَحْباءَ سِباعا !
فَأَلْلقُصْفَ ما أَسْرَى نَيْذا .. أَلْدَّ طَلًّا وَأَحْسَه شُعاءا !
لِعمته وَمِنْه عَليًا ، عَمْرَاهَ وَحَرْبًا الضَّعاءا !

سمر الزعفران

سمر الزعفران^(٢) - وهو على رأس جبل مطل على نصيبين ودار ربيعة من جانب ، وعلى طور عبيد وقودى وبعض ديار بكر من جانب آخر ، وبه كثير من الزعفران . وهو عجيب الساء ، كثير الرهبان . وبه جئات لم حسنة نصره مملوءة بسُجَر السدى والفسق والاوز المرك والزئون والمُطم . ومأؤه من صهاريج يجمع فيها ماء السماء . والصاريج معوره فى صحور . والتلح به ممكن . ولما نزل المتقى نصيبين أسعدهد ماءه وآخاره على ماثها وماء دجلة .

قال الخالدى : ولهذا الدير بواب للضبافة فى علو المسكل . والسور نسور عجيب ، وعابه أبواب من حديد هُصمت . قال : وسُغَر زعفرانه فاتق . ومه ومن العسل أكثر يسار رهبانه . قال : وكان الأمير أبو الركب بخرح إليه ، وأنحرح معه . فقيم به على شُرب وسرور . وأمرنى أن أعمل فيه شعرا . ففعلت :

(١) أنظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٧٣) .

(٢) أنظر الكلام على دير الزعفران فيما تقدم من الصفحات .

عَطَلْتُ دَارِسَهُ الْمَغَانِي . وَعَمَرْتُ عُمرَ الزُّعْفَرَانِ ،
وَأَقَمْتُ فِي عُرْفٍ لَدَيْهِ كَأَنَّهَا عُرْفُ الْجَنَانِ .
وَتَرَى قَسَائِدًا مُفَقِّمَةً بِأَسْ خُسْرُوَانِي .
وَمُعَانِي ظَلَمِي وَبَدِي * رُدْجَةً وَقَضِيْبُ بَانِي .
وَالرَّاحُ أَحْصَنُ جَنَّةٍ لَكَ فِي مُقَارَعَةِ الزَّمَانِ .
لَا تَأْمَنْ صُرُوفَهُ : * فَالْدَهْرُ لَيْسَ بِدِي أَمَانِ

قال : وأَسَدِي البَعَا لِمَسَّهُ فِي هَذَا الدَّيْرِ :

صَمَحَتْ لِمَسِّ الدَّهْرِ عَن سَيِّئَاتِهِ . وَعَدَدْتُ يَوْمَ الدَّيْرِ مِنْ حَسَنَاتِهِ .
وَصَبَحْتُ عُمرَ الزُّعْفَرَانِ بِصَبْحِهِ . أَعَاشَتْ سُرُورُ الْقَلْبِ بِعَذَمَاتِهِ .
وَأُهِيفَ فَاتَحَرْتُ الرِّبَاضَ بِجُسَمِهِ * فَادْعَنَ صُغْرًا وَصَفَّهَا لِصَفَاتِهِ .
فَلَمَّا دَجَا اللَّيْلُ أَسْتَعَادَسَا الصُّحَى * بِرَاحٍ بَاتَ بِاللَّيْلِ عَن ظُلُمَاتِهِ .
وَتَمَّ إِلْسَا دَنْهَا بِصَيَانِهَا * فَكَانَ كَقَلْبٍ ضَافٍ عَن خَطَرَاتِهِ .
وَخَوْفِي مَعَهُ ، خِلْتُ صَلِيْبَهُ * لِتِسْدَةِ مَا تَحْشَاهُ بَعْضُ وَشَاتِهِ !
وَفِيهِ يَقُولُ مُضْعَبٌ ، الْكَاتِبُ :

وَقَاتِلِ قَالِي : أَقْصِرْ ! فَقُلْتُ لَهُ : * أَمَا تَرَانِي بِحَثِّ الْمُرْدِ مَشْغُولًا ؟
لَا أَعَشَى الْأَبْيَضَ الْمُنْفُوخَ مِنْ سَمَانِي ، لِكِنِّي أُعَشِّقُ الشَّمْرَ الْمَهَازِيْلَا !
فَقَالَ لِي : أَنْتَ مُجَنُّونٌ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : * لَا تُكْثِرُنَّ عَلَيَّ الْقَالَ وَالْقِيْلَا !
إِنِّي أَمْرٌ أَرْكَبُ الْمَهْرَ الْمُضْمَرُ فِي * يَوْمِ الرَّهَانِ ، فَدَعْنِي وَأَرْكَبِ الْقِيْلَا !
وَكَذَلِكَ قَالَ :

دَيْتُ أَمِيشِي عَلَى الْكَفَيْنِ الْمُسْهِ * كَتَمْتِي مُسْتَرِيْقَ السَّمْعِ أَسْرَارَا !

فَتَزِيحُ فِي قِرْطَاسِهِ قَلْبِي * وَاللَّيْلُ مُلْقٍ عَلَى الْآفَاقِ أَسْتَارًا!
فَقَالَ لَمَّا أَيْجَلُ عَنْ عَيْنِهِ وَسَنُ * وَقَدْ رَأَى نِكَمَةً حُلَّتْ وَأَزْرَارًا:
بَارِئِدَ اللَّيْلِ مَسْزُورًا بِأَوَّلِهِ * إِنْ الْحَوَادِثُ قَدْ يَطْرُقُ أَسْحَارًا!

دير بار بيشا - وهو بنبوي، بأرض الموصل، على نهر الخازر، وبه بيت ضيافة. ^(١)
وله عند البصري قدر جليل.

قال الخالدي: رأيته في بعض السنين، وكان به راهب يقال له كوربال، من عباد
البصري، فأصافه أحسن صافة وأكرمنا أتم إكرام، بالطعام الكثير، والشراب العبق
الواسع، وعلف الدواب، وأكثر، فعظم في عني، وعانبه على الإسراف في فعله. فقال:
هذا والله رسمنا مع كل من ينزل بنا!

قال: وهذا الدير الذي قُتل عنده عبيد الله بن زياد، فقتله إبراهيم بن الأشتر، على
هذا النهر، وأنفذ رأسه إلى المختار في خبر يطول، ليس هذا موضعه.

دير حنظلة - وهو بالخير، على نحو فرسخ منها، إلى المشرق، وموصعه حسن، ^(٢)
لما فيه من جنيات رهبانه وأشباجهم، وما يلبسه الربيع من الراض،
وأنسد الخالدي فيه لغيره شعرا، منه:



طَرَفْتُكَ سَعْدِي يَنْ شَطِيَّ بَارِي! * نَسِيَ الْعِدَاءُ لَطِيفَهَا مِنْ طَارِي!
يَا دِيرَ حَنْظَلَةَ الْمُهَيَّجِ لِي الْهَوَى! * هَلْ تَسْتَطِيعُ صِلَاحَ قَلْبِ الْعَانِسِي!

(١) سهر بين اربل والموصل ثم بين الزاب الأعلى والموصل، يصب في دجلة.

(٢) أنظر "الأغاني" (ج ٩ ص ١٠٣ و ١٠٤)، والبكري (ص ٣٦٠) وخصوصا ياقوت (ج ٢
ص ٦٥٥ وآخرى ص ٦٥٦ أيضا).

وقد ذكره أبو الفرج الأصبهاني، وأشد لبعض الشعراء فيه رجاء منه :
 ساحة الحيرة دبر حَظَلَّة ٠ عليه أدال السُرور مُسَبَّلَة ٠
 أحبُّ فيه ليلة مُقَبَّلَة ٠ وكأسا بين الندامى مُعْمَلَة ٠
 والراح فيها مثل نار مُشْعَلَة ٠

دبر الجاثليق^(١) - وهو هديم الباء، غربي دجلة، في عرص حربي ٠ على الحد بين
 دبر الجاثليق ٠ وهو هديم الباء، غربي دجلة، في عرص حربي ٠ على الحد بين
 آخر السواد وبين أول أرض تكريت ٠ وفيه كانت الحروب بين عبد الملك بن مروان
 ومُضْعَب بن الزبير ٠ فقال ابن قيس الرُّبَيَات :
 دبر الجاثليق^(١) - وهو هديم الباء، غربي دجلة، في عرص حربي ٠ على الحد بين

لعد أورت المِصرَ بَحرًا ودِلَّة ٠ قبل بدبر الجاثليق مُقِيم !
 فما فأنف في الله بَكْرُنْ وائِل ٠ ولا صدقت عند اللّقاء بِمِمْ !
 وحكي أنه كان به علام أمرد بصري من أهل الحيرة ٠ هال له عنين إلى الصّرقى ٠
 وكان بعينه بكر بن خارجه ٠ وفيه يقول من شعره :
 أحرى ! مُت قَلَمٌ من هُمُومى ! ٠ وأرسدني إلى وجه الطّرينى !
 ففد صافت على جهات أمرى ٠ وأنت المسجّار من المصيق !
 وفيه يقول بليل يحصرى منهما قوله :

زأره في حصره مَقْوود ٠ كأنه من كيدى مَقْوود ٠
 قال أبو الفرج : وكان دَعِل يستحسه ويقول : ليت هدين البيت لي بمائة بيت
 من شعري !

(١) Catholicon ٠ وأظهر معلومات أخرى على هذا الدبر في الطبري (سلسلة II ص ٨٠٦ و ٨١١ و ٨١٢ و ٨١٣) ٠ وآس الأثير (ج ٤ ص ٢٦٨) ٠ ومروج الذهب (ج ٥ ص ٢٤٦ و ٢٤٩ و ٢٥٠ و ٢٥١ و ٢٥٣) ٠ وتاريخ اليعقوبي (ج ٢ ص ٣١٧) ٠ والكزبي (ص ٣٦٧ و ٣٧١) ٠ وحصوا
 باقوت (ج ٢ ص ٦٥٠ ح ٤ ص ٥٢٩) ٠ والشاشني (ورقة ٩) ٠

وفيه يقول محمد بن أبي أُمَيَّة :

٢٢٥

رَأَيْتُكَ حَلِيقِي دِينَ وَدُنْيَا : * حَيَاةً لِلصَّجِيعِ وَالْفَسِيرِ .
بَدَأَ لِي بَعْدَ مَا سَبَقْتُ يَمِينِي * بِهَجْرِكَ أَنْ أَكْفُرَ عَنِّي .

دير مريحنأ^(٢) - وهو إلى جانب تكريت ، على دجلة . عاصر القلادات والرهبان .
مطروق . مقصود . منزل لكل مسافر . وبه ضيافة فائضة على أقدار الناس . وله مزارع
متسعة وغلات كثيرة . وهو للنسطورية . وعلى بابهِ صومعهُ عبدونَ الراهب ، وكان من
الملَكبة . بناها فعُرفت به . وفي هذا الدير يقول عمرو بن عبد الملك الوزاني :

أَرَى قَلْبِي قَدْ حَنَّا - إِلَى دِيرِ مَرِي حَنَّا !
إِلَى غِيْطَانِهِ الصَّبْحِ * إِلَى رِكْنَتِهِ الْغَنَّا !
إِلَى أَحْسَنِ خَلْقِ اللَّهِ إِنْ قَدَسَ أَوْ غَنَّا !
فَلَمَّا أَبْلَجَ الصُّبْحُ * بَزَلْنَا يَسَا دَنَّا !
فَلَمَّا دَارَبَ الْكَأْسُ * أَدْرَمَا يَسَا حَنَّا !
فَلَمَّا هَجَعَ السَّمَاءُ * رَمْنَا نَمِيعَانَا !

١٠

قال الشابشي : وكان عمرو هذا من الخلعاء الظرفاء المنهمكين في اللهو والنطرح
في الديارات . ومما أنشد له في الحُجُونِ قوله :

١٥

أَبْهَا السَّائِلُ عَنِّي - لَسْتُ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ .
أَنَا إِنْسَانٌ مُرِيبٌ ، أَشْتَهِي نَيْلَ الْمَلَاخِ .

(١) في الأصل : لا . [وصحبت مما يقتضيه السياق ، لأن الشاعر يقول انه مداه أن تكلم عن يبه

عد أن أقسم بهر صاحبه .

(٢) أطل أيضا ياقوت (ج ٢ ص ٧٠١) .

٢٠

عمر أخوينا

عُمَرُ أَخُوئِشَا^(١) - (وأخوينا بالسريانية الحبيس).

قال الشاشقي: وهذا العُمَرُ بِالسَّعْدِ، من ديار بكر. وهذا العُمَرُ مَطْلٌ عَلَى أَرْزَنَ، وهو كبير حبليل، فيه أربع مائة راهب في فلاليهم، وحوله بساتين وكروم. وهو في نهاية العمارة والزهة وحسن الموقع وكثرة العواكه والخمر. ومنه يُحْمَلُ النّجَرُ إِلَى الْبُلْدَانِ. وبقره عس عظيمة تدر ثلاثة أرحاء، وإلى جانبه نهر يعرف بنهر الروم. وبه أنواع المطيرين. وأنشد فيه اللبادي:

وَفَتَانٍ كَهْمُكَ مِنْ أَنَاسٍ * خِفَافٍ فِي الْغَدَاةِ وَفِي الرَّوَّاجِ.
هَمَّصَتْ بِهِمْ، وَبَسْتِ اللَّيْلَ مُلْتَقًى * وَصَوَّ الصَّبْحَ مَفْصُوصُ الْجَنَاحِ.
تَوْمٌ بِدِيرِ أَخُوئِشَا غَزَالًا * غَرِيبَ الْحُسْنِ كَالْقَمَرِ الْيَبَاحِ.
مَسَاغِنَا الرِّمَانُ مِمَّا أَرْدَا، فَأُنْبَا مَالْفَلَاحِ وَبِالنَّجَاحِ!

٢٢٦

١٠

عُمَرُ عَسْكَرٍ - وهو أسمل من واسط، في الجانب الشرقي، في الهيرية المعروفة ببرخوى وبه كرسي المطران. وهو عُمَرُ كَبِيرٌ، كثير الفلانات يباع عليها، ويحيط به بساتين كثيرة وغللات واسعة.

عمر عسكر

وفيه بقول محمد بن حازم الباهلي، وكان قد قصده أمام مقام الحسن بن سهل

١٥

بواسطة:

(١) سماه الشاشقي وياعوب "أخوئشا" بالحاء المهملة وأعطوا أيضا كلاء الثاني لاسه في (ح ٢

ص ٦٤١)، والأول في (درة ٨٦).

(٢) في ياقوت "تكمك" وقد ذكره أيضا في أسماء البلاد وأشار إلى هذا العُمَرُ.

(٣) » » رحو نية.

بُعْمِرَ عَسْكَرَ طَابَ اللَّهُ وَالطَّرْبُ . وَالْبَاذُ كَارَاتُ وَالْأُدْوَارُ وَالنُّخْبُ !
وَفَتِيهٌ بَذَلُوا لِلْكَأْسِ أَنْفُسَهُمْ . وَأَوْجَبُوا لِرَضِيعِ الْكَأْسِ مَا يَجِبُ .
فَلَمْ يَزَلْ فِي رِيَاضِ الْعُمَرِ بَعْمُرُهَا . قَصْصًا وَتَعْمُرُهَا اللَّذَاتُ وَالطَّرْبُ .
وَالدهرُ قَدْ طُرِفَ عَمَّا نَوَاطِرُهُ * فَاسْتُرِعْنَا الْأَحْدَاثُ وَالنُّوبُ .
قال الشاشني : وَأَسْدِنِي مِنْ مَلِيحِ شَعْرِهِ قَوْلَهُ :

صِلْ نَخْرَةً بِبَحَارِ * وَصِلْ نَحَارًا بِبَحْرِ !
وُخْذْ بِحِطِّكَ مِنْهَا * كَأْسًا إِلَى حَيْثُ تَدْرِي !

قال : فَقُلْتُ لَهُ : إِلَى أُنْ ؟ وَيَحْكُ ! فَقَالَ إِلَى النَّارِ ، مَا أَحَقُّ !
وَأَسْدِلْهُ :

حَدَّدَا مَجْلِسًا لَمَهْدِ الشَّابِ . وَأَرْعَا حُرْمَةَ الصَّبَا وَالنَّصَابِ !
بِكُھُولٍ إِذَا اسْتَقَرَّتْ حُمَيَّا الْكَأْسِ لَمْ يَنْطَقُوا بِعَبْرِ الصَّوَابِ .
مَارَسُوا شِدَّةَ الزَّمَانِ فَلَانُوا * وَأَسْتَفَادُوا مَحَاسِنَ الْآدَابِ .
فَاسْقِيَانِي إِذَا تَجَاوَبَتِ الْأَوْ . مَارَ كَأْسًا لِإِذْ كَارِ الشَّبَابِ !



دير الأسكون^(١) - ذكر مُصَنَّفُ دِيَارَاتِ الْحَيْرَةِ ، أَنَّهُ رَاكِبٌ لِلجَنَفِ ، قَالَ :

وهو أَنَزَهَ دِيَارَاتَهَا ، وَفِيهِ قَلَالِي وَهِيَ كُلُّ وَرْهَانٍ يَقِيمُونَ الضِّيَافَةَ لِمَنْ وَرَدَ عَلَيْهِمْ . وَهُوَ
حَصْنٌ مَنبَعٌ . لَهُ سَوْرٌ عَالٍ ، وَبَابٌ مِنْ حَدِيدٍ . وَمِنْهُ يَهْبِطُ إِلَى غَدِيرِ الْحَيْرَةِ . وَأَرْضُهُ
رَضْرَاضٌ وَرَمْلٌ أَبْيَضٌ . وَلَهُ مَشْرَعَةٌ مُقَابِلُ الْحَيْرَةِ ، لَهَا دَرَجٌ إِذَا انْقَطَعَ النَّهْرُ كَانَ مِنْهَا
شَرْبُ أَهْلِ الْحَيْرَةِ . قَالَ : وَإِلَيْهِ تَجْتَمِعُ النَّصَارَى فِي أَعْيَادِهِمْ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ جَمْعُهُ بَعْدَ

(١) سُمِّيَ بِالقُبُورِ "دِرْ أَسْكُون" وَأَنْظَرَ كَلَامَهُ عَلَيْهِ (ج ٢ ص ٦٤٣ و ٦٨٧) .

صلاة الجمعة . فإذا كان يومُ الشعانين ، أتوه من كل ناحية ، مع شمائسهم بصلبهم
وأعلامهم . فإذا آستتموا فيه وفي القصر الأبيض والعلالي المدانية ، خرج أسقفهم بهم
إلى مكان يعرف بشيئات الشعانين (وهي فِباب على ميل من ناحية طرق الشام)
فأقام بهم فيها يومهم ذلك إلى آخره . ولكل منهم بومئذ شأن يُغنيه .

- دِرْحَنَةٌ ^(١) - هو بالحيرة من بقاء نوح . هكذا نقلته ولا أعرف من هو .
وإلى جانبه قائم . حكى أحمد بن عمر الكوفي ، قال : كان بالكوفة رجل أديب
ضعف الحال ، مهتما وقع في يده من نقي ، أتى به دِرْحَنَةً فيشرب منه حتى يسكر .
ثم يصرف إلى أهله ، ويقول : يُعجِبُنِي من الغراب نُكُورُهُ في طلب الرزق . وربما
بات به ، ويقول :

- ١٠ نَطَاوَلْتُ لِبُكَاءِ الرَّاوِيهِ ، وَكَانَ الْمَيْتُ بِهَا عَافِيَهُ .
وَمِنْ تَحْتِ رَأْسِكَ أَجْرَةٌ وَجَنْبُكَ مُلَقًى عَلَى بَارِيهِ .
وَدَلَّكَ خَبْرٌ مِنَ الْإِنْصِرَافِ * فَحَكَّمْتُكَ بِكَ بَنُو الزَّائِيهِ .
وَتُصَيِّحُ إِتْمَارَهُنَ السَّجُودِ ، وَإِنَّمَا قَتِيلًا عَلَى سَاقِيهِ .
قال : فوحدَ والله بعد أمام فتيلًا على ساقية ! وهو القائل :

- ١٥ مَالِدُهُ الْعَيْسُ عِنْدِي عَيْرٌ وَاحِدٌ هِيَ الْبُكُورُ إِلَى بَعْضِ الْمَوَاحِيرِ .
لِحَامِلِ الذِّكْرِ مَا هُوَ بِوَأَثْقَنِ سَهْلِ الْعِبَادِ مِنَ الْقُرَى الْمَدَائِيرِ .
حَتَّى يَحِلَّ عَلَى دِيرِ ابْنِ كَافِرِهِ . مِنَ الصَّارِي يَبِيعُ الْخَمْرَ مَشْهُورِ .
كَأَنَّمَا عَقَفَ الزَّنَارَ فَوْقَ نَفَا . وَأَعْتَمَّ فَوْقَ دُجَى الظُّلُمَاءِ بِالنُّورِ .

١ (١) وأظهر أيضا ما رواه عنه باقوت (ح ١ ص ٣٤٥ - ح ٢ ص ٦٤٠ و ٦٥٦ و ٦٨١) ؛

والكبرى (ص ٣٧٣) .

وفيه قال الثرواني :

يومى بهيكلٍ دى حنة لم يزل * غر السحاب تجودفه وترع
متجوشن طورا وطورا شاهرا * بيض السبوف وتارة يتدرع
وكذلك قال فيه بكر بن خارجه الكوفي^(١) :

٥ ألا سقى الحورق من محل - طرف الروض معشوق أبني !
أفت بدير حننه زاما * بسكر في الصبح وفي الغبور
ومتا لأبس إكليل زهير - ومغصب السوالف بالخلووف
كأن رياضه حسا ونورا - سحاب دهب بسنا البروف
كأن تفسطر الأشجار فيه * إذا غسق الظلام قطار بوق
وماذا شئت من دُر الأفاحي هالك ومن يواقبت التسقيق
١٠

وقد ذكر دیرحه أبو العرج الأصفهاني وقال : ذكره أبو نواس في شعره ، يعنى في قوله :

ناديرحة من ذاب الأكرج ! * من يصح علك فاني است بالصاحي
بعاده كل مجفؤ بعارفه^(٢) - من الدهان عليه سخي أمساج
في فنية لم يدع منهم تخوفهم * وقوع ما حدره غير أشباح
لا يدلفون إلى ماء بانية * إلا أعترفا من العذران بالراج
١٥

(١) اظر أحواره وأسماره في الأغاني (ج ٢٠ ص ٨٨ و ٨٩) . وليست فيها الأبيات التي أوردتها

آن صل الله ها .

(٢) باقوت : معارفة .

قال : والأكيراج بلدٌ نَزِهٌ كثيرُ البساتين والرياض والمياه . قال : وبالْحِيرة أيضا موضعٌ يقال له الأكيراج فيه دير . والأكيراج قَبَابٌ صغار يسكنها الرهبان . يقال للواحد منها الكِرْحُ .

دير عبد المسيح ^(١) - وهو بطريرك فينيقية سنة عِندَ المسيح بن عمرو بن بُقيلة . وقال إنه عمر دهرًا طويلا . ولحق خالد بن الوليد ، حين فتح الحيرة ، وله معه خبر طويل . وحكى بعض أهل الكلام ، قال : قرأتُ على حائطه مكتوبا :

رَأَيْتُ الدَّهْرَ لِلْإِنْسَانِ ضِدًّا . وَلَا يُجِىءُ مِنَ الدَّهْرِ الْخُلُودُ !

وَلَا يُجِىءُ مِنَ الْآحَالِ أَرْضٌ . يُحِلُّ بِهَا وَلَا قَصْرٌ مَسْدُ !

وحكى آخر قال : فرأيتُ على حائطه أيضا :

هَدَيْتُ مَارِلَ أَقْوَامٍ عَهْدُهُمْ . فِي حَفِصِ عَيْشٍ خَصِيبٍ مَالَهُ خَطَرُ !

دَارَتْ عَلَيْهِمْ ضُرُوفُ الدَّهْرِ فَاسْقُلُوا . إِلَى الصُّبُورِ ، فَلَا عَيْنٌ وَلَا أَمْرُ !

وقد ذكره الأصمهاني ، في أخبار لاحاحه فيها . وقال : وكان عبد المسيح قد بنى دبرا في بقعة بالجربة يقال لها الجرجة . كان يترهب فيه حتى مات . ثم حرب الدبر ، وظهر فيه أَرْحٌ مَعْفُودٌ من حماره . وطنوا فيه كزرا ، فمتحوه . فاذا سر ررخام ، عليه رحل ميت . وبعد رأسه لوح فيه مكتوب :

حَاتَبَ الدَّهْرُ أَسْطَرَّةَ حَنَانِي . وَنَلَّتْ مِنَ الْمُنَى فُوقَ الْمَزِيدِ .

بَكَدَتْ أَنْالٌ فِي الشَّرَفِ الثَّرَاءِ . وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْخُلُودِ .

دير الحريق^(١) - هو بالحيرة . ساه النعمان بن المنذر على ولد كان له ، عُدِيَ عليه واحرق فيه . وإلى جانبه قبة تعرف بقبة السُنْبِق^(٢) ، و [قبة] تعرف به غصْب . وهما راهبان سبا إليهما . وهما بديعتا الباء .
وفي الدبر وفيهما قول الثرواني :

دير الحريق وقبة السُنْبِق . مَفْعَى حِلْف مُدَامِهِ وَفُسُوفِ
وَطَنٌ لِمَرْفِهِ شَرِيفٌ بَدْمَعِي . وَلِرِحْلَتِي عَنْهُ عَصَصْتُ بَرِي

❦

حكى حمزة بن أبي سلامه ، قال : كان الثرواني جاري بالكوفة وكان كثير الإلمام بالبدرة ، فما كرتي في يوم شعابير وقال لي : أعزم بنا اليوم على الشرب في دبر الرين ، لأنه يوم سبقصده فيه خلق . ولئى به صديق من رهائه طربف . مالمج الغلابة ، جبد الشراب . فهُلَمْ ! نَزَرَهُ أَعْنَدْنَا فِيمَا زَاهٍ مِنَ الْجَوَارِي وَالغُلَاهَانِ ، ثُمَّ بَعْدِلَ إِلَى قَلَابَةِ صَدِيقِنَا فَشَرِبَ عَلَى سَطْحِهَا الْمَشْرِفَ عَلَى الرِّاضِ . نَخْرَحْنَا فَرَأَيْنَا مِنَ السَّاءِ وَالْوَصَائِفِ وَالْوِلْدَانِ فِي الْحُلَى وَالْحُلَلِ مَا لَمْ أَرْ مِثْلَهُ قَطُّ . فَلَمْ يَزَلْ يَعْشُ وَبِتَعَرُّضٍ ، وَبِهَيْلٍ وَيَعَانِقُ - وَكَانَ مَعْرُوفًا بِذَلِكَ - مَا أَحَدٌ سَكَرَ عَلَيْهِ فَعَلَهُ ، إِلَى عَدِ الظُّهْرِ . ثُمَّ أَتَيْنَا قَلَابَةَ صَدِيقِهِ الرَّاهِبِ ، فَلَفَنَاهُ بِالْإِكْرَامِ وَالتَّرَجُّبِ . فَدَخَلْنَا قَلَابَتَهُ . وَفِي رَأْيِنَا أَنْظَفَ مِنَ الْآتِنَاءِ ، وَلَا أَنْصَرُ مِنْ بَسْتَانِهَا . ثُمَّ قَدَمْنَا لَهَا سَيْثًا مِنْ طَعَامِهِ ، فَاصْأَمَهُ . ثُمَّ صَعَدْنَا سَطْحَهَا . وَجَلَسْنَا نَنْظُرُ إِلَى مَنْظَرِ يَبْهَرٍ حَسْبًا وَحَمَالًا : مِنْ رِيَاضٍ وَغُذْرَانٍ وَطِيرٍ بَصِيرٍ . وَنَحْنُ نَسْرِبُ حَتَّى ثَمْنَا . وَنَمْنَا هُنَاكَ . وَعَدَوْنَا عَلَى الْكُوفَةِ . فَقُلْتُ لَهُ : نَتْرَكَ

(١) أطر ياقوت (ج ٢ ص ٦٥٤) .

(٢) في الأصل بالمعجمة في هذا وفي الآتي بعده . والتصحيح من ياقوت فقد ذكره في باب السين .

المهمة ، وكذلك المحمد (في القاموس) . ٢٠

هذا اليوم مع حسه، عاطلا من حُلَى شعرك“ فقال: لا والله! ولقد عملتُ في ليلتي هذه، هذه الأسات، ثم أنشدني:

خرجنا في سَعَايِنِ النَّصَارَى . وَشَيْعِنَا صَلِيبَ الْجَانَلِيِّ .
فَلَمْ أَرْ مَطَرًا أَهْلِيْ بَعِي . مِنْ الْمَقْبَسَاتِ عَلَى الطَّرِيقِ .
حَمَلُ الْخَوْصِ وَالزَيْتُونِ حَتَّى . بَلُغْنَ بِهِ إِلَى دِيرِ الْحَرِيقِ .
أَكَلْنَاهُنَّ بِالْمَطَاطِ عِشْفًا . وَأَصْمَرْنَا لَهْنًا عَلَى الْعُسُوفِ .

دِرْ أَرْنَ مَرْعُوقُ^(٢) - وهو الجبل، قريب دِرْ الحريق . في أُنْزَه القاع، زهرًا وورقًا هواء وتدقق ماء . وَدُسُوقُ إِلَه التَّوَرَاتِ مِنْ نَعْدَاد، فقال:

دِيرُ الْحَرِيقِ وَسِعَهُ الْمَرْعُوقُ^(٣) . بَيْنَ الْعَدِيرِ وَقُبَّةِ السَّنَقِ .
أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الصَّرَاةِ وَطَبْهَا . عَدِ الصَّاحِ وَمِنْ دُجَى الطَّرِيقِ .
مَاصِج! فَاحْتَبِ الْمَلَامَ أَمَا تَرَى . سَمِحًا مَلَامَكَ لِي، وَأَنْتَ صَدِيقُ
وَعَدِ دَكْرَه أَوَّالِ الْفَرَحِ، وَأَنْسَدِ لِلتَّوَرَاتِ فِيهِ وَفِي دِرْ فَاثَبُونَ قَوْلُهُ .

قُلْتُ لَهُ وَالْحُجُومُ حَانِجُهُ . فِي لِبَانَةِ الْمَضْحِ أَوَّلَ السَّحْرِ:
هَلْ لَكَ فِي مَارِ فَاثَبُونَ وَفِي دِيرِ أَرْنَ مَرْعُوقِ عَيْرِ مَمَصِيرُ
فَقَصَّ هَذَا السَّبْمُ مِنْ طَرَفِ النَّسَامِ وَدَرَّ النَّدَى عَلَى الشَّجَرِ .
وَنَسَأَلَ الْأَرْضَ عَنِ بَسَاسَتِهَا . وَعَهْدِهَا بِالرَّبِيعِ وَالْمَطَرِ .

(١) في الأصل: حملنا .

(٢) سماه ياقوت "دِرْ المَرْعُوقُ" وأظهر كلامه عليه في (ح ٢ ص ٧٠١) .

(٣) في الأصل: ربيع .

(٤) في ياقوت يقتضيه وريح الدي عن المدر .

قال : ودير فاثيون أسفل الجحف ، ودير أبن مزعوق محذاء قصر عبد المسح ،
بأعلى الجحف ، وفيه بقول الترواني :

تُفَرِّضُ لِي مَوْصِلِي ، وَفَعَلْتَ لِي مِمْرًا بِالْجُودِ
تُسَكِّنُنِي ، وَأَعْلَمَ أَنَّ هَذَا هَوَى يَبِينُ الْعَطْفَ وَالصَّدُودَ !

وفال أيضا :

كَرَّ الشَّرَاءُ عَلَى نَسْوَانٍ مَصْطَبِحَ ، قَدْ هَبَّ يَسْرَبُهَا وَالدَّبْكُ لَمْ يَصِحْ ،
وَاللَّيْلُ فِي عَسْكَرٍ جَمَّ بَوَارِفُهُ ، مِنْ النُّجُومِ وَصَوُّ الصَّحَى لَمْ يُلْجِ ،
وَالْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا أَنْ تُبَاكَرَهَا ، صَهَاءً تَمُتُّ لَهَا نَفْسُ الْقَرْجِ ،
حَتَّى يَظَلَّ الدِّيُّ فِي بَابِ بَشْرُهَا ، وَلَا بَرَّاحَ بِهِ يَخْشَالُ كَالْمَرْجِ .

دير مارت مريم - هو بالحيرة ، من بقاء المنذر ، وهما ديران مقابلان ، وبهما
مدْرَجُه الحاح وطريق السائلة إلى القادسية ، وهما مرفان على الجحف ، ومن أراد
الخوَرَقِ عدل عن جاذبتهما ، ذَاتَ الْيَسَارِ ، ومن شعر الترواني فهما :

(٣٣٣)

دَعِ الْأَنَامَ فَعَلْ مَا أَرَادَتْ ، إِذَا حَادَتْ بُدْمَانٍ وَكَاسِ !
وَمَارِ مَرْيَمَ وَالصَّحْبُ فِيهِ ، حُدَّتْهُنَّ مِنْ وَرْدٍ وَأَسِ .
وَطَبِي فِي لَوَاحِظِ مُقَاتَبِهِ ، نَعَّاسٌ مِنْ مَوْرِ لَا نَعَّاسِ .
وَحِلٌّ لَا يَحُولُ عَنِ النَّصَابِي ، دَنُكُورٍ لِلْمَوَدِّ عَيْرِ مَاسِي .

(١) سماء ياقوت والكبرى "دير فنيون" ، وأطراف كلام الأول عليه (ج ٢ ص ٦٨٣) ، والثاني

(ص ٢٨٠) .

(٢) في الأصل : عي .

(٣) أطراف ياقوت (ج ٢ ص ٦٩٢) ، والكبرى (ص ٣٧١) .

وَمُخْتَصِرٍ لَطُورٍ فَصِيحٍ * نَعْنِي بِسَعْرِ أَبِي نُؤَاسٍ .

وما اللدائن إلا أن تَرَايَ صريعاً بينَ باطيةٍ وكاسٍ !

وفدده أبو العرج وقال : كان قسٌ يقال له يحيى بن حمار ، ويقال له بوشع ،

نالعه الغناد ويُرَبون على سطحه وفي فلاتيه ، على قراءة الصاري وضرب الوافيس .

ومنه قال بكر بن خارجة ، أو غيره :

بَنَّا مَمَارَتِ مَرَمٍ ! * سَقِيَا لِمَارِ مَرَمٍ !

ولفَسْها يحيى المَهْنَمِ بعدَ نَوْمِ السَّوَمِ !

والمَوْشَعِ وَلَحْمِهِ * حمراءَ مِثْلَ الْعَسَمِ !

ولِفَتْنِهِ حَقُّوا بِهِ * يَعْصُونَ لَوَمَ الْأَوَمِ !

يَسْقِيهِمْ طَيُّ أَعْنِ لَطِيفُ عَلَقِ الْمَعْصَمِ !

رَمَى بَعِيدِهِ الْفُلُو * بَ كِمِثْلِ رَمَى الْأُسْهُمِ !

قَلَايَةُ الْقَسِّ - وهي بالحيرة ، في موضع حسن . وكان القس الذي تسب إليه

قلاية الناس

من ملاح الصاري . وكان داسكا ، ثم صار فاتكا . ومنه قيل :

قَلَايَةُ الْقَسِّ ! مَالِي عِنْدَكَ مُصْطَبِرٌ ! * وَمَنْ إِلَى مَنْ لَحَاءُ فِكٍ يَعْتَدِرُ

مَكَمَ لَدَيْكَ نَسِيمٌ ذَبْلُهُ عَيْقٌ * وَكَمْ لَدَيْكَ هَوَاءٌ جَبَّهَ عَطِرُ !

وَتَرْبَةٌ وَعَاءٌ ذِي زَوَلٍ بِهَا سَفَمُ السَّفِيمِ ، وَذَا يُجَى بِهِ الْبَصَرُ !

وَمَاءُ مَرْزٍ نَكَّفَ الرِّجْجَ صَفْلُهُ . وَكَلْمَرَابَا إِلَى الْأَوْشَالِ وَالْعَدْرِ .

وفدده أبو العرج وقال :

حَلِيلِي مَنْ يَمَّ وَعِجْلٍ ، هُدَيْتُنَا ! * أَصِيفَا بَحْثَ الْكَاسِ بَوْمِي إِلَى أَمْسِي !



واب أتما حَيِّتَانِي نَحْيَةً ، فلا نَعْدُوا رَيْحَانَ قَلَابَةِ الْقَسِّ !
 إذا ما به حَيِّتَانِي ، فَأَخْلُوا ، حَمْدَيْنِ دُونِي بِالْخُلُوفِ وَالْوَرَسِ !
 وإن قلتما : لا بدَّ من شُرْبِ دَائِرٍ ، ولم تَعْدِرَانِي فِي مِطَالٍ وَلَا حَسِّ ،
 من مَهْوٍ حَيْرِيَّةٍ رَاهِبِيَّةٍ ، عَنَفَةِ نَحْسٍ أَوْ زَبْدٍ عَلَى نَحْسٍ ،
 نَجْشَرُ عَلَى قَرَعِ الْمِزَاحِ إِرَارَهَا ، وَغَتَالِ مَسِّهِ فِي مَصْبَقَةِ الْعُرْسِ !

دير حَنَّةَ الْكَبِيرِ^(١) - قال الخالدي : هو بالحيرة في الأكرحاح ، غير دير حنّه الذي
 د ر ح ه الكه
 هُذِمَا د كَرِه . يقال إنه جي حين سبب الحيرة : وكان من أنزه الديرة ، الكثرة إسانيه
 وندفق مباحه .

حكى بحطة عن بعض أهل الحيرة ، قال : أجتاز بنا عمر بن فرح الرُّحَيجِيُّ^(٢) ،
 مصرفاً من الحج . فتلقبناه وأعظمناه ، وسرنا معه . فلما أجاز بدير حة ، سألنا عنه
 معزمناه به . فقال : من ذا الذي يقول :

نادير حه من داب الأكرحاح !

فقال له الحسين بن هنام الحيرى : هذا لأبي نواس . أفتحب أن أسندك
 لشاعرنا الثَّوْرَانِيَّ شَيْئاً هَرَبَ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى ، فِي هَذَا الدَّيْرِ ؟ قال : قل . فأُسَدَهُ :

(١) أطراياقوت (ج ١ ص ٣٤٥ ح ٢ ص ٦٤٠ و ٦٥٦ و ٦٨١) . وقال بانوب انه لا دى
 ان كان الدير الذى بالأكرحاح هو هس الذى بالحيرة . وبص البكرى على أهما أشاد (وأطرهما صلبه
 في ص ٣٧٣) .

(٢) في الأصل : دى

(٣) كان هو وأوه من أعان الكتائب في أيام المأمون إلى أيام المتوكل ، مثل الورداء ودوى الدواوس
 الجبلية (أطر الأغانى ج ٩ ص ١١٤ ح ١٩ ص ١٤١ . وأطر معجم اللغات ح ٢ ص ٧٧٠)

على الرِّيحان والرَّاح . وإيَّام الأَكْيزاج

وإبريق كَطِيرِ الما . في لَجَّةِ صَحْصَاح .

سلام يُسَكِّرُ الصَّاحِي . وما فيه فَنِّي صَاح!

ومَنْ لِي فيه السَّلَو . ه عن وَحِهْ أَبْنِ وَصَّاح

عزالٌ صِيعَ من قَتْنِهْ إِبْدَانٍ وَأُرَواح!

إذا رَاحَ إلَى السَّيْثِهْ في أَثْوابِ أُمُصَاح ،

فَنِّي كَفَّهْ إِمَسَادِي . في كَفَّيْهِ إِصْلاحِي!

قال : فاستحسن الأبيات وأمر كاتبها معه بكتبتها . وطلع على الحسين بن هشام ،

وأجازه .

- وحيكى بحظه قال : زرت إبراهيم بن المدبر ، وكان بالكوفة . فأكرمنى وأسبى .
وأتمت عنده ثلاثة أشهر ، فخرى . يوما ذكر درجته ، فقال ابن المدبر : والله إنى لأحبُّ
أن أراه وأشرب فيه ، فقد ذكر لى حسنه ! فأين هو من الحيرة ؟ فدلله إسحاق بن
الحسين العلوى عليه وقال له : فى هذه الأيام ينبغي أن مقصد . لأنها أمام ربيع ورباص
هـتمه بالهره والعدران . والبادية بمر به . فلن نهدم أعرابيا فصيحاً بطير إليا ، ونحن فيه .
فبهدى إلينا بيص بعام ، ونحنى لنا الكماه . فقدم ابن المدبر إلى علمانه بإعداد ما يحتاج
إليه . ورحل ونرحل حتى وابناه . فاذا هو حسن الساء ، والرائض محذفة به ، ونهر
الحيره الذى قال له الغدير بمر به . فضربت لما حيم عنده . ونخرج إليا رهبانه ،
وجملوا إليا مما عندهم من التُّخَفِ وَالطُّفِ . فأكلنا وجلسنا نشرب . وغيبته بسعر
ابن بؤاس المقتدم . فبينما نحن كذلك ، إذ اجتاز بسا علام حسن عارضه كأنه بدر على

غصن، معه مصحف من مصاحف البصري، كامل الغفل، ساحر النظم واللفظ .
فشرّب أبْن المدبر على وجهه رطلا، وسقاه قَدْحاً . وأسأَدنه الغلام في الهوض، وقال :
معي مصحف لا تتم للربّان صلاةٌ إلا بحضوره . وهذا وقت صلاتهم، وقد صرّوا
النافوس منذ ساعة . وأخذ عليه العهد في الرجوع إليه وأمر له بمائة دينار . وعملتُ
سُعراً صنعت فيه صوتاً . فما زال صوته طول مقامه . وهو :

فَدَيْتُ مَنْ مَرَّ بِنا مُسِرّاً * يَسْعَى إِلَى الدِيرِ نَاسِفاً !
خَدَمْتُ رَبَّ الدِيرِ مِنْ أَجْلِهِ * حَتَّى كَأَنِّي بَعْضُ أَجْبَارِهِ .
حَدَرْنِي السَّارَ وَلَمْ يَذَرْنِي * فِي الْقَلْبِ وَالْأَحْشَاءِ مِنْ نَارِهِ .
حَبَرْنِي تَقْتِيرَ أَجْصَانِهِ * وَحَلَّ عَفْدِي عَقْدُ زَارِهِ .

(١٢٥)

وأقنا مكاننا ثلاثه أيام، ثم عاينا إلى الكوفة وقد عملتُ في تلك الأيام وغيتُ فيه :

وَبِالْحَيَةِ لِي يَوْمٌ ، وَيَوْمٌ بِالْأَكْبَرِاجِ !
إِذَا عَزَبَ بِنا الْمَاءُ * مَرَّجِنا الرِّاحَ بِالرَّاحِ !

وحكى الربيع عن بعض أهل الحيرة قال : كان في دير حنّ خمار يقال له مرعبدا،
موصوف بجودة الخمر ونظافة الآنية وملاحة الخانة . فحكى مرعبدا قال :
ما شمرت يوماً وقد فتحتُ حاويتي وجلستُ إلى جانب المبهكل، إلا بثلاثة فوارس
قد أقبلوا من طريق السماء في البر، حتى وقفوا على، وهم ملتصقون بعائم الخمر وعليهم
حُلّ القصب . فسألتهم على وأسمر أحدهم وقال : أنت مرعبدا، وهذا دير حنة
قلت : نعم . قال : قد وصفت لنا بجودة الشراب والنظافة، فاستقني رطلا . فبادرتُ
ففسلت يدي ثم تفرقت الدنان ونظرتُ أصفافها فبزلته . فشرّب، ومسح يده وفه

بالمبدل . ثم قال : أسفنى آخر : ففسلتُ يدي وتركْتُ ذلك الدُّكَّ وذلك القَدَحَ
والمندبل وفرت دَنَّا آخر . فلما رصيتُ صفاءه ، بزلْتُ منه رطلا في قدح ، وأخذت
مديلا جديدا . فناولته إياه فشرب كالأول . ثم قال : أسفنى رطلا آخر . فسقيته
في غير ذلك القَدَح وغير ذلك المندبل . فشرب ومسح فمه ويده . وقال لي : بارك
الله فيك ! فما أطببَ شرابك وأنظفَكَ وأحسنَ أدبَكَ ! وما كان دأبي أن أشرب
أكثر من ثلاثة أرتال . فلما رأيت نظافتك دعيتني نفسي إلى شرب رابع ، فهاهنا !
فناولته إياه على ملك السبيل . فشرب وقال : لولا أسبابُ تمتع من يتك لكان حبيبا
إلى جلوسى يومى هذا فيه . وولتُ منصرفا في الطريق الذى بدا منه . ورمى إلى أحد
الراكبين اللذين كانا معه بكيس . فقلت وحق النصرانية ! لا قبلته حتى أعرف
الرجل . قال : هذا الوليد بن يزيد بن عبد الملك ! ووصفت له ، فأقبل من دمشق
حتى شرب من شرابك ورأى دبرك والحيرة . ثم أنصرف . فحالت الكيس فاذا هو
أربعمائة دينار .



دير هند^(١) - (وهى بنت العمان بن المنذر) باه لها أبوها لتتعب فيه . فلما فرغ

دير هند

- (١) أطر الكرى (ص ٢٦٢) ؛ وياقوت (ح ٢ ص ٧٠٧) . "والداه" لهدياني (ص ١٨٣) .
وَأَسَ العنبري (ص ١٧٢) . "وضع الطيب" (ح ١ ص ٣٢٩) . وهاك ديارات أخرى تسم هند بعضها
يسمى هيد الكبرى وبعضها بنت بنت العمان وبعضها هيد الأقدم وبعضها هيد هيد . وأطر التماصيل عليها
في الأمان (ح ٢ ص ٣٣ و ٣٤ ، ج ٨ ص ٦٤) ؛ والطبرى (سلسلة I ص ٢٤٩٤ ، سلسلة II
ص ٦١٩ و ٦٢٠ و ١٨٨٢ و ١٩٠٣) . وَأَسَ الأثير (ح ٤ ص ١٨١ ، ح ٥ ص ٢٤٧) ؛
"والكامل" للرد (ص ٢٦٦) ؛ وَأَسَ الأثير (ج ١ ص ٣١٥) . وهاك دير آخر تسم هيد في دمشق
(ياقوت ح ٢ ص ٧١٠) . وقد تحطت هذه الاسماء بعضها ، ولكن البيانات والمواطن التي أوردتها هنا
تسمح تمام المير لمزيد البحث عنها واستقصاءها .

منه، خرجت من قصر أبيها تريد. فأقامت في الطريق سنة تنزل المضارب في نزه وصيد. والمسافة بين قصر أبيها وبينه نحو الفرسخ. وشق له بشر بن مروان نهرا من الفرات. ولم يزل النهر يجري حتى حرب الدير.

وحكى أن النعمان كان يصلي به ويتقرب فيه، وأنه علّق في هيكله خمسمائة قنديل من ذهب وفضة. وكانت أدهانها في أعياده من زنبق وبان وما شاكلهما من الأدهان، وبوقد فيه من العود الهندى والعنبر شيئا يحلّ عن الوصف.

وفيا حكى الكلبي^(١) أن النعمان دخله في بعض أعياده، فرأى امرأة تأخذ قربانا، أخذت بقلبه. فدعا الراهب الذى قزبها وسأله عنها. فقال: هي امرأة حكم بن عمرو التميمي. فلما أنصرف النعمان دعا عدى بن زيد، كاتبه. وأوقفه على الخبر وقال له: كيف الحيلة؟ فقال له: إذا كان بكره عد وحصر الناس الداب، فابدأ به في الإذن وأجلسه معك على سريرك. ففعل النعمان ذلك وأذن للناس بعده. فجعلوا يتعجبون. وأنصرفوا. فقال النعمان لعدى بن زيد: قد فعلت ما أشرت به، فقه؟ قال: إذا أصبحت فأكسه وأحمله. ففعل. ثم قال: اجعل حوائج العرب إليه. ففعل. ثم قال النعمان لعدى بن زيد: قد طال هذا! قال: إذا أصبحت، فإن عندك عشر نسوة، فطلق أنفضهنّ إليك. ثم قل له: قد طابت نفسي لك بما لم تطب به لولد ولا أخ. قد طلقت لك فلانة، فترؤسها. ففعل ذلك. وخرج وهو لابس من حُلّ النعمان، ولديه ماحمله عليه. فجلس وحكم بين العرب، وعدى بن زيد بالباب جالس.

(١) هذه الحكاية رواها أيضا في كتاب المحاسن والاصداد المسبوق للمحافظ (ص ٣٠٩ طبع ليد).

وهناك تعبير في بعض الألفاظ.

فقال له الخمي : ما أدري ما أكافئ به الملك ° فعل معي وفعل . فقال له عدى :
ما أقدرك على مكافأته ! قال : وما هو ° قال : طلق أمرأتك كما طلق لك أمرأته .
قال : قد فعلت ° فأنفذها إلى البهان . وفي ذلك يقول الشاعر :



عَلَّقَتْهَا حَرَّةً حَوْرَاءَ بَاعِمَةً ° كَأَنَّهَا الْبَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلُمِ .

وفي البرية من أنثى تُعَادِلُهَا ° إلا التي أخذ النعمان من حَكَمِ !

وقد ذكره أبو الفرج وقال : هند بنت النعمان صاحبة هذا الدير، هي الحرقة .
وهي التي دخلت على خالد بن الوليد . وآخر أمرها معه أنه أمر لها بمال ومعونة
وكسوه . فقالت : مالي إليه حاجة . لي عبدان يزرعان مزرعة لي ، أتقوت بها ما يمسيك
رمقي . وقد اعتددت بقولك فعلا وبعرضك نقدا . فاسمع مني دعاء أدعو به لك ، كما
ندعو به لأُمْلَأُ كما : شُكْرُكَ يَدُ أَتَفَرَّتْ بَعْدَ غِنًى ، وَلَا مَلِكُكَ بَدَ اسْتَغْنَتْ بَعْدَ فَقْرٍ ،
وأصاب الله بمعرفتك مواضعه !

قال : وهذا الدير بقارب دير بني عد الله بن دارم بالكوفة ، مما يلي الخندق .
وحكي التابستي أن الحجاج قدم الكوفة فبلغه أن بين الحيرة والكوفة ديرهد بنت
النهان ، وهي متمكة من عفلها ورأيها ، فانظر إليها فلها بقية ° فركب ، والناس معه ،
حتى أتى الدير ، ففعل لها : هذا الأمير الحجاج بالبالب : فأطلعت من ناحية الدير .
فقال لها : يا هند ! ما أعجب ما رأيته ° قالت : خروج مني إلى مثلك . لا تتعزَّنْ
يا حجاج بالدنيا ، فإنما أصبحنا ونحن كما قال النابغة لأبي :

رَأَيْتُكَ مِنْ تَعَقُّدِ لَهْ حِلْ ذِمَّةٍ * مِنْ النَّاسِ ، يَأْمَنُ سِرْجَهُ حَيْثُمَا أَرْنَى !

ولم يُنْسَ إِلَّا وَنَحْنُ أَذَلُّ النَّاسِ . وَقَلَّ إِذَا امْتَلَأَ إِلَّا أَنْكَفَأَ . فَانْصَرَفَ الْحَجَّاجُ

مُغْضِبًا. وأرسل إليها مَنْ يخرجها من الدير، ويستأديها الخراج. فَأُتِجَتْ، ومَعَهَا ثلاث جوارٍ من أهلها. فقالت إحداهنَّ:

(٣٢٨)

خارجاتٌ يُسَقَّنَ من ديرهنِّد * مُعلَّاتٌ بِنَلَّةٍ وَهَوَابٍ!

لَيْتَ شِعْرِي! أَوَّلُ الْحَشْرِ هَذَا * أَمْ عَا الدَّهْرُ غَيْرَ الْفِتْيَانِ؟

فشدَّ قَتَى من أهل الكوفة على فرسه، فاستنقذهنَّ من رُسُل الحجاج. وتغيَّب. فلعل الحجاج شعرها وفعل الفتى. فقال: إن أنا، فهو آمِنٌ؛ وإن طمرنا به، قتلناه! فأثابه. فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: الغيرة. فوصله وخطَّاه.

وكان سعد بن أبي وقاص حين فتح العراق، أتى هنداً إلى ديرها. فخرجت إليه وعرض عليها نفسه في حوائجها. فقالت: سَأَحْيِيكَ بِتَحِيَّةٍ كَانَتْ مَلُوكُنَا تُحِيَّ بِهَا «شُكْرُكَ يَدُ أَتَقَرَّتْ بَعْدَ غَنًى، وَلَا مَسْتَكٌ يَدُ اسْتَعْنَتْ بَعْدَ فَقْرٍ، وَلَا جَعَلَ اللَّهُ لَكَ إِلَى لَيْمٍ حَاجَةً، وَلَا نَزَعَ عَن كَرِيمٍ نِعْمَةً إِلَّا جَعَلَكَ سَبِيلاً لِرَدِّهَا عَلَيْهِ!» قال: ثمَّ جاءها المغيرة، لما ولَّاه معاوية الكوفة. فاستأذن عليها. فقيل لها: الأمير على الباب! فقالت: قولوا له: من أولاد جيلة بن الأيهم أنت؟ فقال: لا. قالت: أفن أولاد المنذر بن ماء السماء؟ قال: لا. قالت: فمن أنت؟ فقال: المغيرة بن شُعبَةَ الثَّقَفِيِّ. قالت: فما حاجتك؟ قال: جئتُكَ خَاطِباً. قالت: والصليب! ما جئتُكَ رَغَةً في مال، ولا شُفْفاً بِجَمَالٍ. ولكن أردت أن تقول: نَكِحْتُ ابْنَةَ النِّعْمَانِ. وإِلَّا فَأَمَى نَخْرٌ في أَجْتِمَاعِ شَيْخِ أَعُورٍ وَعَجُوزِ عَمِيَاءٍ؟ إِذْهَبْ! فَبَعَثَ إِلَيْهَا فَقَالَ: كَيْفَ كَانَ أَمْرُكُمْ؟ قالت: سَأَخْصِرُكَ الْجَوَابَ. أَمْسَيْنَا وَلَيْسَ فِي الْعَرَبِ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَرْغِبُ إِلَيْنَا وَيَرْهَبُنَا، ثُمَّ أَصْبَحْنَا وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ إِلَّا وَنَحْنُ نَرْغِبُ إِلَيْهِ وَنَرْهَبُهُ. قال:

٥

١٠

١٥

فما كان أبوك يقول في تقيف^٥ قالت : آخضتم إليه رجلان، أحدهما ينجيها إلى إباد
والآخر ينجيها إلى بكر بن هوازن . قضي بها للإبادى . وقال :

إِنَّ تَقِيْفًا لَمْ تَكُنْ هَوَازِنَا * وَلَمْ تُنَاسِبْ عَامِرًا وَمَازِنَا!

قال المغيرة : أما نحن فمن بكر بن هوازن، فليقل أبوك ماشاء!

❦

دير اللج^(١) - وهو بالحرية، مما بناه النعمان بن المنذر . وهو من أئمة دياراتها وأحسنها
بهاء : لما يطيف به من البساتين . وكان النعمان يأتيه يتعبد فيه، ويستشفى به في مرضه .
وفيه قيل :

دير اللج

يَالْبَلِيَّ أَطِيبُ بِهَا لَيْلَةٌ ، * لَوْلَمْ يَكُنْ قَصْرُهَا الطَّيْبُ !
بِتَنَا دِيرَ اللُّجِّ فِي حَانَةٍ * شَرَابُهَا فِي الْكَاسِ مَكْبُوبُ .
يُدْرِهَا ظَنِّي هَبِيبُ الْحَشَا * يَجِبُّهُ الشَّبَانُ وَالشَّيْبُ .
حَتَّى إِذَا مَا الْخَمْرُ مَالَتْ بِنَا * جَرَتْ أُمُورٌ وَأَعَاجِبُ .
مَا تَرَى ظِلْكَ فِي شَادِنٍ * بَاتَ إِلَى جَانِبِهِ ذَيْبُ .

وقد ذكره أبو الفرج، فقال : كان النعمان يركب في كل أحد إليه، وفي كل عيد .
معه أهل بيته خاصة من آل المنذر ومن يادمه من أهل دينه . عليهم حلل الديباج
المذهبة، وعلى رؤوسهم أكاليل الذهب . وفي أوساطهم الزانير المحلاة بالذهب المصصه
بالجوهر . وبين أيديهم أعلام فوقها صُلَانُ الذهب . وإذا قَصُصُوا صَلَاتَهُمْ . أنصرف
إلى مُسْتَشْرِفِهِ عَلَى النَّجْبِ . فيشرب فيه بفيه يومه إلى أن يُمِئِي، وخلع ووصل
وحمل . وكان ذلك أحسن منظر وأشرفه . وأنشد فيه قول الشاعر :

(١) أنظر أيضا باقوت (ح ٢ ص ٦٩١) ، والبكري (ص ٣٦٦) .

سقى الله دير اللج خيرا فإنه * على بُعد مني إلى حبيب!
قريب إلى قلبي بعيد مكانه ، + وكم من بعيد الدار وهو قريب!

دير بني علقمة ^(١) - وهو دير بناء علقمة بن عدي الحمي ، بالحيرة ، وفيه يقول
عدي بن زيد ، وفيه غناء :

نادمت في الدير بني علقما * عاطيتهم مشمولة عندما!
كان ريح المسك في كأسها - إذا مزجها بماء السماء!

دير هند الأقدم ^(٢) - وهي هند الكبرى بنت الحرث بن عمرو بن حجر ، الملك ،
أم عمرو بن المنذر ، الملك .

وحكى محمد بن عبد الله بن مالك الخزازي عن أبيه قال : دخلت مع يحيى
ابن خالد ، لما خرجنا مع الرشيد ، إلى الحيرة . وقد قصدها ليتزهد بها ويرى آثار
آل المنذر . فدخل دير هند الأكبر . وهو على طرف النجف : فرأى في جانب
حائطه شيئا مكتوبا . فدعا بسلم فأحصر . وأمر بعض أصحابه أن يصعد إليه ،
فيفراه . فإذا فيه مكتوب :

إن بني المنذر عام أقضوا * بحيث شاد البعة الراهب ،
تفتح بالمسك ذفاريهم * وعبر بقطه العاطب .
والقر والكثان أنواهم * لم يحلب الصوف لهم جالب .

(١) سماه ياقوت والكرى "دير علقمة" وأطركلام الأول عليه (ح ٢ ص ٦٨١) ، والثاني

(ص ٣٦١) .

(٢) أطركبرى (ص ٣٦٤) . وسماه ياقوت "دير هند الكبرى" (ح ٢ ص ٧٠٩) .

وَالْعِزَّ وَالْمُلْكَ لِمَ رَاهُ * وَقَهْوَةً تَجُودُهَا سَاكِبُ .
 اُنْتَحُوا وَمَا يَرْجُوهُمْ طَالِبُ * خَيْرًا وَلَا يَرْهَبُهُمْ رَاهِبُ .
 كَانْتَهُمْ كَانُوا بِهَا لُغَةً * سَارَ إِلَى بَيْنِهَا رَاكِبُ .
 وَأَصْبَحُوا فِي طَبَقَاتِ الثَّرَى * بَعْدَ نَعِيمٍ لَهُمْ رَاتِبُ .
 شَرُّ الْقَابَا مِمَّنْ تَرَى مِنْهُمْ : « قُلْ . وَذَلَّ جَدُّ خَائِبُ ! »

فبكى الرشيد، حتى جرت دموعه على لحيته . وقال : هذه سبيل الدنيا وأهلها !
 وأنصرف عن وجهه ذلك .

قبة السنيق ^(١) - وهي من الأبنية القديمة بالحيرة، على طريق الحاج، وبازائها قباب
 يقال لها السكورة، جميعها للصاري . وعند السعائين بها نزهة . يخرج فيه الصاري
 من السكورة إلى القبة في أحسن زى، عليهم الصلبان وبأيديهم المحامير . والقسوس
 والشامسة على نعم واحد، متفق في الألمان، إلى أن يقضوا بغيثهم . ثم يعودون
 على هيتهم .

دير إسحاق ^(٢) - وهو بين حمص وسلمية . في موضع حسن نزهة، على نهر جار .
 وحوله كروم ومزارع، إلى جانب ضيعة صغيرة، يقال لها جدر . وهي التي ذكرها
 الأخطل في قوله :

« عَتَقْتَهَا حِمُصٌ أَوْ جَدْرٌ »

(١) أورده في الأصل بالشين المعجمة . (وأطر تصحيحاً عن ياقوت في صفحة ٣١٥ المقدمة أثناء

الكلام على (دير الحريق) .

(٢) في الأصل : نعيم .

(٣) أطر ياقوت (ج ٢ ص ٦٤٣) .

وفيه قال أبو عبد الرحمن الهاشمي السلماني، من أهل سلمية :

وافق أخاك تجذبه خير رفيق ، * إن كنت است عن الصبا بمُبق !
وإذا مررت بدير إسحاق فقل : * جادتك غير سحاب وبروق !
دير يسبه مأوه بهوائه * وهوائه بلطافه المعشوق .

وكتب أبو عبد الرحمن إلى أحبه من دير إسحاق :

أما طربت لهذا العارض الطرب * أما رأيت الصا والجوف في لب ؟
تعاثفا فكان القطر بينهما * من فضة ، وكأن الزهر من ذهب .
ونحن في دير إسحاق ومجلسا * يشكو مغيك ، فاحضره ولا نغب .
لجعل اليوم عدا في ملاحظته * وقلب الهم بالأدوار في القلب .

وقال فيه :

سلام على ليلة بالدوير : تقضت كرائره في الحلم !
أتاني في طيلسان الضياء * ولم تتننع نور الظلم .
يعارض فيها أبناسم البروق * بروق دنان بها تبسم .
وصفراء لم تبق إلا النحيف منها الليالي وطول القدم ،
تمزنتها في ثياب الدجى : إلى أن تجلى الدجى للهزم .
زلنا بها وسط مكسوة * مطارف من نسج أیدی الدیم .
سقاني ابن قسيسها كأسها * على زورة من حبيب ألم .

وقال فيه:

أَنْظَمَ رِابَضُ الدِيرِ مِنْ صَوْبِ مَا طَرِهَ . وَلَمْ أَقْرِ صَيْفَ اللَّيْلِ أَجْمَانَ سَاهِرٍ
وَقُلْتُ: سَقَى الصَّحْرَاءُ بَيْنَ عَوَاقِصِ . ذَوَائِبِهَا فِي سَفْعِهِ وَنَوَاشِرِ!
رَحِمَ بَاطِلُ الْعَرُوسِ يَضُمُّهَا . إِذَا مَا آنَسْتُ ضَمَّ الشَّبَقِ الْمَحَازِرِ.
فَكَمْ قُلْتُ لِلسَّائِي، وَقَدْ مَحَ الدُّيْ . بِوَاطَرِهَا: قُمْ هَاتِيَا لِاتِّبَاطِرِ!
يَحْنُ إِلَى الدِيرِ اسْتِنَاقِي كَأَنَّمَا . بُرِنِي الصَّبَا بِهِ بِمَوْقِعِ نَاطِرِي.

دير ميماس

دير ميماس^(١) - وهو بين دمشق وحمص على نهر ميماس، وإليه تُسب، وهو
في رباط وبسايين، وعليه طواحين رومية. ويزعم رهبانه أن به شاهدا من
الحواريين.

وحكى العسقلاني أنه كان لذلك الحق غلام يهواه، وكان شديد الوحده به، فخذعه
قوم ومصّوا به إلى دير ميماس، وسقّوه بيدا، فبلغ ذلك الدمك، ففلق. وقال:

قُلْ لِحَصِيمِ الْكَسْجِ مِمَّاسٍ: اِرْتَفَعَ الْعَهْدُ مِنَ الْبَاسِ!
مَاطَاقَةَ الْآسِ الَّتِي لَمْ تَمُدَّ إِلَّا أَذَلْتُ قُصْبَ الْآسِ!
وَنَقَتَ الْكَاسِ وَتَبَرَّأَهَا، وَحَتَفَ أَمَثَالِكَ فِي الْكَاسِ!
فِي دِيرِ مِمَّاسٍ، وَمَا نَعَدَ مَا بَيْنَ مُبَيْثِكَ وَمِمَّاسٍ!
لَا بَاسَ مَوْلَايَ عَلَى أَنَّمَا . نِهَايَةُ الْمَكْرُوهِ وَالْبَاسِ!
فَالَهُ وَدَعْ عَنكَ أَحَادِيثَهُمْ . سَبُّصَبِاحِ الذَّاكِرِ كَالنَّاسِ!

وحكى ان ابا نؤاس، لما دخل حصص مارا بها، دعاه قتي من أدبائها الى دير ميماس .
ودعاه معه أشجع السلمي . فجلسوا يشربون ، وأبو نؤاس يشدهم له ، ولغيره . فقال أشجع :

صَبَحْتُ وَجَهَ الصَّبَاحِ بالكاس * ولم تَعَفْنِي مِفَالَةُ الباسِ .

ونحن عِنْدَ المَدَامِ أَرْبَعَةٌ * أَكْرَمُ صَحْبٍ وَخَيْرُ جُلَاسِ .

نَدِيرُ خِصْيَةٍ مُعْتَقَّةٍ - عَلَى نَسِيمِ النَّسِيرِ والآسِ .

ولم يزل مُطَرِّبًا وَمُنْشِدًا * أَوْ نؤَاسٍ فِي دِيرِ ميمَاسِ .



دير محلي

دير محلي^(٢) - وهو بساحل جيجان ، قريب المصيصة .

وحكى أبو بصر الحوى أن أبا حالد ، الكاتب ، أجاز بهذا الدبر ، ومعه ابن أبي زرة
الدمسقي الشاعر . قال : فرأينا من حسن راضه ، وتدقيق مائه ، وطيب هوائه ، ونضرة
أنجاره ، مظرا حسا . فقال ابن أبي زرة : امد حُظْرَ علبا أن تتجاوز هذا الموضع
ولا تشرب فيه حتى نموت سكا . فقلت له : ويحك ! أنا مبادر في مهم . فقال :
ما فذامك أهم من هذا . وثني رجله ، ونزل عن دابته . فزلنا . ثم أتانا الرهبان بتحايا الورد
والباسمين والبقاح . وأخرجوا إلينا شرابا عتيقا ، في نهاية الصفاء والرفقة ، فأبتعناه منهم .
وأفنا بومنا هناك في أعم عيش وأحسه . فلما أصبحنا ، غَدَوْنَا . فأنشدني أبو زرة

لنفسه :

دَبْرُ مُحَلَّى بِمَحَلَّةِ الطَّرِبِ - وَصَحْبُهُ صَحْبُ رَوْضَةِ الأَدَبِ .

والماء والخمر فيه فدُسِيبَا * للصفو من فِضَّةٍ ومن ذهبِ .

(١) في الأصل : ولم يرد مطرا ومشدا .

(٢) سماه ياقوت "دير المحلى" وأطار كلامه عليه (ح ٢ ص ٦٩٥) .

لا ودموعُ العمام رَوْقُذا * وتلك لم تُعْتَصِرْ مِنَ الْعَيْبِ .
وَوَرْدُهُ فِي الْفُصُوفِ يَتَنَّى * حُسْنًا وَتَفَاحُهُ يَبْرَحُ بِي .
فَلَا تَلْمِئْنِي إِذَا حَمَلْتُ إِلَى * حَانَاتِهِ مَا حَيِّتُ مُنْقَلَى .
رَصِيْتُ أَنْ أُغْتَدَى بِالْأَنْسَبِ * وَيفْتَدَى وهو قد حَوَى نَسَبِي .

دير مار مروثا ^(١) - وهو دير صغير، بظاهر حلب، في سمح جبل جَوْشَن، على نهر العُرجان.

وكان سيف الدولة محمداً إلى أهله . وقلما مرَّ به إلا نزله، ووهب لأهله هبةً كبيرة . وكان يقول: رأيت أبي في اليوم يُوصيني به .

وله بساتين قليلة ومباقل . وفيه نرجس وبفسج وزعفران .

ويعرف باليعتيين، لأن فيه مسكنين: للرجال والنساء .



قال الخالدي وإياه غنى الصویری بقوله :

ما بالُ أَعْلَى قُوَيْقَ يَشْرُ من * وشي الربيع الجديد ما دَرَجُ
كأَنا أَحْتَبِرُ الْفُصُوفُ لَهُ * بين عَقِينِي وَبَيْنَ فَيَرْوِزُ .
أما ترى الْيَعْتَيْنِ أَفْرِدَنَا * بِمُفْرَدِ الْأَخْوَافِ وَالْمُزْجِ
أَتَوَابِهِ الْمُنْزُ كَيْفَ مَا أَصْلَتْ . - وأره البرق كيف ما أَجَجَ .

١٥

دير الرصافة ^(٢) - هو بالشام، قريب رصافة هشام بن عبد الملك، وموضعه حسن .

دير الرصافة

وفيه قيل :

(١) - ساد يانوت المالبيث "مارت مروثا" أي القديسة ماروثا . وأطُر كلامه عليه (ح ٢ ص ٦٩١) .

(٢) أطُر الكرى (ص ٣٧٩) ٠ وأطُر ياقوت (ح ٢ ص ٦٦١) .

نراك جَزَعْتَ يا دِير الرُّصَافَةِ • غَدَاهَ تَحَوَّلَتْ عَسْكَ الخِلَافَةِ!

فَلَا تَخْزَعُ وَتُذْرَى الدَّمْعُ حُرْنًا، • فَإِنَّ لِكُلِّ مَجْتَمِعِينَ آفَهُ!

وَحَكِي أَنْ أَبَا نَوَاسٍ مَرَّ بِهِ، وَاتَّ فِيهِ • فَلَمَّا رَحَلَ عَنْهُ، قَالَ :

لَيْسَ إِلَّا دَيْرُ الرُّصَافَةِ دَيْرٌ • فِيهِ مَا تَسْتَهِي الثُّمُوسُ وَتَهْوَى.

بُتُّهُ لَيْلَةً فَقَضَيْتُ أَوْطَا • رَأَى وَيَوْمًا مَلَأْتُ قُطْرَيْهِ هَلْوَ.

وقد ذكره أبو الصرح وقال : إن ابن حمدون حكى أن المتوكل لما أتى دمشق، ركب يوما إلى رصافة هشام، يزور دوره وقصوره. ثم خرج فأتى الدبر. وهو من بلاء الروم، حسن البناء، بن مزارع وأنهار. فيها هو يدور، إذ بصر رقعة قد أُلصفت في صدره. فأمر بها أن تفلع ويؤتى بها ^(١). ففعلت وإذا فيها :

أَمَّا زِلَا بالدبرِ أَصْحَحْ خَالِيًا! • تَلَاعَتْ فِيهِ شِمَالٌ وَدُورُ!

كَأَنَّكَ لَمْ تَسْكُنْ بَيْتُ أَوَانِسَ • وَلَمْ تَبْحَثْ فِي فِائِكَ حُورُ.

وَأَبْنَاءُ أَمْلَاقٍ عَبَانِمُ سَادَةٌ • أَصَاغِرُهُمْ عَدُّ الْأَمَامِ كَبِيرُ.

إِذَا لَيْسُوا أَذْرَاعُهُمْ فِصْرَاغُمُ • وَإِنْ لَيْسُوا تَيْجَانُهُمْ فُدُورُ.

إِلَى هِشَامٍ بِالرُّصَافَةِ فَاطِطٌ • وَفِيكَ أَبُوهُ نَادِرٌ وَهُوَ أَمِيرُ

إِذِ الْعَيْشُ غَضُّ وَالْخِلَافَةُ لَذَنَةٌ • وَأَنْتَ طَرِيرٌ وَالزَّمَانُ غَرِيرُ.

(١٤٥)

(١) في الأصل • شرك • (بدون نقط). وقد صححت بما يقتضيه المقام، بقدر الإمكان.

(٢) أي منسوبون إلى عبد شمس. وفي ياقوت • عيائهم وهو تصحيف.

(٣) في ياقوت صعيدهم. وهو أنسب

وروصك فَبَانُ يَذُوبُ بَصَارَةً * وعيش بني مروان فبك يَصِيرُ.
رُوَيْدَكَ إِنَّ الْيَوْمَ يَبْعُهُ غَدٌ . وَإِنْ صُرُوفَ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ!

فلما فرأها المنوكل ، أرماع ونطير . وقال أعوذ بالله من شرِّ أقداره ! ثم دعا
بالديَّانِي وقال . مَنْ كُتِبَ هَذَا " قال : والله لأدري ، لأنى مد نزل أمير المؤمنين
هنا ، لا أملك من أمور هذا الدبر شيئاً . يدخله الجحد والشاكرية . وغاية قدرتي أنى
موايرى فَلَاجِي . فَنَهْمٌ نَصْرَبُ عُمُقَهُ وإختراب الدبر . فلم يزل به الصبح بن حاقان حتى
كف . ثم طهر أن الذى كتبها رجلٌ من ولد رَوْحِ بن زِيْناع ، صاحب عبد الملك ،
وأمه مولاة لهشام .

دير حطورا - هو في شرق طرابلس ، في جانب الوادي . الذى أسفل من
طريقه والحَدَث .

وهو بقاء في سَفْحِ الجبل . من ذلك الجانب ، قُبالة الطريق السالك إلى طرابلس .
وهو حصين جداً . لا يُسَلَّكُ إليه إلا من طريق واحد . وظهر الجبل الذى له منيع .

دير البنات ^(١) - وهو دِيرٌ أبيضُ الباء ، مشرفٌ على أرض طرابلس . له دِكْرٌ .

حكى أَنَّ الطَّبِيَّ أَنَاهُ فِي يَوْمٍ شُعْشَعَتْ شَمْسُهُ ، وَأُتْرِعَ كَوْوَسُهُ . وَكَانَ الْفَصْلُ
رَبِيعاً قَدْ اسْتَطَالَ فِيهِ اللَّيْلُ ، وَطَلَّ الْحَسَنُ تِلْكَ الْبَنَاتِ . وَفِيْنَهُ كُلِّ عِزْرَاءٍ تَدْهَشُ
الْمُنْتَحَرَّةَ ، وَتَحْيِرُ الْمُتَحَيَّرَ . وَكَانَ فَدِ صَحْهِ غَلَامٌ ذُو عِزَارٍ أَخْصَبَ بِهِ الْبَلَدُ الْمَاحِلُ ،

(١) ذكر المقرئ دبر بن اللبابة بالهارة وهما غير هذا الذى ذكره ابن فضل الله ها . (أنظر "الحفظ"

وقذف موج الخلة منه العبر إلى الساحل ، وطافت عليه قطائع المدام ، وأمن شائع
الملام ، وتقلب بين غلامه وعلام . فقال :

دير البات الرهر أنت المني ! . وأنت من دون الأمان المرام !
لم أنس يوما فك أذهبته . بالله بل ذهبته بالمدام !
ومحن في غمره أبا مننا . والعيش مثل الطف حلوا لآلام .
والدوح ماجت له زهرة . والروض طفل ماجاه الغمام .
وبينا خود كشمس الصبح . وأغيد قد فاق بدر التمام .
لولا نبات الشعر في خده * لم تدر أي الأعيدين العلام .

دير كفتون - وهو ببلاد طرابلس . مبني على جبل . وهو دير كبير . وبناؤه
بالحجر والكس ، في نهاية الحوذة . وبه ماء حار . وله حوض كبير مملوء من شجر
البارنج . يحل مارنجيه إلى طرابلس . يباع بها . ويرتفق بئمه الرهبان . وله مستشرق مطل
على البلاد والمزارع . ومه مكان يشرف على البحر .

ولهذا الدير صيغ جائل وسمعة مذكورة . وبه رهبان كثيرون العدد . والنصارى
نقصده ، ويحل إليه الدورة . وبقصده كثير من أهل البطالة والاهو ، للدمرج به
والتنزه فيه .

وفيه يقول الطيبي :

أدبر كفتون تكفى كل نابيه من الهنوم ولقى كل سراء !
من كل خصراء في الأشجار مائيه . وكل صباء في الكاسات حمراء .
حلال في دير كفتون ولا عجب . إدمت سكرًا بخراء وخصراء !



دير القاروس ^(١) - على جانب اللاذقية ، من شمالها . وهو في أرض مستوية .
وساؤه مربع . وهو حسن البقعة .

وفيه بقول أبو علي حسن بن علي الغزّي :

لم أنس في القاروس يوماً أيضاً * مثل الحبس يزيه ورع الدجى !
في ظل هبكله المشيد وقد بدأ * للعين معفود السكينة أبلجا .
واللاذقية دونه في شاطئ بلوره قد زين الفيروزجا .
ولدى من رهانه متمسك * أضفى امرط جماله متبرجا .
أحوى أغش إذا تردد صوته في سمع رذا احتجاج ذوى الحجى .
لاشئ أطف من سمائه إذا حث الشمول ولغظه قد لجلجا .
فله والليوم الذى فضّيه * معه بكائى لا لربع قد سبجا .

دير فيق ^(٢) - وهو في طهر فيق ، بنها وبين بحيرة طبرية . في لحف جبل يتصل
بالعربة . معور في الحجر . وهو عامر بمن فيه ومن برد عليه . والبصاري نفصده وتعظمه .

قال السابقي : ويزعم أنه أول دير عُمل وأن المسيح (عليه السلام) كان
يأوى إلى ذلك الموضع الذى عمل به هذا الدير . ويجلس إلى ذلك الحجر . وكل من
دخل من البصاري ذلك الموضع ، كسر من ذلك الحجر : تبركا به . وعمل في هذا الدير
موضع على اسم المسيح ، (عليه السلام) .

(١) أنظر "فتح البلدان" للبلادى (ص ٣٥٧) .

(٢) أنظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٨٤) .

قال : ولأني نواس فصيده ، يذكر فيها هذا الدبر ويحاطب فيها علما بصرائيا كان
يهواه . منها :

بعمودية الدين العسوي ، مَرَّ طَبْلُطَهَا ، بِالْجَالِسِ !
تُحَجِّلُ فاصداً ما سَرِحَ سَان . فَدِيرُ الثُّوبِ هَارٍ فَدِيرَ مِقِي !
وَبِالصُّلْبِ الْجَبِينِ وَقَدْ نَدَبُ . وَالزُّنَّارُ فِي الْخَضِرِ الدَّقِيقِ !
وَبِالْحُسْنِ الْمَرْكَبِ فَيْكَ إِلَّا رَحِمْتَ نَحِيرِي وَجُفُوفَ رِيقِي !
أما والقرب من بعد الثاني ، يَمُحُّ فِي لَفَاتِهِ عَنَسِي !
لقد أصبحت ربة كل نكر . وعبداً مع حنائك والعقوى !

(٢٢٧)

دبر الطور - والطور حل مستدير ، منسع الأسفل ، لا يعلو به شيء من الحال ،
وابس له إلا طرفي واحد ، بين طبرية واللجون . مشرف على العور والمرج وطبرية .
نزه . وفيه عين بديع بماء غرر . والدري الصلة ، مني بالحجر . وحوله كروم كثيرة ،
يعتصرونها . ويعرف بدبر التجلي . لأنهم برعهم أن عيسى تحلى به لتلاذه ، بعد أن
رفع حتى أراهم نفسه وعرفوه .

وللهلhel بن يموت بن المزرع فيه .

مضيتُ إلى الطور في فيه . سِرَّاجُ التَّهْوِضِ إِلَى مَا أَحَبُّ .
كرام الجُدود ، حسان الوجوه ، كَهُولِ الْعَمُولِ ، سَبَابِ اللَّعْبِ .

(١) ذكره باقوت باسم دبر طور سينا (ح ٢ ص ٦٧٥) . وهو ناشام . وهو غير المتصور قدما وحدنا
في شبه جزيرة الطور باسم دبر الطور (المعروف الآن باسم دبر طور سينا) الذي سيأتى الكلام عليه باسم كيبسه
| ودبر | الطور في ص ٣٧٢ .

فأى زمانٍ بهم لم بُسر * وأى مكانٍ بهم لم يطب؛
 أنحت الركب على ديره - وقضيت من حبه ما يجب.
 وأثرلهم وسط أعتابه + وأسقيهم من عَصَبِ العَب.
 وأحضرتهم قرأ مشرقاً - تمل العضون به في الكُث.
 نحت الكؤوس مأهراجه - ومرسوم أزمانه بالعَب.
 وما بين ذلك حديث بَرَو - وحوص لهم في قُوف الأذن.
 فيا طيب دا العيش لو لم يزل - ويا حَس دا السعد لو لم نعب!

وأُسَد له الشاستي في نحو من مثل هذا الأرب، وقد دعا نوار الربع إلى سُرَب
 آسة العَب:

قد أبا بلى الرماض من الزهر عريب الصُوف والألواب .
 وبدا البرحس المنفج برؤ - من جُفون الكافور الرُعراي .
 وقف الطل في المحار منها - ثم ما ست فأنهل مثل الجمال .
 باعلام أسقى فمذ صحك الوقت وقد تم طيب هذا الزمان !
 أدن منى الدنان ! صُ الأبار سقى ! أسحت الكؤوس ! صُف القاني !
 بادِر الوقت وأعني فرص العيشش ولا تكذب فالعمر فاني !

وكذلك أنسَد له قوله :

زمان الرماض زمان أنيق * وعيش الخلاعة عيش رقيق !
 بهار بهير به عيرة * على زجج وشقي شقيق .

مَدَاهِنُ يَجْلَنَ طَلَّ السَّدى + فَهَاتِيكَ سِرَّ وَهْدَى عَمِيقُ !
وَبَادِرْ بِأَحَادِيثِ الزَّمَانِ * فَوَجْهَ الْحَوَادِثِ وَجْهَ صَبِيقُ !

وقوله في مثله :

قَدْ قَدَّمْتُ لَلسُرُورِ أَنْفَالُ + وَحَتَّ سَهْرَ الصَّمَامِ سُؤَالُ .
وَأَمَّلَ اللَّيْلُ لِأَبْسَا حُلَلًا * مِسْكَنَةً مَا لَهْنُ أَدْبَالُ .
وَأَهْتَرَّ غُودٌ وَحَنٌّ مِنْ طَرَبٍ * شَوْقٌ وَعَنَتْ بِالرَّاحِ أَرْطَالُ .
فَاغْتَنِمُوا فُرْصَةَ الزَّمَانِ وَلَا * تُفَرِّطُوا فَالزَّمَانُ مُغَالُ !

دير المصلبة - وهو بظاهر مدينته القدس الشريف ، في سامها بغرب ، وهو دير
رومى قديم الساء ، المحر والكلس ، تحكم الصمعة ، موق البقعة ، في بحيره من أشجار
الربوب والكروم وشجر الين ، بإراء قرية ، نجري على الدير بمرسوم السلطان . ١٠

وهذا الدير دخلت إليه ورأيت . وفيه صور نوابه في عابه من محاسن التصوير ،
واسبب المقادر . وصعدت إلى سطحه ، فرأيت له حسن مشرف وسعة فضاء .
ورهبانه من الكرج .

وقد كان أحد هذا الدير ، وجعل مسجدا للمسلمين ، وأعلن فيه بالأذان وأقيمت
الصلاه . ثم أعيد ديرا للنصارى ، وضرب فيه بالنافوس وأظهرت فيه كلمه الكمر . ١٥
ووصل إلى هذا بكتاب أحصر من ملك الكرج ، وأعانه عليه هوم آخرون .

صار مسجدا
ثم ديرا

(٢٢٢)

ورأيت عند الحافظ العلامة أبي سعيد العلاني وعد سائر العلماء والصالحاء بلاد
القدس من إعادته إلى النصارى ، وهو هدى عيونهم إلى أن يغفل ، وشيخ حلوهم إلى
أن يُسترد .

وعلىَّ الله نذر إِبْرَ وصَلبَ بَدَى إلى هَذَا لَأَرَدَدْتُهَا حَتَّى يَرَدَّ! ولهذا القصد،
نشهد الله العظيم، وعصديه.

بدر المونف

وحدى رهبانه، أَن على دبرهم وقوفنا في بلادهم، منها خبول سائمة تُعَمَلُ أُمَحَانُ
ساحلها إليهم، وأنه نَحَى، وما في كل - سه قدر جليل، وأما تَعَقُّقُ في مصالح الدبر
وَأَسَ السبيل.

وقوف الدبر

٥

وفيه يقول أبو علي حسن الغفرى:

يَا حَسَنَ أَمَامَ فَتَطْعَ هَيْئَةً بِالْدَبْرِ حَسَبَ اللَّبَنِ وَالرَّسْوَى!
دَبْرُ الْمَصْلَبَةِ الرُّمُحِ بِأَوْدِهِ تَسْلِي عِبْرَ زِيَاهِ ذَارِينِ!
فِي طِلِّ هَكْلَةٍ وَأَثَرَاتِ الدَّمِ مَجْلُوءَةٌ وَالْمَرْمَرُ الْمُسَوِّى.
وَمَنْزَرٍ إِذَا تَلَّوْا إِنْجَاهَهُمْ وَعَطَّفُوا خُمَائِهِمْ وَعَصُوفُ.
عِزْلَانِ وَحَرَّهُ هُمُ وَيَسْ جُفُونِهِمْ لِأَسْوَدَ بِلْسَةٍ إِنْ عَرَضَ عَرَبِ.
زَعَاوُ الْغَالِبِ وَالْمُسَوِّحِ فَرُخِرَفَتْ مِمَّنْ عَرَّرَ السَّمُوسَ وَجُونُ.
وَسَعَوْا بِكَاسَاتِ الْمَدَامِ وَمَا ذَرَوْا أَنْ لِلْكُفُوسِ الْمَذَارِبِ جُيُونُ.
فَقَضَيْتُ بَنِيهِمْ زَمَانًا لَمْ يَزَلْ عِنْدِي إِلَيْهِ تَسْوَقُ وَحَبِيبُ.
لَكَ الْمَارِلُ هَذَا سَتَحْجَ مَدَامِجِي لَا مِصْرُ فَاطْبَعُ وَلَا حَيْرُوتُ!
١٠
١٥

دِير السِّيقِ - وَلِيَّ اللَّبِّ الْمَقْدَسِ، عَلَى تَشْرِعَالٍ، مُشْرِفٍ عَلَى الْفَوْرِ، عَوْرَ أَرِيحَا.

دير السيق

يُطِلُّ عَلَى تِلْكَ الْبَسَاتِظِ الْخَصْرِ وَمَجْرَى الشَّرْعَةِ، وَبِهِ رَهْبَانٌ ظُرَافُ أَيْكَاسٍ.

ولا بأنهم إلا قاصدٌ لهم أو مازي مزارع الغور. تحتهم وفوقهم الطريق الآخذ
إلى الكتيب الأحمر. وقبر موسى عليه السلام في الصه التي بناها عليه الملك الظاهر
بيبرس.

وفي هذا الدير ومشتريه، وأطلال قللته وغرفه، قلت:

(٢٥٠)

قصيدة المولى

أرى حُسَّ دبر السَّيق يزدادُ كُما . نَظَرْتُ إِلَهَ وَالْمُضَاءِ بِهِ بَصْرُ!
بَوَّهَ عَلَى تَجْدِيدِ عَلَى الْغُورِ مُشْرِفٍ . كَنَحَبِ مَالِكٍ تَحَهُ بِسَطِّ خُصْرُ.
وَأَسْرَقَ فِي سُودِ الْغَمَامِ كَأَمَّا . تَسْفَقُ لِلْأَعْيُنِ حَلَالِ بِهِ الْعَجْرُ.
وَهَامَ عَلَى طُودٍ عَلَى كَأَمَّا . مَصَابِيحُهُ نَحْتِ الدُّجَى الْأُنْحَمُ الزُّهْرُ.
وَزَفَّتْ إِلَهَ السَّمْسِ مِنْ حَنْبِ خَدْرِهَا . وَانْعَاهُ حُجَّحَ اللَّيْلِ فِي أَفْقِهِ الدُّرُ.
وَأَلْفَ إِلَهَ الرِّيحِ فَصَلَ عَيْنَهَا . وَأُخِيَّ عَلِمَهَا لَا تُتَلُّ لَهُ عُذْرُ.
وَلَوْ كَانَتْ كَالسَّرَنِ هَا أَنْ أَرَاهُوه . وَلَكِنَّهُ فَدُ حُطَّ مِنْ ذُوهِ النَّسْرِ.
عَلَا نَهْرَ رِيحًا وَالْحَبْرَةَ فَوْقَهُ . مِمَّنْ مَوْفَهُ نَهْرٌ وَمِنْ تَحْتِهِ نَهْرُ.

دير الدواكيس - سرقى القدس. وهو دير حسن البناء، له من الأمصارى سمعة

د. النواكس

وذكر. ولا أعرف نانه. ولا وفقت له على اسمه. ولا على السبب الذي سُمِّيَ به بهذا
الاسم. عبر أن له وفقا يعود منه على الرهبان السكالك حامل فائده وبلغ.

وفد مررت به غير مره في أسفارى، ونخرج إلى رهبانه منسور ما عاهاهم.

مكتبة مبر.
المؤلف به

وفيه قلت :

أُنْجِ بَابِلَ عَلَى دِيرِ الدَّوَاكِيسِ . وَأَيِّتْ إِلَى قَرْعِ هَاتِيكَ النَّوَابِيسِ !
 وَأَحْسِمْ مَعَ الْعِيسَى الرُّكْبَ فِي طَرَبِ * طَوَّلَ الزَّمَانَ وَلَا رَحْلَ مَعَ الْعِيسِ !
 وَأَنْظُرْ مَعَ الصُّنْحِ هَاتِيكَ الشَّمُوسَ صُحَّى * وَحَلَّ عَكَرَ بِاطَابِ النَّوَامِيسِ !
 وَأَسَأْ مِنْ الدِّيرِ خَمْرًا كُلُّهَا دَهَبٌ * يَكْلَا هَدَّكَ فِي حَرْبِ الْمَقَالِيسِ !
 وَحَلَّ كُلَّ شَيْخٍ كَبَّ نَعْنَعُهُ ! * فَكَّرَ تَرَ الْكَيسَ فِي الْإِنْفَاوِ لِلْكَيسِ !
 وَأَنْعَمْ وَلَدًا بِمَا فَصَّتَ مِنْ وَطَرٍ * وَطَرُ سُرُورًا إِلَى نَلَكِ الطَّوَابِيسِ !
 وقلت :

دِيرُ الدَّوَاكِيسِ أَمْ رَبُّ الطَّوَابِيسِ " أَمْ الشَّمُوسُ سَاءَ نَلَكِ الشَّمَامِيسِ "
 هَاؤَيَّ الْمَاسِبِ لَكِنْ عَدَاؤَتِهِمْ مِمَّ نَعْدُونَ فِي حَرْبِ الْمَقَالِيسِ !
 فَانْزِلْ بِهِ وَأَقِمْ فَمَا تُرِيدُ وَقُلْ إِمْلَا كُوُوسِي وَفَرِّغْ عِنْدَهَا كَيْسِي !
 وَأَفْدَحْ زِيَادَ سُرُورٍ مِنْ مَدَامِهِ فَهَذِهِ الدَّارُ مِنْ تِلْكَ الْمَقَالِيسِ !

دِيرُ رَمَانِينَ ^(١) - قَالَ الْخَالِدِيُّ - هُوَ بِالسَّامِ . وَلَا أُدْرِي فِي أَيْ نَاحِيَةٍ هُوَ مِنْهَا .
 وَلَكِنْ قِيلَ إِنَّهُ كَبِيرُ حَسَنٍ عَامِرٍ . وَرُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
 قَالَ : أَخْرَجْتُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِي إِلَى التَّامِ . فَدَخَلْتُ أَنْطَاكِيَةَ . فَسَأَلْتُ فِي بَعْضِ
 أَسْوَاقِهَا . إِذْ قَصَّ عَلَيَّ بَطْرِيقٌ مِنْ بَطَارِفِهَا . وَلَمْ يَكُنْ حَتَّى أَتَى دَارًا فِيهَا تَرَاتٌ
 وَحَدَلٌ . وَادَا مِسْحَاهُ وَزَيْمَلٌ . فَقَالَ : أَتَقُلُّ هَذَا مِنْ هُنَا إِلَى هُنَا . بِشِيرٍ
 فِي ذَلِكَ بَيْدِهِ . وَتَرَكَنِي وَمَضَى . فَتَمَاصَرْتُ فِي نَفْسِي وَخَفَقْتُ الْعَبْرَةَ وَفَعَدْتُ .

- فلم أعمل شيئا . وكان أعلى على باب الدار حين مضى . ثم عاد إلى بعد ساعة .
وكان يوما شديد الحر . وإذا هو عريان ، مُشْحَبٌ بسببته بين منها جمع بدنه . فلما
رأى التراب والجنديل بحالهما ، قض على وجمع يده وضرب بها لغدي ، صربة أفرح
بها قلبي . فقلت : نكلك أمك ، ناعمر ! ما هذا الاستخذاء للعلاج . وأفض عليه
فأطرحه تحتى وأخذ المسحاح . فأصرب بها رأسه ، صربة فلقط بها دماغه .
فمات . وبادرت هاربا من المدبنة . وسرت من يومى وليلى ، فصبحت دبرا ،
فدخلته . فلما رأى راهبه قال : أصف أنت ؟ قلت : نعم . وكنت قد أعنت ،
فاضطجعت نائما ما شاء الله . ثم أقظنى الراهب وقال : من أين أنت ؟ قلت :
من مكة . فصعد نظره وصوبه . ثم قال : ما اسمك ؟ قلت : عمر . فأخرج كتابا
عده ونظر فيه ، وأعاد في مراتب . ثم وثب فقبل رأسى . فقلت : ما حملك على
هذا ؟ فقال : هل طهر عددك رحل بذكر أنه نبي .
- وفد كان وقع لي نبي من حر اليتى ، صلى الله عليه وسلم . فقلت : قد سمعت بعض
الاسيد كرم ما سالت عنه . فقال : أعلم أنك وحق المسيح ستملك أكر الأرض . ونحبر
هرقل من الشام . وبعث عليها . فاكبت لي أنا ، أنا ، ولد برى . فقلت : ما هذا ! ما أدري
ما يقول . فقال : هو ما أقوله لك ، وأنت هو لا تحالة . جعلت أغيب منه وأدفع قوله ،
وهو تلج على في سؤاله ذلك . فلما أطل . قلت : ما تريد ؟ فقال : كالك . وأنا نى فطعنه
من آدم . فكبت له ما أملاه على من ترك الخراج والوصاية به . ولقه مع كتابه ذلك .
وأكرم مثواى . وبكرت غادا من عدده . فأسرح لي حماره وقال أركها . فإنك أتمر
بدبر ، فيراها راهبه إلا أكرمك . وإذا بلغت آخر دير لى لذك . نخلتها عند سكاكه .
وزودنى وأنصرف .

وقال إن عمر لما نرح إلى بيت المقدس، لقبه الراهب، وهو شيخ كبير، بكتابه
ودكره الأمر. فقال عمر: هذا كتبه في الجاهلية، وقد أتى الله بالإسلام. ولا يحل
لي بضيع في المسامين. ولكني أقطعك على خراجك بما فيه مصلحة لك ورفعك لك.
فقال: قدر صبت. فقاطعه على ما فيه روي به.

قال الخالدي: وقال إن الرهبان يوارثون الكتاب إلى وفاسا هذا، وإن الولاية
نخصيه لهم.

دير هرقل^(١) - قال الخالدي: هو بالناسم. ولا أدري في قرب أي مدينة هو.

وقد ذكره دعل بن علي حين هجا أنا عماد، كاتب المأمون، فقال:

مكأنه من دير هرقل مقل^(١) - حقيق بحر سلاسل الأفناد

وحكى المبرد قال دخلت دير هرقل^(١). وسألت رهبانه: هل فيه مجنون طيب الكلام.
فصحت أنا وصحى منه^(٢) قالوا: هاها. وأومؤا إلى إنيوان مرزنع في الدير^(٣). وقالوا: هم
هناك. فإن أحببت النظر إليهم فاص ولا تذب من أحد. ففعلت. ورأيت مراتبهم
على قدر ملاياهم. وكان معي وقت دنوى مهم المولى على أمورهم. فلما رأوه معي
آهتلوا. ورأيت شحما مهم على حصير يطف. ووجهه إلى الصلة، كأنه يريد الصلاة.

(١) في ياقوت هرقل بالزاي المعجمة. قال وأصله حريل مقل إلى هرقل. والبدى في سعة الأصل عدا
لراء الهملية. واعتمدت رواية ياقوت لأن ورد الشعر التالفتى السكون. (وأظهر كلامه عليه

في ح ٢ ص ٥٤٢ و ٧٠٦).

(٢) في الأصل وأومئ. وربما يكون أراد الراهب أو رئيس الرهبان.

(٣) في الأصل. فاذ. وانظر الحاشية السابقة.

بفأوزته إلى غيره . فقال : سبحان الله ! أير السلام ؟ مَنْ ترى المجنون ؟ أنا أم أنت ؟
 فاستحييتُ منه وسألت . فقال : لو كنتَ بدأتُ ، لأوجبتُ عليا حسن الرد . على أنا
 نعتذر لك أن للدخال على القوم دهشة . اجلس ، أعزك الله عدنا . وأودأ إلى موضع
 من حصبره فقصه ، كأنه يُوسّع لي . وعزمتُ على الدق منه ، فمغنى فمهم . فوفقتُ
 ٥ أَسْتَجْلِبُ مخاطبه . فسألي . فقال : من أين أنت ؟ قلتُ : من البصرة . قال : أتعرف
 المازني ؟ قلتُ : نعم . قال : أتعرف الذي نقول فيه :

وَقَتَّى مِنْ مَازِنٍ * سَادَ أَهْلَ الْبَصْرَةِ .
 أُمُّهُ مَعْرُوفَةٌ .. وَأَسُوهُ بِكَرَّةٍ

قلت : لا أعرفه . قال : أتعرف علاماً قد نزع في هذا العصر . معه دينٌ . وله حِفْظٌ .
 ١٠ وقد برز في الحو ، وصار يخلف صاحبه في محامه ، يعرف بالمرّد . قلتُ : أنا عن
 الخبر به . قال : فهل أنسدتك من عثات شعره ؟ قلتُ : لا أعرفه قال شعرا . قال :
 بل هو القائل :

حَذَا ماءَ الْعَنَافِـدِ يَرْبِي الْعَابَاتِ !
 بَهْمَا بَبْتُ لَحْمِي * وَدَمِي أَيْ نَانِ !
 أَهْيَا الطَّالِبُ سَيْتًا * مَنْ لَذِيذِ السَّهَوَاتِ :
 ١٥ كُلُّ مَاءِ الْوَرْدِ هُـمَا * حَاحِلُودِ الْمَاعِمَاتِ !

قلتُ : أما تستحي من إنساد مثل هذا الشعر في الدبر ؟ فقال : سبحان الله . هل
 تستحي أن تُنشد مثل هذا ، حول الكعبة ، دَعُ عك هذا . إني سمعتُ الناس يقولون
 في نَسَبِهِ . ثم لم يرل بي حتى عرفني . ثم قال : أحوجتني إلى الاعتذار إليك . ثم قام إلى

اصاحني . فرأب الفسد في رجليه قد شئت إلى خشة في الأرض . فاهنت عائلته .
ثم قال لي : يا أبا العباس ! ضن نفسك عن الدخول إلى هذه المواضع . فليس بها
لك كل وقت مصادفه مثل على مثل هذه الحالة الجميلة ! أنت المبرد ! أنت المبرد !
وجعل يصفق . وقد أفلت عساه ونفرت حلته ، فبادرت مسرعا ، وخرجت .

د بوس دبر يونس^(١) - حكى رجل من أهل أطاكة قال : حدثني أبي قال : زلت مع
العصل بن إسماعيل بن صالح بن عبد الله بن العباس في دبر يونس ، ونحن خارجون
إلى ناحية الرملة . فرأى فيه جارية حساء ، إبه أنس كان فيه . لخدمته مدة مقامه
ثلاثة أيام ، وجاءته بسراب صاف عنق . فلما أراد الانصراف أعطاها عشرة دنانير
ورحل . وقال في طريقه :

١٠ عليك سلام الله نادر من فتى مُنْجِه سَوْفَ إِلَيْكَ طَوْلُ !
ولا زال من نوء السماء كمن وأمل عليك عما يروى نراك هَطُولُ !
بعلك بها برهه بعد ربه سحاب بأحار الراض كَيْفُلُ !
بدا لي أرساد معه أن منظر ها عبوت الناظر بن جميل .
كأن البروق الواصب نحوه صفائح تير في السماء مجول .
الأرت ليل حال وقد صدعه ولبس معي عرا الحسام حليل .
ومنه ولة أوقدت منها الضحى مصاسح ما يخو لمن قبل .
تعالني بالراح هواء عاده يحال عليها للقلوب كَيْفُلُ .

(٢٠٩)

نحول المسامنة حين إذا غدت . ملاحظها من الصلوب تجول .
أنا ابنه قس الدير فلي مدله . عليك وحسنى مدعت عالم !
وفه يقول أبو شاس :

ماديرنوس جادت سرحك الدبم . حتى ترى طاراً بالنور يقسم !
لم يسف في ناجر ماء على طمبا . كاشفى حرقلي مأوك السيم .
ولم يحلك محزون به سقم . إلا تحلل عنه ذلك السقم .
استغفر الله كم لي فيك ذو غنج . جرى على به في ريعك الفلم .
وهول أيضا :

لا تعدل عن أبنة الكرم . بأني فيها صحة الحسم !
لو لم تكن في شرها فرج . إلا الحطص من بداهم !
وهول أيضا أبو شاس :

أعاذل ماعلى مشلى سبيل . وعندك والمدامة مستحيل !
البس مطني حموي علام . ورحل أمانى كأس سمول !
إذا كاتبان الكرم شرى . وعبلة وجهى الوحة الجميل .
أمت يذب عاقبة الليالى . وهان على ماقل العدول !
١٥

دير بصرى - هو بالشام . وقبل هو الذى كان فيه بجيرا . الراهب .

٢٥٥

حكى المازنى ، قال : نزلت بدير بصرى . فرأيت في رهبانه فصاحه ، وهم عرب
منتصرة من طي ، من بنى الصادر . أفصح من رأيت . فقلت لهم : ما لي لأرى فيكم

شاعرا، مع فصاحتكم“ فقالوا . والله! ما فسا رجلٌ ينطق بالشعر، إلا أمةٌ لما كبيرةُ
السِّن . فقلت : جئوني بها . فجاءت . فاستندتها . فأنسدني لفسها :

أبا رُقْقه من آل بَصْرَى تَحَلَّتْ . نَوْمَ الْحِمَى لُقَيْتٍ مِنْ رُقْقه رُشْدَا !
إِذَا مَا بَلَنْتُمْ سَالِمِينَ فَبَلَّغُوا . تَحْمَةً مَنْ قَدْ ظَنَّ أَنَّ لَا يَرَى تَحْدَا .
وَقُولُوا : تَرْكُمَا الصَّادِرَى مَبْكَلا . تَكَلِّ هَوَى مِنْ حُكْمٍ مُضْمَرٍ وَجَدَا .
فَبَالَيْتِ سِعْرَى هَلْ أَرَى جَانِبَ الْحِمَى . وَفَدَا أَنْتَبْتَ أَجْرَاهُ بَقَلًا جَعَدَا !
وَهَلْ أَرِدُّ الدَّهْرَ مَاءً وَفَيْعِهِ . كَأَنَّ الصَّاءَ تُسَدِّي عَلَى مَنَتِهِ بَرْدَا .
فَوَهَيْتُ لَهَا دُرْبَهُمَا . وَتُتَّى فِي دَبْرِهِمْ وَأَكْرَمُوا صَبَافِي .

دير الخنَّان - وهو دبر بيلاد أدرعاب منى بالحجارة السود . على شَرِّ من

الأرض . بُسْرِفَ عَلَى بَرَكَةِ الْغَوَارِ وَهُوَ مِنَ السَّاءِ الرُّومَى الْقَدِيمِ .

أَنْتَبَ عَلَيْهِ فِي أَصْفَارِي عِبْرَ مَرَّةٍ . وَرَأَيْتُ مَرَّةً بِهِ عَلَامًا فَدَخَرَجَ مِنْ كَيْسِهِ ،
كَأَنَّهُ الظُّبْيُ الْكَائِسُ . فَعَلْتُ :

مَادِرَ عَزَّةٍ فِي رَبِّي الْخَنَانِ . دَرَبْتُ عَلَيْكَ السُّحْبُ بِالْهَمَلِ !

وَسَقَنَّا كُلَّ عَمَامَةٍ هَيَاةٍ . تَحْمُو مَوَاطِرَهَا عَلَى الْكُنْبَانِ !

لَمْ أُنْسَ فِي الْأَدَبِ سَاعَةً مَعْرِلٍ . بَرُّكَ فَوْقَ مَخَافِ الْعَادَانِ !

وَالصَّحْحُ نَحْنُ الْإِلَهِ مَرْمُومَةٍ . نَسْرَتْ عَلَيْهِ عِمَارَاتُ الْأَوَّلَانِ .

وَهَاكُ كُلِّ كَيْحِيلٍ طَرَفٍ فَاتٍ . نَعَزَى أَوَاحِظُهُ إِلَى الْغَزَلَانِ .

مَرْمَسِي كَأَنَّ حَيْثُ . مَدْرُ الدُّجَى فِي الصَّفِّ مِنْ شُعَانِ .

فِي وَحْتِهِ حَتَّى وَزِدَ أَحْمِرٍ . قَدْ سَبَّحُوهُ بِأَخْصَرِ الرِّيحَانِ .

ما شدد زئارا له في يمينه إلا وحل عزائم الرهاس!

يتسي السَّمُول ولا كرهه نغره سكرى بها وطره الفاس!

دير صليبا^(١) - ويعرف بدبر السائمه . وهو بدمشق . مطلق على العوطه . ويليه دير صليبا من أبوابها . باب الفراديس .

٥ نزل دونه خالد بن الوليد . أيام محاصره دمشق .

وهو في موضع يزيد . كثير البسايين . وبأوه حس عجب .

وإلى جابه دبر للنساء . فه رهبان ورواهب . وإياه أراد جرير بقوله :

إذا نذرت مالديرين أرقى . صوب الدجاج وقرع الموافيس .

قال الخالدي . ومما يدل على أنه إلى باب الفراديس . قول جرير في هذا الشعر :

١٠ ففان للركب إحد الحاء بهم : . ما بعد بئرين من باب الفراديس !

وأشد منه قول الآخر . وهو :

بادير باب الفراديس المنهجلى . بلابلأ بفلاليه وأبحجاره !

لوعسب نسعين عامافين مصطحيا لما قضى منك فلي بعض أوطاره !

وحكى أن الوليد بن يزيد كان كبير المقام في هذا الدبر . يخرج إليه . ودهه حرمه .

١٥ استحسنأ له . وأنه كان يخلص في أيام مقامه فيه في صحبه كل يوم ساعه من الهارب

ثم يأكل ويسرب في مواضع منه : طيه حسنه .

وحكى الخالدي عن أحد من كان ياديه . أنه دعا بوا طعاه . وأمرى بالعداء

معه . وحضر ندهأوه . وكان فيهم حين المعنى . فحس على المائدة . إذ قال له :

(١) أنطرياقوت (ج ٢ ص ٦٧٤ ح ٥ ص ٢٠) . وقد ذكر ديرا الحراسمه "دير صليبا"

٢٠ (ج ٢ ص ٦٧٤) .

بأحسب! عبسى البارحة في آخر المجالس - وفد أحد الشراب متى - بسمر صاحبكم ،
عسى بر زيد . فلم أسكمل الطرب ، لأجل سكرى . فأعده على الساعة . قال :
فأحد حين رفاه ووقع عليها وعنى :

بِأَلْسِنَةٍ أَوْ مَدَى الْمَارِ! إِنْ مِنْ تَهْوِيْنَ قَدْ حَارَا!

رَبِّ بَارِئِ أَرْمُقَهَا ^(١) تَقْصِمِ الْهِنْدِيَّ وَالْعَارَا!

عندها طيَّ يوحىها . عاقده في الحضر زارا!

قال : فطرب طرباً عظيماً . وأحد رفاقه . وفام وترك العداء . وحمل يقر عليها مع
حُبِّين . وأخذ كلٌّ مَنْ عَلَى المائدة رِفاقه . وجعلوا يبقرون عليها مثله . ومضى
يطلب باب الدهليز . وحُبِّين والدماء حوله . والحاجب قد جلس ينظر جلوسه .
وقد حصر وجود العرب . فلما رآه الحاجب على ملك الحال . صاح بالانس : الحَرَمُ !
الحَرَمُ ! أنصروا ! أنصروا ! فخرجوا . فقال له : ناأمر المؤمنين ! وفودُ العرب
ينظر جلوسك . وأنت محرج إليهم على ملك الحال ! فقال : تملكك أمك ! أدخل .
ودعا له برطل . خلف أنه ماداقه قط . فقال : والله ! لنسربنّ معي حتى أسكر .
ولم يزل يسميه . حتى مات سكرًا وأنصرف محمولا .

قلت : وهذا الذبح اليوم لا عتيق له ولا أثر ، وإنما صار دورا وأبنة ومساجد
ومدائن . وهي بياضه محلّه حمام الحاس . والله أعلم .

وَبَهْدِ الْمَخْلَقِ دَارِي إِلَى بَيْتِهَا وَمَسَاكِينِ . وَهَيْئَتِهَا !

المؤلف: أحمد بن محمد

دير بونا^(١) - وهو محاط غوطة دمشق. ايس بكبر، ولا رهانه بكبر. ولكنه
في رباح مشرفة، وأنهار مدققة. ويقال إنه من أقدم ديرة الصاري. بُني بعد
المسح (عليه السلام) ببليل.

وَأَجَازَ بِهِ الْوَلَدُ بْنُ رَيْدٍ، وَرَأَى حَسَّهُ وَطَمَهُ، فَأَقَامَ فِيهِ أَمَامًا فِي تَحْقُوقِ مَحْوٍ،
وَوَالٍ فِيهِ :

[illegible]

قال: وهذا الدبر اليوم لا وجود له. قد أفتت الأرض منه من ريم وطليل. وهضي
وحادث كل در بعده حلال.

دیر سَمْعَانُ^(۲) - قال الخالدي: هو بواحي دمشق في المغرب من القوطه . على
 قطعة من الحل . يَطْلُ عليها . وحوله بسايس وأنهار . وموضع حسن جدًا . وهو من
 كبار الديرة . وعده دُفِي عمر بن عبد العزيز . بظاهره .

فلن: وهذا علطٌ من الحالديّ. وهكذا ذكره أبو المرح. وعلط أيضا. بأن هذا

(١) انطرياقون (٢ ص ٦٤٩).

(٢) أن Saint Simeon . وأطّر الفانيّ (سلسله II من ١٣٦٠ و ١٣٦٢ و ١٣٧١) :
 "العبراء، والنداس" (ج ٣ ص ٦٣) ، و "اعليه والإيراف" (١٣٦٠ ص ٣١٩) ، و "و
 الذهب" (ج ٢ ص ٦٦١ ج ٣ ص ١٣٩) ، و "المخروبي" (ص ١٣١) ، و "المعقور" (ج ٢
 ص ٣٦٨ و ٣٧٠) ، وأرأس الأثير (ج ٥ ص ٤٢) ، و "الكركي" (ص ٧٥٣) ، و "يقوت" (ج ٢ ص ٦٦١
 ج ٣ ص ١٣٩) ، وأطّر أيضا "مختصر الدول" (ج ١ ص ١٩٨) .

الدير في قرية تعرف بالبحره، من قبلى معزة العمان، وبه قبر عمر بن عبد العزيز، مشهور لا شكر. وليس تُسمع بدمشق لهذا الدير اسم، ولا يُعرف لمكانه في عوطنه حصراء ولا بابسه.

عُدا إلى ما ذكره الخالدي. قال:ذكروا أنه دخله حررى يوم عيد. فرأى النساء والصبيان يسألون الصلوات ويسجدون لها، فقال:

رَأَيْتُ دَبْرَ سَمْعَانَ صَلِيحًا تُقَلِّهُ السَّوَادُ وَالظُّلَامُ.
تُعْظِمُهُ السُّسُوسُ وَتُخَوِّيه فَرَشْتُهُ وَيُخَفُّهُ الْمَكَا.
فَقُلْتُ لَهُمْ: «يَا هَلْ عَيْرُ عَوْدٍ تَمْلِكُهُ أَعْوِجَاحُ وَأَسْوَاءُ»

- وذكر أن الوندس بربد نرح مئزها وه. فأقام بصطيج ويعتق معه ندماءوه ومعموده. فخرج يوما، عبَّ سحاب. ومطر في صحن الدير عدران ماء، فاستحسها. وهرل ١٠ على أكبرها وأكبرها ماء. وقال: والله! لا أرح حتى أشرب هدا كله. فمراجا الكأسى. وسرب حتى نام. فقال بعض أصحابه لبعض: أئن أقام حتى نفى العدير، طال علما متامنا. فعملوا بخلول ماءه بالليل وصبوه في الزمال. فخرج بعد يومين أو ثلاثة، فمطر إليه وفد قبي ماؤه. فقال: أنا أبو العباس! وأمر بالرجل إلى دمشق.
- ومما سمعته من والدى. لأحمد بن هلال. في صمعه دبر سمعان. مما مدح السند ١٥ الرضى لعمر بن عبد العزيز.

مَا آتَى عَدَّ الْعُرَّاءُ وَكَتَبَ الْعِيْنَ قَتَّى مِنْ أَمْبَاسِيٍّ، لِبِكْيُكُنْ!
أَنْتَ تَزْهَبُ عَنِ السَّبِّ وَالسَّنَنِ! فُلُو يُمَكِّنُ الْجَزَا، لَجَزِينُ!
فَبَرَّ سَمْعَانَ، لَا عَدَمَكَ الْغَوَادِي! . حَيْرُ مَيْتٍ مِنْ آلِ مَرْوَانَ مَيْكُنْ!

وكان عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) تسبب في إبطال السب عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) وأثنت في الخطبة، ووضع السب، "إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون".

وقد ذكر أبو الفرج أن صاحب دير سمعان دخل على عمر بن عبد العزيز بفكاكة يطرفه بها في مرصه. فقبلها منه، وأمر له بدراهم. فأبى أن يأخذها. فزال حتى أخذها. وقال: يا أمير المؤمنين! إنما هي من ثمر شجرنا. فقال عمر (رحمه الله) وإن كان من ثمر شجركم! ثم قال: يا صاحب دير سمعان! إني ميت من مرضي هذا. فخرن وبكى. ثم قال له عمر: نعي موضع قبري من أرضك، سنة، فإذا جاء الحول، فانتفع به. وهذا الذي حكاه أبو الفرج مؤكدا لوقوعه.

٢٥٩

دير مران^(١) - وهو بالعرب من دمشق، على تل في سمح فاسيون وبساؤه بالخص الأبيض. وأكثر فرسه بالباط الملون. وكان في هبكه صورة عجيبة دفيقه المعاني. وفلاطيه دائرة به، وأشجاره متراكبة، وماؤه يتدفق.

دير مران

وحكى عن المبرد أنه قال: وأبنت الشام - وأنا حدث في جماعة أحداث - لأكتب الحديث وألقى أهل العلم. فأجرت بدير مران. فأجبت النظر إليه.

١٥

(١) أطهر الطرى (مجلد II ص ١٢٧٠ و ١٧٩٢) و "الأغاني" (ج ٦ ص ١٩٥ ح ٧ ص ٥٥ ح ١٦ ص ٣٣) و "العيون والحدائق" (ج ٣ ص ١٢ و ١٣٧)؛ واليعقوبى (ج ٢ ص ٢٧٢ و ٣٤٩)؛ والكزى (ص ٣٦٢)؛ وآمن الأثر (ج ٣ ص ٣٨١ ح ٥ ص ٢١٥ ح ٦ ص ٣٧٦)؛ وجصوصا ياقوت (ج ٢ ص ٤٠٧ و ٦٩٦ ح ٣ ص ٥٥٥ و ٧٧٧ ح ٤ ص ٤٨٠ و ٦٠٤).

فصعدناه، فرأيت منظراً حسناً . وإذا في بعض بيوتِه كهلٌ مشدودٌ حسن الوجه عليه أثر النعمة . فدنونا منه وسألنا عليه فرد السلام . وقال : من أين أتم ، يا فيان ؟ قلنا : من أهل العراق . قال : بآبي ! ما الذي أفدَمَكُم هذا البلد الغليظُ هواؤه ، الثقيل مأوؤه ، الجفأة أهله . قلنا : طلبُ الحديث والأدب . فقال : حبذا ! أتتشدوني أم أنشدكم ؟ قلنا : بل أنشدنا . فقال :

اللهُ يَعْلَمُ أَنِّي كَبَدُ ۖ لَا أَسْتَطِيعُ أَبْتُ مَا أَجِدُ !
 رَوَحَانِي : رُوحٌ تَقْسَمُهَا ۖ بَلَدٌ وَأُخْرَى حَازَهَا بَلَدُ !
 وَأَرَى الْمُقِيمَةَ لَيْسَ يَقْعُهَا * صِرٌّ وَلَيْسَ يَصُونُهَا جَدُ !
 وَأُظَنُّ عَائِثِي كَشَاهِدَتِي ۖ بِمَكَائِهَا تَجِدُ الَّذِي أَجِدُ !

ثم أغميَ عليه . فافاف فصاح بنا فقال : أتتشدوني أم أنشدكم ؟ قلنا : بل أنشدنا . فقال :

لَمَّا أَنَا حَوَا قُبَيْلَ الصَّبْحِ عَيْرُهُم * وَرَحَلُوا ، فَتَنَادَتْ بِالْهَوَى الْإِيْلُ .
 وَأَبْرَزَتْ مِنْ خِلَالِ السَّجْفِ بَاطِرَهَا ۖ بَرْنُو إِلَى وَدْمَعِ الْعَيْنِ مِنْهَمِلُ .
 فَوَدَّعَتْ بِسَائِ حَمْلَهُ عَنَّمْ ، * فَقُلْتُ : لَأَحْمَلَنَّ رِجْلَكَ ! يَا جَمَلُ :

وَبَلَى مِنَ الْبَيْنِ مَاذَا حَلَّ بِي وَبِهَا * مِنْ مَارِجِ الْوَجْدِ ! حَلَّ الْبَيْنَ فَأَرْتَحَلُوا !
 إِنِّي عَلَى الْعَهْدِ لَمْ أَقْضِ مَوَدَّتَهُمْ ! * فَلَيْتَ شَعْرِي ، لَطَوَّلَ الْعَهْدَ مَا فَعَلُوا !

فقال له فتى من الحُجَّان الذين كانوا معي : ماتوا . قال فأموت ؟ فقال له : مُتٌ .
 فتمطى وتمدد . وما برحاً حتى دفناه .

وللصوريّ فيه، من شعر يقوله :

أمرٌ بديرٍ مُرَّابٍ فأحيا * وأجعلَ بيتَ هُوى بيتَ لُها .
صفتُ دُنْيا دِمَشقَ لمصطفيها . * فليس يُريد غيرَ دِمَشقٍ دُنْيا !
مُظَلَّلَةٌ فَوَاكهَنّ أبهى * وأنضُرُ في واطِرنا وأهيا !
فإنَّ نِقاحةً لم تُعَدُّ خُدا ، * ومن رُمانةٍ لم تُعَدُّ ثُدا !

٥

وقد ذكره أبو العرج وقال : هو على تَلَمَّةٍ مُشْرِفةٍ على زعفرانٍ ووربايضٍ حسانٍ . نزله
الرشيّد وشرب فيه . ونزله المأمون بعده . وكان الحسين بن الضحّاك مع الرشيّد ،
لما نزله ، فأمره أن يقول فيه شعرا ، فقال :

بادير مُرَّان ، لأعريتَ من سكين ! * قد هجّت لي حرّنا ، بادير مُرَّان !
حُثَّ المدام فإن الكاسَ مُتَرَعَّةً * يَمَاسِيجُ دواعي الشوقِ أحيانا !
وأمرَ عمرو بن بانة ، فغنى فيه لحين .

١٠

وحكى عن إبراهيم الموصليّ أنه قال : مرّ الرشيّد بدير مُرَّانَ فاستحسسه ونزله .
وأمر أن يؤتى بطعام خفيف . فأُتِيَ به ، فأكل به ، وأُتِيَ بالشراب والندماء والمغنين .
فخرج إليه صاحب الدير ، وهو شيخ كبير هَرَمٌ . فوقف بين يديه ، ودعا له ، وأساذه في
أن يأتيه بشيءٍ من طعام الديارات . فأذن له فاتاه بأطعمة نظاف ، وإدام في نهاية
الحسن والطيب . فأكل منها أكثرَ أَكَلٍ . وأمره بالجلوس ، بجلس معه يتحدث ،
وهو يشرب . إلى أن جرى ذكر بني أُمَيَّة ، فقال له الرشيّد : هل نزل بك أحدٌ منهم ؟
قال : نعم . نزل بي الوليد بن يزيد ، وأخوه الغمُرُ . فجلسا في هذا الموضع ، فأكلا
وشربا وغنّيا . فلمادبّ فيهما السكر ، وثب الوليد إلى ذلك الجُرْنِ فملاه وشربه ، وملاه

١٥



وسقَى أخاه، القَمَر . فما زالَا ينعاطيانهُ، حتَّى سَكرا، ومَلَّاه لى دراهم . فَنظرَ إليه الرشيد، فإذا هو عَظِيمٌ لا يَقدِرُ على أن يُقِلَّهُ، ولا يَقدِرُ على أن يشربَ مِلَّاه . فقال : أبى بنو أُمَيَّة إلا أن يَسْبِقُوا إلى اللَذابِ سَبِقًا لا يَجارِهم أَحَدٌ فيه . ثم أمرَ برفعِ التَبِيدِ، وركبَ من وقته .

قلتُ : والناسُ فى اَختِلافٍ : أينَ كانَ دِيرُ مُرَّانَ ؟ من فائِلِ إِيَّاهُ كانَ بِمَنارِقِ السَّمَحِ، نواحى بَرْزَه . والأَكْثَرُ على أَنَّهُ كانَ مَغَارِبَهُ ، وأن مَكانَهُ الآنَ المَدْرَسَةُ المَعْظُمَةُ ، وأما الذى كانَ مَنارِقِ السَّفَحِ ، فَهو دِيرُ السَّائِمَةِ المَسْمُومِ دِيرِ صِلِيبَا . وقد ذَكَرَناه .

دير صيدايا

دير صيدايا - وهما أَشْهُان : أحدهما يَبْصَدُ الصَّارِى بِالزُّبَارَةِ . هو فى دِمَّةِ القُرْبَةِ . والآخرُ على بُعْدٍ مِنْهَا ، مُشْرِفٌ على الجبلِ ، شَمالِيَّها بَشْرُوقُ . وهو دِيرُ مارِ شَرِين . وَيَقْصِدُ لِلتَّهْرِ . من بَشاءِ الرُّومِ بالحِجرِ الجَلِيلِ الأَبْيَضِ . وهو دِيرُ كَبِيرِ . وفى طاهِرِهِ عَيْنُ ماءٍ سارِحَةٍ . وفيهِ كُورَى وطائِفَاتٌ تُشْرِفُ على غُوطَةٍ دَهِشَتْ وما بَلِيا ، من قَلْبِها وَشَرْقِها . وفيها ما يَطلُّ على نَواطِى ما وراءَ نَبْئَةِ العُقَابِ . ويمتدُّ النَظرُ من طاقانهِ الشَمالِيَّةِ إلى ما أَخَذَ شَمالًا عَن بَعْلَبَكِ .

وأما الذى فى المَرِيَّةِ ، فَمِنْ بَشاءِ الرُّومِ بالحِجرِ الأَبْيَضِ أَيْضًا . ويُعرفُ بِدِيرِ السَيِّدَةِ . وله بَستانٌ . وبِهِ ماءٌ جارى ، فى بَرَكَةٍ تُحْمِلُ بِهِ . وعليهِ أَوْقافٌ كَثِيرَةٌ . وله مَغَلَّاتٌ واسِعَةٌ . وتأتيهِ ذُؤُورٌ وافِرَةٌ . وطوائِفُ الصَّارِى ، من المَرِيجِ . تَقْصِدُ هَذا الدَّيرَ وتأتيهِ لِلزُّيارَةِ .

(١) فى الأصل . "وفى قربة صيدايا دير" . وقد كتب المؤلف هو الكلبى الاولين كلفى . "أما

الذى" لتصحیح السياق المتقدم . ولكنه فاته أن يصرح على تلك الكلمات الأربع .

وكنْتُ أراهم يسألون السلطان في أن يُمكنهم من زيارته . وإذا كُتِبَ لهم زيارةُ
قُسامَةٍ ولم يَكُتِبَ معها صيدنايا ، يعاودون السؤال في كائنها لهم . ولهم فيها مُعتَقَدٌ .
والنصارى تزعم أن بها صدعا يَقْطُرُ منه ماءٌ ، يأخذونه للتبرك . ويدعونه في أوَانٍ
لِطَافٍ من الرُّجَاجِ ، ويكسونها من فانر الثياب . ولهم فيه أقوالٌ كثيرة . وسمعتُ
نصرانية ، كانت معروفةً بنهمٍ بالعلم ، تقول : إن ذلك الماء إذا أُخِذَ على اسم شخصٍ ،
وعلِقَ في بيته ثم آزداد مقدارُه عدده عما أخذه ، دلَّ على زيادة ماله وجاهه ؛ وإذا
نقص ، دلَّ على نقص ماله وجاهه وفُرب أوَان موته .

❦

ورأيتُ هذا الماء ، وله دُهْنِيَّةٌ تسبه السَّيْرَحَ أو الزيت الصافي ، وليس هما .
وجاء مرةً كُتِبَ ريدفوس وكتب الأذفوس على أيدي رسلهم . ومما سألوا
فيها تمكين رُسُلهم من التوجه إلى صيدنايا للتبرك بها . فأجاب السلطان سؤالهم وحمل
الرسل على خيل البريد إليها .
ومما قلته فيه .

شعره فيه

في جانبِ الدَّيْرِ لنا مَترِلٌ * وَمَنْهَلٌ عَدْتُ بِهِ تَهَلُّ
وشادِنٌ قد جاءنا أَحْورٌ * في كَفِّهِ كَأْسٌ لَهُ تُشْعَلُّ
وروصةٌ تُشْرِفُ أنهارها * قد شَقَّها في وَسْطِها جَدَوَلٌ
ومُطَرِبٌ تُطَرِبُ الحائِثُ : كأنه إِسْحاقُ أو زَلْزَلٌ
قد وُكِّدَ الرِّاحَ ففى دَنِّها * شَهِدَ في الطَّعْمِ بها فُلُفْلُ
وإلى بها في الكأسِ لِكِنِّها * عَذراءٌ مِنْ خُطَّابِها تَحْجَلُ

١٥

(١) أي ملك فرنسا : Re de France

(٢) أي ملك إسبانيا Alphonse وأسمه عبد الاسبايين Hdefonse

٢٠

دير شق معلولا - وهو ساطن حُصّة عسال. وهو ساء روميّ المخر الأبيض. دير شق معلولا
معلق يسقيف. وبها صدع فيه ماء ينقط نحو الذي بصيدنا. ويأخذه البصاري
للتبرك، معفدين فيه نحو اعتقادهم في الآخر. وإتما الاسم للذي بصيدنا.

دير بلودان - وبناؤه قديم بديع الحسن. وافر الغلة، كثير الكرم والفواكه دير بلودان
والماء الجاري. نفرية بلودان، وهي محاذية لكمر عامر، تطل من مشرفها على جبة
الزبداني ببلاد دمشق، وبه رُجبان نظاف، وغلمان من أبناء النصارى طراف.
مررت عليه، وزلت إليه. ورأيت به علاماً فوق الظني حسناً، وبشبه البدر مرور المؤلف عليه
أوسنى. بمحصر بحيل، وطرف كحل. قد قطع الرأرأ بين خصره وردفه، وبعث
السحر بين جفنه وطرفه. ثم ما كان بأعجل مما استتر بدره، ولاح ثم خفي بجره.
فقلت فيه :

١٠

حبذا الدير من بلودان داراً * أرى ديراً به وأرى نصارى !
فيهم كل أخور الطرف أحوى * فائق الحس في حياء العذارى !
وغلام رأته كهلل * مابدا للعبث حتى توارى !
فوام إذا تمايل نسوا * ما فالحاظ مفليته سكارى !
ما حل انخصر حل عقد أصطباري * عندما شد خصره الزنار !
قبل رؤاه ما رأيت عزلاً * بات يسقي من مرشقه العقار !

١٥

دير نجران^(١) - وهو باليمن. وتسميه العرب كعبة نجران. وهو لني الحارث بن
كعب. وسبأ في ذكره في موضعه.


دير نجران

و يقال إن بقاءه أعجبُ بقاء وأحسُّه . على نحو عمارة عُمدان ، القصر المشهور . كان محجوجا . وبه الراهبان اللدان ذكرهما بعض شعراء العرب ، في قوله :

أياراهي نَجْرانَ ، ما فعلتَ هُذُ ؟ . أقامتُ على عَهْدِي " وأتى لها عَهْدُ " إذا بعدَ المشتاقُ ، رثتَ حَبالَهُ . * وما كُلُّ مُشتاقٍ يُغيِّرُهُ البُعْدُ !

ولهذين البيتين غناءً حسنٌ .

وقد ذكره أبو الفرج الاصبهاني وقال : إنه كان لآل عبد المَدَّان ، سادة بني الحارث . قال : وكان أهل ثلاثة بيوت من اليمى نصارى ، ينبارون في البيع وزبائها وحس بائها : آل المدر بالحيرة ، وغسان الشام ، وبنو الحارث بن كعب بنجران . فتكون دباراتهم في المواضع الكثيرة الشجر والراض والعُدْران ، الشاحمة البناء . ويعملون آلاتها من الذهب والفضة ، وستورها من الديباج . ويعملون في حيطانها السافس ، وفي سفوفها الذهب . وكان بنو الحارث على ذلك ، إلى أن جاء الإسلام وفي كعبتهم هذه قال الأعشى :

وكعنة نَجْرانَ حَمَّ عَلَيْكَ حَتَّى تُسَاحِي بِأَبْوَابِهَا !
 زُورِ يَزِيدَ وَعَبْدَ الْمَسِيحِ * وَفَيْسًا ، وَهُمْ خَيْرُ أَرْبَابِهَا !
 إِذَا الْحَبْرَاتُ تَلَوَّتْ بِهِمْ * وَجَرُّوا أَسَافِلَ هُدَاهِهَا ،
 وشاهدنا الجُلَّ والياسمينَ - نُ والمُسَمِّعاتِ بفضائها ،
 وبربطها مَعْمَلٌ دَائِبٌ ، * فَأَيُّ الثَّلَاثَةِ أَرَى بِهَا ؟

(١) غلط طالع الأعاشي حرف هذا الشطر (ح ١٠ ص ١٤٢) .

(٢) أى الورد .

(٣) في الأصل : تقصى بها .

(٤) في الأصل : سيربطها .

قال: وفي هذا الشعر غناء حسن أخذته بحظّة عن بنان.

ولهذا الدير أخبار كثيرة، ليس هذا مكانها.

بيعة أبي هور^(١) - وهي بسرّ بأفوس - عامرة برهبانها، مُثَرَّبَةٌ بفضّة قناديلها وذهب صلبانها. كثيرة القلالي، مدهمة بالوقود جنح الليالي. ولها أعياد مقصودة الأوقات، منتظرة الميقات.

٥

حكى الشاشني أن به - على ما ذكره أهله - أعجوبة. وهي أنه من كانت به خازير وقصد هذه البيعة للعاجلة، أخذه رئيسها وأضحعه. وجاءه بخنزير وأرسله على موضع العلة. فيلحس الخنزير موضع الوجع جميعه، وتأكل الخنازير التي فيه، لا يتعدى ذلك إلى الموضع الصحيح. وإذا نظف الموضع، دثر عليه من رماد خنزير فعمل مثل فعل الأول من قس، ومن زيت قنديل البيعة فيبرأ. ثم يؤخذ ذلك الخنزير فيسذج، ويحرق، ويعدّ رماده لمثل هذه الحالة.

١٠

وقال: وهو إلى الآن كذلك، كما ذكره. قال: ولهذه البيعة دخل عظيم ممن يبرأ من هذه العلة. وفيه خلق من النصارى.

دير يحنس^(٢) - وهو بسنهور، من أعمال مصر. وهو عامر برهبانه، ناضر بسكّانه.

دير يحنس

قال الشاشني: وقد ذكر بعض المتقدمين أنه إذا كان يوم عبده، أنحرح الرئيس

١٥

(١) ونسبى دير أبي هور، ودير سرياقوس. أضرّ كلام ياقوت (ح ٢ ص ٦٤١)، والشاشني

(ورقة ١٣٤)، والقروبي (ص ١٣١).

(٢) أضرّ ياقوت (ح ٢ ص ٧١٠).

الذي في الدير الشاهد في تابوته . ويسير البابوت على وجه الأرض ، فلا يقدر أحد
يُمسكه ولا بحيسه ، حتى يرد البحر فيفطس فيه ، ويرجع إلى مكانه .
وقال : كذلك قول المتقدمين على أنه على هذه الحالة .

قلت : وهذه حكاية مكتوبة ، لاصحها لها .
نعمين للولا .

وإما الذي بلغني ، وأنا بمصر تلك المدة الطويلة ، أنه إذا كان أو أن نحرَّك الليل ،
يُخرج تابوت ، يقال إن فيه إصبع الشهيد ، ويرى في البحر . وذلك لوفيه معلوم ،
يسمونه عبد الشهيد . ويكون الذي يرميه بعض أعراء كبراء الفسط . عادة كس
أسمعها ، لا تنغير . ويظن الفسط أن رمي الإصبع سبب الزيادة . وإما هو بمشنة
الله وهدرته .

دير مريحنا - وهو على شاطئ بركة الحبس . فريب البحر ، إلى جانب بساين
الوزير ، وهي التي أنسا بعضها تميم بن المعز وأنسا به مجلسا على عمدة . وقرب هذا الدير
عين ذهب بها الرمال .

قال الشافعي : وهذا الموضع من معاد اللعب والشرب والطرب ، زره في أيام
الليل ، وزيادة البحر ، وامتلاء البركة . وكذلك هو في أيام الرع . لا تكاد يحلو من
المتزهين . وقد ذكرته الشعراء ، وفيه قال أبو عاصم :

يا طيب أيام سَفَحَتْ مع الصبا - طَوَعَ الهوى فيها بسَفْحِ المطر !
فالبركة الفناء فالدير الذي - قد هاجَ فرطَ صباي وتمكّر !
فأحسَّ كؤوسك يا علام وأعفني - فلهذا سكرت ونمطر طرقت مسكر !

وأرى السُرَّاءِ في السماء كأنها . تاحَ نَمَصَل جانباهِ موهِر!
فأشربُ على حُسْنِ الرامضِ وغني . وأظُرُّ إلى السائِ الأَغْنِ الأَحْوَر!
فلعلَّ أُنَامَ الحِباءَ قَلِيلَةً . ولعلَّنِي قَدَرْتُ مالم يُقَدِّر!

دير نهباً^(١) - ونهباً بالحيرة، وديرها هذا من أطيبها موضعاً، وأجلها موقفاً، عامر
برهبانه وسكّانه .

وله في السِّلِ مَطَرٌ عَجَبٌ، لأنَّ الماءَ يحيطُ به من جميع جهاته، ويَزِيدُ في حسن
مُتَرَهانِه . فإِذَا بَصُرَ الماءَ أَطْهَرَتْ أَرْضُهُ غِرَائَتَ الدُّوَارِ، وِغَائِبَ الزُّهْرِ المَشْرِقَةِ
الأَوَارِ . وله حَلِيجٌ بِسَابِ أَنْسَابِ أَرْمٍ، وعليه شَطُوطٌ كَأَنَّهَا مَالِدِياجٌ تُرْقَمُ .

وفال السابسي: وهو مُتَصَبِّدٌ مُتَمَحٌّ . وَأَسَدُ فِيهِ لِابْنِ البَصْرِيِّ^(٢) :

أَتَنَسَّطُ لِلشَّرْبِ بِأَسَدِي، فيومك هذا دَفِيقُ الدُّرُوزِ^{١٠}
فَعِنْدِي لَكَ اليَوْمَ شَوِيَّتَانِ . سَرَقْنُهُمَا مِنْ دَحَاحِ العُحُوزِ!
أَنَسَّطُ عِنْدِي عَلَى نَفْتَسٍ، عَلَى لَوَزَتَيْنِ، عَلَى قَطَرٍ مِيزِ
وَمَقْصِدُ نَهْيَا وَدِيرًا لَهَا . هَلْ مَنِيَّتِ الْوَرْدَ وَالْمَرْحُوزِ
وَنَشَرَبُ مَهَا بِرَطْلٍ وَجَامٍ . وَطَاسٍ وَكَاسٍ وَكُوبٍ وَكُوزِ
فَعِنْدِي حَشَفٌ رِجِيمُ الدَّلَالِ . نَسَا فِي التَّعِيمِ وَلُبْسُ الْخَزُوزِ!^{١٥}

(١) أنظر المقرئ (ج ٢ ص ٥٠٤) ، وياقوت (ج ٢ ص ٧٠٤) ، والشافعي (ورقه ١٢٩) .

وأنظر أيضاً أوصاف الأرمي في تاريخه "أحاز من نواحي مصر وإقطاعها" الذي طبعه المستشرق الأكليري

إيفت أنطوان ورجعه إلى الأكليرية . بمدينة اكسفورد سنة ١٨٩٥ (ص ٧٧ - ٨١) .

(٢) وفي الشافعي . أماس من الدسري . وأنظر المقرئ (ج ٢ ص ٥٠٢) ، وأسن أي أصبغة (ج ٢

ص ٨٩) ، وياقوت (ج ٢ ص ٦٨٥) ، والشافعي (ورقه ١٢٤) .

دِيرُ الْقَصِيرِ ^(١١) - هو في أعلى الجبل ، على سطح قُبَّةٍ من بلاد الفُتُح . وهو
حسن البناء ، نَزَهُ البقعة . وله بئر مقورة في الحجر .
وفي أعلاه غرفة بناها نُمَارويه بن طُولُون ، نُطِّل من كل جهة . وكان كثير
الغُشْيَان لهذا الدير .



والطريق إليه من جهة مِصْرَ صَعْبٌ ، ومن قبله سهل .
وإلى جانبه صَوْمَعَةٌ ، لا تحلوا من حَيْسٍ .
وإلى جانبه قرية تُعرف سُهران . قال إن أُم موسى (عليه السلام) منها أقمه
في التأوب ، في الحر .

وبها دير آخر يعرف بدير شهران . وهو المعروف الآن بشهران ^(١٢) .
فال سنابسي : ودير القصير أحد الديارات المقصودة ، والمتنزهات المطروقة :
لحسن موقعه وإشرافه على مِصْرَ وأعمالها . وفيه يقول محمد بن عاصم المصري :
إِنَّ دَبْرَ الْقَصِيرِ هَاجَ أَذْكَارِي : لَمْ يَكُنْ مِنْ مَآزِلِي وَدِيَارِي !
وَكَأَنِّي إِذْ زُرْتُهُ بَعْدَ هَجْرِي : لَمْ يَكُنْ مِنْ مَآزِلِي وَدِيَارِي .
إِذْ صُعُودِي عَلَى الْجَادِ إِلَيْهِ . وَأَنْحَادِي فِي الْمُنَشَّاتِ الْجَوَارِي .

١٥ (١) صبله ها في الأمل (بالفتح كأمي) . وفي ياقوت القُصَيْرِ . (بالضمة) . وقد عاد المؤلف فيما
سبق من الأسانيد فصله بالقصير . وعلى ذلك صطلها الشاشي ، وأطر أيضا ما ذكره أبو صالح الأرمي
(ص ٦٢ و ٦٥) .

(٢) الذي في الشاشي هو " في أعلى الجبل على سطح في قلته " أما قول ابن فضل الله " سطح قبة من
بلاد الفتح " فهو من عده . ولعل هناك تحريفا من الماسح . فإني لأدري ما يريد بـ " بلاد الفتح " ها .
٢٠ (٣) هذه البيانات نقلها ابن فضل الله عن الشاشي بأختصار .

منزلاً لستُ مُحِصِباً ما بقلبي ، ولننسى فيه من الأوطار!
 منزلاً من علوه كسماء ، والمصايح حوله كالدرارى!
 كم شربنا على التصاور فيه * بصغارٍ مَحْثُوثَةٍ وكبار!
 صورةٌ من مَصَوِّرٍ فيه طَلَّتْ ، فَنَتَّةٌ للقلوب والأبصار!
 لا وحسنِ العَينِ والشفَةِ اللّـيِّاءِ منها وخدّها الجَلَناري!
 لا تخفُتُ عن مَزارِي ديراً * هي فيه، ولو مَأَى بي مَزارِي!
 فسقى الله أرض حُلوان فالنَجْدَ فديرَ القَصِيرِ صوبَ العُشار!
 كم تَنَبَّهْتُ من لَذَاذَةِ نَوْمِي * بِنَعِيرِ الرُّهْنانِ في الأَسْجَارِ!
 والواقيس صائحاتٍ تنادى: . حَيَّ بامائماً على الأَنْكَارِ!^(١)

- ١٠ وقال ابن ظافر: مضيتُ أنا والشهابُ يعقوبُ ابنَ أختِ نجم الدين (بمعنى ابن مجاور)^(٢) والفاضي الأعز المؤيد في جماعة من أصحابنا إلى الدير المعروف بالقصير إشاراً لنظر تلك الآثار، فلما تنزهنا في حسن منظره نعطياً العمل فيه على عادة الشعراء الذين قطعوا طريق الأعمار، بطروق الأعمار، وضيعوا العيون والعقار، في تحصيل العيون والعقار . فقال الشهاب :

(١) هذه القصيدة في كتاب الشاشي تأليف من ٢٧ بيتاً . وقد ترك آس فصل الله بها ١٥ بيتاً . ١٥

(٢) في مدائع الدائنة صفحة ١٢١ : الأعز المؤيد رحمه الله .

(٣) في مدائع الدائنة زيادة . وقصدا الوطر من طره .

(٤) في مدائع الدائنة : القول .

(٥) في مدائع الدائنة . حراً على عادة حلعاء اللعاء، وطرفاء الادباء، ومُحَنِّم الشعراء، الذين نذروا الوقار

سقى الله يومى بديز القصير * قصير العزالي طويل الذبول !
(١) (٢)
محل إذا لاح لي لم أقف * بصحبي على حومل فالذخول .
فقلت :

فكم فيه من مرقى دجى * على غصن في كتيب مهيل !
(٣)
رود صحیح وطرف سقيم * وروح خفيف وردف ثميل !
فقال الأعز :

قطعت به العيش مع فية * صباح الوجوه كرام الأصول !
بكل كريم قصير المرا * عاز المعالي باع طويل !
فقال الشاب :

إذا فسه سل سيف المدام ، * فكم من سليل وكم من قتل !
فقال الأعز :

وكم من خلیع كريم العال ، * يُحدّد بالحدود غيظ البحيل !
فقلت :

يوافيه ذا ذهب جامد ، * فبقية في ذائب للشمول !
(٤)
ثم صنع الشاب :

على عمر القصير قطعت عمرى * وصنت خلاعتي وأزلت وقرى !
(٥)

(١) بالأصل صفحة ٢٦٦ : محلا . وقد اعتمدنا على البدائع .

(٢) لي ، غير موحدة بالاصل . وأحد ماها عن البدائع .

(٣) والبدائع : لحط صحیح وجمع سقيم .

(٤) زاد في البدائع : على غير هذا الروى والورد فقال .

(٥) في البدائع : قصرت [وهي أحسن] .

قال الأعز :

ولم أسمع لعمرك قول زبده . إذا ما لامني أو قول عمرو!

قلت :

ظفرتنا فيه من شفه وكأس . بمشروبين : من ربي ونعم!

قال الشهاب :

ودافعا بين الرأي فيه * بمظروبين : من نهر وحصر!

قال الأعز :

كسوت به الكؤوس البص حمرًا * من القمص أشتريناها بصر!

قلت :

وظلت بمأزني للهواتلو * بهز البص به عاق سمر!

١٠

دير شعران - هو في حدود طرا، من صواحي القاهرة القبلية، في لحف الجبل الأحمر، المعروف بالمقطم . وبنائه بالحجر واللبن . وعليه نخل . وبه جماعة من الرهبان . وهو من دبارات اليعاقبة .

حكي أن السراج الوراق مر عليه، فنزل به . فرأى به جماعة من أودائه على راح
تفدح لهم أقداحها، وتهدى إليهم أفراحها . وكان السراج قد طمئت فيلته من

١٥

(١) في الدائع : لعمري .

(٢) » » : الدين .

(٣) أي القمص .

(٤) أطلرأ بصاد حطاط المقرري (ح ٢ ص ٥٠١) ، وأطلر ما أورده أبو صالح الأرنؤ

(ص ٦٠ و ٦٣) .

شُعْلَةُ ذَلِكَ الْقَهَبِ، وَكَرَّتْ قَافِيَتُهُ صُفْرَةَ ذَلِكَ الذَّهَبِ . فَأَتَاهَا السَّاقُ فَرَدَّهَا ،
وَوَاصِلَتُهُ فِي الْكَاسِ فَصَدَّهَا . هَذَا حَبْنُ نَكْسِ الْكِبَرِ صُعْدَتُهُ ، وَأَهْدُ الْعَمْرِ مُدَّتُهُ .
وَذَكَرَ يُجْلِسَاتُهَا فَقَدْ إِخْوَانَهُ ، وَدَهَابَ زَمَانَهُ . فَلَامَهُ مِنْ حَصَرِ إِدْ صَدِّ الْكَاسِ ،
وَقَالَ : أَمَّا لَكَ أَسْوَةٌ بِهَؤُلَاءِ الْجُلَّاسِ ؟ فَقَالَ :

عَجِبَ السَّاقِ لِرَدِّي الْفَدَحَا . وَلَا أَمْرِي فِي الصَّانِي فَدَحَا !
وَأَنَا نَا حِبُّبًا كَأَيْسِهِ ، حَيْثُ جِئْنَا دِيرَ شَهْرَانَ صُحِّي .
قُلْتُ : يَا فِرَّةَ عَيْنِي رُبَّمَا . غُصَّ طَرَفٌ بَعْدَ مَا قَدْ طَمَعَا !
لَمْ أَكُنْ أَوَّلَ وَلَهْلَاهِ سَلَا . لَا وَلَا أَوَّلَ تَشْوَاوِي صَحَا !
أَشْرَبُ الرِّاحَ أَرْجَى فَرَحًا . فَيُتَبِّحُ الْخَطَّ مِنْهَا تَرَحَا !
سَوْءُ حَظِّي لَوْ رَمَى الصَّبْحَ دَجَا . أَوْ رَمَى لَيْلَ عِدَارٍ وَصَحَا !
وَتَحْمُولُ مُنْطِقِي بِالشَّيْءِ لِي ، مَنْ أَرَى دَهْرِي لَهُ مُتَمَدِّحَا ؟
زَادَ فِي سَبِّي إِلَى أَنْ خَلُّهُ . نَسْهَدُ اللَّهَ بِهِ قَدْ سَبَّحَا !
أَمَا مَا ذَنْبِي لِحَالِ اللَّهِ أَمْرًا . لَأَمَّ فِي التَّوْبَةِ مِثْلِي وَلَحَا !
يَأْتِدْبِي أَنْتَ لِلرَّاحِ فَلَمَّعْنِي . أَنْزَحُ الدَّمَاعَ إِلَى أَبْ تَرَحَا !
هِيَ أَوْفَاتُ وَكُلُّ آخِذٌ . مِنْ صَنَا أَوْفَاتِهِ مَا سَمَحَا !

حُكِيَ أَنَّ السَّرَاجَ الْوِزَاقَ وَأَبَا الْحُسَيْنِ الْجَزَّارَ خَرَجَا فِي عَهْدِ صَاهِبَاهُمَا، وَالشَّبَابَ
أَعْقَدُ حُبَاهُمَا، يَرِيدَانِ الزَّهْرَةَ . فَوَجَدَا غُلَامًا زَاوَرًا ، يُنَمِّتِي مَعَهُ اللَّقَاءَ ، وَيَجْمَعُ فِيهِ
الْفَضْنَ وَالْوَرَفَاءَ . يَتَلَقَّتْ بِصَفْحَةِ الْقَمَرِ الْمِيرَ ، وَيُطْرَبُ كَأَنَّمَا زَمُرُهُ مِمَّا أَوْقَى آلَ

داود من المرامير . فلقناه إليهما لأمر . وطننا أنه سنلينه لهما الخمر . فأتيا به دير
شعران ، وصعدا إليه ، فوجدا راهبا يصدع حُبهُ الفؤاد ، ويطلعُ قره ولا شئ
احس منه في ذلك السواد . فراد سرورهما بحصول الزامر والراهب ، وأيضا ببلوع
المأرب . فلما حيت فبهما سورة الحمى ، وطن كل منهما أنه قد حصل له فراشه
رتهيا . فطن الزامر والراهب لمرادهما فزكاهما ومضيا قبل النوم ، وتركاهما وكل واحد
منهما يشكو صجيحا لايام . فقال السراح :

في فحنا لم يقع الطائر : * لا راهب الدبر ولا الزامر !

فقال أبو الحسين الجزار :

سعدنا ليس له أول ، ونحسنا ليس له آخر !

١٠

فقال السراح :

والقلب في إرهما هائم .

فقال الحوار :

والقلب من أجلهما حائر !

وحكى أن السراج الوزاى كان يغتنى راهبا بدير شعران وافر العقل ، كامل
الفضل . فخرج إليه في جماعة من أهل الأدب وشعبان قد بقى على أقل من نصفه ،
وبدره قد أحد بفقههم إلى خامسه . وشهر رمضان قد آل له أن تغلّ فيه سياطين
الأمم . وتحتّم فيه على الأفواه بالصيام . فالتفوا الراهب وقد لبس مسحه وساح ، وعزل
الدريما هبت فيه رائحة راح . فلما رأوا أن ديس رمضان قد حان حلول أجله ،
وأن وجه الدبر الواقع مادتت فيه من الخمر حمرة تجليه ، خافوا أن يأتى الصيام ، وما

١٥

تشعشع سوى قنديل سحوره الذي بان . ولا مُلِكُ مُدَامُ يأتى منه أوائل ورْدٍ في أواخر
شعبان . فندب السراج إليه راهبا من شباب الدبر ليبعه ، وكتب معه :

أبلغ العاضل الرئيس السَّلامًا ، شَقَّ عن زهره الصَّاحُ كما!
قُلْ له : أيُّها الحكمُ الذي في دِبر عيسى قد برهنَ الأحكاما!
كم رقباك كالملال إلى أن لُحِثَ للناظرين بدراً ماما!
يا أبا الملة المَسيحية أرحم معشراً مُدْ ظَعَنْتَ عنهم بَنَامِي!
فُطِمُوا من رَضَاعِ كَأْسِ الحُمَيَّا . وهى أنكى للرُضْعِيسِ فطاما!
وَأَسْتَطَلُّوا وَضَعَ الصليب عن الرا . ووو من بعد حملة أعواما!
عَدَمُوا راحه القوس من الرا . ج ، فدارك بالأنفُسِ الأجساما!
وأطالوا حبس المدامه في الدن * وكفى حبس المدامة عامًا!
ودعا الدبك للصُّنُوحِ قَهَبُوا . كالْحَبْنِ لا يعون الملاما!
فَأَسْهَمُوا من سُلَافِهِ نَطَرْدُ المَهْمِ * وَغَمَلْ لَهُمْ بِذَاكَ أَهِيَاما!
وعنى فائلي بقول لحظي . ونصبي : أطلت في ذا الكلاما!
كدت المدعى وأخرُ شعبا ن سادى الصَّامِ الصَّبا

١٥ دير البغل^(١) . هو سمالى دبر شعران . وبأوه مثل سائه في لحف جبل المقطم . دير العمل
وعليه نخل . وبه جماع من الرهان العاقه .

قالوا : وسمى دير البغل لأنه كان به نخل لسق الماء ، تعود هذا وألعه . وكابوا إذا
أطلقوه ، أتى مورد الماء ، وهناك من يملأ عليه . فإذا حملة أتى الدير بالماء .

(١) اطروما أورده أبو صالح الأرمي (ص ٦٣) .

خرج إليه السراج الوزاق مع أبي المفضل بن العسال في جماعة من أهله. وأقاموا به أياما في لهو، يجزون أعطاف الزهو. وكان بالدير غلام لا يتعداه أمل المقترح، ولا يحاكي دوائ عبونه إلا الرحس المسح. فألفه السراج الوزاق وهو إلى وصل منه محتاج. فلما عادوا، قال السراج يذكر أمامه وحمدح أما المفضل. ويذكر شبثا كان عليه به قد تفضل :

- أَحَاكَ مِنْ عَارِصٍ فِي حَدِّهِ لَاحَا . رَيْنَانَةٌ جَاوَرَتْ مِنْ رِيهِ رَاحَا .
 وَمَا كَفَاهُ الشَّدَا الْمِسْكِيُّ بِنَبْهَا . حَتَّى حَلَا مِنْ حَضِيْبٍ اخْلَدَتْهَا .
 عَنِي رَأْتُهُ بِدِيرِ الْبَعْلِ فِي مَلَا * قَدْ قَامَ فِيهِمْ مَعَ الْأَمْحَارِ نَوَاحَا .
 مَفْرُطٌ رَكَ الشَّدَمَانُ مِنْ بَاهُ . صَرَغِي وَقَدْ حَثَّ أَحْدَاقَا وَأَفْدَا .
 ١٠ عَاطِيَةً كَأَسْهَا وَالشَّهْبُ مَا جَحَّتْ . إِلَى مَغَارِيهَا وَالذِّكُّ مَا صَا .
 وَالْجَمُّ حَيْرَانٌ أَوْ لَا مَا رَفَعْتُ لَهُ . مِنْ كَأْسِهَا نَحْتُ جُنْحِ اللَّيْلِ مِضْبَا .
 حَتَّى إِذَا أَدَبَ الصَّبَا خُطُوتهُ * وَرَحَلْتُ يَدُهُ عَنْ رَاحَةِ الرِّاحَا .
 وَبَاتَ طَوْبِي فَلَمْ أَزْدَدْ عَلَى قُبُلٍ * إِذْ لَا أَيْتُ لِبَابِ الْعَارِ قَتَا .
 أَعَالِبُ النَّفْسَ عَمَّا نَسِيَتْ كَرَمًا . جِدًّا فَلَا تَحْسَبِي ثُمَّ مَزَا .
 ١٥ وَهَدَى رُفُوكَ لِمَطَى الْحُلُولِ لَاسِيًا * إِذَا لَقِيتُ بَنِي الْعَسَالِ مَذَا .
 الْقَوْمَ جَادُوا وَلَمْ أَسْأَلْ وَهَمْ مَحْوَا * وَمَا غَشِيَهُمْ وَاللَّهِ مُتَمَحَا !
 وَشَادَ مَجْدُهُمْ يَتَا بَيْتَ لَهُ * طَرَفُ الْمَجَرَّةِ مَا طَالَ طَمَحَا !
 مِنْ كُلِّ أَزْهَرِ لَوْلَا فِي تَطْلُمِهِ * مَطَالِعُ الصُّبْحِ ! زَادَ الصُّبْحُ إِضْحَا ،

صَحْبُهُمْ نَحْوَ دِيرِ الْبَغْلِ مُطْلَبًا * صِهَاءُ جَرَتْ بِطَوَقِ اللَّيْلِ فَأَتَزَاحَا .
أَبَا الْمُفَضَّلِ ، لَمْ أَبْلُغْ مَدَاكَ وَلَوْ ٠ طَارَحْتُ فِي مَذْهَبِ الشَّعْرِاطِرِ مَآحَا !
إِنْ رُمْتَ إِحْفَاءَ مَا تُعْطَى فَعَدْنَقِ السَّمْعَرُوفُ عَكَ بِمَا تُحْفَى وَقَدْ بَا حَا !
لَا تَتَّبِعْ لِلْجُودِ كَيْفَا فَنَقْطَلِيَه ٠ إِيَّا رَأْيَا سِيمَ الْجُودِ قَآحَا !

- ٥ دير طَمْوِيَه ^(١١) - ويعرف المكان الآن بطَمْوَه ، وهو في الجانب الشرقي ، بإزاء در طَمْوِيَه
حلوان . والدير راكِبٌ على البحر . نخفٌ به الكروم والبساتين والأشجار . وهو
عامر الأوطان . أهل بالرهبان . وحين تنحصر الأرض يكون بين سِاطِئِينَ من البحر
والزرع .

قال الشاشي : وهو من المتزهات المذكورة ، والمواقع الموصوفة . وأنشد فيه
لأَبْنِ عَصِيمٍ هُوْلَه : ١٠

(٢٧١)

وَأَشْرَبَ بِطَمْوِيَهٍ مِنْ صِهَاءٍ صَافِيَهٍ ٠ نَزَرِي بِجَمْرِ فَرَى هَيْبٍ وَعَايِبِ !
عَلَى رِائِضٍ مِنَ الْوُأَرِ زَاهِيَهٍ ٠ تَجَرَّى الْجَدَاوِلُ مِنْهَا بَيْنَ جَبَابِ !
مَازَلَا كُنْتُ مَسْغُوفًا بِهَا كُلِّهَا ٠ وَكُنْتُ قَدَمًا مَوَاجِرِي وَحَانِي ،
إِذْ لَا أَزَالُ مُلِحًّا بِالصَّبُوحِ عَلَى ٠ صَرَبِ النَوَافِيسِ صَبًّا بِالْدِيَارِابِ .

- ١٥ (١) وأُحَارَ أَيْضًا فِي حِطِّ الْمَقْرِيرَى (ح ٢ ص ٥٠٤) ، وَيَا قُوتَ (ح ٢ ص ٦٧٤) ، الشاشي
(ورقة ١٢١) وَأُحَارَ أَيْضًا مَا أوردته أَبُو صَالِحٍ الْأَرْمَنِي (ص ٨٥) .
(٢) فِي الْأَصْلِ : تَرَوِي . وَفِي الشَّاشِيِّ : رَرِي . هَكَذَا نَعْرِضُهُ .
(٣) هَدَدَ رَوَايَةُ الشَّاشِيِّ . وَالَّذِي فِي أَسْ هَصَلِ اللَّهِ "بَيْنِي وَإِنْ كُنْتُ" وَقَدْ هَصَلَتْ الزُّجُوعُ إِلَى رَوَايَةِ
الشَّاشِيِّ لِأَنَّ أَسْ هَصَلِ اللَّهِ أَحْتَرَلَ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ ثَلَاثَةَ آيَاتٍ ، وَلَوْلَا جَبَرُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ التَّرْتِيبِيَّةُ إِلَى مَالٍ
إِلَيْهَا لَمْ يَرِدْ ٢٠

كيسة الطور

كنيسة الطُّور^(١) - قال الشافعي: وهذا الطُّور هو طور سيناء الذي صَعَقَ عليه موسى، عليه السلام، والكنيسة في أعلى الجبل. مبنيةٌ بحجر أسود. عرض حصه سبعة أذرع. وله ثلاثة أبواب من الحديد. وفي غربته باب لطيف. وقدامه حجرٌ لقيم. إذا أرادوا رفعه رفعوه، وإذا قصدوا منقلب أرساوه، فأنطبق. فلا يعرف أحدٌ مكان الباب. ودخلها عينُ ماء، وخارجها عينٌ أخرى.

قال: ورغم البصائر أن بها من أنواع النار الحديدية التي كانت بيت المقدس: يَقْدُونَ منها في كل عشية السراح. وهي بيضاء صعيقة الحز، لأتحرق. ثم تقوى إذا هم أرادوا أن يوقدوا منها.

وهو عامر بالرهائن. فلا يحلو من أحد من أهل البطالات للتفرج فيه والتترك - على رأيهم - به.

وهو من الدارات الموصوفة والأماكن المقصودة. ومن وصفه ابن عاصم. قال فيه:

باراهبَ الدَّيرِ، ماداً الضَّوءَ والنُّورَ فقد أصاب بما في دَيْرِكَ الطُّورُ؛

هل حَلَبَ الشَّمْسُ بهُذُوناً بِرَحْمَا أو غَيَّبَ البَدْرُ عنه فهو مَسْورُ؟

فقال: ما حلَّه سَمْسٌ ولا قَمَرٌ لكن نُفِرَّبَ فيه اليومَ فَوْرُ!

(١) وأنظر المقرئ (ج ٢ ص ٥١٠) والشافعي (ورقه ١٣٣) ٠ وإفوت (ج ٢ ص ٦٧٥)

و ٦٧٦) ٠ والقرئ (ص ١٣١) ٠ وكلهم يسمي هذه الكيسة تاسم "دير الطور" وشعر ابن عاصم الوارد في المتن يشهد بهذه التسمية. وهو غير طور سيناء الذي سبق الكلام عليه تاسم دير الطور.

(٢) صوابه يوقدون لأن "وقد" لازم ويتعدى بالهزة. وقد جاء بعد سطر على الصحة.

دير طُـرّاً^(١) - وموقعه قبلى القرافة ومصر. على بركة الحبش وبساتين الوزير. دير طـرا
يقصده أهل مصر للفرجة والتزه. ويؤتى إليه على ظهر البر والنيل. وله إشراف على
النيل. ولا يخلو من قَصَف وشرب. ولأمرء الديار المصرية إليه إفضاء فى الفضاء
ومنتهى الركوب. وفيه أقول :

• يومَ طُـرّاً وديريها * وما أتى من حَـيرِها!
وأبيض من يومها * وأحمر من مَـيرِها!
مُـدَامَةٌ تَسِرَى بِنَا * مُـجِدَّةٌ فى سَـيرِها؟
لم أُنَسَّ هِيفَ نَـخْلِها * ويومنا فى حَـيرِها،
وأكلنا من حُوتِها * ووَحِشِها وطَـيرِها!
هَذَا إلى فَاتِنَةٍ * مَـلِـيْحَةٍ فى دَـيرِها.
فَلَا تَقُلْ لِي: غَـيرُها. * مَا أَرَى فى غَـيرِها!

• شعر المؤلف فيه



١٠

(١) وأنظر المقرئى (ج ٢ ص ٥٠١) .

(١) الديارات السبع

الديارات السبع

وهي في الوجه البحري ، وهو سُفْلُ ديارِ مصرَ . ممتدَّةٌ غرباً على حانبِ البرَّةِ
الفاطمة بين ملادِ الحَيَّةِ والقُومِ .

مرزبا على بعضا في الصحبة الشريعة الناصرية . وهي في رمال مُتَقَطَّعةٍ ، وسباج
مالحي ، ورارٍ مُعْطِشٍ ، وقفارٍ مُهْلِكَةٍ . وسرب سكاكها من جفاراتٍ لهم . وهم
في غابة من مَنَفٍ العيشِ وشَطَفٍ القُوبِ .

مرور المؤلف
على بعضا في
أيام السلطان
السابع

ويُجَلِّ المصارى إليهم حلائل الذور والعراب ، ونحصرهم بكرائم التَّحَفِ .

وتُخَذُ كَتَبَةُ القُطِ وَخَدَمُ السلطان منهم خاصةً ، أبادى معهم ، لُكُوبُوا لهم ملجأ
من الدولة ، إذا حارب عليهم ضرؤفها .

ولم أعلم فيها أحباراً فأذكرها ولا أشعاراً فأطْرِفُ بها . وإما ذكرتها لشهرة أسمها
وَعُدِ صِبَّتِها .

الدير الأبيض^(٢) - وهو دبر جليل البناء ، أبيضٌ كما سُمِّيَ . عليه رونقٌ . قد بُنيَ

الدير الأبيض

(١) هي المشورة التي نواذى البطرون . وقد رزتها في سنة ١٨٩٤ ميلاده .

(٢) في الأصل ميم .

(٣) و عرف بدير "نوشوده" . وأتظر ياقوت (ج ٢ ص ٦٤١) . وقد أنصهر على المول بأنه
في الصعيد وأنه يقال به "دير الأبيض" . وقد ذكر أن نالها ديرا آخر هذا الاسم في حل مطل على تلك
المدسة | المعروفة الآن بأسم أورها | وأن نافوسه مئى صرب يسمع بها . وأظهر أيضا ما أورده أبو صالح
الأرمي (ص ١٠٤ إلى ١٠٦) . وقد سماه "دير نوشوده" وقال إنه ناحيم ، على حل يسمى أدربه .

بالبحر الأبيض، وُزِنَ في أبيته، ووُسِّع في قدر أقيته . وهو غرقى السبل، في طَرْف
الحاجر المِطْلِ على المِزْدَرَج، فيما يقابل إنجيم . وله إشراف على سائط تلك الروع .
وسوارح تلك المواشي . وبلازائه نَحْلٌ خاص به .

ويعبر من الببل خليج طويل المدى ، كأنه السيف النقي من الصدى ، ينهى وصف المؤلف له
إلى مَلَقَةٍ منسعة ، وبركة فيها أمداد المياه مجتمعة ، شرق الديرة . يحصل بينهما الطريق .
و يطل على هذه المَلَقَة رابطة علبه ، قد تكونت من فَضَلَات الترع المحفورة والجسور
المستجدة .

لأبرئ مثل نزهته في زمن الشتاء والربيع : يتضحك في جساته اللوار ، وتحضر
فيه سِفاف الزروع ، وتكثر فيه مصابد الطبر ، ويكون من الحسن في عابَةِ تملأ البصر ،
وتزيد على الخير . ومرربا به صحة السلطان وزلما على ملك الرابسة . وأسروا على
البركة وفيها فارتب صائد فيه السمك . ومرت الأطلال مُزِينَةُ الترك ^(١) وحياد
الجيل . فُسِّلَتْ أن أعمل في مثل هذا سينا ، على رسم ما قال في الدبارات . فقلت :

(١٣٣)

- ١ يوم لسا بالدبر ، دبر الأبيص . قد آنفض وطبسه لم يقصى .
- ٢ فدرجته في العسكر المصور . فغلقت الأبواب كالمحصور .
- ٣ وزل الرهبان بالدوس . فيه إلى قراره الدموس .
- ٤ وأطلعت نحوى هالك رابسة . تاهة على الوهاد آية .
- ٥ قد خضعت من جانيها الوهد . كأنها فوق الصدور نهدة .

أرجوه تلوية
لأنه فيه

(١) يظهر أنه سقط كلام من الأصل . فان كلمة "مرية" حات في آخر الصفحة ، وكلمة "الترك" حات
في أول الصفحة التالية . ورمما كانت الجملة هكذا ومرت الأطلال مربية "أما" الترك وحاد الجيل .

- ٦ كَأَنَّمَا تَطْلُبُ مِنِّي الْمَائِي . هَذَا وَقَدْ وُلِّيَ زَمَانُ الْمَشْقِي .
 ٧ وَلِلرَّبِّعِ مُدُّ أُنَى أَعْيُدَال . وَلِلنَّسِيمِ يَسَّهْ أَعْيُدَال .
 ٨ وَالشَّمْسُ قَدْ دَتَّ بِهَا السَّعَامُ . وَالْيَوْمُ لَمْ يَبْقَ لَهُ مُفَامُ .
 ٩ وَالْبَلْبَلُ قَدْ هَبَّأَ صَفَّ عَسْكَرِهِ * وَإِنَّمَا مَعْرُوفُهُ فِي مُنْكَرِهِ .
 ١٠ وَالْحَوْثُ فِي رَدَائِهِ الْمُصْنَدِل . وَالْأَرْضُ تُذَكِّي بِأَشْعَالِ الْمُنْدَلِ .
 ١١ وَتَجْمُرُ الشَّقِيقُ فِيهَا مُوقِدُ . وَتُسْمَلُ الْبَهَارُ بِهَا وَقَدُ .
 ١٢ وَزَهْرُ الصُّوْلِ أَدْعَى بِالْحَقِّ . شَبِيهَ أَذْنَابِ الدَّجَاجِ الْبُلْبُ .
 ١٣ وَزَهْرُ الْكَثَّانِ كَالْبَهْسَجِ . وَمِثْلُهُ لَوْلَا دَكِّي الْأَرْجُ ،
 ١٤ تَبْدُو عَلَى أَعْطَافِهِ التَّرَافَةِ . ذَوْهَبٌ فِي شَكْلِهِ ظَرَافَةِ .
 ١٥ كَأَنَّهُ فِي مَائِهِ الْمَتَرَجِ . زَرْحَدُ رَضْعَ بِالْعَرُوزِجِ .
 ١٦ وَسَائِرُ الزَّرْعِ سِفَاقُ حُصَيٍّ . وَبَعْضُهَا لَهَا طِرَازُ نَهْرٍ .
 ١٧ وَالنَّحْلُ حَوْلَ الدِّيرِ كَالْعَرَائِسِ . تَجْلُوهُ فِي فَاحِرِ الْمَلَاسِ .
 ١٨ كَأَنَّهُ سَتَمَرًا فِي هِمَّةٍ . صَفٌّ وَوُفٌّ حَوْلَهُ فِي الْخِدْمَةِ .
 ١٩ وَثَمُّ مَنْ بَاقٍ مَدُودِ الْبَيْلِ . مَاءٌ شَبِيهُ الصَّارِمِ الصَّقِيلِ .
 ٢٠ وَاقِفٌ إِلَيْهِ خُلُجٌ مُعْرِفَةٍ . وَأَجْمَعَتْ جَمْعُهَا فِي مَلَقَةٍ :
 ٢١ دَائِرُهُ قَنُورَاءُ مِثْلِ الْأَفْقِ . تَأْوِي بِهَا حَيَاتُنَا فِي نَفْسِي .
 ٢٢ صَافِيهِ كَمِثْلِ عَيْنِ الدَّبَكِ . فِي عَابَةِ الصَّفَالِ وَالْعَرَبِكِ .
 ٢٣ فَدَوَلَتْ فِيهَا الرِّيحُ بِالطُّرِّ . فَتَوَشَّتْهَا ثُمَّ سَالَتْ كَالْفَرَرِ .
 ٢٤ فَسَيْحَةُ الْأَرْحَاءِ كَالْيَدَانِ . تُشَقُّهَا سَوَائِحُ الْحَيَاتَانِ .

- ٢٥ فيها من الأسماء أشنأت تُرى . تأخذ من أنواعهن العنبراً .
 ٢٦ فيها من الطيطى والبقي . أكَلُ كالرطبِ الجني .
 ٢٧ والبركة الميحاء فيها قاربُ . ومه صار للشاك صارُ .
 ٢٨ يجرى به قاربُه على نَسْ . وهو به في الماء يارى القبس .
 ٢٩ كأنما أجرى به جوادا . أسرع في الرخص واما دى .
 ٣٠ كأنه إذا أراد المركما . صل من الحيات برى عقرباً .
 ٣١ يسير الحيتان وسط الماء . كأنها الحوم في السماء .
 ٣٢ باتى إليها باصايل الخدع . لأجل ما أخذ منها ويدع .
 ٣٣ ولم يزل يحقه في الحركة . حتى أنه لقي عليها السمكة .
 ٣٤ وكل ما يربذه يصيد . بازرعها أن لك الحصيد .
 ٣٥ وعز لى سرت مها حاذر . أحسانها صم ما نحاذر .
 ٣٦ أفرأ ترك فوق شهب الخيل . وبنتها أذهم صاى الذبل .
 ٣٧ بحث حتى صر فوق الهصة . وعابت عسائ ملك الخلصة .
 ٣٨ وبألها من حله لا تلحق . كنو وراعها الراح السبق !
 ٣٩ كأنها أفتى حوى أقرارا . قد طلّعوا فى أفقها نهارا .
 ٤٠ من سئل خافان وجنس الترك . قد عودوا أخطاهم بالنك .
 ٤١ كم فيهم من ساحر الأجفان . قبسى حد طرفه ممانى !
 ٤٢ لله إن جرد أسياف الحدق . وبدد الدماء فى الخدق !
 ٤٣ فيها ملاح للنمات خلفوا . ما برزوا العين حتى عشفوا .

- ٤٤ وَمِيذُ الْأَغْصَانِ ثُمَّ تَسْتَبِقُ . طَوْرًا تُخْلِي ثُمَّ طَوْرًا نَعْنِقُ .
 ٤٥ أَغْصَانُ بَابٍ أَمْ هُمْ عِرْلَانُ . أَوِ الشُّمُوسُ بَلْ هُمُ الْوِلْدَانُ .
 ٤٦ قَدْ رَكُّوا صَوَائِنَ السَّوَابِي * وَأَفْتَرَقُوا لَكِنَ فَوَادَ الْعَاشِقِ .
 ٤٧ مِنْهُمْ قَتَى يَسْتَرْكَالُ دِينِي * مَنْ لِي مِنْهُ لَوْ قَصَّيْتُ دِينِي
 ٥٨ فَدَ أَسْرَجَ الْغَمَامَ بِالْهَلَالِ . مُطَهَّمًا فِي صِبْغَةِ اللَّبَالِ .
 ٤٩ نَفَرُ شَطْرِي وَجْهِهِ نَفَرَهُ : كَأَبَةٍ فِي وَسْطِهَا مَسَرَّهُ .
 ٥٠ أَهْمُ مِنْهُ فِي السَّابِقِ فَدَبَّرَ . لَيْلٌ وَلَكِنْ فَوْقَ عِطْفِيهِ قَرَرُ .
 ٥١ مُلِيلُ الصَّدْعِ رَحِمُ الدَّلِّ أُرِيدُ مِنْهُ لِلْهَوَى مُعَلِّي .
 ٥٢ لَهُ مِنَ الْعَجَبِ حُصُونٌ مُطْبِقَةٌ . وَأَقْبَى مِنَ الْعُونِ الضَّيِّقَةُ .
 ٥٣ لَمْ أَرْمَلْ نَعْرِيهِ إِذْ صَحَّكَ . لَعْدَ حَكَاةِ الْبَرْقِ لَكِنْ مَا حَكَى .
 ٥٤ بَدَرٌ وَلَا تَقْصُحْ لِي أَسْمَاؤُهُ . ذُو تَرْفٍ نَكَادٍ يَجْرِي مَأْوُهُ .
 ٥٥ مَالِي وَمَا لِلرَّاحِ أَوْلَا كُفُوسٍ . إِذَا حَلَّ لِي سَدَ الْقَاءِ الْأَطْلِسُ !
 ٥٦ وَإِنْ مِنْ نِسَابِهِ الْحَجَرُ . كَأَنَّهُ مِنْ قِصَّةِ تَقْدُ .
 ٥٧ يَا أَتْنَى إِنْ قَصَّيْتُ حَسَا . دَعْنِي أَمُوتُ فِي هَوَاهُ حَسَا !
 ٥٨ أَهْوَى بَدْمِجٍ مَقْلَسَى الصَّبِّ . وَهَدَّ نَعَشْتُ صَبِيًّا نَضِي !
 ٥٩ مَا الْمَوْتُ فِي هَوَاهُ إِلَّا مَحْسَا . لَوْ مَتَّ عَشَقَافَهُ كُنْتُ أَحْيَا !
 ٦٠ لَمَّا أَتَانِي مِنْ بَعِيدٍ وَوَقَفَ . قُبْتُ لَهُ لَيْلَتُ أَوْدَامٍ وَكَفْتُ .
 ٦١ وَكَانَ فِدْحَانُ غُرُوبِ الشَّمْسِ . وَطَلَعَ الْبَدْرُ كَيْثِلَ الشُّرْسِ .
 ٦٢ وَظَلَّتْ أُلْهِيهِ مَاشِفَالُ السَّمَرِ . لَعَلَّ لِلَّذِي فَعَلْتُهُ ثَمَرُ .

- ٦٣ وقلتُ هذا منزلُ نَزْبِهِ * ليس له فيها هُما سُبِيهِ.
- ٦٤ يامرجباً شرفتَ هذا الموضعاً * وجئنا والسر في وقبٍ معاً!
- ٦٥ فلو نزلتْه هالك أو هنا * غم نُفرك السرور والهناء.
- ٦٦ فأنزل بنا وأقعد فريراً ساعة * ولا تحف من فاصح السَّاعة.
- ٦٧ فلان لي جانبُه ثم آتسَم * وفاح لي طيبُ رضاهُ ونَسَم.
- ٦٨ وقال لي أقيم حوالينا الحرس * وأنحط لي كالسهم عن ظهر العرس.
- ٦٩ ففان: ما تقول في ذا إن مسك * هذا لنا وجات من هذا السمك.
- ٧٠ ووفد النار له لُقلى * ومن أتى مُزاحماً في الملقى.
- ٧١ وبأكل السَّلور والشَّبوطا * والدرح والمسلوخ والمسموطا.
- ٧٢ هدا وما نضم أكاuf السفر * وما تكون منه الطاف السفر.
- ٧٣ فقال لي: دُونك ما تُريد! * فكان عيدي باللهاء عمد.
- ٧٤ هذا وكنا قد أمرنا الطاهي * بأحد لك الحلة الزَّواهي.
- ٧٥ فأقنَ الجميعَ بالتطيف * وزانها في الوضع والتصنيف.
- ٧٦ وحطَّ عن أجسامها الجواشنا * وأظهر الجمال والمحاسنا.
- ٧٧ وأقنَدَحَ البار من الزَّناد * مثلَ أصطكاك البرق في العهاد.
- ٧٨ بطير من جانبها شرار * هلْ مه للرماة انتشار.
- ٧٩ يورثُ الموقدَ جلَّ نار * كانتا شبتَ بجملار.
- ٨٠ وبعدَ هذا صَفَّ المَقالي * وكلنا نُحِبُّ ذاك الفالي.
- ٨١ وسكبَ الدهانَ في الطنجير * كمثل بسطِ الطلِّ في العدير.

- ٨٢ ثُمَّ قَلَىٰ فِي الطَّاجِنِ الْأَسْمَاكَ . لَوْلَا قَلِيلٌ ، لَقَلَى السَّمَاءَ .
- ٨٣ وَنَضَّدَ الصُّحُوفَ ثُمَّ صَفَّاهُ . سَبَّاهُكَ مِنَ النَّضَارِ قَدْ صَفَّاهُ .
- ٨٤ أَعَادَهَا بَعْدَ الْخَبْرِ عَسَدًا . صَفَّرَ أَلْوَانًا لَهَا وَوَرَدًا .
- ٨٥ وَجَاءَ بِالْمِلْحِ وَبِالْأَبْزَارِ . سَكَارِجًا تَرُوقُ لِلْأَبْصَارِ .
- ٨٦ مَصْفُوفَةٌ لَنَا عَلَى مَقْدَارِ . كِدْرَهُمْ صُفٌّ إِلَى دِينَارِ .
- ٨٧ وَصَبَّ مِنْ أَطْيَابِ الْأَصْلَاحِ ^(١١) . حَفَائِثًا مَسْدُودَةَ الْعِقَاصِ .
- ٨٨ مِنْ حَامِضٍ مُطَيَّبٍ وَمُرٍّ . وَغَيْرِ ذَا مِنْ كُلِّ حَمِضٍ يَجْزَى .
- ٨٩ وَنَضَّدَ الْبُيُوتَ فِي الْأَطْبَاقِ . مِثْلَ الْحَرِيرِ لَفٍّ فِي الْأُورَاقِ .
- ٩٠ وَوَضَعَ الْبِكَاحَ وَالرِّقَاقَا . حَتَّى اسْتَدَارَ حَوْلَهَا نِطَاقَا .
- ٩١ وَجَاءَ بِالْفُقَّاعِ وَالْمَشْرُوبِ . يَهُمُّ فِي الْكِيزَانِ بِالْوُثُوبِ .
- ٩٢ وَمِنْهُ فِي إِبَانَتِهِ مَسْكُوتٌ . كَأَنَّهُ مِنْ ذَهَبٍ مَصْبُوتٌ .
- ٩٣ وَقَرَّوْا الْحُلُوءَ مِلَّةَ الْحَامِ . كَنَلِ قُرْصَ الشَّمْسِ بِالنَّهَامِ .
- ٩٤ فَعَامَلَى وَزُلُّ سُرُورِي وَقَسَطُ . لِأَنَّ مَنْ أَحْبَبْتُهُ قَدْ أَنْسَطُ .
- ٩٥ وَمَدَّ عَدَى يَدَهُ ثُمَّ أَكَلَ . ثُمَّ تَقَلَّبَ بِمَنْهَبِ الْفُيْلِ .
- ٩٦ فَكَمْ أَصْبَنَّا مِنْهُ مَا أَرَدْنَا . وَلَوْ نَشَاءُ بَعْدَ هَذَا زِدْنَا !
- ٩٧ ثُمَّ أَتَمْنَا حَمْدَنَا وَالشُّكْرَا . وَهُوَ بِمَا جَادَ عَلَيْنَا أَدْرَى .
- ٩٨ ثُمَّ أَنَا الطَّسْتُ وَالْفُسُولُ . كَأَنَّهُ بَعِيرٌ مَجْبُولُ .
- ٩٩ ثُمَّ نَلَاهُ الطَّيِّبُ وَالْمَسْدِلُ . يَاجِبُنَا مَا حَمَّهِ الرِّسُولُ .



(١) جمع صلصة . (معرفة عن اللاتينية والطلابية Sal-sa وعد المرسييس Sanceo) .

- (١)
 ١٠٠ حتى إذا ما نزل السلطان . وأستغل الغوءاء والغلمان.
 ١٠١ وام كل مستنكا في الحميم . ونكر الآفاق جلباب الظلم.
 ١٠٢ وأمن الراهب والقسيس . وأنشق عن موتاهم الناووس.
 ١٠٣ وأوقدوا في البيعة الصديلا . ورجعوا المزمار والإنجيلا.
 ١٠٤ وزيتوا الهيكل بالفرباب . وصقفوا الشموع والقناني.
 ١٠٥ وسكبوا الصهباء في الإبريق . صمراء أو حمراء كالعقيق.
 ١٠٦ وصبها في الكاس مثل اللهب . ممتدة مثل شريط الذهب.
 ١٠٧ يسعى بها مفرطق مرن . ينسبه الغزال الحشف أحوى أحوور.
 ١٠٨ من فتنة داموا على الإنجيل . من لي بهم لو أنهم من جيلي.
 ١٠٩ وبعضهم دب له عذار . كأنه من صده اعتذار.
 ١١٠ وفيهم ذاك الغزال النافر . خليفة الملاح وهو الظافر.
 ١١١ لما بدا منه الصباح السافر . تستر الليل فليل الكافر.
 ١١٢ أوبنت فسيس عليها مسح . كالليل قد أقل في الصبح.
 ١١٣ بمعصم فيه دلال وترف . كأنه من ماء خديها اعترف.
 ١١٤ فاتنة من الطباء العين . قد ناصبت يديها لدي.
 ١١٥ ماذا أقول في بدع صنمها . والبدر في الظلماء حشود رعاها؟
 ١١٦ غص رطيب دب فيه الرأح . ومن جنى حودها التفاح.
 ١١٧ آفة كل مسلم وكافر . وفتنة في أول وآخر.

- ١١٨ ياما جريّ مها واما يحري ، ميا ومنها من بكّا وهجرا !
 ١١٩ قَدْ هَدَتْ عَنَّا عِبُونَ النَّاسِ * ثُرْتُ بِهِ فِي غَسَلَةِ الْحُرَّاسِ .
 ١٢٠ وَقُلْتُ ، قُمْ حَتَّى زَوْجَ فِي الْقَلَسِ ، فِي حُلْسِهِ ، فَأَطِيبُ الْعَيْشَ الْخُلْسِ !
 ١٢١ فَالَّذِي فَدَى أَنْ لَهُ أَنْ بُنْعًا * وَكَانَ قَدْ أَغْلَقَ عَمْدًا مِنْ صُحَى .
 ١٢٢ فَمَا إِلَيْهِ تَحْ سِتْرِ اللَّيْلِ نَوَازِعًا نَزَى عَلَى سُهَيْلِ .
 ١٢٣ وَفَدَ عَلَاهُ بَكَلَهُ الْعِدْلُ * كَأَنَّهُ لِرَأْسِهِ إِكْبَلُ .
 ١٢٤ وَثَمَّ فِي الدِّرَانَا صَدِيقُ مِنْهُمْ كُفَى الشُّكْرِ لَا يُفِيقُ .
 ١٢٥ لَكِنَّهُ لَخَوْفُهُ قَدْ كَانَا * مَا تَرِبَ الصَّهْنَاءُ حَتَّى الْآمَا .
 ١٢٦ وَعَدَهُ جَمِيعُ مَا نَظَلُّهُ * وَصَوْتُ أَوَانٍ لَهُ تُطْرِبُهُ .
 ١٢٧ وَهُوَ إِذَا تَبَطَّ السَّلَافَهُ * لَمْ نَسْتَطِعْ مَلْبَعَهُ حِلَافَهُ .
 ١٢٨ لِأَنَّهُ عَرَفَ كُلَّ رَاهِبِهِ * بِمَكْرِهِ أَنْ الْجَبَاهُ دَاهِبِهِ .
 ١٢٩ وَكُلُّ مَا نَزِيدُ مِنْهُ يَحْصُلُ * وَفَقَّ الْمُنَى مَسَارِعًا يَسْتَعْجَلُ .
 ١٣٠ فَأَنْهَضُ وَثَمَّ وَطَبَّ وَلَا نُؤَيَّ * وَأَقْتُلُ بِمَا شِئْتُ سِوَى الْجَنَى !
 ١٣١ فَمَنْ بَا أَنْهَضُ وَدَعِ الْعُدَالَا ! * كَمْ دَا الْقُعُودُ هَكَذَا كَسَالَى !
 ١٣٢ لِنَغْنَمِ الصَّعْتَةَ وَالْفَرَاعَا * وَنَشْرَبَ الْعُمَرَ لَنَا مَا آتَسَاعَا !
 ١٣٣ وَلَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى نَزَلْ * شَابِثُ لِي صِدْتُ الْغَزَالُ بِالْغَزَلِ !
 ١٣٤ خَدَعْنَاهُ فَأَطَاعَ لِي الْفُتْلَامُ * وَكَانَ مَا فَدَى كَانَ ، وَالسَّلَامُ !
 ١٣٥ وَبِثَّ مَسْرُورًا بِذَلِكَ الْخُشْفِ دَ وَفُوقَ مَا وَصَفْتُ مِنْهُ الْخُفَى .
 ١٣٦ وَكَانَ لِي غُلِيمٌ طَرِبُفُ * حُلُوُ الْكَلَامِ فَكَيْهِ خَمِيفُ .

١٣٧ جميع ما يقوله يُجُودُ * ما كان مثله ولا يكون.

١٣٨ حديثه ليس عليه من حرج * لما به الحال وقد سُمي قرَح.

١٣٩ قتلته: كَأَيِّ مَنْ نَدِمَ * لأجل ذلك الطي لما أَنْطَمِ.

١٤٠ ويحك لم أطمعت هذا السمك! * فقال: لولاه لما كان أَمَسَك!

١٤١ جعلته لصبده كالفتح * لأجل ذا أبصرته مُسْتَرَحِي.

١٤٢ يا ساطر البلاد أنت القم * فلب ما لا تستطيع الأسهم!

١٤٣ لاشك قد أنصب علم السحر * وصدت صيد البر بعد البحر!

ومما فلتنه فيه :

وبالدير يوم أبصُر لي كاسيه * وقد طلعت من جانب الدبر أهاز.

وقد حليت في الكأس صهاً مَرَّةً * تَكْنَف منها في الدُّجَّة أسنار.

وبالدير ذرائبه بَرَزَ لما * فسم لنا فيما حديث وأسمار.

جَلَّتْها كَأَنَّ الطُّورَ جانبُ كُاسِها * وإلا ربي داريس من دونه دار.

وقلت :

ولم آنس بالدير يوماً لنا * وعيشُ السرور به يُنْهَب!

ففضَّص أبكاره بالخير * ومروه أصاله بالذهب!

وكأسُ المدام علينا يطوف * بجرأ صاوية كالذهب.

يطوف بها من باب الفسوف * سباحة الكف ليست بهب.

مُبْنَلُهُ بين رهبانها * لأحاطها في حناها رهب.

مسيحية طَلَعَتْ في المسوح * كصبيح أطل وإيل ذهب.

وقد غاب عَمَّا عِبَانُ الرِّيفِ . وجاد الزمانُ بما قد وهَبَ .
فَرَشَفُ اللَّيْلِ خُلَسٌ سِينَا . وعَصُ الخُدُودِ لَدَيْنَا نُهَبُ .

دير ريفنة^(١) - وهو يصعد مصر، فوق سيوط، لا يبعد، على الجبل الغربي
المطل على ريفه .

وهناك عدة دماراب، المشهور أكبرها، والبقية كالتلالى .

وهو من الأبناء القديمة المحكمة . ولأهله رزق من أطبان تُزْرَع وتُسْتَغْل .
جارية بتواقيع السلاطين، ثابتة في حساب الدواوين، وهو دير مدكور، وله أخبار .
وفيه حكايات وأشعار .

يُحْكِي أن شاعرا مغربيا، يُعرف بابن الحداد، مرَّ به وهو مُصْعِد إلى فُوص ،
ليُحْجَّ من جهة عِيْدَاب ، في البحر . فرأى دِيرَانِيَةً اسمها بُوَيْرَة . كأنما أدكها
في قلبه نظَرُهَا، وشَبَّهَا في جوانحه من حدودها المُحْمَرَّة نَصَرُهَا . فألقى عِدها عصا
سفره، ولَفَى عِدها متبى ما يُؤَمِّل من ظَفَرِه . وترك الحَجَّ كأنه ما تَعْنَى له من أَهْضَى^(٢)
بِلاده، ولا نوى^(٣)، إليه السعري رحلته وزاده . وقال فيها :

ورَأَتْ حُصُونِي مِنْ بُوَيْرَة كَأَسْمَا . نَارًا تُصَلِّ، وَكُلُّ نَارٍ تُرْشِدُ!

والماء أَب . ولا يَصِحُّ لِفَايِصُ ! . والدار أَنَبُ، وفي الحَسَا تَوَقُّدُ!

(١) سماه أبو صالح الأرمي "دير ريفنة وأدرنكة" وأظهر كلامه عليه (س ٩٤ و ١١٣) . وقد ذكر

المقريزي ديارات كثيرة أسم "أدرنكة" (ح ٢ ص ٦٠٥) .

(٢) أثبت في الأصل إمعة "إلا" بين السطور في المصحفين . وعليه يكون الصمعي عائدا على الدير الذي
يبدو عليه الكلام، أما على عدم الرادة فهناك على الحَج .

ولما طال مُقامه ، وقفت عليه وسالت عن سبب إقامته فقصَّ عليها الخبر ، ونصَّ العبر . وأعلمها أنه إنما أتى ليُحجَّ ، فلما رآها أفام ، وطلبَّ ما يعالج به السقام . فقامت غير مُتباطيه ، ووَثَّبتْ كالظبية العاطيه . وظنَّتْ أنه لم يُصب ، وأنه مذلَّ لها شرَّكه ونصب . فلما رأى ما رآب من سُجورها ، وإعراض ظيبتها الأدماء وسُرعة نُفورها ، أسال عَبرته ، ووالى حَسرته . ثم قال :

حديثك ما أحل ! فزَيْدِي وحَدَّثِي * عن الرثا العَرْدِ الجِلالِ المثلث !
ولا تسأِمي دِرْواه ، فالذِّكْرُ مُؤنِّسِي * وإن بَعَثَ الأشْوَافُ من كلِّ مَبْعَثِ .
أحَقُّا وقد صرَّحتُ ما بي أنه * تبسَّمْ كاللاهِي بنِ المُنْعَبَثِ ؟
وأقسَمَ بالإِنْجِيلِ إِنِّي لَكَاذِبٌ * وناهيك دَمْعِي من مُحَيِّقٍ ومُحَنِّثِ !

ورآها يوما بين صواحِبها ، كما أطلَّعتْ لَيْلَةُ القَمَرِ بين كواكبها . فلما دنا منها ١٠
للحديث تَحْت ، وبَحَلَّتْ عليه بكلامها وتَحَث ، فقال :

وَبَيْنَ المَسِيحِيَّاتِ لِي شامِرِيَّةٌ * بَعِيدٌ عَلَى الصَّبِّ الحِيفِي أَنْ تَدْنُوا !
مُثَلَّثَةٌ قَدْ وَحَدَ اللهُ حُسْنَهَا * فُتِّي من قَلْبِي بها الْوَجْدُ والحُرْنُ !
فَطَى الخِمَارِ الجَوْنُ حُسْنُ كَأَنَّمَا * تَجَمَّعَ فِيهِ البَدْرُ واللَّيْلُ والدَّجْنُ !
وَفِي مَعْقِدِ الزَّنَارِ عَقْدُ صَبَابِي : * فَمِنْ تَحْتِهِ دَعُصٌ وَمِنْ فَوْقِهِ غُصْنُ !

ثم إنه صارت لانزاه إلا أحتجبت ، وهيات للشُّموس أن تُحِجَّبت . فزاد بها ١٥
إِلْبَاهُ ، وعُظِّمَ اخْتِبَالُهُ . فلما كان يوم عيد من أعياد البصاري ، طلعت تلك الدُّمَى ،

(١) في الأصل : وأعلمه .

(٢) في الأصل "معورها" بالسين المهملة . ولا معنى لها على الاطلاق . لذلك صححت بالشن المعجمة ليكون المعنى أنه رأى أنها تطير إليه شزرا .

(٣) صبطها في الأصل بفتح اللام . والصواب الكسر ، لأنه يشير إلى الدريانية التي تقول بالتثنية . يشهد بذلك البيت الثاني من القصيدة التالية . وقد وردت كلمة "مثلة" في الأصل مكسورة اللام .

كأنهم السما ، وبرزت لك الدَّيرانيَّة في أثرابها ، وخرجت كالصَّباح المسمر من وراء
حجابها . فوقف عليهن وقال :

عَسَاكَ مَحَقَّ عِيْسَاكَ مُرِيحُهُ فَلَجِي الشَّاكِي!

وإنَّ الحسَنَ قَدْ وَلَا : كِ إِحْيَائِي وَإِهْلَاكِ!

وَأَوْلَعِي بَصْلَانِي . وَرُهْبَانِي وَنُسَاكِ!

وَلَمْ آبِ الْكَائِسَ عَنْ . هَوَى فَيْسَ ، لَوْلَاكِ!

مَهْل تَدْرِيْنَ مَا تَقْصِي ^(١) . عَلَى عَيْنِي عِيَاكِ؟

وَمَا يَدْكِيهِ مِنْ نَارٍ . هَلِي مَوْرِكِ الدَّاكِي؟

حَبَّبْتَ سَنَاكِ عَنْ بَصْرِي . وَهَوَى الشَّمْسِ سِجَاكِ؟

وَفِي الْعَصْنِ الرُّطِيبِ وَفِي اللَّفَا الْمَرْغُ عِطْفَاكِ!

وَعَدَ الرُّوْصَ حَدَاكِ . وَفِي رَهَاهُ رِيَاكِ!

(٢٨٢)

وكانت سوى هذه الدُّبَارَات حَانَاتٌ بِمَوَاصِعَ شَتَّى . لها أحوار ، وفيها أشعار ،

وأشهرها ما ذكره هنا ولحقه من الديارة ما مثاله ، ونصيفه مما إلى أشكاله ، وهي :

حانة الطائف - كانت في الحاهلية . وكان حمارها يُسَمَّى آبن بُحْرَه . وكانت

قُرْبَى وَسَائِرِ الْعَرَبِ نَقْصِدُهُ . فتشرُّ في حانته . ويمتارُ منه وتحمل إلى أوطانها ،

وورد أجباجها موافق إبله لتَصِيرَ مَاعْطَانَهَا . وفي آبن بُحْرَه هول أبو ذؤيب :

فَلَوْ أَنَّ مَا عَدَّ آبِنِ بُحْرَهَ عَدَّهَا * مِنَ الْحَمْرِ لَمْ تَبْلُلْ لَهَا نِي بِنَاطِلِ!

(١) فملك التي لا يُذهب الدهرُ حُبها * ولا ذكَّرها ما أُرزمت أم حائل!
 وإن حديثاً منك لو تبدَّله * جنى الحبل في ألبان عودٍ مطايل!
 مطايل أبكارٍ حديثٍ تنأجها * يُشأب بماءٍ مثل ماءٍ المفاصل!
 لعمري! لأنت البيتُ أكرمُ أهله * وأجلس في أيبائه بالأصائل!
 (٦)

• حانة بنى قُرَيْظَةَ - وكان نخمارها في حوارٍ سلامٍ بنِ مِشْكَمَ . وكان عربزاً مبيعاً .
 ولما آنصرف أبو سفيان بن حربٍ من غزوه السَّوِيفِ ، نزل على ابنِ مِشْكَمَ . فأكرمه
 وأحببته عنده ثلاثة أيام ، وبعث إلى جاره الخمار ، فابتاع كلَّ ما في حابوته ، وسماه
 أما سفيان ومن معه من قريش . فقال أبو سفيان :



(١) وفي المثل : "لا تله ما أُرزمت أم حائل" . والإرزام صوت تحرجه الافة من حلقها لاحتج به
 فاحا . أوردته اللسان في مادة (رزم) . والحائل ولد الافة سانه تلقية إذا كان في . ومنها أم حائل .
 كذا مره صاحب اللسان في مادة (ح ول) وكذلك أوردته الميداني في مجمع الأمثال .

(٢) جمع غائد . وهي الافة الحديثة الناح .

(٣) * مطفل . وهي الافة الصغيرة الأطفال | والمراد أن ليس الأنكاراً طيب | .

(٤) * بمصل . وهو مقطع السيل في الحبل . | والمراد طيب هذا الماء ، لأنه جرى في رصيراص | .
 | ومعنى البنين أن حديث الخوذة - لو سمحت به - هو الشهد بمروحا ما طيب الأول وأصنى المياه | .

(٥) وردت في الأصل بكسر التاء إشارة إلى المحبوبة . ولكها ما فتحت في الديوان التي نخط المرحوم
 الامام محمود الششقيطي المحفوظ بدار الكتب المصرية (رقم ٦ ش . أدب) . وهو الصواب لأن الشاعر
 انتقل إلى الكلام على بيت محمونه . ومن البعيد على مثل أنى ذؤيب أن يجعل محمونه بيتاً يخلص به
 بالأصائل ويكرم أهله .

(٦) قد نقل ابن فضل الله هذه الأبيات عن أبي ذؤيب . وقدم فيها وأخر وحذف ما حذف . وهي واردة
 على ترتيبها المستقيم في ديوان الشاعر (رقم ٦ ش . أدب) . فالأول والثاني هما آخر القصيدة . وبين
 الرابع والخامس هنا بيتان أعطاهما ابن فضل الله .

(٧) نص جمهور العلماء على أنه بتشديد اللام . ولكن مصمم قال به بالتشديد والتخفيف .

سَقَانِي وَرَوَانِي كُنْتُ مَدَامَةً ١١ عَلَى ظُلْمِي مَنِي، سَلَامٌ بِنِ مِشْكٍ!^(١)
تَحْيِرُهُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَاحِدًا ١٢ لِحْلِفٍ فَلَمْ أَغْنِ وَلَمْ أَتَّزِمِ!^(٢)

حانة هجر - وتُعرف بحانة رَيَّان . وهي مذكورة . وقال فيها الراعي التميمي :

وَصَهْبَاءٌ مِنْ حَاوِيَتِ رَيَّانَ قَدَعَدَا ١٣ عَلَى وَلَمْ يَطْرُبْهَا الشَّرْقُ صَابِغُ^(٣)
تُصَرِّعُهَا الْيَوْمَ كَأَنَّ رَوْيَةً ١٤ وَبَرْدُ الْعَشَايَا وَالْقِيَانُ الصَّوَادِحُ.^(٤)
وَيُنْبَأُ عَلَى الْأَنْمَاطِ وَالْبَيْضِ كَالْدُمَى ١٥ تُضِيءُ لِمَا لَبَّاسُهُنَّ الْمَصَابِغُ.
إِذَا نَحْنُ أَنْزَفْنَا الْخَوَائِيَّ، عَلْنَا ١٦ مَعَ اللَّيْلِ مَلْتَوِمٌ مِنَ الْفَارِطَاغِ.

(١) رواية ابن هشام "على غل" . وهي التي يعيها سياق الواقعة .

(٢) في الأصل : بحيره أهل . ويمكن قراءتها "تَحْيِرُهُ أَهْلُ" ويكون المعنى تحييره من أهل المدينة الخ .
أما الرواية القديمة الصحيحة التي أوردتها ابن هشام في السيرة السوية عن ابن أبي عمير : "إني تحييت
المدينة" . وهذه الرواية يؤيد بها صحتها وصدقها أبو در الحشى في شرحها الذي طبعه صديق العلامة الدكتور
ربيع الألفى في مطبعة هدية القاهرة سنة ١٣٢٩ هـ (سنة ١٩١١ م) فقد قال الشارح ص ٢١٠
ما نصه "قوله إني تحييت المدينة واحدا . أراد من المدينة خدح حرف الحروا وصل الفعل" .

(٣) في الأصل : سواد . وفي الأعدى : سواهم . وكنا الروايتين لا يستقيم بها المعنى بل يكون
في التركيب تعسف واضطراب وتفكك وارتباك . لذلك احتريت رواية ابن هشام وهي غاية في الوضوح والبيان .

(٤) رواية ابن هشام : فلم أئدم ولم أنلزم . وأطر الأبيات كاملة على اختلاف الروايات وتصاريفها
في الأعدى (ج ٦ ص ٩٩ طبع بولاق) وفي سيرة ابن هشام (ص ٥٤٤ طبع حوتن) . وقد أورد
أبو فصل الله البيت الثاني في مكان الأول وجعل الأول في محل الثاني .

(٥) أى ! ينظر شرور الشمس .

(٦) الصبغ بفتح السين . قال في اللسان (ج ٣ ص ٣٣٤) واصطاح القوم شر بوا الصبوح
وصبغه يصبغه صبغا وصبغه : سقاء الصبوح . وفي معجم البلدان "صايج" (ج ٢ ص ٨٨٩ طبع ليبسك) ،
وهو علف .

(٧) أهمل وضع الفتح في الأصل . ولعل المعنى أن الكأس الروية ورد العشايا والقيان كل هذه
تصغر أنى عن تلك الصبا .

(٨) في الأصل : كاس رويه | بكسرتين تحت الحرف الأخير |

حانات الحيرة - وهي أربع حانات :

حانة عَوْن - وكان عَوْنُ ظرفا، طيبَ الشراب، نظيف الثياب . وكان فتيان حانة عَوْن الكوفة يشربون في حاوته، ولا يختارون عليه أحدا . وشرب عنده ليلةً أبوالمهندى الشاعر، حتى طلع الفجر وصاحت الديوك، على أنه يصبح يومَ شك . فقيل إنه من رمضان . فقال :

شربتُ النخمرَ في رَمَضانَ حَتَّى : رأيتُ البدرَ للشعرى شَرِبَكا !
فقال أنى : الديوكُ مبادياتُ ! * قُلتُ له : وما يدرى الديوكُ ؟

حانة دَوَمَة - وعن أبي عُبَيْدَةَ قال : مرَّ الأَقْبَشُ بِخَمَارَةٍ في الحيرة ، فقال لها دومة . فترل عدها ، وأستترى منها شرابا . ثم قال : لها جودى لى الشراب حتى أجود لك المديح . ففعلت . فأنشأ يقول :

أَلَا بَادِئُ دَوْمَ ، دَامَ لِكَ الْعَمُ ! : وَأَسْمَرُ مَلَأَ كَفَّكَ مَسْتَقِيمُ ،
شَدِيدُ الْأَسْرِ يَبِضُّ جَانِبَاهُ : يُحِمُّ كَأَنَّهُ رَجُلٌ سَقِيمُ ،
يُرِوُّهُ الشَّرَابُ فَبَزَدَ بِهِ . وَيُفْخُ فِيهِ شَيْطَانٌ رَحِيمُ !

٢٨٥

قال : فظننت النخماره أن هذا مدح . فسررت به وزادته في الشرب . وقالت : ما قال

في أحد أحسن من هذا .

حانة جابر - قال ابن الصلصال : كان أبو نُوَّاسٍ بأتى الكوفة ، يزورنى . وكان يأتي بيت نحاتر بالحيرة ، فقال له جابر : لطيف الخليفة ، نظيف الثياب ، نظيف الآلة ، يعتق الشراب سنين . فقدم علينا مرة ، وقد نهأ الأيمن عن الشراب . فسأل عنى ، فقيل : هو بالحيرة . فوافانى ، وفي يدى شيء من شراب جابر ، عجيب الحسن والرائحة .

فقال لى: يا أبا جعفر، لا يجمع هذا والهَمُّ فى صدرٍ واحدٍ! قال: وكان شديد العُجب
بضرب الطَّنور. ^(١) وكان إذا جاءنى جمعتُ له ضُرَابَ الطَّايِر. وكانت الكوفة معدنهم.
وكان يسكر فى الليلة الواحدة سَكَراتٍ. فوجهتُ بجمْعٍ له منهم جماعة، وأحضرتُه
شيئاً من ذلك الشراب. فقال لى: ألم تعلم ما حدث علىّ؟ قلت: وما هو؟ قال: نهانى
سأمر المؤمنين عن الشراب وتوعدنى عليه!

ثم أنشدنى قصيدته التى فيها:

أَيُّهَا الرَّاحِمُ بِاللَّوْمِ، لَوْ مَا * لَا أَذُوقُ الْمُدَامَ إِلَّا سَيْمًا!

إلى أن أنتمى إلى قوله:

فَكَأَنِّي وَمَا أَحْسَنُ مِمَّا قَعَدِي بِنَحْسِ التَّحْكِمَا. ^(٢)

كَلَّ عِزِّهِ السَّلَاحَ إِلَى الْحَرِّ بِ فَاَوْصَى الْمُطِيقَ أَنْ لَا يَمِيَا. ١٠

فعلتُ له: أقمُ معاً كما حكيتُ من نَفْلِ الصَّعْدِيَّة. قال: أفعل. وصرنا إلى حانة
جابر. ففعلتُ شعراً ذكرتُ فيه ما قاله لى وأنشدته إياه. وهو قولى:

عَبَبْتُ عَلَيْكَ مَحَاسِنَ الْحَمْرِ. أَمْ عَرَّتَكَ بَوَائِبُ الدَّهْرِ

(١) الطَّنور والبطار من آلات الطرب، ذو عُنق طويل وستة أوتار، معزف تنبور (أصله دُفَّة رَدَّأى
ليه الخمل. سمى به على التشبيه). وقد انتقل هذا الاسم إلى سائر ألعاب على بعض تنوع فى الآلة. ١٥

(٢) نُورِدَ هذا البيت فى "نجاح العروس" فى مادة (ق ح د) ويستعاد من كلامه أن القعدة قوم من
الحوارح قعدوا عن عصرة الامام على أن أى طالب، وأن الذى يرى رأيهم يسمى "قعدياً". وهم يرون
التحكيم حقاً، لكنهم قعدوا عن الحروج على الناس. والبيت فيس يأتى أن يشرب الخمر، وهو يستحسن شربها لغيره

(٣) أى كما يفعل القعدة من الأقصاء على تحصيل الثبر ومدح الخمر وأوصافها التى تلذدها للشاربين.



فَصَرَفَتْ وَجْهَكَ عَنِ مَعْتَمَةٍ . تَهْزُ عَنْ دُرٍّ وَعَنْ شَدْرِ .
 يَسْمَعُ بِهَا ذُو غُنَّةٍ غَنَجٌ . مَتَكَلِّجُ اللَّحَظَاتِ بِالسَّحْرِ .
 وَنَسِيتَ قَوْلَكَ حِينَ تَمْزُجُهَا . قَتْلُكَ مِثْلَ كَوَاكِبِ النَّمِرِ^(١) :
 "لَا نَحْسَبَنَّ عُقَارَ حَابِيَةٍ . وَالْهَمُّ يَجْتَمِعَانِ فِي صَدْرٍ !"

٥ فقال : هاتِيها وكذا وكذا من أُمِّ الأُمَيِّين ! ومَدَّ يده ، فأخذ القَدَحَ وسَرِبَ معا . ثم
 شَخَّصَ إلى الأُمَيِّين . فقال له : أَيْنَ كَسَتْ ؟ قال : عِنْدَ صَدِيقِ الْكُوفِيِّ . وَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ .
 قال : فَمَا صَعِمْتَ ، حِينَ أُنْسَدَكَ الشَّعْرُ ؟ قال : شَرِبْتُ ، والله ! يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قال :
 أَحَدَسْتَ وَأَجْمَلْتَ ، فَأَشْخَصْ حَتَّى تَحْمِلَ إِلَى صَدِيقِكَ هَذَا . فَقَدِمَ إِلَى خَمَلَتِي إِلَيْهِ . فَلَمْ
 أَزَلْ مَعَهُ حَتَّى قُتِلَ .

١٠ حَانَةُ شَهْلَاءَ - وَكَانَتْ يَهُودِيَّةً مِنْ أَهْلِ الْحَبْرَةِ . وَحُكِيَ أَنَّ الْأَقْبِيسَرَ كَانَ يَأْتِيهَا ،
 وَكَانَ يَشْرِبُ فِي دَارِهَا . بَغَاءُ شُرْطَى فِدَى الْبَابَ ، فَقَالَ : آسَفُنِي وَأَنْتِ أَمْرٌ . فَقَالَ :
 والله ! مَا أَمْسَكَ . وَهَذَا النِّقَبُ فِي الْبَابِ ، فَأَنَا أَهْمِيكَ مِنْهُ . فَوَضَعَ لَهُ أَنْبُوبَ قَصَبٍ
 فِي النِّعْبِ . فَصَبَّ فِيهِ الْبَيْدَ مِنْ دَاخِلٍ . وَالشُّرْطَى شَرِبَ مِنْ حَارِجٍ . فَقَالَ الْأَقْبِيسَرُ :

سَأَلَ الشُّرْطَى أَنْ تَسْقِيَهُ . فَسَقِيَاهُ أَنْبُوبَ الْقَصَبِ .
 إِنَّمَا لِفَقْصَتِنَا خَابِيَةٌ ، وَإِذَا مَا مَرِحَتْ كَالْعَجَبِ .
 لَنْ أَصْفَرَ صَائِفِ طَعْمُهُ نَزْعُ الْبَاسُورِ مِنْ غَبِّ الذَّنَبِ .
 إِنَّمَا نَشْرَبُ مِنْ أَمْوَالِهَا ، فَاسْأَلُوا الشُّرْطَى . مَا هَذَا الْغَصَبُ ؟

حانات العراق - ومن أربع حانات :

حانة طَيْرَبَابَادٌ ^(١) - وكان نَحْمَارَهَا سِرْجِس . وحكى سليمان بن بونجت قال :
 حججت وأستصحت أبا نُؤاس ، بعد امتناعه ونِفَار . وشرط على أن أقدم معه
 الحاحٌ إلى القادسية . فنقيم نُشْرِب طَيْرَبَابَاد . فنزل على نَحْمَار كان بالفه ، فشرب يومه
 وليته . ثم أنبّه بهول :

حانة طَيْرَبَابَاد

ونَحْمَارِ انْحَتُ إِلَيْهِ لَيْلًا * فَلَايَصُ قَدْ وَنِينَ مِنَ السَّفَارِ .
 فَزَجَمَ ، وَالْكُرَى فِي مُقْلَتِيهِ . كمحمورٍ شكا أَلَمِ النَحْمَارِ :
 "أَيْنَ لِي كَيْفَ صِرْتُ إِلَى حَرِييْ ، وَلَوْ لَيْلٍ مَلْتَبَسُ بِقَارِ"
 فقام إلى العُقَار فسَدَ فَاهَا . فعادَ اللَيْلُ مُسَوِّدَ الْإِزَارِ .



ثم جلس يشرب . فلم يزل كذلك حتى ورد عليا أوائل الحاح . وحجوا . ثم عادوا .
 فرحلنا معهم إلى بغداد ، على أننا كاجُجًا معهم .

حانة قُطْرَبَل - وكان حمارها ابن أذن .

حانة قطربل

حكى أبو السبل البرجعي قال : آجتمعت بأبي نُؤاس في الدونجينة . فسلمتُ
 عليه . وسأله عن خبره ، وتحدثنا طويلاً . ثم قال : أنساعدني حتى نَمُصِّيَ إلى موضع
 طَبْ " قلت : أين هو " قال : قُطْرَبَل . فقلت : صاقت الدنيا حتى نسافر " فقال
 لي : إن هالك نَحْمَاراً طريفاً ، لَيْفَا ، مساعداً ، عده شراب عتيق وعلماء صبايح . فأمص

(١) طَيْرَبَابَاد موضع بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق على حافة الحاح . كان من أهره المواضع
 مخفوا بالكرم والشجر والحانات والمعاصر . وكان أحد المواضع المقصودة للهو والبطالة . وهو الآن حراب ،
 ولم يبق به إلا أثر قباب يسومها " قباب أبي نؤاس " . ويقال إن معي اسمها عمارة الصيرين . (أنظر ياقوت
 في الحرة الثالث من معجم البلدان) .

بها. فضيئت حتى أتى حانة خمار، فقال لي: أتعرفه؟ قلب: لا. قال: هذا ابن أذين الذي أقول فيه:

اسْقِنِي يَا ابْنَ أَذِينَ . مِنْ شَرَابِ الزُّرْحُونِ^(١)!

اسْقِنِي حَتَّى تَرَى بِي * جَنَّةَ غَيْرِ جُبُونِ!

عُتِفْتُ فِي الدَّنْ حَتَّى * هِيَ فِي رِقَّةِ دِنِي!

وَلَسَا سَايَ عَلَيْهِ * جَبَّةٌ مِنْ يَأْتَمِينَ^(٢)!

قال: فافقنا عده ثلاثة أيام، في أنزه موضع ومع أكيس حادم، ثم أنصرفا.

حانة الشط - قال حمَّد بن حمَّدون: كان الواثق يحبِّ المُواخِبِ، وما قيل فيها، وما غُتِّي به في ذكراها، فعند حانئبن: إحداهما في دار الحُرَم، والأخرى على الشط. وأمر بأن تُحارَ له خمار نظف، بجمل المظَر، حادق أمر السراب. ولا تكون إلا نصرانيا من أهل قُطْرُبُل. فأُتِيَ بصراقى، له آسان بطعان ملبحان وأبدان يهده الصفة. فجعلهم الواثق في الخاتنين، وصمَّ إليهم حدما وعلمها وحوارى رومته. وأحدم النساء حانة الحُرَم، والرجال حانة الشط. وعل إليهما طرائف الشرب، وفرشهما من فرش الخلقة، وعلق عليهما السور، وجعل فيهما الأواني المذهبَة والدنان المدهونة. فكاننا أحسن مطر وأهياه.

فلما فرغ منهما، أمر بإحصار المغني والجلساء. ولم يدع أحدا يصلح من صُرَاب الطائير إلا أحضره. وحصرها، ونرح الخمار، هو وأولاده معه. عليهم الأفيئة المسبَّمة، وفي أوساطهم الرناير المحلاة، ومعهم علمان يحملون المكايل والكيران

(١) كلمة فارسية مركبة من "زَر" أي الذهب ومن "ثُون" أي الثوب.

(٢) في رواية: يَدَى. والسياق يعين هذه.

(٣) هو المشمود المعروف. وأصل اللفظ مصري قدم "أشمى" ثم اشتل إلى الفارسية بالعربية فالرواية بالتركبة فالتركبة بالرومية فالأوسية فسائر اللغات الإفريقية.

والمبارل في الصواني . وأخرجت لك الدنان المدهة . وقد طيئت رؤوسها تطيبا
 نظيفا . يعق منه الطيب . فأقيمت يازاء المجلس الذي كان فيه جالسا . فبزلت ، كما
 فعل في الحانات وجعل توفى بالأعمودحات ، فبذوقها ويعرض ذلك على الحساء .
 وحنار كل منهم ما يشتهه . فمأخذ دنا . ويحيى إلى الخمار وكنال منه عكبال في إنائه ،
 كما يفعل في المواخير . ويعود إلى موضعه فيجلس . وبوضع على رأس الحضور أكالبل .
 الآس وما أشبهه من الراحي . فكان أحسن يوم رأيته .

فمرب الوائق شر ما كثيرا وأمر للهار نافه . دينار ، ولزوجه بألف دينار ، ولكل
 واحد من أولاده خمسمائة دينار . ولم يبرح أحد مما إلا بجائزة سنية .

وحكى الحسين بن الصحاك في حكاية له أن الوائق قال له : هل لك في حاة
 السطّ قال : فقلت إى والله ! مأهبر المؤمنين . فقام إليها فشرب هناك وطرب .
 وما نرك أحدا من الجلساء والمعنين والحشم ، إلا أمر له بصلة . وكان من الأثم التي
 سارت أخبارها ، وذكر في الآفاق .

فلما كان من العدا ، عدوت عليه فقال : أنسدى ناحسين شبتا ، إن كسب قلته
 في يوما هذا الماضي . فأندبه :

١٥ حاة السطّ فدا كرم منوانا . عودى بيوم سرور كالدى كانا !

(١) جمع . رل وهو المتب أن الآلة التي تنقب بها الدنان وإميل ليسبل ما فيها . ويسمى هذه الآلة
 'بص' . (١) أسوب . (٢) نارل . (٣) ضبور . (٤) بديون | تعريبا لكلمة يونانية | . والمربل الذي
 نحن بهدده فخذ عدة من الحذب . وهو معروف عند أهل هذا الشأن . ويسمى عند الفرنسيين .
 Canelle و Canette و Canule . وهذه الأسماء الثلاثة الأفرنجية هي أيضا مستعملة في اللغة العربية
 عند الخواصين سمن معنى المربل في الاصطلاح الطبي العربي . و Canelle هي الأكثر استعمالا عند
 الكبرامين الفرنسيين .

وقد ورد المثلث لفظة «الربل» في استخراج الحمر من الدنان (أظهر ص ٢٦٦ ص ٥٩ وص ٣٠٩ ص ١١١
 ص ٣٢١ ص ١٩ وص ٣٢٢ ص ٢) .

[لأُتَفَدِيَا دُعَابَاتِ الْإِمَامِ وَلَا طِيبَ الْبَطَالَةِ إِسْرَارًا وَإِعْلَانًا.]^(١)
 وَلَا تُخَالَعَا فِي غَيْرِ فَاحِشَةٍ . إِذَا تُطَرَّبْنَا الطَّنْبُورُ أَحَانًا .
 وَسَلْسَلَ الرَّطْلَ عَمْرُوهُمْ عَمَّ بِالسُّقْبَا فَالْحَقْ أَحْرَامًا وَأُولَاءَا .
 سَقِيًّا لِعَيْشِكَ مِنْ عَيْشِ خُصْصَتِ بِهِ دُونَ الدَّسَا كِرِهٍ لَذَاتِ دُنْبَانَا !
 قَالَ : فَأَمَرَ لِي الْوَاقِقَ بِصَلَاةِ سَنَةِ مُحَدَّدَةٍ ، وَأَسْتَحْسِنَ الشَّعْرَ ، وَأَمَرَ أَنْ يُغْنَى عَنْهُ .

حانة خويث - وتُعرف بحانة بَرِيع ، وهو خادم الموكل .

حاله حوث

وكانت عزيزة لا يعرض لها أصحاب المعاون . وكانت حسنة الداء ، ووزَّره مسقفة^(٢)
 بالساح . وإلى جانبها سَتَانُ نَرَةٍ حَسَنُ الْبَرِيعِ . وكان يتخذ فيها آلة الشراب .
 وكان بها حمار يهودي ، لا يبيع إلا شراباً مخاراً سراً ، لا يباعه أحداً من العامة
 والوضعاء . وكانت حانته ليرة الخاصة والسرَّاء من الناس . وكانت موصوفة بالحس
 والطفافة .

١٠

وفيها يقول عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن الرات (وكان فد دعاه بَرِيع
 اليها ، ومعهما حنَّي الخادم ، وكان نهابة في الحسن ، وحسن الغناء) .

سَافَا بَرِيعٌ^(٣) وَالسَّمَاءُ مَشْرُقٌ وَنَحْمُ السُّرَّاءِ فِي السَّاءِ مَحْلُوقٌ .
 كَمَنْتَا كَأَنَّ الْمِسْكَ حَشْوُ كَوْسِهَا هِيَ السَّمْلُ خَمُوعٌ هِيَ بَقَرُوقٌ .
 سُلَاقَةٌ كَرِيمٌ أَحْلَصَ الدَّهْرُ لَوْنَهَا . يُصَيِّ لَهَا اللَّيْلُ الْهَيْمُ وَيُشِيرُ .

١٥

(١) نقلاً هذا البيت عن الأتاني (ج ٦ ص ١٩٧ طبع بولاق) لينصح المعنى ويستقيم سياق البيت بعدد .

(٢) في الأصل : إذ لا تخالعا (ولا معنى له مع هذا التبريد ولذلك صححنا عن الأتاني) .

(٣) أي الذين يطالون المعونة ، أي الصرافات والمخارج .

(٤) اسم السابق المذكور قبل .

٢٠

وقلت لِحَنِّي : هَلُمَّ مَعِّي ! . "أَرِقْتُ، وما هذا السَّهَادُ الْمُوَرَّقُ؟"
فَعَنِي غَيَاءٌ حَرَّكَ الْقَلْبَ حُسْنُهُ . وَلَمَّا يَحْرَكُهُ الشَّرَابُ الْمُصَفَّقُ !

حانة سميتان

حانة سَجِسْتَان - حُكِيَ أَنَّ أَمَّا الْهِنْدِي، لَمَّا ضُرِبَ عَلَيْهِ الْبَعْثُ إِلَى سَجِسْتَان،
كَانَ بَلَرْمُهَا وَبَشَرَبَ عَمْدَهَا مَعَ نَدِيمٍ لَهُ . فَشَرِبَا يَوْمًا حَتَّى سَكِرَا وَنَامَا . فَلَمَّا هَتَّ هَوَاءُ
الْأَحَرِ . آذَنَهُ أَمَّا الْهِنْدِي، وَالزَّقْ مَطْرُوحٌ، فَدَبَّ بِقِيٍّ مِمَّنْ سَطَرَ الشَّرَابَ . فَأَقَامَهُ
وَصَبَّ مِنْهُ فِي كَأْسٍ . وَجَاءَ إِلَى نَدِيمِهِ لِحَرَكِهِ وَقَالَ :

تَصَحَّ بَوْجُهُ الرَّاحِ وَالطَّائِرِ السَّعْدِ .. كُنْتُ نَا وَنَعْدُ الْمَرْجِ فِي صِفَةِ الْوَرْدِ !
تَصَمَّمَا زَوْ أَزْتُ كَأَنَّهُ * صَرِيعٌ مِنَ السُّودَانِ دُوشَعَرٍ جَعَدِ .
وَلَمَّا حَلَلْنَا رَأْسَهُ مِنْ رِبَاطِهِ * وَفَاضَ دَمًا كَالْمِلْسِكِ أَوْ عَنَبِ الْهِنْدِ،
وَحَدَّاهُ فِي بَعْضِ الرُّوَامَا كَأَنَّهُ . أَخُو قِرَّةٍ يَهْتَرُ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ .
أَخُو قِرَّةٍ يَسِيدِي لِمَا وَحَهُ صَمْحَةٍ * كَلَوْنٍ رَفِيقِ الْجِلْدِ مِنْ وَلَدِ السِّنْدِ .
حانات الشام - وهى آندان :

حانة مرار

حانة عَرَاز - وَكَانَتْ سَلَّ عَرَازَ .

حَكَى إِبْنُ عَرَبٍ . قَالَ : كُنْتُ مَعَ الرَّسْبِدِ . حِينَ نَحَرْنَا إِلَى الرَّقَّةِ . فَدَخَلَ يَوْمًا شَرِبَ
مَعَ النِّسَاءِ . وَنَحَرْتُ وَهَصَبْتُ إِلَيْهِ . فَتَزَلْتُ عَدَّ نَحَارِهِ هُنَاكَ . لَهَا زَوْجٌ قَسٌّ . وَلَهَا
مِنْهُ بَنَاتٌ . لَمْ أَرِ مِثْلَهَا قَطُّ حَالَالًا . وَلَا مِثْلَ بَنَاتِهَا . وَأُخْرِجْتُ إِلَى شَرَابٍ لَمْ أَرِ مِثْلَ حُسْنِهِ
وَطَبِ رِيحِهِ وَطَعْمِهِ . فَأَجْلَسَنِي فِي بَيْتٍ مَرشُوشٍ فِيهِ رِيحَانٌ غَضٌّ . وَأُخْرِجْتُ
بَنَاتِهَا نَحْدَهُنَّ كَأَنَّهُنَّ خُوطُ بَابٍ، أَوْ جِدَلُ عِيسَى : لَمْ أَرِ أَحْسَنَ مِنْهَا قَدًّا، وَلَا أَسْمَلَ

٢٩٩

خداً، ولا اشرف وجهها، ولا أبدع طرفاً، ولا أحسن كلاماً، ولا أتمّ نماماً. وفقت عندها ثلاثاً، والرشيد يطلّبني، فلا بقدر على. ثم أنصرفت. فذهبت في رسله إليه. فدخلت عليه، وهو عصبان. فلما رأيته، خَطَرْتُ في منبتى وروصتُ (وكانت في رأسى فضلة قوية من السكر) وعيّت في شعري فله في بيت الحماره صنعت فيه. وهو:

إِنِّي فلي بالثّل، بل عَزَّازِ، عند ظنّي من الطّباءِ الحوازى
شادنٌ يسكنُ الشّامَ وفيهِ مع سُكُلِ العِرافِ ظُرفُ الحجازِ.
بالقوى لبنتِ قسّ أصابتُ، منك صفوا الهوى واسب مجازى!
حلّقتُ بالمسيح أن تُخزِ الوعد، وليست تهتمّ بالإنجاز!

١٠ قال: واللحن في هذا الشعر خفف رملً بالوسطى. قال إسحق: فسكن عصبه. ثم قال لي: ويحك! أين كنت؟ فأخبرته فصحك وقال: عذر، والله! وإن مثل هذا لطيب، إذا آتفق. أعدّ عناقك! فأعدته. فأعجب به، وأمرني أن أعثه بلقي كلها، أعيده أبداً، ولا أعثي أنا ولا عيرى سواه. وأمر المغنّين بأخذه. وما زلت أعثه ويسرّب عليه إلى الغداه. ثم أنصروا. فصلت ونمت. وما أسقررتُ جباً حتى وافاني رسول الرشيد، يأمرني بالحضور. فركبت ووصيت. ١٥ فلما دخلتُ إذا أنا بـاب جامع يتمترع على دكان في الدار، لعبة الببذ والسكر عليه. فقال لي: أأدرى لم دُعيت؟ قلت: لا. قال: بصرائيك الرانيه، عليك وعليها لعنة الله! فضحك. فلما حرح إليها الرشيد، أحبره بالقصة.

فصحك وقال : صدق . أعيدوه جميعا ، ولا تعنوا غيره . فإني أشتقتُ إلى ما كنّا فيه لمّا فارقتموني . فغنيّاه جميعا يوم ماكلّه ، حتّى نام في موضعه ، سُكْرًا . ثمّ آنصرونا .

حانة هُشيمَة - وكانت بدمسوس . وكانت تحبُّم الوليد بن يزيد في شرايه وتوَلَّى اتّحاده له . وكان يقال إنه لم ير أعرف منها به ، ولا أطفّ آله وصعته ، ولا ألبق في الخلد منه .

وقد ذكرها يزيد في شعره إذ قال :

فدَسِرْنَا وَحَتَّ الرَّمَّارَه ، فاسْقِنِي بِأَبْدِيخٍ بِالْفَرَّارَه !
من سرايب كآته دُمُ جَنْفٍ عَمَّتُهُ هُنْسَمَةُ الْحَتَّارَه .
إِسْقِنِي ! إِسْقِنِي ! فَإِنْ دُونِي فِدَا حَاطَتْ فَا لَمَّا كَتَّارَه !

وعَمِرْتُ حتّى أدرك الرُّشد وماتت في أبامه . ماتت يوم مات الكسائي (١)
[الجوى] والعا [س بن الأحف الشاعر . فصل] المأمون عليهم .

وها قد ذكرنا ما اتصل سا علمه ، ووقع إلينا خبره ، وبه تم الفصل السادس . وهو آخر فصول الباب الأوّل من القسم الأوّل .

ولله الحمد وبه التوفيق !

(١) هـ سبط الخلد ، والمصوّر الذي توسّرائ على كلاب وجرووف فأبدها بمراحعه البواقى من حروفها على روايه (أ- ح ص ٤٦) . وأنظر فيه لطيف الرواية بمناسبة صلاة المأمون عليهم .

تصويبات و تصحيحات لما وقع في نسخة الأم لما وقع أثناء الطبع

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
٣٩	٢	أورد النسخ "العجاجة" من أسماء الفبار . والصواب "العجاج" . أما العجاجة فهي الإبل الكثيرة العظيمة . وهذا وذلك عن كتب اللغة .
٥٤	٩	في الاصل "حاقولي" . ولعله يريد "خافوني" . وانظر "نخبة الدهر في عجائب البر والبحر" للدمشق المعروف بشيخ الربوة .
٥٨	٦	"باش بالقي" . معناه عند الترك "المدائن الخمس" . وعلى ذلك جرى اليونان في قولهم Pentapole (أى المدائن الخمس) في تسمية احدى المدائن الشهيرة بناحية "قة" ، وهي التي اختزل العرب اسمها فجعلوه "أنطابلس" .
		أل بالقي . معناه بالتركية "المدينة الحمراء" لأن أل معناه الأحمر . ومعى باكين عاصمة الصين .
٦٢	٦	جبل "قُعيَّقان" يسمى الآن "الجبل الهندى" . وبه مدرسة عربية في موضع مسننى صغير ، كان للترك قبل الحرب العظمى .
٦٦	١٣	القرينة وسياق الكلام يوجبان تغيير كلمة "البحر" بكلمة "الجبل" . ذلك لأن المؤلف لم يذكر قط بحرا مشها بتفصيل « السراويل » . وانما ذكر (في ص ٤٨ س ٥٥ و ٦) جبلا بهذه الصفة ، وهو الذى يرجع اليه الكلام .
٦٨	٥	الكلام على البحرين يقتضى التثنية . ولذلك يجب إصلاح "منها" الواردة في الأم بـ "منهما" .
٧١	١٩٢٩	Trismégiste [ومعناه عند العرب "المثلث بالنبوة والحكمة والملك" . واللفظ اليونانى يدل على المثلث الكبير يا .]

صفحة	سطر	تصويّسات وتصحيحات
٧٧	١٠	الأختر . (نص مفتح) .
٧٨	٢١	Pont-Euxin
٨٢	١	الأزْدَن (نص أوّله وثالثه وسكون ثابته وتشديد رابعة) .
٨٣	٨	الدهالك (بالكاف في آخره لا باللام) . كما في ص ٦ ص ٢٢٩
٨٤	٢	البُتْم (نص فتشديد) جبال مشهور تركستان .
٨٥	٥	أشار المؤلف الى مدينة «لوقر» في الصين . هكذا كتبها الناصح بهذا الرسم في نسخة الأم ، وفي نسخة آيا صوفيا . وأكبر طي انه يشير الى مدينة «لوقين» التي وصفها ابن فضل الله . هذه المدينة في الجزء الثاني من «مسالك الأنصار» (ص ٣٣٦ فتوغرافية) فقال : «ومدينة لوقين» وهي مدينة حسة على صفة حور عدب ، تدخله المراكب . وهذه آخر حدّ بحر الهند من جهة الشرق» . وقال ابن خرداذبه : «لوقين وهي أول مراقي الصين ...» وكثيرا من العرب استعملوا «مراق» (بالقاف) مثل النلادري والكزي والادريبي وابن حدر وابن حلدون ، كما أشار اليه دورى في «سكة المعجمات العربية» وأما أصيب عليه الميريرى (ح ٢ ص ١٤٠) وان كان هو أيضا استعملها بالفاء ، في صيغة المفرد (مرفأ) عند إيراده الحملة نصبا في مكان آخر (ح ١ ص ١٤٠) ولا تسك أنهم استعملوا «مراق» في مقالة قولنا الآن «إيسكه» عن (Scala) أي «سلم» و«مرقة» . وقد سه المطرزي الى تصحيح الفاء ، قائلا كما أشار اليه دوحويه في «فتوح البلدان» للنلادري .
٩٣	١٩	المره . ورد في الأصل راء مهملة . ويكون معنى المثل انه شرب المُرّ . وإذا أعجمها الحرف فيكون أنه شرب المزقة أي الحرف فيها حموضة . وفي أسف لعدم تمكني من مراجعته نسخة صحيحة من كتاب ابن عساكر .
٩٨	١٥	«الأساطيم» الواردة في نسخة الأم ، هي بلا شك من أوهام الناصح . وربما صح لنا منها الاستشهاد بالمثل العربي «أساء سمعا فأساء حاة» ويريد عليه «وأساء تتامة» . وربما كان «مسم» على ليه «الأساطين» فسمها بميم في آخرها ، فكتبها كذلك . والمقام يعين

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
		« الأساطين » جمع أسطوانة . وانظر « الإعلام بأعلام بلد الله الحرام » (ص ٨٦ و ٥٣) و « أحبار مكة للدرقي » (ص ١٦٤) ، كلاهما طبع العلامة واستعمل الألمانى . ولما كان الكلام يدور على السوارى والاعداد ، فلا معنى . فلما في هذا المقام للاسطام الذى يدل فقط على المسعار للخدمة المقطوحة يُحْزَنُ بها البار ، أو الخايدة التى تكون فى طرف السهم حيث يُعَلَّقُ الحُر الذى يرى به المصحق (انظر عن الاسطام الفامرس وشرحه ، ومفاتيح العلوم) .
١٠٢	٢	وَكَسَوْنَا ... الَّذِى ...
١٠٧	٣	أُسْطَوَانَةٌ (بضم أَوَّلِهِ) .
١٣٦	١٢	أَبَى (بضم أَوَّلِهِ وفتح ثانيه وتشديد آخره) .
١٤١	٥	الصَّحْرَةِ وَالْأَعْمَدَةِ . وَالْحَائِطُ أى أن الحائط هو أول كلام حديد .
١٤١	١٩	التحريح الطلى الذى فى هذا السطرير صواب منى . ولذلك يجب حده . وكلمة « إنبذارية » ورعا تكون إنبذارية — وإن كمت سميت كثيرا ونخت طويلا لمعرفة أصلها على غير طائل — تدل على نطاق من الزحام السارر ، وبعضه متصل بالعص الآخر على دائرة الحدردان الاربعه . كما شاهدته سمى حيا رب الحرم المقدسى لأهل تخمين بعض البيانات الواردة فى هذا الكتاب . وأحصاه الانبذاريه هذه . وما قصيت الوطرفيا يتعلق بهذه الكلمة . شئى سوى امتناع المطر تركيها وحملها . وكانت رحلتى الى وسطين لهذا العرض فى شهر يونيو سنة ١٩٢٣
١٥٧	١٧	قال اس فصل فى سعة الأم أثناء كلامه على السور الشمالى للسجد الأقصى ان المدرسة الكريمة « جارت ما أمامها » الاروقة خائطين عرية وشرقيه . « وقد صححت « حارت » « « حاورت » » لأنه محال أن تكون المخارة من الشرق الى الغرب معا . وقد سميت على لفظ الأصل فى الحاتية . لى راجعت فيما بعد نسخة آياصوفيا ، فأرت فيها « حازت » . فالخاء

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
		المهمة والراى . ولعل هذا هو الاثر للصواب ، اذا جملنا « الدال » بدلا من « الراى » . فتكون المدرسة « محاذية » لما امامها من الأروقة ، شرقا وغربا .
١٥٨	٧	ويُخَذُّه (بالخاء المعجمة) .
١٦١	١٧	يُنَزَّلُ (بضم فسكون ففتح) .
١٧٥	١٤	سكان س أرْتَبَكْ (هكذا نالاه المفردة التحتية و الأصل) . صوابه سكان [أوسمان] س أرْتَبَقْ س يلغازى . ولعل اسم أبيه كان في أول الأمر « أرْتَبِكْ » ثم عرّوه فقالوا « أرْتَبَقْ » . يجب التصحيح .
١٨٤	٩	جران الكروم . هكذا ورد في نسخة الأم عبد الكلام على ساء قبة مسجد دمشق . فقد أشار المؤلف الى أنهم حمروا لأركانها حتى بلعوا الماء ثم القوا على الماء جران الكروم . ولكن جران لا معنى لها .
		وقد وردت « جراز » في كتاب « مطالع البدر » أثناء كلامه على هذا الموضوع ، في السحرة المطبوعة وفي أخرى مخطوطة « بمخزاني الزكية » .
		ولا ينبغى المعنى مطلقا مع كل هذه التصحيحات والتحريرات . فرجعت الى « المخصص » رأيت فيه « دجران » و « حفان » في ذاب الكلام على الكرم . ولكن « دجران » تبدل على الخشب الذى يُخَدُّ تعريشة للكروم ؛ واما « حفان » فهي قصبان الكرم منه أى « عقل العنب » على ما يقول العامة الآن في مصر .
		فارتضيت هذه الكلمة الأخيرة . لأن هذه القصبان من شأها حس الماء وطمه ، فتكنمه وتمنع هودود الى أساس لباء الذى ينام فوقها . بل أى ، مع ذلك ، سعت لتحقيق هذه الكلمة عن نسخة معتمدة لاس عساكر . ولكن على غير طائل ، لعدم وجود أثر صحيح لها بخراش مصر . فاضطررت لمراجعة الطبعة التى مسخنها بعصم وشوئها وحلط كلامه بكلام مؤلفها وبزمنها ما بتر ، ووصلت به الجُرَّةُ على العلم وعلى الأمانة ، بل عدم التهذيب الى إبرازها للناس بهذه المأبة مع نعمتها بـ « تهذيب تاريخ ابن عساكر » . فوجدت الكلمة التى نحن بصددها « جفان » . فحمدت الله على عدم

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
		وصول التشويه والتحريف والتصحيف والمسح والعلط الى هذه الكلمة كما وصل الى غيرها مما لا يمد ولا يحصى . وعلى ذلك يجب تصحيح كلمة "جران" بكلمة "جفان" .
١٨٩	٣	بنها (بدلا من) بينهما الموحودة نصبة المني في نسخة الأم [اللهم إلا أن يقال أن "بينهما" هي للفصل بين "الاقاء المقودة" من جهة وبين "العمد" من جهة أخرى . وبه نعتف] .
٢١٣	١٢	بصنعة القوط . [ويمثل ذلك يصحح الهامش]
٢١٦	٦	لم يعد [هذا الضغط أفضل]
٢١٧	١٣	المعنى (نص الميم) لا فتحها . مسة الى معين الدين ، من حالات الدواوين الورية والصلاحية) .
٢١٧	١٤	سرية "تني" بالساحل من أعمال الرملة . هكذا ورد اسمها في الأصل بالناء المنة الدوقية وصيغة المني للجهول . والصحيح أنه بالياء آخر الحروف "ياني" . وهي في عصرها هذا من أعمال غزة . وقال ياقوت إنه ملبد قرب الرملة فيه قبر سخاني ، يقول بعضهم هو قبر أبي هريرة ، وبعضهم يقول قبر عبد الله بن أبي سرح .
		أما "تني" فهي على ما في ياقوت بلدة محوران من أعمال دمشق . قال الالبانة : فلا زال قبر بين "تني" وحاسم " عليه من الوسمي "حود ووال بيت "حودا" وعوفا مسورا " ساددى له من خير ما قال قائل
		والبيت الأثرل وحده رواه المخصص (ح ١٥ ص ١٩٣ عما أشده سبويه ، ولكنه جعل "عل" بدل "حود" . وهو أفضل .
٢١٨	١	في الأصل : "وقيل إن مدينة دقيانوس ويقال إن مدينة دقيانوس هي طليطلة" .
		تحيت أن الكلام فيه تكرر . لذلك حذوت الجملة الأولى ، أثناء الطبع ، وبهت على ذلك في الحاشية .
		بد أنا اذا وصما "لما" بدل "إن" الأولى لاستقام الكلام تماما . اذ يكون على هذه الصورة : "وقيل أنها مدينة دقيانوس ، ويقال ان مدينة دقيانوس هي طليطلة" .

صفحة	سطر	تعويضات وتصحيحات
		وذلك لأن بعض المؤرخين يقولون إن أبسس (أفسس) هي مدينة دقيانوس ، مضطهد أصحاب الكهف ، ومعهم يقول إنها طليطلة بالأندلس . ولحقق هذا الكتاب بحث واسع باللغة الفرنسية عن "الكهف والرقيم" من الوحيين التاريخية والجغرافية . وعن جميع الأماكن التي زعم أهلها أنها بها .
١١٢١٨		قرية "إربيل" تعرف في أياما هذه باسم "إربد" ، الدال المهمل في آخره . وهي الآن من أعمال جبل عجلون التابع لحكومة شرق الأردن العربي . وكانت في أيام الحكومة العثمانية عاصمة لقضاء عجلون . وبها مسجد وسراي (سنة ١٨٨٤) . ومناحها طيب ، ولها مستشف بديع على الصحراء ، يمتد شرقا لعاية نادية الشام ويطلّ من الجنوب والجنوب الشرق على جبل عجلون بعاماته التي يتكاثف فيها شجر اللوط العتيق . وفي ساحتها حوص يملأه المطر . فيستقي منه أهلها ، على طول السنة . وهي قائمة على موقع المدينة القديمة "أربلا" (Arbēl) . وسكانها قبل الحرب العامة رها . ١٣٠٠ نسمة . وهم الآن أكثر عددا . وإما جعلها الارتاك "إربد" ، الدال المهمل للتمييز بينها وبين مدينة "إربل" الشهيرة (Erhil, Arbēl, Arbellen) بأرض الموصل . كما فعلوا في حمص التي بطرانس العرب مسموها "حمص" ، وكما فعلوا بمدينة نصيبين بولاية حلب مسموها "زيب" ، تمييزا لها عن نصيبين التي بالعراق .
١٦٢١٨		سيلون . تعرف الآن عند أهل فلسطين باسم "سيلة الظهر" .
١١٢١٩		كفر برلك (بالاء الموحدة) . لا كما وردت في نسخة الأم بالباء المعقوفة : "كفر ترك" . وهي قرية فلسطين .
١١٢٢٣		سُوبَل وهو أيضا "سُوبَل" الذي تسميه التوراة "توبال قاين" .
١٥٢٢٣		منوشهر وهو "موجهر" عند الفرس والترك . وليس منوشهر (بالاء) كما في نسخة الأم .

صفحة	سطر	تصريات وتصحيحات
٢٢٤	٦٤٣	أورد السامح أسم ملك الفرس مرتين متواليتين هكذا : سوراسف سين مهملة في أوله موهنا صحة وصحته على ما يسميه العرب "سوراسب" وأما الفرس فيسمونه : سُراسب .
٢٢٦	٢٠	روى المؤلف عن الكري الامداني ان لاصاثة يتناحزان في باب الرقة يعرف بمهلنيشا .
		وأرب الروحوع الى علم صديق العلامة العاقل الأب أنستاس الكريلى . المعروف بالتحميم والتدقيق في مثل هذه الموضوعات . فتكرم وأماننى بما نصه :
		كله مصحفة من "مهلنيشا" . وهذه محوثة من الإزمية ... ونقرأ (بنت علوانا) أى هيكل الاصنام . وقد أكد لي بعض علماء الصابئة الحاليين ان هذا الهيكل وارد ذكره في كتبهم باسم "مهلنيشا" ويعنى أيضا محل الصبية أو المحترقة و بيت الصم الأعلى . اه .
٢٢٩	٥	في الأصل "السند" سود . والواحد حذف هذا الحرف لتكون الإشارة الى "السند" أى سد يأوج وما أوج . وذلك ما اختمه الموقع الحمراني . لأن بلاد الخطا في شمال الصين ، وأما السند فهي شرق الهند . وشتان ما بينهما ! فلا يمكن أن يكون صم الخطا المحجوج اليه الذى في نهاية الشرق المتشامل . قريبا من بلاد السند . يؤكد ذلك ما أورده المؤلف نفسه في ص ٤٧ من ١٦
٢٢٩	٩	الغزاية يشير إلى بلاد العرب .
٢٢٩	١١	أرض الأوزير . هكذا ورد في نسخة الأم . وقد أكرت من البحث عن هذا الأوزير فلم أهنأ اليه . وعسى انه محرف عن الغدير ، لهرها لك تكلم عليه المؤلف (ص ٢٨٥ من ١١ وص ٢٨٦ من ١) .
٢٣١	٧	مدينة جرش . هكذا سطها في نسخة الأم بصم الميم . وهو غير صواب ، اللهم إلا فيما يتعلق ببلد ناين . أما الذى نحن بصده وهو المدينة الأثرية التى يتكلم عنها المؤلف ، والتي هي الآن تابعة لامارة الشرق العربى فيما وراء الأردن . فهي جرش (هتج أوله وثانيه) ولا يرال أهل تلك الجهات يطلقون بالاسم على هذا الوحه ، لافرق في ذلك بين الخاصة والعامة .
		(*) رسم الاب العاقل حروف هذه الكلمة باللة الإزمية ، وقد اضطرت لاهمالها ، مع الاسف الشديد ، لدم وحوادثى منها في دور الطباعة بمصر .

صفحة	سطر	تعويضات وتصحيحات
٧ ٢٣٤		في الأصل . "وتلني تلني" . أهمل الناصح التاء الثانية في صدر الكلمة الأولى . فيجب التصحيح هكذا . "وتسئني تسئني" .
٧ ٢٤٤		أسراب (بالسين المهملة) جمع "سرب" للقناة في جوف الأرض . ووضع النقط في نسخة الأم فوق الشين المعجمة غلط .
١١ ٢٤٥	Centa	
١٣ ٢٤٥	Port-Vendres	
١١ ٢٤٨		رواية "القناص" : وشا كرجج وجلالجه . [والكرجج : الحلل . والوشى : معروف]
١٧ ٢٥٤		وكانا . (لا : كاوا)
١١ ٢٥٨		في الأصل : "وجه اليها عشرين دنا شرابا ومائة دجاجة وعشرين حملا وباسح فاكهة"
		فأولا — كلمة "اليها" يجب جعلها "الينا" كما يحتمل السياق . لأن الكلام عن رحلين ، أحدهما حقة وهو الحاكم للقصة والمنتم للرواية عن نفسه وصاحبه .
		وثانيا — كلمة "باسح" عليها في نسخة الأم نقطة من المداخيل جعلني أنحيل أن المؤلف ضرب عليها بالقلم . فذلك أهمتها في الطبع ، لا سيما وإن لم أهمهم لها معنى وقتئذ . لكن الأمانة أوجبت على المراجعة عنها والتدقيق فيها . وقد وجدت أن صاحب القاموس أشار في مادة (ن ب ح) إلى أن "البسج" هي "الفراز السود" أي الجوارق والركائب . فتكون الفاكهة حينئذ من النواشف أي من نوع "نقل" . ويكون ابن فصل الله قد أراد الرجوع عن جمع الجمع (باسح) لعدم وروده ، فصر على الكلمة ثم منها عن وضع الكلمة الواردة في كتب اللغة ؛ أو يكون أراد أن يضع بدلها كلمة "أطباق" وهي التي استعملها هو في ترجمة الأمر بأحكام الله ، إذ من يرجل من أهل مصر

صفحة	سطر	تعويضات وتصحيحات
		واقف على بستان له فاستسقاء . فلما شرب ، قال الرجل : أطمعنى في السؤال يا أمير المؤمنين . وطلب منه الدورول عليه ، وقدم له ولجيشه أشياء كثيرة تجل عن الوصف ، منها مائة طبق فاكهة . هذا واستعمال الأطباق للفاكهة معهود أيضا في بغداد . فقد روى المؤرخون وأهل الأدب أن عبد الملك بن صالح أهدى هارون الرشيد فاكهة في أطباق حيزران ، وسماها في كتابه الخليلي ، "أطباق القضاة" احتشاما من تسمية الشيء باسمه . لأن أم الرشيد كان اسمها الحيزران (انظر مطالع البدور ج ٢ ص ٣٦) .
		على أن كتاب بغداد قد استعملوا الكلمة التي نحن بصدددها . فقد ورد في كتاب الموشى (طبع ليد ، ص ٩٤) ما نصه " والنباتات المصدة بأنواع الرياح " ووردت في نسخة أخرى : النباتات . وعدى أنها مصححة عن نباتات و نباتات العُمر (صم أوله وسكون ثانيه ، بمعنى الدر الكبير) .
١٤ ٢٦٦		الزنانير . أوردتها النسخ بهذه الحروف في قول الشاعر :
٢ ٢٦٧		"ومهار مثل الزنانير محمو * ف زهر الحيرى والحودان"
		وأنت تعلم أن البار لا يُشبه بالزنانير بل بالدنانير . فقد روى المؤلف هذه (في صفحة ٢٠١ ص ١٨) قول الصلاح الصعدي :
		وبالأرض من حبا صخرة * فاستت الأرض إلا بهارا كما روى قول الخالدي (ص ٢٩٥ ص ٩)
		وقد نقتط الزهر حد الزى * ندرمه وبديساره وضيف إلى ذلك قول أبى نواس :
		زهرة عند زهرة عند أخرى * كآفزان الديار بالديار

صفحة	سطر	تصويّسات وتصحيحات
		وعلى ذلك يحسّ تصحيح "الزناير" ر "الدنانير" .
		اللهم إلا اذا قيل ان الشاعر أراد "الزناير" لنوع من الدباب، صغار، تكون في الحشوش، أى المواضع التى يذهب الناس إليها في الساعات ومن مجتمع الحيل، لقضاء الحاجة . وذلك بعيد وعير مقول . ولقائل أن يذهب الى انه أراد "الزناير" أى تلك الدبابات الساعة المعروفة باسم الدنانير . هى رقشتم ما قد يسوع معه مثل ذلك الرأى . ولكنى أؤثر "الدنانير"
١٢٠٢٦٧		ثُرَانَا ... نَقْصُهُ .
١٧٠٢٧٠		أورد السامح البيت هكذا
		وسيم يوصل من كنت أهوى . قد تدلّنه نؤس العتاب
		والذى أراه أنه أراد "الغياب" فالنفس المعجزة والياء آخر الحروف . لأن الشاعر يعاين به ما كان له من ميم الوصول . لقد كان يصح أن تقترح كلمة "العداب" ولكن الشاعر آستعملها في البيت التالى لتأله . فصلا عن أن "العتاب" لا "نؤس" به . وقد يحور أن يكون أراد "العتاب" لما وقع عليه من الظلم .
٧٠٢٧١		يُرمِّمُ بى الرَّجْوَانِ . (هذا هو الضغط الصحيح) .
٤٠٢٧١		بُقْطَرٌ لِّل . (هذا هو الضغط الصحيح) .
١٧٠٢٨٠		قُصَصَةٌ صَمِّ القَفَا ، سه لقرية بين بعداد وعكرا . مشهورة بحماماتها وحورها الجيدة .
٣٠٢٨٢		أكثرت البحث والتسأل عن أصل لفظه "ماشوش" . فلم أظفر لآل بطلان . وقد أضافنى العلامة الاب أستاذ الكرملى انت ما رواه الشافى هو خرافة . ولا مانع عدى من الانصام الى رأيه الرشيد ، ليس مما يتعلق بطلبة المشاشوش ، في دير الخَوَات حَسْب . بل فيما ينسب عامة الناس أبضا مما يصارع هذه الأشعوة الى الدروز بلبان وحوران ، الى الانصارية والصيرية (أتباع

صفحة	مصدر	تصريحات وتصحيحات
		الشيخ نصير) لولاية حلب وخاصة ساحية انطاكية ، والى الاسماعيلية المتوطنين ساحية القدموس قصبا، قلعة المرقب من بلاد سورية .
٢٨٣	٣	الصباح (فتح الصاد) .
٢٨٥	٦	جناحا (بالون) .
٢٨٦	٨	مدى أن الأصوب رواية البيت هكذا :
		برية شتواتها * بحرية فيها المصايف
		فان الناس يتطلعون الاصطفاى بحوار البحار ، كما هو مألوف منذ قديم الزمان .
٢٨٧	١٦	وردى الأصل : "يجوز العيش أنوالهذى" مع وضع كسرة تحت العين المهمة . ولا معنى لذلك . بل لابد أن يكون الصواب "يجوز العيش أنوالهذى" . والرجل على ما عرفنا به صاحب الأغانى (ج ٢١) والورى (نهاية الأربح ٤ ص ٥٥ فتوغرافية) هو عبد المؤمن بن عبد القدوس ابن شت بن دعى اليه نوعى . كان من المستهترين شرب الخمر . سمع مع نصر بن سيار فقال له نصر : إليك هباء بيت الله الحرام ، ومحل حرمة ! فدع الشراب ! فما هو إلا أن رآه صاحبه ، حتى وصع الشراب وحمل سكى ، ويقول :
		رصيع مدام فارق الراح روحه فطلَّ عليها مستهلَّ المسامع أدبرا على الكأس ، إلى ههنا . كما فقد المعلوم درَّ المرامع !
		ومرَّ به نصر بن سيار ، وهو يميل سكرًا ، فقال له أهدت شرفك ! فقال لو لم أهد شرق ، لم تكن أنت اليوم والى نراسان . (واطرص ٣٩٦ من هذا الكتاب ، وص ٢٢ من "حلبة الكيت" طبع بولاق)
٢٨٨	١١	وقدِّر

صفحة	سطر	تصويبات وتصحيحات
٢١٨	١٩	ودارتُ مُجَبُّ الأبطال . ل مَحَّتْ بِحِلِّ الثَّربِ
		هكذا في الأصل "الأبطال"، ولا شك أن ذلك باطل، ومن ههنا السامع . لأن المقام يعنى الثرب . "الأبطال"، التي دارت على الدماء دورا حينما يشاهد سيراها السريعة المحبة . ويجوز أن يكون الشاعر أراد الأبطال أى أقذاح الخمر . وذلك أقرب لرسم المرفوف، ولكننى أتمسك بـ "الأبطال"، لا سيما وإن المؤلف قد استعمل هذا اللفظ فقال "مشرى بالأبطال" (ص ٢٧٨ س ٣)؛ "فاستقى رطلا"، (ص ٣٢١ س ١٨، ص ٣٢٢ س ٣ - ٦)
٢٨٩	١	على أوجه أعمار على قُصْبِ على كُتْبِ
		هكذا كتب السامع . ولا معنى للأعمار هنا . بل هى "أعمار"، بإسدى . وعلى ذلك يحى رواية البيت على "الوجه" الآتى .
		على أوجه أفسار . على قُصْبِ على كُتْبِ
٢٩١	١٢	تراك (بالا المهملة بضم التاء، بمعنى هل ترى نفسك) .
٢٩١	١٣	أنقى (بضم أوله وكسر ثائه) .
٢٩٢	٣	فأجراها (بسكون الجيم) .
٢٩٢	١٠	عوارب (بالضمة) . لا (عوارب بالعين المهملة) .
٢٩٥	١٨	نسط المسح ... تبسط صحون آسن وخيرات تفاح
		سقطت كلمة من الشعر لم يكتبها السامع ولعلها "النسرين"، أو ما على هذا الوزان . فتكون رواية البيت على هذا المثال .
		نسط المسح والنسرين نسط و * صحون آسن وخيرات تفاح
		والله أعلم .

صفحة	سطر	تعويضات وتصحيحات
٣٠١	١٦	(*) الطيّوث . لعلّة إرمية ، وهى بلسانهم ... (وتلفظ طيوناً بناءً مثلثة فى الآخر) . وهى عد نصارى اليعاقبة أصحاب دير القيارة : "مادّة قسوى أو تؤخذ من زيت قد صُلّ عليه مطرانهم وباركه ، وقد أُصيف إليه شىء من الماء وقليل من تراب رفات أحد الأئمة فى القداسة .
		وكان الحق فى تعريبها الطييّوث بناءً مشاء فى الآخر . لكن العرب عربوا ما كان على هرون فعلّوت منتح الأول والثانى ثاء مشاء . فقالوا . ملكوت وحروت وعطموت وسلكوب . وعربوا ما كانت على فعلّوت باسكان الثانى ثاء مثلثة فى الآخر فقالوا : ناعوث وراعوث وطبيّوث . وقد حالموها . لاسوت ولاهوت ، وحيتوت ، وياقوت .
		(للاب أنستاس الكرمل)
٣٠٤	٣	نِسْمِرِين (نكسر الون) .
٣٠٨	١٥	زُبَّارَه (نصم الراى) .
٣١٠	٩	"عُمَرُ عسْكَر" . هذه رواية ابن فضل الله . وقد قلت فى الحاشية ان ياقوت سماه "عمر كسْكَر" باسم اللد . فلهذه الحقيقة فى عصره الحاضر ، استمهمت من المحقق المدقق الأب أنستاس الكرمل ، فكتب لى : م يكن عُمر من الاعمار باسم عُمر عسْكَر واما هو عُمر كسْكَر (بكاين مفتوحين يتوسفهم سين مهملة وفى الآخر را مهملة) . والعمر كلمة إرمية معناها الدير الواسع ، يكون للراهب . اهـ
٣١١	١	النَّحْب (منتح الون وانحاء المعجمه) ، معنى معاواة التثراب بن الدامى .
		(١٠) أهملت رسم الحروف الإرمية التى كتبها لى الأب الفاضل ، لعدم وجود شىء منها بدور الطباعة فى مصر .

صفحة	سطر	نصويسات وتصحيحات
١٦ ٣١٨		كتب الناصح :
		وردة وعاء : ذى يرول بها به سقم السقيم ، وذأ يُجلى به البصر وأنا أظن أن المعنى مستقيم تماما ، إذا عرِيا الضائر ، ورويا الست على الوجه الآتى :
		وردة وعاء . ذأ يرول بها سقم السقيم ، وذى يُجلى بها البصر لأن العاء مريل للسقيم ، ولأن الترة جعلها الشاعر كالإتمد الذى يُجلى به البصر .
٥ ٣٢٢		أدبك (بكسر الاء) .
٢٠ ٣٢٢		الأسماء بعضها ببعض (لا بعضها) .
١٧ ٣٢٦		روى المؤلف عن آتى الفرخ الأصمهاى أب المعان من المذركان بعد قضاء الصلاة فى دير البحر ، يصرف الى مستشره على العجب .
		فيهم من ذلك أنه كان يركب البوق السريه أو الأفراس الكريمة الى ذلك المستشر . وهو كلام قد يكون وحيا ، أولا ما فيه من الإبهام فيما يتعلق بتعيين المكان ، ولولا أنه لا معنى لأن يكون مستشر الملك من العدد عن قصده حيث يحتاج الى الحب للوصول اليه .
		ومن الأسف . أى لم أشر على كتاب الديارات لأنى الفرخ . لتتيف هذه الكلمة (العجب) . والحكاية غير واردة فى الأعان .
		وإى أنجلى لها محرفة عن (النَّجَف) .
		وبذلك لقرب النجف من الحيرة عاصمة المعان ، ولأنه أرض عالية ، فيكون المستشر فوقها .
		وإى يابى الملك كذا أى يياه .

صفحة	سطر	تصويّسات وتصحيحات
		ذلك أن الحيرة صغيرة القعة ، وكل دياراتها حول النجف وبعصا رابكة عليه ، وكل آثار بني المندر على طوره (ص ٣٢٧ س ١٠ ، ١١ و ص ٣١١ س ١٤ و ٣١٧ س ١١ من هذا الكتاب) .
		وفصلا عن ذلك ، فقد ذكر المؤلف أن ديارات الأساف تشرف على النجف وعلى الطهر كله ، وأن الصمود إليها يكون من أسعمله في خمسين درجة الى سطح أفج فيه الخورق والسدري (أنظر ص ٢٨٥ — ٢٨٦ من هذا الكتاب وأنظر ديارات الأساف في معجم ياقوت) .
٣٣٨	٣	أعصابه (النون في وسطه) . هذا هو الصواب ، وليس : أعتابه . كما في نسخة الأم . كيف لا ، والمصنف قد عرفنا عن كثرة الكروم حول ذلك الدير ، أما حلوس الدمان بين الأعتاب ، فلا محل له من الاعراب ، فصلا عن أن هذا الجمع سميم لا يستعمله إلا العامة . ومثل ابن فضل الله قد كان يقول ” العتبات ” .
٣٤٣	١٢	التياب ” السَّيَّيَّة ” مسووة للدة سعداد . وهي أُرْدُ سودُ للنداء . وهي حرير فيها أمثال الارح . ويجمع على ” سباني ” .
٣٤٦	١٣	شدّ (صعبة المذكر المني للجهول اشارة الى القيد) . وليس شدّت . كما في نسخة الأم
٣٤٦	١٢	يُعْثُكُ مَبْرَهه بعد ربهية . تنحس بأخبار الرياض كعمل
		على أن السحاب لا يتكامل إلا ” بإحياء ” الرياض ، لا بأخبارها . والأخبار — إن صح التعبير بها — إنما تكون من شأن السيم . لذلك يجب وضع ” إحياء ” بدلا من ” أخبار ” الواردة في نسخة الأم .
٣٥٨	٥	جنة الزبداني : وهي حديثه كبيره حدّا بالقرب من دمشق ولا تزال باعّة ، ومنها صدر الفواكه الكبيرة الى مصر وغيرها . وغلط السخ في الأم إذ جعلها ” جبة ” بالاء المعقوطة بواحدة) .
		أما جبة عدال ، فالباء ثانی الحروف ، كما في الأصل .

صفحة	سطر	تصويحات وتصحيحات
٩٣٦٢		متمتع (بغير نون بعد التاء) إشارة الى كثرة الصيد فيه .
٩٣٦٣		قال ابن فصل الله إيدير القصير الكائن بين مصر القديمة وحلوان على "سطح قبة من بلاد الفتح" . وقلت في الحاشية إلى لا أدري ما يريد بقوله "بلاد الفتح" . وأنا الآن أظن أنه قد يكون مراده "الفج" . فقد استعملها المؤرخون في ذكر الطريق بين القسطنطينية وبين عين شمس . قال الكندي في كتاب الولاة والقضاة (طبع لوندرة ، ص ٢٨٣) : "واقبلوا إلى القسطنطينية ، فمسك محمد بن تكين من بركة المعاصر إلى الفج" . وهذه الكلمة هي التي عرفت بركة الحبش ، على ما ذكره المنبري في المخطط ، في كلامه على البركة . وذلك الدير يعرف الآن باسم دير العريان .
٩٣٦٣		هو أبو صلاح الاربي (لا أبو صالح كما كتبه أما غلطاً) .
٩٣٦٥		عُمر (بضم العين ، بمعنى الدير الكبير) .
٩٣٧٥		"ومرت الاطلاب مزينة الترك" . هكذا وردت هذه العبارة في نسخة الأم . وقد عقيبت عليها في ديل الصعقة بـ يعيد احتمال سقوط كلمة « بأبناء » لتكون الجملة هكذا "مزينة بأبناء الترك وحياد الخليل" . بدل أي بعد إتمام الطرء ، أتخيل أن النسخ غير كلمة «البركة» (لأنه لم يفهمها) بكلمة «الترك» . والبركة كلمة تركية كانت فائتية الاستعمال بمصر ، على عهد المماليك . ومعناها السلاح . وكثيراً ما يستعملها المؤرخون لذلك العهد . ويكون المعنى أن "الاطلاب مرت مزينة أسلحتها وحيالها الجيدة" . والطلب (بضم الطاء) جماعة من الحدود يكونون في خدمة الأمير .
٩٣٨٠		الكُجج (بضم الكاف لا كسرهما) . نوع من الخبز كان معروفاً بمصر ، ولا يزال مستعملاً بصعيداها وفي بلاد فلسطين ، ولا سيما بلاد الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

